الآية : 53

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَمَآ أُبَرّىءُ نَفْسِيَ إِنّ النّفْسَ لأمّارَةٌ بِالسّوَءِ إِلاّ مَا رَحِمَ رَبّيَ إِنّ رَبّي غَفُورٌ رّحِيمٌ }.

يقول يوسف صلوات الله علـيه: وَما أُبَرّىءُ نَفْسِي من الـخطأ والزلل فأزكيَها. إنّ النّفْسَ لأمّارَةٌ بـالسّوءِ يقول: إن النفوس نفوس العبـاد تأمرهم بـما تهواه وإن كان هواها فـي غير ما فـيه رضا الله إلاّ ما رَحِمَ رَبّـي يقول: إلا أن يرحم ربـي من شاء من خـلقه, فـينـجيه من اتبـاع هواها وطاعته فـيـما تأمره به من السوء. إنّ رَبّـي غَفُورٌ رَحِيـمٌ. و«ما» فـي قوله: إلاّ ما رَحِمَ رَبّـي فـي موضع نصب, وذلك أنه استثناء منقطع عما قبله, كقوله: ولاَ هُمْ يُنْقَذُونَ إلاّ رَحْمَةً مِنّا بـمعنى: إلا أن يُرحموا, وأنْ إذا كانت فـي معنى الـمصدر تضارع «ما».

ويعنـي بقوله: إنّ رَبّـي غَفُورٌ رَحيـمٌ: أن الله ذو صفح عن ذنوب من تاب من ذنوبه, بتركه عقوبته علـيها وفضيحته بها, رحيـم به بعد توبته أن يعذّبه علـيها. وذُكر أن يوسف قال هذا القول من أجل أن يوسف لـما قال: ذلكَ لـيَعْلَـمَ أنّـي لَـمْ أخُنْهُ بـالغَيْبِ قال مَلَك من الـملائكة: ولا يوم همـمت بها؟ فقال يوسف حينئذٍ: وَما أُبَرّىءُ نَفْسِي إنّ النّفْسَ لأمّارَةٌ بـالسّوءِ. وقد قـيـل: إن القائل لـيوسف: ولا يومَ هَمَـمْتَ بها فحللت سراويـلك؟ هو امرأة العزيز, فأجابها يوسف بهذا الـجواب. وقـيـل: إن يوسف قال ذلك ابتداء من قِبَل نفسه. ذكر من قال ذلك:

14893ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن إسرائيـل, عن سماك, عن عكرمة, عن ابن عبـاس, قال: لـما جمع الـملك النسوة, فسألهن: هل رَاوَدْتُنّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حاشَ لِلّهِ ما عَلِـمْنا عَلَـيْهِ مِنْ سُوءٍ قالَتِ امْرأةُ العَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الـحَقّ... الآية, قال يوسف: ذلكَ لِـيَعْلَـمَ أنّـي لَـمْ أخُنْهُ بـالغَيْبِ قال فقال له جَبْرَئيـل: ولا يوم همـمت به همـمت؟ فقال: وَما أُبَرّىءُ نَفْسِي إنّ النفْسَ لأمّارَةٌ بـالسّوءِ.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبـي, عن إسرائيـل, عن سمِاك, عن عكرمة, عن ابن عبـاس, قال: لـما جمع الـملك النسوة, قال لهن: أنتُن راودتنّ يوسف عن نفسه؟ ثم ذكر سائر الـحديث, مثل حديث أبـي كُريب, عن وكيع.

حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا عمرو, قال: أخبرنا إسرائيـل عن سماك, عن عكرمة, عن ابن عبـاس, قال: لـما جمع الـملك النسوة, قال: أنتنّ راودتنَ يوسف عن نفسه؟ ثم ذكر نـحوه غير أنه قال: فغمزه جبرائيـل, فقال: ولا حين همـمتَ بها؟ فقال يوسف: وَما أُبَرّىءُ نَفْسِي إنّ النّفْسَ لأمّارَةٌ بـالسّوءِ.

14894ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبـي, عن مسعر, عن أبـي حصين, عن سعيد بن جبـير, قال: لـما قال يوسف: ذلكَ لِـيَعْلَـمَ أنّـي لَـمْ أخُنْهُ بـالغَيْبِ قال جبرائيـل, أو مِلك: ولا يومَ همَـمتَ بـما همـمت به؟ فقال: وَما أُبَرّىءُ نَفْسِي إنّ النّفْسَ لأمّارَةٌ بـالسّوءِ.

حدثنا عمرو بن علـيّ, قال: حدثنا وكيع, قال: حدثنا مسعر, عن أبـي حصين, عن سعيد بن جبـير بنـحوه, إلا أنه قال: قال له الـملَك: ولا حين همـمت بها؟ ولـم يقل: أو جبرئيـل, ثم ذكر سائر الـحديث مثله.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا مـحمد بن بشر وأحمد بن بشير, عن مسعر, عن أبـي حصين, عن سعيد بن جُبـير: ذَلِكَ لِـيَعْلَـمَ أنّـي لَـمْ أخُنْهُ بـالغَيْبِ قال: فقال له الـملك, أو جبريـل: ولا حين همـمت بها؟ فقال يوسف: وَما أُبَرّىءُ نَفْسِي إنّ النّفْسَ لأَمّارَةٌ بـالسّوءِ.

14895ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن سفـيان, عن أبـي سِنان, عن ابن أبـي الهذيـل, قال: لـما قال يوسف: ذلكَ لِـيَعْلَـمَ أنّـي لَـمْ أخُنْهُ بـالغَيْبِ قال له جبرئيـل: ولا يوم همـمت بـما همـمت به؟ فقال: وَما أُبَرّىءُ نَفْسِي إنّ النّفْسَ لأَمّارَةٌ بـالسّوءِ.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبـي, عن سفـيان, عن أبـي سنان, عن ابن أبـي الهذيـل, بـمثله.

حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا عمرو, قال: أخبرنا مسعر, عن أبـي حصين, عن سعيد بن جبـير, مثل حديث ابن وكيع, عن مـحمد بن بشر وأحمد بن بشير سواء.

14896ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا العلاء بن عبد الـجبـار, وزيد بن حبـاب, عن حماد بن سلـمة, عن ثابت, عن الـحسن: ذلكَ لِـيَعْلَـمَ أنّـي لَـمْ أخُنْهُ بـالغَيْبِ قال له جبرئيـل: اذكر همك فقال: وَما أُبَرّىءُ نَفْسِي إنّ النّفْسَ لأَمّارَةٌ بـالسَّوءِ.

حدثنا الـحسن, قال: حدثنا عفـان, قال: حدثنا حماد, عن ثابت, عن الـحسن: ذلكَ لِـيَعْلَـمُ أنّـي لَـمْ أخُنْهُ بـالغَيْبِ قال جبرئيـل: يا يوسف اذكر همك قال: وَما أُبَرّىءُ نَفْسِي إنّ النّفْسَ لأَمّارَةٌ بـالسّوءِ.

14897ـ حدثنـي يعقوب, قال: حدثنا هشيـم, عن إسماعيـل بن سالـم, عن أبـي صالـح, فـي قوله: ذلكَ لِـيَعْلَـمَ أنّـي لَـمْ أخنُهُ بـالغَيْب قال: هذا قول يوسف, قال: فقال له جبرئيـل: ولا حين حللت سراويـلك؟ قال: فقال يوسف وَما أُبَرّىءُ نَفْسِي إنّ النّفْسَ لأمّارةٌ بـالسوءِ... الآية.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: أخبرنا هشيـم, عن إسماعيـل بن سالـم, عن أبـي صالـح, بنـحوه.

14898ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: ذلكَ لِـيَعْلَـمَ أنّـي لَـمْ أخُنْهُ بـالغَيْبِ ذكر لنا أن الـملك الذي كان مع يوسف, قال له: اذكر ما همـمت به قال نبـيّ الله: وَما أُبَرّىءُ نَفْسِي إنّ النّفْسَ لأَمّارَةٌ بـالسّوءِ.

حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة, قال: بلغنـي أن الـمَلَك قال له حين قال ما قال: أتذكر هَمّك؟ فقال: وَما أُبَرّىءُ نَفْسِي إنّ النّفْسَ لأَمّارَةٌ بـالسّوءِ إلاّ ما رَحِمَ رَبّـي.

14899ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, عن عكرمة, قوله: ذلكَ لِـيَعْلَـمَ أنّى لَـمْ أخُنْهُ بـالغَيْبِ قال الـملك, وطعن فـي جنبه: يا يوسف, ولا حين همـمت؟ قال: فقال: وَما أُبَرّىءُ نَفْسِي. ذكر من قال قائل ذلك له الـمرأة:

14900ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمرو, عن أسباط, عن السديّ: ذلكَ لِـيَعْلَـمَ أنّـي لَـمْ أخُنْهُ بـالغَيْبِ قال: قاله يوسف حين جيء به لـيُعْلِـم العزيز

أنه لـم يخنه بـالغيب فـي أهله وأنّ اللّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الـخائِنِـينَ فقالت امرأة العزيز: يا يوسف, ولا يوم حللت سراويـلك؟ فقال يوسف: وَما أُبَرّىءُ نَفْسِي إنّ النّفْسَ لأَمّارَةٌ بـالسّوءِ. ذكر من قال قائل ذلك يوسف لنفسه, من غير تذكير مذكّر ذكّره ولكنه تذكر ما كان سَلَف منه فـي ذلك.

14901ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عَمّي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: ذلكَ لِـيَعْلَـمَ أنّـي لَـمْ أخُنْهُ بـالغَيْبِ وأنّ اللّهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الـخائِنِـينَ هو قول يوسف لـمليكِهِ حين أراه الله عذره, فذكّره أنه قد همّ بها وهمّت به, فقال يوسف: وَما أُبَرّىءُ نَفْسي إنّ النّفْسَ لأَمّارَةٌ بـالسّوءِ... الآية.

الآية : 54

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمّا كَلّمَهُ قَالَ إِنّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مِكِينٌ أَمِينٌ }.

يقول تعالـى ذكره: وقال الـملك, يعنـي ملك مصر الأكبر, وهو فـيـما ذكر ابن سحاق: الولـيد بن الريان.

14902ـ حدثنا بذلك ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة عنه: حين تبـين عذر يوسف, وعرف أمانته وعلـمه, قال لأصحابه: ائْتُونِـي بِهِ أسْتَـخْـلِصْهُ لِنَفْسِي يقول: أجعله من خـلصائي دون غيري.

وقوله: فَلَـمّا كَلّـمَهُ يقول: فلـما كلـم الـملك يوسف, وعَرَف براءته وعِظَم أمانته, قال له: إنك يا يوسف لدينا مكين أمين أي متـمكن مـما أردت, وعرضَ لك من حاجةٍ قِبلَنا, لرفعة مكانك ومنزلتك لدينا, أمين علـى ما اؤتـمنت علـيه من شيء.

14903ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمرو, عن أسبـاط, عن السديّ, قال: لـما وَجَدَ الـملك له عُذرا, قال: ائْتُونِـي بِهِ أسْتَـخْـلِصْهُ لِنَفْسِي.

14904ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: أسْتَـخْـلِصْهُ لِنَفْسِي يقول: أتـخذه لنفسي.

14905ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن سفـيان, عن أبـي سنان, عن ابن أبـي الهذيـل: قالَ الـمَلِكُ ائْتُونِـي بِهِ أسْتَـخْـلِصْهُ لِنَفْسِي قال: قال له الـملك: إنـي أريد أن أخـلّصك لنفسي, غير أنـي آنف أن تأكل معي فقال يوسف: أنا أحقّ أن آنَف, أنا ابن إسحاق أو أنا ابن إسماعيـل, أبو جعفر شكّ, وفـي كتابـي: ابن إسحاق ذبـيح الله ابن إبراهيـم خـلـيـل الله.

حدثنا ابن وكيع, قال: ثنـي أبـي, عن سفـيان, عن أبـي سنان, عن ابن أبـي الهذيـل بنـحوه, غير أنه قال: أنا ابن إبراهيـم خـلـيـل الله ابن إسماعيـل ذبـيح الله.

حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفـيان, عن أبـي سنان, عن عبد الله بن أبـي الهذيـل قال: قال العزيز لـيوسف: ما من شيء إلا وأنا أحبّ أن تشركنـي فـيه, إلا أنـي أحبّ أن لا تشركنـي فـي أهلـي, وأن لا يأكل معي عبدي قال: أتأنف أن آكل معك؟ فأنا أحقّ أن آنَف منك, أنا ابن إبراهيـم خـلـيـل الله, وابن إسحاق الذبـيح, وابن يعقوب الذي ابـيضت عيناه من الـحزن.

14906ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا سفـيان بن عقبة, عن حمزة الزيات, عن ابن إسحاق, عن أبـي ميسرة, قال: لـما رأى العزيز لَبَق يوسف وكَيْسَه وظَرْفه, دعاه فكان يتغدى ويتعشى معه دون غلـمانه فلـما كان بـينه وبـين

الـمرأة ما كان, قالت له: تدنـي هذا؟ مره فلـيتغدّ مع الغلـمان قال له: اذهب فتغدّ مع الغلـمان فقال له يوسف فـي وجهه: ترغب أن تأكل معي, أو تَنْكَف؟ أنا والله يوسف بن يعقوب نبـيّ الله, ابن إسحاق ذبـيح الله, ابن إبراهيـم خـلـيـل الله.

الآية : 55

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىَ خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ }.

يقول جلّ ثناؤه: قال يوسف للـملك: اجعلنـي علـى خزائن أرضك, وهي جمع خِزانة, والألف واللام دخـلتا فـي الأرض خـلفـا من الإضافة, كما قال الشاعر.

والأحْلامُ غيرُ عَوَازِبِ

وهذا من يوسف صلوات الله علـيه مسألة منه للـملك أن يولـيه أمر طعام بلده وخراجها, والقـيام بأسبـاب بلده, ففعل ذلك الـملك به فـيـما بلغنـي. كما:

14907ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: اجْعَلْنِـي علـى خَزَائِنِ الأرْضِ قال: كان لفرعون خزائن غير الطعام, قال: فأسلـم سلطانه كله إلـيه, وجعل القضاء إلـيه, أمره وقضاؤه نافذ.

14908ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا إبراهيـم بن الـمختار, عن شيبة الضبـي, فـي قوله: اجْعَلْنِـي علـى خَزَائِنِ الأرْضِ قال: علـى حفظ الطعام.

وقوله: إنّـي حَفـيظٌ عَلِـيـمٌ اختلف أهل التأويـل فـي تأويـل قوله, فقال بعضهم: معنى ذلك: إنـي حفـيظ لـما استودعتنـي علـيـم بـما ولـيتنـي. ذكر من قال ذلك:

14909ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق: إنّـي حَفِـيظٌ عَلِـيـمٌ إنـي حافظ لـما استودعتنـي, عالـم بـما ولّـيتنـي. قال:: قد فعلت.

14910ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إنّـي حَفِـيظٌ عَلِـيـمٌ يقول: حفـيظ لـما ولـيتُ, علـيـم بأمره.

14911ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا إبراهيـم بن الـمختار, عن شيبة الضبـي فـي قوله: إنّـي حَفِـيظٌ عَلِـيـمٌ يقول: إنـي حفـيظ لـما استودعتنـي, علـيـم بسنـي الـمـجاعة.

وقال آخرون: إنـي حافظ للـحساب, علـيـم بـالألسن. ذكر من قال ذلك:

14912ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمرو, عن الأشجعي: إنّـي حَفِـيظٌ عَلِـيـمٌ: حافظ للـحساب, علـيـم بـالألسن.

وأولـى القولـين عندنا بـالصواب, قول من قال: معنى ذلك: إنـي حافظ لـما استودعتنـي, عالـم بـما أولـيتنـي, لأن ذلك عقـيب قوله: اجْعَلْنِـي علـى خَزَائِنِ الأَرْضِ ومسألته الـملك استكفـاءة خزائن الأرض, فكان إعلامه بأن عنده خبرة فـي ذلك, وكفـايته إياه, أشبه من إعلامه حفظه الـحساب ومعرفته بـالألسن.

الآية : 56

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَكَذَلِكَ مَكّنّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَشَآءُ وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ }.

يقول تعالـى ذكره: وهكذا وطأنا لـيوسف فـي الأرض, يعنـي أرض مصر. يَتَبَوّأُ مِنْها حَيْثُ يَشاءُيقول: يتـخذ من أرض مصر منزلاً حيث يشاء بعد

الـحبس والضيق. نُصِيبُ بِرَحْمَتِنا مَنْ نَشاءُ من خـلقنا, كما أصبنا يوسف بها, فمكنّا له فـي الأرض بعد العبودة والإسار وبعد الإلقاء فـي الـجبّ. وَلا نُضِيعُ أجْرَ الـمُـحْسِنِـينَ يقول: ولا نُبطل جزاء عمل من أحسن فأطاع ربه وعمل بـما أمره وانتهى عما نهاه عنه, كما لـم نبطل جزاء عمل يوسف إذ أحسن فأطاع الله. وكان تـميكن الله لـيوسف فـي الأرض, كما:

14913ـ حدثنا ابن حميد, حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق, قال: لـما قال يوسف للـملك: اجْعَلْنِـي علـى خَزَائِنِ الأرْضِ إنّـي حَفِـيظٌ عَلِـيـمٌ قال الـملك: قد فعلت فولاه فـيـما يذكرون عمل إطفـير وعزل إطفـير عما كان علـيه, يقول الله: وكذلكَ مَكّنّا لِـيُوسُفَ فِـي الأرْضِ يَتَبَوّأُ مِنْها حَيْثُ يَشاءُ... الآية. قال: فذكر لـي والله أعلـم أن إطفـير هلك فـي تلك اللـيالـي, وأن الـملك الرّيان بن الولـيد زوّج يوسف امرأة إطفـير راعيـل, وأنها حين دخـلت علـيه قال: ألـيس هذا خير مـما كنت تريدين؟ قال: فـيزعمون أنها قالت: أيها الصدّيق لا تلُـمنـي, فإنـي كنتُ امرأة كما ترى حُسنا وجمالاً, ناعمة فـي مُلك ودنـيا, وكان صاحبـي لا يأتـي النساء, وكنتَ كما جعَلك الله فـي حُسنك وهيئتك, فغلبتنـي نفسي علـى ما رأيت. فـيزعمون أنه وجدها عذراء, فأصابها, فولدت له رجلـين: إفراثـيـم بن يوسف, وميشا بن يوسف.

14914ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمرو, عن أسبـاط, عن السديّ: وكذلكَ مَكّنّا لـيُوسُفَ فِـي الأرْضِ يَتَبَوّأُ مِنْها حَيْثُ يَشاءُ قال: استعمله الـملك علـى مصر, وكان صاحب أمرها, وكان يـلـي البـيع والتـجارة وأمرها كله, فذلك قوله:وكذلكَ مَكنّا لِـيُوسُفَ فِـي الأرْضِ يَتَبَوّأُ مِنْها حَيْثُ يشاءُ.

14915ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: يَتَبَوّأُ مِنْها حَيْثُ يَشاءُ قال: ملكناه فـيـما يكون فـيها حيث يشاء من تلك الدنـيا, يصنع فـيها ما يشاء, فُوّضَتْ إلـيه. قال: ولو شاء أن يجعل فرعون من تـحت يديه, ويجعله فوقه لفعل.

14916ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا عمرو, قال: أخبرنا هشيـم, عن أبـي إسحاق الكوفـي, عن مـجاهد, قال: أسلـم الـملك الذي كان معه يوسف.

الآية : 57

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَلأجْرُ الاَخِرَةِ خَيْرٌ لّلّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتّقُونَ }.

يقول تعالـى ذكره: ولثواب الله فـي الآخرة خير للذين آمنوا يقول: للذين صدّقوا الله ورسوله مـما أعطى يوسف فـي الدنـيا من تـمكينه له فـي أرض مصر. وكانُوا يَتّقُونَ يقول: وكانوا يتقون الله فـيخافون عقابه فـي خلاف أمره واستـحلال مـحارمه, فـيطيعونه فـي أمره ونهيه.

الآية : 58

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ }.

يقول تعالـى ذكره: وَجاءَ إخْوةُ يُوسُفَ فَدَخَـلُوا عَلَـيْهِ فَعَرَفَهُمْ يوسف, وَهُمْ لـيوسف مُنْكِرونَ لا يعرفونه. وكان سبب مـجيئهم يوسف فـيـما ذكر لـي, كما:

14917ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق, قال: لـما اطمأنّ يوسف فـي ملكه, وخرج من البلاء الذي كان فـيه, وخـلت السنون الـمخصبة التـي كان أمرهم بـالإعداد فـيها للسنـين التـي أخبرهم بها أنها

كائنة, جهد الناس فـي كلّ وجه, وضربوا إلـى مصر يـلتـمسون بها الـميرة من كلّ بلدة. وكان يوسف حين رأى ما أصاب الناس من الـجهد, قد أسا بـينهم, وكان لا يحمل للرجل إلا بعيرا واحدا, ولا يحمل للرجل الواحد بعيرين, تقسيطا بـين الناس, وتوسيعا علـيهم, فقدم إخوته فـيـمن قدم علـيه من الناس يـلتـمسون الـميرة من مصر, فعرفهم وهم له منكرون, لـما أراد الله أن يبلّغ لـيوسف علـيه السلام ما أراد.

14918ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمرو, عن أسبـاط, عن السديّ, قال: أصاب الناس الـجوع, حتـى أصاب بلاد يعقوب التـي هو بها, فبعث بنـيه إلـى مصر, وأمسك أخا يوسف بنـيامين فلـما دخـلوا علـى يوسف عرفهم وهم له منكرون فلـما نظر إلـيهم, قال: أخبرونـي ما أمركم, فإنـي أُنكِر شأنكم قالوا: نـحن قوم من أرض الشأم. قال: فما جاء بكم؟ جئنا نـمتار طعاما. قال: كذبتـم, أنتـم عيون كم أنتـم؟ قالوا: عشرة. قال: أنتـم عشرة آلاف, كل رجل منكم أمير ألف, فأخبرونـي خبرَكم قالوا: إنا إخوة بنو رجل صِدّيق, وإنا كنا اثنـي عشر, وكان أبونا يحبّ أخا لنا, وإنه ذهب معنا البرية فهلك منا فـيها, وكان أحبنا إلـى أبـينا. قال: فإلـى من سكن أبوكم بعده؟ قالوا: إلـى أخ لنا أصغر منه. قال: فكيف تـخبرونـي أن أبـاكم صدّيق وهو يحبّ الصغير منكم دون الكبـير؟ ائتونـي بأخيكم هذا حتـى أنظر إلـيه فإنْ لَـمْ تَأْتُونِـي بِهِ فَلا كَيْـلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلا تَقْرَبُونِ قالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أبـاهُ وإنّا لَفـاعِلُونَ قال: فضعوا بعضكم رهينة حتـى ترجعوا فوضعوا شمعون.

14919ـ حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ قال: لا يعرفونه.

الآية : 59

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَلَمّا جَهّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لّكُمْ مّنْ أَبِيكُمْ أَلاَ تَرَوْنَ أَنّيَ أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَاْ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ }.

يقول: ولـما حمل يوسف لإخوته أبـا عرهم من الطعام, فأوقر لكل رجل منهم بعيره, قال لهم: ائْتُونِـي بأخ لَكُمْ مِنْ أَبِـيكُمْ كيـما أحمل لكم بعيرا آخر فتزدادوا به حمل بعير آخر. ألا تَرَوْنَ أنّـي أوفِـي الكَيْـلِ فلا أبخسه أحدا وأنا خَيْرُ الـمُنْزِلِـينَ, وأنا خير من أنزل ضيفـا علـى نفسه من الناس بهذه البلدة, فأنا أضيفكم. كما:

14920ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: وأنا خَيْرُ الـمُنْزِلِـينَ يوسف يقول: أنا خير من يضيف بـمصر.

14921ـ حدثنـي ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق, قال: لـما جهز يوسف فـيـمن جهز من الناس, حمل لكلّ رجل منهم بعيرا بعدتهم, ثم قال لهم: ائْتُونِـي بأخ لَكُمْ مِنْ أَبِـيكُمْ أجعل لكم بعيرا آخر, أو كما قال. ألا تَرَوْنَ أنّـي أُوفِـي الكَيْـلَ: أي لا أبخس الناس شيئا, وأنا خَيْرُ الـمُنْزِلِـينَ: أي خير لكم من غيري, فإنكم إن أتـيتـم به أكرمت منزلتكم وأحسنت إلـيكم, وازددتـم به بعيرا مع عدتكم, فإنـي لا أعطي لكم كل رجل منكم إلا بعيرا. فإنْ لَـمْ تَأْتُونِـي بِهِ فَلا كَيْـلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلا تَقْرَبُونِ لا تقربوا بلدي.

14922ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: ائْتُونِـي بأخ لَكُمْ مِنْ أَبِـيكُمْ يعنـي بنـيامين, وهو أخو يوسف لأبـيه وأمه.

الآية : 60

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {فَإِن لّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلاَ كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلاَ تَقْرَبُونِ }.

يقول تعالـى ذكره مخبرا عن قـيـل يوسف لإخوته: فإنْ لَـمْ تَأْتُونِـي بِهِ بأخيكم من أبـيكم, فَلاَ كَيْـلَ لَكُمْ عِنْدِي يقول: فلـيس لكم عندي طعام أكيـله لكم, وَلا تَقْرَبُونِ يقول: ولا تقربوا بلادي.

وقوله: وَلا تَقْرَبُونِ فـي موضع جزم بـالنهي, والنون فـي موضع نصب, وكسرت لـما حُذفت ياؤها, والكلام: ولا تقربونـي.

الآية : 61-62

القول فـي تأويـل قولهِ تعالـى:

{قَالُواْ سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنّا لَفَاعِلُونَ * وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُواْ بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا انْقَلَبُوَاْ إِلَىَ أَهْلِهِمْ لَعَلّهُمْ يَرْجِعُونَ }.

يقول تعالـى ذكره: قال إخوة يوسف لـيوسف إذ قال لهم: ائْتُونِـي بأخٍ لَكُمْ مِنْ أبِـيكُمْ, قالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أبـاهُ ونسأله أن يخـلـيه معنا حتـى نَـجِّيء به إلـيك, وَإنّا لَفـاعِلُونَ يعنون بذلك: وإنا لفـاعلون ما قلنا لك أنا نفعله من مراودة أبـينا عن أخينا منه ولنـجتهدن. كما:

14923ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق: وَإنّا لَفـاعِلُونَ لنـجتهدنّ.

وقوله: وَقال لِفِتْـيانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِـي رِحالِهِمْ يقول تعالـى ذكره: وقال يوسف لِفتـيانه, وهم غلـمانه. كما:

14924ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَقالَ لِفِتـيْانِهِ أي لغلـمانه: اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِـي رِحَالَهُمْ يقول: اجعلوا أثمان الطعام الذي أخذتـموها منهم فـي رحالهم.

والرحال: جمع رحل, وذلك جمع الكثـير, فأما القلـيـل من الـجمع منه فهو أرحُل, وذلك جمع ما بـين الثلاثة إلـى العشرة.

وبنـحو الذي قلنا فـي معنى البضاعة قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

14925ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِـي رِحالِهِمْ: أي أوراقهم.

14926ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق, قال: ثم أمر ببضاعتهم التـي أعطاهم بها ما أعطاهم من الطعام, فجعلت فـي رحالهم وهم لا يعلـمون.

14927ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمرو, عن أسبـاط, عن السديّ, قال: وقال لفتـيته وهو يكيـل لهم: اجعلوا بضاعتهم فـي رحالهم لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلـى أهلهم لعلهم يرجعون إلـيّ.

فإن قال قائل: ولأية علة أمر يوسف فتـيانه أن يجعلوا بضاعة إخوته فـي رحالهم؟ قـيـل: يحتـمل ذلك أوجها: أحدها: أن يكون خشي أن لا يكون عند أبـيه دراهم, إذ كانت السّنة سنَة جدب وقحط, فـيضرّ أخذ ذلك منهم به, وأحبّ أن يرجع إلـيه. أو أراد أن يتسع بها أبوه وإخوته مع حاجتهم إلـيه, فردّه علـيهم من حيث لا يعلـمون سبب ردّه تكرّما وتفضلاً, والثالث: وهو أن يكون أراد بذلك أن لا يخـلفوه الوعد فـي الرجوع, إذا وجدوا فـي رحالهم ثمن طعام قد قبضوه وملكه علـيهم غيرهم عِوَضا من طعامهم, ويتـحرّجوا من إمساكهم ثمن طعام قد قبضوه حتـى يؤدّوه علـى صاحبه, فـيكون ذلك أدعى لهم إلـى العود إلـيه.

الآية :63

القول في تأويل قوله تعالى: {فَلَمّا رَجِعُوا إِلَىَ أَبِيهِمْ قَالُواْ يَأَبَانَا مُنِعَ مِنّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنّا لَهُ لَحَافِظُونَ }.

يقول تعالى ذكره: فلما رجع إخوة يوسف إلى أبيهم, قالوا: يا أبانا مُنِعَ مِنّا الكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنا أخانا نَكْتَلْ يقول: مُنع منا الكيل فوق الكيل الذي كيل لنا, ولم يُكَل لكل رجل منا إلا كيل بعير, فأرسل معنا أخانا بنيامين يكتل لنفسه كيل بعير آخر زيادة على كيل أباعرنا. وَإنّا لُحَافِظُونَ من أن يناله مكروه في سفره.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: 14928ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمرو, عن أسباط, عن السديّ: فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا: يا أبانا إن ملك مصر أكرمنا كرامة مّا لو كان رجل من ولد يعقوب ما أكرمنا كرامته, وإنه ارتهن شمعون, وقال: ائتوني بأخيكم هذا الذي عكف عليه أبوكم بعد أخيكم الذي هلك, فإن لم تأتوني به فلا تقربوا بلادي. قال يعقوب: هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إلاّ كَمَا أَمِنْتُكُمْ على أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فاللّهُ خَيْرٌ حافِظا وَهُوَ أَرْحَمُ الرّاحِمِينَ قال: فقال لهم يعقوب: إذا أتيتم ملك مصر فاقرئوه مني السلام, وقولوا: إن أبانا يصلّي عليك, ويدعو لك بما أوليتنا.

14929ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: خرجوا حتى قدموا على أبيهم, وكان منزلهم فيما ذكر لي بعض أهل العلم بالعَرَبات من أرض فلسطين بغَوْر الشام. وبعض يقول: بالأولاج من ناحية الشّعب أسفل من حِسْمَى, وكان صاحب بادية له شاءٌ وإبل, فقالوا: يا أبانا قدمنا على خير رجل أنزلنا فأكرم منزلنا وكال لنا فأوفانا ولم يبخسنا, وقد أمرنا أن نأتيه بأخ لنا من أبينا, وقال: إن أنتم لم تفعلوا فلا تقربُنيّ ولا تدخلُنّ بلدي فقال لهم يعقوب: هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إلاّ كمَا أَمِنْتُكُمْ على أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فاللّهُ خَيْرٌ حافِظا وَهُوَ أَرْحَمُ الرّاحِمِينَ.

واختلفت القراء في قراءة قوله: نَكْتَلْ, فقرأ ذلك عامة قرّاء أهل المدينة وبعض أهل مكة والكوفة نَكْتَلْ بالنون, بمعنى: نكتل نحن وهو. وقرأ ذلك عامة قرّاء أهل الكوفة: «يَكْتَلْ» بالياء, بمعنى يكتل هو لنفسه كما نكتال لأنفسنا.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان متفقتا المعنى, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب الصواب. وذلك أنهم إنما أخبروا أباهم أنه مَنَع منهم زيادة الكيل على عدد رءوسهم, فقالوا: يا أباتَا مُنِعَ مِنّا الكَيْلُ ثم سألوه أن يرسل معهم أخاهم ليكتال لنفسه, فهو إذن اكتال لنفسه واكتالوا هم لأنفسهم, فقد دخل الأخ في عَدَدهم. فسواء كان الخبر بذلك عن خاصة نفسه, أو عن جميعهم بلفظ الجميع, إذ كان مفهوما معنى الكلام وما أريد به.

الآية : 64

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاّ كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىَ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللّهُ خَيْرٌ حَافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرّاحِمِينَ }.

يقول تعالى ذكره: قال أبوهم يعقوب: هل آمنكم على أخيكم من أبيكم الذي تسألوني أن أرسله معكم إلا كما أمنتكم على أخيه يوسف من قبل؟ يقول: من قبله.

واختلفت القرّاء فـي قراءة قوله: فـاللّهُ خَيْرٌ حافِظا فقرأ ذلك عامة قرّاء أهل الـمدينة وبعض الكوفـيـين والبصريـين: فـاللّهُ خَيْرٌ حفْظا بـمعنى: والله خيركم حفظا. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفـيـين وبعض أهل مكة: فـاللّهُ خَيْرٌ حافِظا بـالألف علـى توجيه الـحافظ إلـى أنه تفسير للـخير, كما يقال: هو خير رجلاً, والـمعنى: فـالله خيركم حافظا, ثم حذفت الكاف والـميـم.

والصواب من القول فـي ذلك أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا الـمعنى قد قرأ بكلّ واحدة منهما أهل علـم بـالقرآن. فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب. وذلك أن من وصف الله بأنه خيرهم حفظا فقد وصفه بأنه خيرهم حافظا, ومن وصفه بأنه خيرهم حافظا فقد وصفه بأنه خيرهم حفظا. وَهُوَ أرْحَمُ الرّاحِمِينَ يقول: والله أرحم راحم بخـلقه, يرحم صَعْفِـي علـى كبر سنـي, ووحدتـي بفقد ولدي, فلا يضيعه, ولكنه يحفظه حتـى يردّه علـيّ لرحمته.

الآية : 65

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَلَمّا فَتَحُواْ مَتَاعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَاعَتَهُمْ رُدّتْ إِلَيْهِمْ قَالُواْ يَأَبَانَا مَا نَبْغِي هَـَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ }.

يقول تعالـى ذكره: ولـما فتـح إخوة يوسف متاعهم الذي حملوه من مصر من عند يوسف, وجدوا بضاعتهم, وذلك ثمن الطعام الذي اكتالوه منه ردّت إلـيهم. قالُوا يا أبـانا ما نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنا رُدّتْ إلَـيْنا يعنـي أنهم قالوا لأبـيهم: ماذا نبغي؟ هذه بضاعتنا ردّت إلـينا تطيـيبـا منهم لنفسه بـما صنع بهم فـي ردّ بضاعتهم إلـيه. وإذا وُجّه الكلام إلـى هذا الـمعنى كانت «ما» استفهاما فـي موضع نصب بقوله: نَبْغِي. وإلـى هذا التأويـل كان يوجهه قتادة.

14930ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: ما نَبْغِي يقول: ما نبغي وراء هذا, إن بضاعتنا رُدّت إلـينا, وقد أوفـى لنا الكيـلُ.

وقوله: وَنـميرُ أهْلَنا يقول: ونطلب لأهلنا طعاما فنشتريه لهم, يقال منه: مَارَ فلان أهله يَـميرَهم مَيْرا, ومنه قول الشاعر:

بَعَثْتُكَ مائِرا فَمَكَثْتَ حَوْلاً مَتـى يَأتـي غِياثُكَ مَنْ تُغِيثُ

وَنَـحْفَظُ أخانا الذي ترسله معنا وَنَزْدادُ كَيْـلَ بَعِيرٍ يقول: ونزداد علـى أحمالنا من الطعام حمل بعير يكال لنا ما حمل بعير آخر من إبلنا, ذلكَ كَيْـلٌ يَسِيرٌ يقول: هذا حِمل يسير. كما:

14931ـ حدثنـي الـحارث, قال: حدثنا القاسم, قال: حدثنا حجاج, عن ابن جريج: وَنَزْدَادُ كَيْـلَ بَعِيرٍ قال: كان لكل رجل منهم حمل بعير, فقالوا: أرسل معنا أخانا نزداد حمل بعير. وقال ابن جريج: قال مـجاهد: كَيْـلَ بَعِيرٍ حمل حمار. قال: وهي لغة. قال القاسم: يعنـي مـجاهد: أن الـحمار يقال له فـي بعض اللغات: بعير.

14932ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَنَزْدادُ كَيْـلَ بَعِيرٍ يقول: حمل بعير.

14933ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق: وَنَزْدادُ كَيْـلَ بَعِيرٍ نَعُد به بعيرا مع إبلنا ذلكَ كَيْـلٌ يَسِيرٌ.

الآية : 66

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتّىَ تُؤْتُونِ مَوْثِقاً مّنَ اللّهِ لَتَأْتُنّنِي بِهِ إِلاّ أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمّآ آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللّهُ عَلَىَ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ }.

يقول تعالـى ذكره: قال يعقوب لبنـيه: لن أرسل أخاكم معكم إلـى ملك مصر حتـى تُوْتُون مَوْثِقا مِنَ اللّهِ يقول: حتـى تُعْطون مؤثقا من الله, بـمعنى الـميثاق, وهو ما يوثق به من يـمين وعهد, لَتَأْتُنّنِـي بِهِ يقول لتأتننـي: بأخيكم, إلاّ أنْ يُحاطَ بِكُمْ يقول: إلا أن يحيط بجميعكم ما لا تقدرون معه علـى أن تأتونـي به.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

14934ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: فَلَـمّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قال: عهدهم.

حدثنـي الـمثنى, قال: أخبرنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, مثله.

14935ـ حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا شبـابة, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: إلاّ أنْ يُحاطَ بِكُمْ: إلا أن تهلكوا جميعا.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد.

قال: وحدثنا إسحاق, قال: أخبرنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, مثله.

14936ـ حدثنا الـحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة: إلاّ أنْ يُحاطَ بِكُمْ قال: إلا أن تُغلَبوا حتـى لا تطيقوا ذلك.

14937ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق, قوله: إلاّ أنْ يُحاطَ بِكُمْ: إلا أن يصيبكم أمر يذهب بكم جميعا, فـيكون ذلك عذرا لكم عندي.

وقوله: فَلَـمّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ يقول: فلـما أعطوه عهودهم, قال يعقوب: اللّهُ علـى ما نَقُولُ أنا وأنتـم وَكِيـلٌ يقول: هو شهيد علـينا بـالوفـاء بـما نقول جميعا.

الآية : 67

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَقَالَ يَبَنِيّ لاَ تَدْخُلُواْ مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُواْ مِنْ أَبْوَابٍ مّتَفَرّقَةٍ وَمَآ أُغْنِي عَنكُمْ مّنَ اللّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاّ للّهِ عَلَيْهِ تَوَكّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكّلِ الْمُتَوَكّلُونَ }.

يقول تعالـى ذكره: قال يعقوب لبنـيه لـما أرادوا الـخروج من عنده إلـى مصر لـيـمتاروا الطعام: يا بَنـيّ لا تدخـلوا مصر من طريق واحد, وادخـلوا من أبواب متفرّقة وذُكر أنه قال ذلك لهم, لأنهم كانوا رجالاً لهم جمال وهيبة, فخاف علـيهم العين إذا دخـلوا جماعة من طريق واحد وهم ولد رجل واحد, فأمرهم أن يفترقوا فـي الدخول إلـيها. كما:

14938ـ حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا يزيد الواسطيّ, عن جويبر, عن الضحاك: لا تَدْخُـلُوا مِنْ بـابٍ وَاحِدٍ وَادْخـلُوا مِنْ أبْوَابٍ مُتَفَرّقَةٍ قال: خاف علـيهم العين.

14939ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: يا بَنِـيّ لا تَدْخُـلُوا مِنْ بـابٍ واحدٍ خشي نبـيّ الله صلى الله عليه وسلم العينَ علـى بنـيه كانوا ذوي صورة وجمال.

حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: وَادْخُـلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرّقَةٍ قال: كانوا قد أوتوا صورةً وجمالاً, فخشي علـيهم أنفسُ الناس.

14940ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: وَقالَ يَا بَنِـيّ لا تَدْخُـلُوا مِنْ بَـابٍ واحِدٍ وَادْخُـلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرّقَةٍ قال: رهب يعقوب علـيه السلام علـيهم العين.

حُدثت عن الـحسين بن الفرج, قال: سمعت أبـا معاذ, قال: أخبرنا عبـيد بن سلـيـمان, قال: سمعت الضحاك يقول فـي قوله: لا تَدْخُـلُوا مِنْ بـابٍ وَاحِدٍ خَشِي يعقوب علـى ولده العين.

14941ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا زيد بن الـحبـاب, عن أبـي معشر, عن مـحمد بن كعب: لا تَدْخُـلُوا مِنْ بَـابٍ وَاحِدٍ قال: خشي علـيهم العين.

14942ـ قال: حدثنا عمرو, عن أسبـاط, عن السديّ, قال: خاف يعقوب صلى الله عليه وسلم علـى بنـيه العين, فقال: يَا بَنِـيّ لا تَدْخُـلُوا مِنْ بـابٍ وَاحِدٍ فـيقال: هؤلاء لرجل واحد, ولكن ادخـلوا من أبواب متفرّقة.

14943ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق, قال: لـما أجمعوا الـخروج, يعنـي ولد يعقوب, قال يعقوب: يَا بَنِـيّ لا تَدْخُـلُوا مِنْ بـابٍ وَاحِدٍ وادْخُـلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرّقَةٍ خشي علـيهم أعين الناس لهيبتهم, وأنهم لرجل واحد.

وقوله: وَما أُغْنِـي عَنْكُمْ مِنَ اللّهِ مِنْ شَيْءٍ يقول: وما أقدر أن أدفع عنكم من قضاء الله الذي قد قضاه علـيكم من شيء صغير ولا كبـير, لأن قضاءه نافذ فـي خـلقه. إنِ الـحُكْمُ إلاّ لِلّهِ يقول: ما القضاء والـحكم إلا لله دون ما سواه من الأشياء, فإنه يحكم فـي خـلقه بـما يشاء, فـينفذ فـيهم حكمه, ويقضي فـيهم ولا يُردّ قضاؤه. عَلَـيْهِ تَوَكّلْتُ يقول: علـى الله توكلت, فَوَثقت به فـيكم, وفـي حفظكم علـيّ حتـى يردّكم إلـىّ وأنتـم سالـمون معافون, لا علـى دخولكم مصر إذا دخـلتـموها من أبواب متفرّقة. وَعَلَـيْهِ فَلْـيَتَوكّلِ الـمُتَوكّلُونَ يقول: وإلـى الله فلـيفوّض أمورَهم الـمفوّضون.

الآية : 68

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَلَمّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مّنَ اللّهِ مِن شَيْءٍ إِلاّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنّهُ لَذُو عِلْمٍ لّمَا عَلّمْنَاهُ وَلَـكِنّ أَكْثَرَ النّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ }.

يقول تعالـى ذكره: ولـما دخـل ولد يعقوب مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ وذلك دخولهم مصر من أبواب متفرّقة. ما كانَ يُغْنِـي دخولهم إياها كذلك عَنْهُمْ مِنَ قضاء اللّهِ الذي قضاه فـيهم فحتـمه, مِنْ شَيْءٍ إلاّ حاجَةً فِـي نَفْسِ يَعَقُوبَ قَضَاها إلا أنهم قضوا وطرا لـيعقوب بدخولهم لا من طريق واحد خوفـا من العين علـيهم, فـاطمأنت نفسه أن يكونوا أوتُوا من قبل ذلك أو نالهم من أجله مكروه. كما:

14944ـ حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا شبـابة, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: إلاّ حاجَةً فِـي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاها خيفة العين علـى بنـيه.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, مثله.

قال: أخبرنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, مثله.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن نـمير, عن ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: إلاّ حاجَةً فِـي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاها قال: خشية العين علـيهم.

14945ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق, قوله: إلاّ حاجَةً فِـي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاها قال: ما تـخوّف علـى بنـيه من أعين الناس لهيبتهم وعدتهم.

وقوله: وإنّهُ لَذُو عِلْـمٍ لِـمَا عَلّـمْناهُ يقول تعالـى ذكره: وإن يعقوب لذو علـم لتعلـيـمنا إياه. وقَـيـل: معناه وإنه لذو حفظ لـما استودعنا صدره من العلـم. واختلف عن قتادة فـي ذلك:

14946ـ فحدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَإِنّهُ لَذُو عِلْـمٍ لِـمَا عَلّـمْناهُ: أي مـما علـمناه.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله بن الزبـير, عن سفـيان, عن ابن أبـي عَرُوبة عن قتادة: وَإنّهُ لَذُو عِلْـمٍ لِـمَا عَلّـمْناهُ قال: إنه لعامل بـما علـم.

14947ـ قال: الـمثنى, قال إسحاق, قال عبد الله, قال سفـيان: إنه لذو علـم مـما علـمناه, وقال: من لا يعمل لا يكون عالـما.

وَلَكِنّ أكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَـمُونَ يقول جلّ ثناؤه: ولكن كثـيرا من الناس غير يعقوب, لا يعلـمون ما يعلـمه, لأنا حَرَمناه ذلك فلـم يعلـمه.

الآية : 69

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَلَمّا دَخَلُواْ عَلَىَ يُوسُفَ آوَىَ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنّيَ أَنَاْ أَخُوكَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ }.

يقول تعالـى ذكره: ولـما دخـل ولد يعقوب علـى يوسف, آوَى إلَـيْهِ أخاهُ يقول: ضمّ إلـيه أخاه لأبـيه وأمه, وكلّ أخوه لأبـيه. كما:

14948ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمرو, عن أسبـاط, عن السّدّي: وَلَـمّا دَخَـلُوا علـى يُوسُفَ آوَى إلَـيْهِ أخاهُ قال: عرف أخاه, فأنزلهم منزلاً, وأجرى علـيهم الطعام والشراب فلـما كان اللـيـل جاءهم بُـمُثل, فقال: لـينـم كلّ أخوين منكم علـى مِثال فلـما بقـي الغلام وحده, قال يوسف: هذا ينام معي علـى فراشي. فبـات معه, فجعل يوسف يشُمّ ريحه, ويضمه إلـيه حتـى أصبح, وجعل رُوبـيـل يقول: ما رأينا مثل هذا, أريحونا منه.

14949ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق, قال: لـما دخـلوا, يعنـي ولد يعقوب علـى يوسف, قالوا: هذا أخونا الذي أمرتنا أن نأتـيك به, قد جئناك به فذكر لـي أنه قال لهم: قد أحسنتـم وأصبتـم, وستـجدون ذلك عندي, أو كما قال. ثم قال: إنـي أراكم رجالاً, وقد أردت أن أكرمكم, ودعا ضافته, فقال: أنزل كل رجلـين علـى حدة, ثم أكرمهما وأحسن ضيافتهما ثم قال: إنـي أرى هذا الرجل الذي جئتـم به لـيس معه ثان, فسأضمه إلـيّ, فـيكون منزله معي. فأنزلهم رجلـين رجلـين فـي

منازل شتـى, وأنزل أخاه معه, فآواه إلـيه, فلـما خلا به قالَ إنّـي أنا أخُوكَ أنا يوسف فَلا تَبْتَئِسْ بشيء فعلوه بنا فـيـما مضى, فإن الله قد أحسن إلـينا, ولا تعلـمهم شيئا مـما أعلـمتك. يقول الله: وَلـمّا دَخَـلُوا علـى يُوسُفَ آوَى إلَـيه أخاهُ قالَ إنّـي أنا أخُوكَ فَلا فَلا تَبْتَئِسْ بِـمَا كانُوا يَعْمَلُونَ.

14950ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَلَـمّا دَخَـلُوا علـى يُوسُفَ آوَى إلَـيْهِ أخاهُ ضمه إلـيه وأنزله, وهو بنـيامين.

14951ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا إسماعيـل بن عبد الكريـم, قال: ثنـي عبد الصمد بن معقل قال: سمعت وهب بن منبه, يقول, وسئل عن قول يوسف: وَلَـمّا دَخَـلُوا علـى يُوسُفَ آوَى إلَـيْهِ أخاهُ قالَ إنّـي أنا أخُوكَ فَلا تَبْتَئِسْ بِـمَا كانُوا يَعْمَلُونَ كيف أجابه حين أخِذ بـالصواع, وقد كان أخبره أنه أخوه وأنتـم تزعمون أنه لـم يزل متنكرا لهم يكايدهم, حتـى رجعوا, فقال: إنه لـم يعترف له بـالنسبة, ولكنه قال: أنا أخوك مكان أخيك الهالك, فَلا تَبْتَئِسْ بِـمَا كانُوا يَعْمَلُونَ يقول: لا يحزنك مكانه.

وقوله: فَلا تَبْتَئِسْ يقول: فلا تستكِنْ ولا تـحزن, وهو: «فلا تفتعل» من «البؤس», يقال منه: ابتأس يبتئس ابتئاسا.

وبنـحو ما قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

14952ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: فَلا تَبْتَئِسْ يقول: فلا تـحزن, ولا تـيأس.

14953ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا إسماعيـل بن عبد الكريـم, قال: ثنـي عبد الصمد, قال: سمعت وهب بن منبه يقول: فَلا تَبْتَئِسْ يقول: لا يحزنك مكانه.

14954ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمرو, عن أسبـاط, عن السديّ: فَلا تَبْتَئِسْ بِـمَا كانُوا يَعْمَلُونَ يقول: لا تـحزن علـى ما كانوا يعملون.

فتأويـل الكلام إذن: فلا تـحزن ولا تستكن لشيء سلف من إخوتك إلـيك فـي نفسك وفـي أخيك من أمك, وما كانوا يفعلون قبل الـيوم بك.

الآية : 70

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {فَلَمّا جَهّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمّ أَذّنَ مُؤَذّنٌ أَيّتُهَا الْعِيرُ إِنّكُمْ لَسَارِقُونَ }.

يقول: ولـما حمّل يوسف إبل إخوته ما حَملها من الـميرة وقضى حاجتهم, كما:

14955ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فَلَـمّا جَهّزَهُمْ بِجَهازِهِمْ يقول: لـما قضى لهم حاجتهم ووفـاهم كيـلهم.

وقوله: جَعَلَ السّقايَةَ فـي رَحْلِ أخِيهِ يقول: جعل الإناء الذي يكيـل به الطعام فـي رحل أخيه. والسقاية: هي الـمشربة, وهي الإناء الذي كان يشرب فـيه الـملك ويكيـل به الطعام.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

14956ـ حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا عفـان, قال: حدثنا عبد الواحد, عن يونس, عن الـحسن أنه كان يقول: الصّواع والسقاية سواء, هو الإناء الذي يشرب فـيه.

14957ـ قال: حدثنا شبـابة, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: السقاية والصّواع شيء واحد, كان يشرب فـيه يوسف.

قال: أخبرنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قال: السقاية الصّواع الذي يشرب فـيه يوسف.

14958ـ حدثنا مـحمد بن الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: جَعَلَ السّقَايَةَ قال: مَشْرَبة الـملك.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: السّقَايَةَ فِـي رَحْلِ أخِيهِ وهو إناء الـملك الذي كان يشرب فـيه.

14959ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: قالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الـمَلكِ ولِـمَنْ جاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وهي السقاية التـي كان يشرب فـيها الـملك يعنـي مَكّوكه.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, عن مـجاهد, قوله: جَعَلَ السّقَايَةَ وقوله: صُوَاعَ الـمَلِكِ قال: هما شيء واحد, السقاية والصواع شيء واحد يشرب فـيه يوسف.

14960ـ حُدثت عن الـحسين, قال: سمعت أبـا معاذ يقول: أخبرنا عبـيد بن سلـيـمان, قال: سمعت الضحاك يقول فـي قوله: جَعَلَ السّقايَةَ فِـي رَحْلِ أخِيهِ: هو الإناء الذي كان يشرب فـيه الـملك.

14961ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: جَعَلَ السّقَايَةَ فِـي رَحْلِ أخِيهِ قال: السقاية: هو الصّواع, وكان كأسا من ذهب فـيـما يذكرون.

قوله: فِـي رَحْلِ أخِيهِ فإنه يعنـي: فـي متاع أخيه ابن أمه وأبـيه وهو بنـيامين, وكذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

14962ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: فِـي رَحْلِ أخِيهِ: أي فـي متاع أخيه.

وقوله: ثُمّ أذّنَ مُؤَذّنٌ يقول: ثم نادى مناد, وقـيـل: أعلـم مُعْلِـم, أيّتُها العِيرُ: وهي القافلة فـيها الأحمال إنّكُمْ لَسارِقُونَ.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

14963ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمرو, عن أسبـاط, عن السديّ: فَلَـمّا جَهّزَهُمْ بِجَهازِهِمْ جَعَلَ السّقَايَةَ فِـي رَحْلِ أخِيهِ والأخ لا يشعر, فلـما ارتـحلوا أذّن مؤذّن قبل أن ترتـحل العير: إنّكُمْ لَسارِقُونَ.

14964ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق, قال: ثم جهزهم بجهازهم, وأكرمهم وأعطاهم وأوفـاهم, وحمل لهم بعيرا بعيرا, وحمل لأخيه بعيرا بـاسمه كما حمل لهم, ثم أمر بسقاية الـملك, وهو الصواع, وزعموا أنها كانت من فضة, فجُعلت فـي رحل أخيه بنـيامين. ثم أمهلهم حتـى إذا انطلقوا وأمعنوا من القرية, أمر بهم فأدركوا, فـاحتُبِسوا, ثم نادى مناد: أيّتُها العيرُ إنّكُمْ لَسارِقُونَ قـفوا وانتهى إلـيهم رسوله, فقال لهم فـيـما يذكرون: ألـم نكرم ضيافتكم, ونوفكم كيـلكم, ونـحسن منزلتكم, ونفعل بكم ما لـم نفعل بغيركم, وأدخـلناكم علـينا فـي بـيوتنا ومنازلنا؟ أو كما قال لهم, قالوا: بلـى, وما ذاك؟ قال: سِقاية الـملك فقدناها, ولا نتهم علـيها غيركم. قالوا تالله لَقَدْ عَلِـمْتُـمْ ما جِئْنا لِنُفْسِدَ فِـي الأرْضِ وَما كُنّا سارِقِـينَ.

وقوله: أيّتُها العِيرُ قد بـيّنا فـيـما مضى معنى العِير, وهو جمع لا واحد له من لفظه. وحُكي عن مـجاهد أن عِير بنـي يعقوب كانت حَمِيرا.

14965ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله بن الزبـير, عن سفـيان, عن ابن جريج, عن مـجاهد: أيّتُها العِيرُ قال: كانت حميرا.

حدثنـي الـحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا سفـيان, قال: ثنـي رجل, عن مـجاهد, فـي قوله: أيّتُها العِيرُ إنّكُمْ لسَارِقُونَ قال: كانت العِير حميرا.

الآية : 71-72

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِمْ مّاذَا تَفْقِدُونَ * قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَاْ بِهِ زَعِيمٌ }.

يقول تعالـى ذكره: قال بنو يعقوب لـما نودوا: أيّتُها العِيرُ إنّكُمْ لَسارِقُونَ وأقبلوا علـى الـمنادي ومن بحضرتهم يقولون لهم: ماذَا تَفْقِدُونَ ما الذي تفقدون؟ قالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الـمَلِكِ يقول: فقال لهم القوم: نفقد مَشْرَبَة الـملك.

واختلفت القراء فـي قراءة ذلك, فذُكر عن أبـي هريرة أنه قرأ: «صَاعَ الـمَلِكَ» بغير واو, كأنه وجهه إلـى الصاع الذي يكال به الطعام. ورُوي عن أبـي رجاء أنه قرأه: «صَوْعَ الـمَلِكَ». ورُوي عن يحيى بن يعمر أنه قرأه: «صَوْغَ الـمَلِكَ» بـالغين, كأنه وجهه إلـى أنه مصدر, من قولهم صاغ يصوغ صَوْغا. وأما الذي علـيه قرّاء الأمصار: فصواع الـملك, وهي القراءة التـي لا أستـجيز القراءة بخلافها لإجماع الـحجة علـيها. والصّواع: هو الإناء الذي كان يوسف يكيـل به الطعام, وكذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

14966ـ حدثنا مـحمد بن بشار, قال: حدثنا مـحمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن أبـي بشر, عن سعيد بن جبـير عن ابن عبـاس فـي هذا الـحرف: صُوَاعَ الـمَلِكِ قال: كهيئة الـمَكّوك. قال: وكان للعبـاس مثله فـي الـجاهلـية يشرب فـيه.

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, وحدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبـي, عن شعبة, عن أبـي بشر, عن سعيد بن جبـير, عن ابن عبـاس, فـي قوله: صُوَاعَ الـمَلِكِ قال: كان من فضة مثل الـمَكّوك. وكان للعبـاس منها واحد فـي الـجاهلـية.

14967ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, وحدثنا ابن وكيع. قال: حدثنا أبـي. عن شريك, عن سماك, عن عكرمة, فـي قوله: قالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الـمَلِكِ قال: كان من فضة.

14968ـ حدثنـي يعقوب, قال: حدثنا هشيـم, عن أبـي بشر, عن سعيد بن جبـير, أنه قرأ: صُوَاعَ الـمَلِكِ قال وكان إناءه الذي يشرب فـيه, وكان إلـى الطول ما هو.

14969ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا سويد بن عمرو, عن أبـي عوانة, عن أبـي بشر, عن سعيد بن جبـير: صُوَاعَ الـمَلِكِ قال: الـمَكّوك الفـارسيّ.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا الـحجاج بن الـمنهال, قال: حدثنا أبو عوانة, عن أبـي بشر, عن سعيد بن جبـير, قال: صُوَاعَ الـمَلِكِ قال: هو الـمَكّوك الفـارسي الذي يـلتقـي طرفـاه, كانت تشرب فـيه الأعاجم.

14970ـ قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الرحمن بن مَغراء, عن جويبر, عن الضحاك, فـي قوله: صُوَاعَ الـمَلِكِ قال: إناء الـملك الذي كان يشرب فـيه.

حدثنا الـحسين بن مـحمد, قال: حدثنا يحيى: يعنـي ابن عبـاد, قال: حدثنا شعبة, عن أبـي بشر, عن سعيد بن جُبـير, عن ابن عبـاس: قال: صُوَاعَ الـمَلِكِ: مَكّوك من فضة يشربون فـيه. وكان للعبـاس واحد فـي الـجاهلـية.

14971ـ حدثنا ابن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: صُوَاع الـمَلِكِ: إناء الـملك الذي يشرب فـيه.

حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا سعيد بن منصور, قال: حدثنا أبو عوانة, عن أبـي بشر, عن سعيد بن جبـير, فـي قوله: صُوَاعَ الـمَلِكِ قال: هو الـمَكّوك الفـارسي الذي يـلتقـي طَرَفـاه.

14972ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, عن مـجاهد, قال: الصواع: كان يشرب فـيه يوسف.

14973ـ حدثنا مـحمد بن معمر البحرانـي, قال: حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث, قال: حدثنا صدقة بن عبـاد, عن أبـيه عن ابن عبـاس: صُوَاعَ الـمَلِكِ قال: كان من نُـحاس.

وقوله: وَلِـمَنْ جاء بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ يقول: ولـمن جاء بـالصواع حمل بعير من الطعام. كما:

14974ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَلِـمَنْ جاءَ بِهِ حِمْلِ بَعِيرٍ يقول: وِقْر بعير.

14975ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, فـي قول الله تعالـى: حِمْلُ بَعِيرٍ قال: حمل طعام وهي لغة.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قال: وحدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد قوله: حِمْلُ بَعِيرٍ قال: حمل طعام, وهي لغة.

حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا شبـابة, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, مثله.

14976ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, عن مـجاهد, قال: قوله حِمْلُ بَعِيرٍ قال: حمل حمار.

وقوله: وأنا بِهِ زَعِيـمٌ يقول: وأنا بأن أوفـيه حمل بعير من الطعام إذا جاءنـي بصواع الـملك كفـيـل.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

14977ـ حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله: وأنا بِهِ زَعِيـمٌ يقول: كفـيـل.

14978ـ حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا شبـابة, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: وأنا بِهِ زَعِيـمٌ الزعيـم: هو الـمؤذن الذي قال: أيّتُها العِيرُ.

حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, مثله.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, عن مـجاهد, مثله.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا مـحمد بن بكر وأبو خالد الأحمر, عن ابن جريج, قال: بلغنـي عن مـجاهد, ثم ذكر نـحوه.

14979ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي, قال: حدثنا عبد الواحد بن زياد, عن ورقاء بن إياس, عن سعيد بن جبير: وأنا بِهِ زَعِيمٌ قال: كفيل.
14980ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وأنا بِهِ زَعِيمٌ: أي وأنا به كفيل.
حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: وأنا بِهِ زَعِيمٌ قال: كفيل.
14981ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو خالد الأحمر, عن جويبر, عن الضحاك: وأنا بِهِ زَعِيمٌ قال كفيل.
حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك, فذكر مثله.
14982ـ حدثني الحارث, قال: حدثنا عبد العزيز, عن سفيان, عن رجل, عن مجاهد: وأنا بِهِ زَعِيمٌ قال كفيل.
14983ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال لهم الرسول: إنه من جاءنا به فله حمل بعير وأنا به كفيل بذلك حتى أؤدّيه إليه.
ومِن الزعيم الذي بمعنى الكفيل قول الشاعر:
فلَسْتُ بآمِرٍ فِيها بسَلْمٍولكِنّي على نَفْسِي زَعِيمُ
وأصل الزعيم في كلام العرب: القائم بأمر القوم, وكذلك الكفيل والحَمِيل, ولذلك قيل: رئيس القوم زعيمهم ومدبرهم, يقال منه: قد زَعُم فلان زَعامة وزَعَاما ومنه قول ليلى الأخيلية:
حتى إذَا بَرَزَ اللّوَاءُ رأيْتَهُتحتَ اللّوَاءِ على الخَمِيسِ زَعِيما

الآية : 73

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالُواْ تَاللّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأرْضِ وَمَا كُنّا سَارِقِينَ }.
يقول تعالى ذكره: قال إخوة يوسف: تاللّهِ يعني: والله. وهذه التاء في «تالله» إنما هي واو قلبت تاء كما فعل ذلك في التورية وهي من ورّيت, والتراث وهي من ورثت, والتخمة وهي من الوخامة قُلبت الواو في ذلك كله تاء. والواو في هذه الحروف كلها من الأسماء, وليست كذلك في «تالله», لأنها إنما هي واو القسم, وإنما جعلت تاء لكثرة ما جرى على ألسن العرب في الأيمان في قولهم «والله», فخصت في هذه الكلمة بأن قلبت تاء. ومن قال ذلك في اسم الله, فقال: «تالله» لم يقل تالرحمن وتالرحيم, ولا مع شيء من أسماء الله, ولا مع شيء مما يقسم به, ولا يقال ذلك إلاّ في «تالله» وحده.
وقوله: لَقَدْ عَلِمْتُمْ ما جِئْنا لِنُفْسِدَ فِي الأرْضِ يقول: لقد علمتم ما جئنا لنعصَى الله في أرضكم, كذلك كان يقول جماعة من أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
14984ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر, عن أبيه, عن الربيع بن أنس, في قوله: قالُوا تاللّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ ما جِئْنا لِنُفْسِدَ فِي الأرْضِ يقول: ما جئنا لنعصَى في الأرض.
فإن قال قائل: وكان عِلْمُ من قيل له لقد عَلِمْتُمْ ما جِئْنا لِنُفْسِدَ فِي الأرْضِ بأنهم لم يجيئوا لذلك حتى استجاز قائلو ذلك أن يقولوه؟ قيل:

استـجازا أن يقولوا ذلك لأنهم فـيـما ذكر ردّوا البضاعة التـي وجدوها فـي رحالهم, فقالوا: لو كنا سرّاقا لـم نردّ علـيكم البضاعة التـي وجدوها فـي رحالهم, فقالوا: لو كنا سرّاقا لـم نردّ علـيكم البضاعة التـي وجدناها فـي رحالنا. وقـيـل: إنهم كانوا قد عرفوا فـي طريقهم ومسيرهم أنهم لا يظلـمون أحدا ولا يتناولون ما لـيس لهم, فقالوا ذلك حين قـيـل لهم: إنّكُمْ لَسارِقُونَ.

الآية : 74- 75

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {قَالُواْ فَمَا جَزَآؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ * قَالُواْ جَزَآؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ }.

يقول تعالـى ذكره: قال أصحاب يوسف لإخوته: فما ثواب السّرَق إن كنتـم كاذبـين فـي قولكم ما جِئْنا لِنُفْسِدَ فِـي الأرْضِ وَما كُنّا سارِقِـينَ قالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِـي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ. يقول جلّ ثناؤه: وقال إخوة يوسف: ثواب السّرَق مَنْ وُجد فـي متاعه السّرَق فهو جزاؤه, يقول: فـالذي وجد ذلك فـي رحله ثوابه بأن يُسْلَـم بسرقته إلـى من سرق منه حتـى يسترقّه. كذلكَ نَـجْزِي الظّالِـمِينَ يقول: كذلك نفعل بـمن ظلـم ففعل ما لـيس له فعله من أخذه مال غيره سَرَقا.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

14985ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق: فَهُوَ جَزَاؤُهُ أي سُلّـم به, كذلكَ نَـجْزِي الظّالِـمِينَ: أي كذلك نصنع بـمن سَرَق منا.

14986ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الرزّاق, عن معمر, قال: بلغنا فـي قوله: قالُوا فمَا جَزَاؤُهُ إنْ كُنْتُـمْ كاذِبِـينَ أخبروا يوسف بـما يُحْكَم فـي بلادهم أنه من سَرَق أخِذ عبدا, فقالوا: جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِـي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ.

14987ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمرو, عن أسباط, عن السديّ: قالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إنْ كُنْتُـمْ كاذِبِـينَ قالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِـي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ تأخذونه فهو لكم.

ومعنى الكلام: قالوا: ثواب السّرَق الـموجود فـي رحله, كأنه قـيـل: ثوابه استرقاق الـموجود فـي رحله, ثم حذف «استرقاق», إذ كان معروفـا معناه, ثم ابتدىء الكلام فقـيـل: هو جزاؤه كذلكَ نَـجْزِي الظّالِـمِينَ.

وقد يحتـمل وجها آخر: أن يكون معناه: قالوا ثواب السرق الذي يوجد السرق فـي رحله, فـالسارق جزاؤه. فـيكون «جزاؤه» الأوّل مرفوعا بجملة الـخبر بعده, ويكون مرفوعا بـالعائد من ذكره فـي «هو», و «هو» رافع «جزاؤه» الثانـي.

ويحتـمل وجها ثالثا: وهو أن تكون «مَنْ» جزائية, وتكون مرفوعة بـالعائد من ذكره فـي الهاء التـي فـي «رحله», والـجزاء الأوّل مرفوعا بـالعائد من ذكره فـي «وجد», ويكون جواب الـجزاء الفـاء فـي «فهو». والـجزاء الثانـي مرفوع ب «هو», فـيكون معنى الكلام حينئذٍ: قالوا: جزاء السّرَق من وُجد السّرَق فـي رحله, فهو ثوابه يُسْترقّ ويستعبد.

الآية : 76

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاّ أَن يَشَآءَ اللّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مّن نّشَآءُ وَفَوْقَ كُلّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ }.

يقول تعالـى ذكره: ففتّش يوسف أوعيتهم ورحالهم طالبـا بذلك صُواع الـملك, فبدأ فـي تفتـيشه بأوعية إخوته من أبـيه, فجعل يفتشها وعاء وعاء قبل وعاء أخيه من أبـيه وأمه, فإنّه أخّر تفتـيشه, ثم فتش آخرها وعاء أخيه, فـاستـخرج الصواع من وعاء أخيه.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

14988ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعاءِ أَخِيهِ ذُكر لنا أنه كان لا ينظر فـي وعاء إلاّ استغفر الله تأثما مـما قذفهم به, حتـى بقـيَ أخوه, وكان أصغر القوم, قال: ما أرى هذا أخذ شيئا, قالوا: بَلـى فـاسْتبرِه, ألاَ وقد علـموا حيث وضعوا سقايتهم. ثم استـخرجها من وعاء أخيه.

حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن مَعْمر, عن قتاد, قال: فـاستـخرجها من وعاء أخيه, قال: كان كلـما فتـح متاعا استغفر تائبـا مـما صنع, حتـى بلغ متاع الغلام, فقال: ما أظنّ هذا أخذ شيئا, قالوا: بلـى, فـاستبره.

14989ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمرو بن مـحمد, عن أسبـاط, عن السديّ, قال: فَبَدأَ بأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وَعاءِ أَخِيهِ فلـما بقـي رَحْلُ الغلام, قال: ما كان هذا الغلام لـيأخذه. قالوا: والله لا يترك حتـى تنظر فـي رحله, لنذهب وقد طابت نفسك فأدخـل يده فـاستـخرجها من رحله.

14990ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق, قال: لـما قال الرسول لهم: ولِـمَنْ جاءِ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وأنا بِهِ زَعِيـمٌ قالوا: ما نعلـمه فـينا ولا معنا. قال: لستـم ببـارحين حتـى أفتش أمتعتكم وأُعْذِر فـي طلبها منكم. فبدأ بأوعيتهم وعاء وعاء, يفتشها وينظر ما فـيها, حتـى مرّ علـى وعاء أخيه ففتشه, فـاستـخرجها منه, فأخذ برقبته, فـانصرف به إلـى يوسف. يقول الله: كذلكَ كِدْنا لِـيُوسُفَ.

14991ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, قال: ذُكِر لنا أنه كان كلـما بَحَث متاع رجل منهم استغفر ربه تأثما, قد علـم أين موضع الذي يطلب. حتـى إذا بقـي أخوه وعلـم أن بغيته فـيه, قال: لا أرى هذا الغلام أخذه, ولا أبـالـي أن لا أبحث متاعه قال إخوته: إنه أطيب لنفسك وأنفسنا أن تستبرىء متاعه أيضا. فلـما فتـح متاعه استـخرج بغيته منه قال الله: كذلكَ كِدْنا لـيُوسُفَ.

واختلف أهل العربـية فـي الهاء والألف اللتـين فـي قوله: ثُمّ اسْتَـخْرَجَها مِنْ وِعاءِ أَخِيهِ فقال بعض نـحويّـي البصرة: هي من ذكر «الصواع», قال: وأنّث وقد قال: ولِـمَنْ جاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ لأنه عنى الصّواع. قال: والصواع مذكر, ومنهم من يؤنث الصواع, وعنـي ههنا السقاية, وهي مؤنثة. قال: وهما اسمان لواحد مثل الثوب والـملـحفة مذكر ومؤنث لشيء واحد.

وقال بعض نـحويّـي الكوفة فـي قوله: ثُمّ اسْتَـخْرَجَها مِنْ وِعاءِ أَخِيهِ ذهب إلـى تأنـيث السرقة, قال: وإن يكن الصواع فـي معنى الصاع, فلعل هذا التأنـيث من ذلك. قال: وإن شئت جعلته لتأنـيث السقاية. قال: والصواع ذَكر, والصاع يؤنث ويذكر, فمن أنثه قال: ثلاث أَصْوُع, مثل ثلاث أَدْوُر, ومن ذكره قال: أصواع, مثل أبواب.

وقال آخر منهم: إنـما أُنث الصواع حين أنث لأنه أريدت به السقاية وذُكّر حين ذكر, لأنه أريد به الصواع. قال: وذلك مثل الـخِوَان والـمائدة, وسِنان

الرمـح وعالـيته, وما أشبه ذلك من الشيء الذي يجتـمع فـيه اسمان: أحدهما مذكر, والآخر مؤنث.

وقوله: كذلك كِدْنا لِـيُوسُفَ يقول: هكذا صنعنا لـيوسف حتـى يُخَـلّص أخاه لأبـيه وأمه من إخوته لأبـيه, بإقرار منهم أن له أن يأخذه منهم ويحتبسه فـي يديه ويحول بـينه وبـينهم وذلك أنهم قالوا إذ قـيـل لهم ما جَزَاؤُهُ إنْ كُنْتُـمْ كاذِبِـينَ: جزاء من سرق الصواع أن من وجد ذلك فـي رحله فهو مُسْتَرَقّ به, وذلك كان حكمهم فـي دينهم. فكاد الله لـيوسف كما وصف لنا حتـى أخَذ أخاهُ منهم, فصار عنده بحكمهم وصنع الله له.

وقوله: ما كانَ لِـيَأْخُذَ أخاهُ فِـي دِينِ الـمَلِكِ إلاّ أنْ يَشاءَ اللّهُ يقول: ما كان يوسف لـيأخذ أخاه فـي حكم ملك مصر وقضائه وطاعته منهم, لأنه لـم يكن من حكم ذلك الـملك وقضائه أن يُسْترقّ أحد بـالسرق, فلـم يكن لـيوسف أخذ أخيه فـي حكم ملك أرضه إلاّ أن يشاء الله بكيده الذي كاده له, حتـى أسْلَـمَ مَنْ وُجد فـي وعائه الصّواع إخوتُه ورفقاؤه بحكمهم علـيه وطابت أنفسهم بـالتسلـيـم.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

14992ـ حدثنا الـحسن, قال: حدثنا شبابة, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: ما كانَ لِـيَأْخُذَ أخاهُ فِـي دِينِ الـمَلِكِ إلاّ فعلةً كادها الله له, فـاعتلّ بها يوسف.

حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, مثله.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: كذلكَ كِدْنا لِـيُوسُفَ كادها الله له, فكانت علة لـيوسف.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, عن مـجاهد: لِـيَأْخُذَ أخاهُ فِـي دِينِ الـمَلِكِ إلاّ أنْ يَشاءَ اللّهُ قال: إلاّ فعلة كادها الله فـاعتلّ بها يوسف.

14993ـ قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, قوله: كذلكَ كِدْنا لِـيُوسُفَ قال: صنعنا.

14994ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمرو, عن أسبـاط, عن السديّ: كذلكَ كِدْنا لِـيُوسُفَ يقول: صنعنا لـيوسف.

14995ـ حُدثت عن الـحسين, قال: سمعت أبـا معاذ يقول: أخبرنا عبـيد بن سلـيـمان, قال: سمعت الضحاك يقول فـي قوله: كذلكَ كِدْنا لِـيُوسُفَ يقول: صنعنا لـيوسف.

واختلف أهل التأويـل فـي تأويـل قوله: ما كانَ لِـيَأْخُذَ أخاهُ فِـي دِينِ الـمَلِكِ فقال بعضهم: ما كان لـيأخذ أخاه فـي سلطان الـملك. ذكر من قال ذلك:

14996ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس: ما كانَ لِـيَأْخُذَ أخاهُ فِـي دِينِ الـمَلِكِ يقول: فـي سلطان الـملك.

14997ـ حُدثت عن الـحسين, قال: سمعت أبـا معاذ, يقول: حدثنا عبـيد بن سلـيـمان, قال: سمعت الضحاك يقول فـي قوله: ما كان لِـيَأْخُذَ أخاهُ فِـي دِينِ الـمَلِكِ يقول: فـي سلْطان الـملك.

وقال آخرون: معنى ذلك: فـي حكمه وقضائه. ذكر من قال ذلك:

14998ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: ما كانَ لِـيَأْخُذَ أخاهُ فِـي دِينِ الـمَلِكِ إلاّ أنْ يَشاءَ اللّهُ يقول: ما كان ذلك فـي قضاء الـملك أن يستعبد رجلاً بسرقة.

14999ـ حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: فِـي دِينِ الـمَلِكِ قال: لـم يكن ذلك فـي دين الـملك, قال: حكمه.

15000ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو صالـح مـحمد بن لـيث الـمروزي, عن رجل قد سماه, عن عبد الله بن الـمبـارك, عن أبـي مودود الـمدينـيّ, قال: سمعت مـحمد بن كعب القُرَظيّ يقول: قالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجدَ فِـي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كذلكَ كِدْنا لِـيُوسُفَ ما كانَ لِـيَأْخُذَ أخاهُ فِـي دِينِ الـمَلِكِ قال: دين الـملك لا يؤخذ به من سرق أصلاً, ولكن الله كاد لأخيه, حتـى تكلـموا ما تكلـموا به, فأخذهم بقولهم, ولـيس فـي قضاء الـملك.

15001ـ حدثنا الـحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, عن معمر, قال: بلغه فـي قوله: ما كانَ لِـيَأْخُذَ أخاهُ فِـي دِينِ الـمَلكِ قال: كان حكم الـملك أن من سرق ضوعف علـيه الغُرم.

15002ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمرو, عن أسبـاط, عن السديّ: ما كانَ لِـيَأْخُذَ أخاهُ فِـي دِينِ الـمَلِكِ يقول: فـي حكم الـملك.

15003ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق: ما كانَ لِـيَأْخُذَ أخاهُ فِـي دِينِ الـمَلِكِ: أي بظلـم, ولكن الله كاد لـيوسف لـيضمّ إلـيه أخاه.

15004ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: ما كانَ لِـيَأْخُذَ أخاهُ فِـي دِينِ الـمَلِكِ قال: لـيس فـي دين الـملك أن يؤخذ السارق بسرقته. قال: وكانَ الـحكم عند الأنبـياء يعقوب وبنـيه: أن يؤخذ السارق بسرقته عبدا يُسترقّ.

وهذه الأقوال وإن اختلفت ألفـاظ قائلـيها فـي معنى دين الـملك, فمتقاربة الـمعانـي, لأن من أخذه فـي سلطان الـملك عامله بعمله, فـيريناه أخذه إذا لـم يغيره, وذلك منه حكم علـيه, وحكمه علـيه قضاؤه. وأصل الدّين: الطاعة, وقد بـيّنت ذلك فـي غير هذا الـموضع بشواهده بـما أغنى عن إعادته فـي هذا الـموضع.

وقوله: إلاّ أنْ يَشاءَ اللّهُ كما:

15005ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمرو, عن أسبـاط, عن السديّ: إلاّ أنْ يَشاءَ اللّهُ ولكن صَنَعنا له بأنهم قالوا: فَهُوَ جَزَاؤُهُ.

15006ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: إلاّ أنْ يَشاءَ اللّهُ إلاّ بعلة كادها الله, فـاعتلّ بها يوسف.

وقوله: نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ اختلفت القرّاء فـي قراءة ذلك, فقرأه بعضهم: «نَرْفَعُ دَرَجاتِ مَنْ نَشاءُ» بإضافة الدرجات إلـى «مَنْ» بـمعنى: نرفع منازل من نشاء, رفع منازله ومراتبه فـي الدنـيا بـالعلـم علـى غيره, كما رفعنا مرتبة يوسف فـي ذلك ومنزلته فـي الدنـيا علـى منازل إخوته ومراتبهم. وقرأ ذلك آخرون: نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ بتنوين «الدرجات», بـمعنى: نرفع من نشاء مراتب ودرجات فـي العلـم علـى غيره, كما رفعنا

يوسف. فمَن علـى هذه القراءة نصب, وعلـى القراءة الأولـى خفض. وقد بـيّنا ذلك فـي سورة الأنعام.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

15007ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, قال: قال ابن جريج, قوله: نَرْفَعُ دَرَجاتِ مَنْ نَشاءُ يوسف وإخوته أُوتوا علـما, فرفعنا يوسف فوقهم فـي العلـم.

وقوله: وَفَوْقَ كُلّ ذِي عِلْـمٍ عَلـيـمٌ يقول تعالـى ذكره: وفوق كل عالـم مَنْ هو أعلـم منه حتـى ينتهي ذلك إلـى الله تعالـى. وإنـما عَنَى بذلك أن يوسف أعلـم إخوته, وأن فوق يوسف من هو أعلـم من يوسف, حتـى ينتهي ذلك إلـى الله تعالـى.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

15008ـ حدثنا مـحمد بن بشار, قال: حدثنا أبو عامر العَقْديّ, قال: حدثنا سفـيان, عن عبد الأعلـى الثعلبـيّ, عن سعيد بن جبـير, عن ابن عبـاس, أنه حدّث بحديث, فقال رجل عنده: وَفَوْقَ كُلّ ذِي علْـمٍ عَلـيـمٌ فقال ابن عبـاس: بئسما قلت, إن الله هو علـيـم, وهو فوق كلّ عالـم.

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبـي, عن سفـيان, عن عبد الأعلـى عن سعيد بن جبـير, قال: حدّث ابن عبـاس بحديث, فقال رجل عنده: الـحمد لله وَفَوْقَ كُلّ ذِي عِلْـمٍ عَلِـيـمٌ فقال ابن عبـاس: العالـم الله, وهو فوق كلّ عالـم.

حدثنا الـحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا الثوريّ, عن عبد الأعلـى, عن سعيد بن جبـير, قال: كنا عند ابن عبـاس, فحدّث حديثا, فتعجب رجل فقال: الـحمد لله وَفَوْقَ كُلّ ذِي عِلْـمٍ عَلِـيـمٌ فقال ابن عبـاس: بئسما قلت: الله العلـيـم, وهو فوق كل عالـم.

15009ـ حدثنا الـحسن بن مـحمد وابن وكيع, قالا: حدثنا عمرو بن مـحمد, قال: أخبرنا إسرائيـل, عن سالـم, عن عكرمة, عن ابن عبـاس: وَفَوْقَ كُلّ ذِي عِلْـمٍ عَلِـيـمٌ قال: يكون هذا أعلـم من هذا, وهذا أعلـم من هذا, والله فوق كلّ عالـم.

حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا سعيد بن منصور, قال: أخبرنا أبو الأحوص, عن عبد الأعلـى, عن سعيد بن جبـير, عن ابن عبـاس: وَفَوْقَ كُلّ ذِي عِلْـمٍ عَلِـيـمٌ قال: الله الـخبـير العلـيـم فوق كلّ عالـم.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا عبـيد الله, قال: أخبرنا إسرائيـل, عن عبد الأعلـى, عن سعيد بن جبـير, عن ابن عبـاس: وَفَوْقَ كُلّ ذِي عِلْـمٍ عَلِـيـمٌ قال: الله فوق كلّ عالـم.

15010ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبـي عن أبـي معشر, عن مـحمد بن كعب, قال: سأل رجل علـيا عن مسئلة, فقال فـيها, فقال الرجل: لـيس هكذا ولكن كذا وكذا, قال علـيّ: أصبت وأخطأت وَفَوْقَ كُلّ ذِي عِلْـمٍ عَلِـيـمٌ.

15011ـ حدثنـي يعقوب وابن وكيع, قالا: حدثنا ابن عُلَـية, عن خالد, عن عكرمة, فـي قوله: وَفَوْقَ كُلّ ذِي عِلْـمٍ عَلِـيـمٌ قال: علـم الله فوق كلّ أحد.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن نـمير, عن نصر, عن عكرمة, عن ابن عبـاس: وَفَوْقَ كُلّ ذِي عِلْـمٍ عَلِـيـمٌ قال: الله عزّ وجلّ.

15012ـ حدثنا ابن وكيع, حدثنا يعلى بن عبيد, عن سفيان, عن عبد الأعلى, عن سعيد بن جبير: وَفَوْقَ كُلّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ قال: الله أعلم من كلّ أحد.

15013ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن ابن شبرمة, عن الحسن, في قوله: وَفَوْقَ كُلّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ قال: ليس عالم إلاّ فوقه عالم حتى ينتهي العلم إلى الله.

15014ـ حدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا عاصم, قال: حدثنا جويرية, عن بشير الهجيمي, قال: سمعت الحسن قرأ هذه الآية يوما: وَفَوْقَ كُلّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ, ثم وقف فقال: إنه والله ما أمسى على ظهر الأرض عالم إلاّ فوقه من هو أعلم منه, حتى يعود العلم إلى الذي علمه.

حدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا عليّ, عن جرير, عن ابن شُبْرُمة, عن الحسن: وَفَوْقَ كُلّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ قال: فوق كل عالم عالم, حتى ينتهي العلم إلى الله.

15015ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَفَوْقَ كُلّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ حتى ينتهي العلم إلى الله, منه بدىء, وتعلمت العلماء, وإليه يعود. في قراءة عبد الله: «وَفَوْقَ كُلّ عالِمٍ عَلِيمٌ».

قال أبو جعفر: إن قال لنا قائل: وكيف جاز ليوسف أن يجعل السقاية في رحل أخيه ثم يِسَرّق قوما أبرياء من السّرَق, ويقول أيّتُها العِيرُ إنّكُمْ لَسارِقُونَ؟ قيل: إن قوله: أيّتُها العِيرُ إنّكُمْ لَسارِقُونَ إنما هو خبر من الله عن مؤذّن أذّن به, لا خبر عن يوسف. وجائز أن يكون المؤذّن أذن بذلكَ أنْ فَقَد الصواع ولا يعلم بصنيع يوسف. وجائز أن يكون كان أذن المؤذن بذلك عن أمر يوسف, واستجاز الأمر بالنداء بذلك لعلمه بهم أنهم قد كانوا سرقوا سرقة في بعض الأحوال, فأمر المؤذن أن يناديهم بوصفهم بالسّرَق, ويوسف يعني ذلك السرق لا سرقهم الصواع. وقد قال بعض أهل التأويل: إن ذلك كان خطأ من فعل يوسف, فعاقبه الله بإجابة القوم إياه: إنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ وقد ذكرنا الرواية فيما مضى بذلك.

الآية : 77

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالُوَاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرّ مّكَاناً وَاللّهُ أَعْلَمْ بِمَا تَصِفُونَ }.

يقول تعالى ذكره: قالُوا إنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ يعنون أخاه لأبيه وأمه وهو يوسف. كما:

15016ـ حدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا شبابة, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: إنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ ليوسف.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, عن عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: إنْ يَسْرِقْ فَقَدَ سَرَقَ أخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ قال: يعني يوسف.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد: فَقَدْ سَرَقَ أخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ قال: يوسف.

وقد اختلف أهل التأويل في السّرَق الذي وصفوا به يوسف فقال بعضهم: كان صنما لجده أبي أمه كسره وألقاه على الطريق. ذكر من قال ذلك:

15017ـ حدثنا أحمد بن عمرو البصري, قال: حدثنا الفيض بن الفضل, قال: حدثنا مسعر, عن أبي حصين, عن سعيد بن جبير: إنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ قال: سرق يوسف صنما لجدّه أبي أمه كسره وألقاه في الطريق, فكان إخوته يعيبونه بذلك.

15018ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: فَقَدْ سَرَقَ أخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ ذكر أنه سرق صنما لجدّه أبي أمه, فعيروه بذلك.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ: أرادوا بذلك عيب نبيّ الله يوسف, وسرقته التي عابوه بها صنم كان لجدّه أبي أمه, فأخذه, إنما أراد نبيّ الله بذلك الخير, فعابوه.

15019ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, في قوله: إنْ يَسْرِقْ فقَدْ سَرَقَ أخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ قال: كانت أم يوسف أمرت يوسف يسرق صنما لخاله يعبده, كانت مسلمة.

وقال آخرون في ذلك ما:

15020ـ حدثنا به أبو كريب, قال: حدثنا ابن إدريس, قال: سمعت أبي, قال: كان بنو يعقوب على طعام, اضطرّ يوسف إلى عَرْق فخبأه, فعيروه بذلك إن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ.

وقال آخرون في ذلك بما:

15021ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق, عن عبد الله بن أبي نجيح, عن مجاهد أبي الحجاج, قال: كان أول ما دخل على يوسف من البلاء فيما بلغني أن عمته ابنة إسحاق, وكانت أكبر ولد إسحاق, وكانت إليها منطقة إسحاق, وكانوا يتوارثونها بالكَبر, فكان من اختصّ بها ممن وليها كان له سَلَما لا ينازع فيه, يصنع فيه ما شاء. وكان يعقوب حين ولد له يوسف, كان قد حضنته عمته, فكان معها وإليها, فلم يحب أحد شيئا من الأشياء حبها إياه. حتى إذا ترعرع وبلغ سنوات, ووقعت نفس يعقوب عليه, أتاها فقال: يا أخية سلّمي إليّ يوسف, فوالله ما أقدر على أن يغيب عني ساعة فقالت: والله ما أنا بتاركته, والله ما أقدر أن يغيب عني ساعة قال: فوالله ما أنا بتاركه قالت: فدعه عندي أياما أنظر إليه وأسكن عنه, لعل ذلك يسليني عنه أو كما قالت. فلما خرج من عندها يعقوب عمدت إلى منطقة إسحاق فحزمتها على يوسف من تحت ثيابه, ثم قالت: لقد فقدت منطقة إسحاق, فانظروا من أخذها ومن أصابها فالتُمست, ثم قالت: اكشفوا أهل البيت فكشفوهم, فوجدوها مع يوسف, فقالت: والله إنه لي لسلم أصنع فيه ما شئت. قال: وأتاها يعقوب فأخبرته الخبر, فقال لها: أنت وذاك إن كان فعل ذلك فهو سلم لك, ما أستطيع غير ذلك. فأمسكته فما قدر عليه يعقوب حتى ماتت. قال: فهو الذي تقول إخوة يوسف حين صنع بأخيه ما صنع حين أخذه عليهم في أنفسهم تأنيبا له: إنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ. فلما سمعها يوسف قالَ أنْتُمْ شَرّ مَكانا سرّا في نفسه ولَمْ يُبْدِها لَهُمْ واللّهُ أعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ.

وقوله: فَأسَرّها يُوسُفُ فِـي نَفْسِهِ ولَـمْ يُبْدِها لَهُمْ قالَ أنْتُـمْ شَرّ مَكانا وَاللّهُ أعْلَـمُ بِـمَا تَصِفُونَ يعنـي بقوله: «فأسرّها»: فأضمرها, وقال: «فأسرّها» فأنث, لأنه عنى بها الكلـمة, وهي: «أنتـمّ شرّ مكانا, والله أعلـم بـما تصفون», ولو كانت جاءت بـالتذكير كان جائزا, كما قـيـل: تِلْكَ مِنْ أنْبـاءِ الغَيْبِ و ذلكَ منْ أنْبـاءِ القُرَى, وكنـي عن الكلـمة ولـم يجر لها ذكر متقدّم, والعرب تفعل ذلك كثـيرا, إذا كان مفهوما الـمعنى الـمراد عند سامعي الكلام. وذلك نظير قول حاتـم الطائي:

أماوِيّ ما يُغْنِـي الثّرَاءُ عَنِ الفَتـىإذَا حَشْرَجَتْ يَوْما وَضَاقَ بِها الصّدْرُ

يريد: وضاق بـالنفس الصدر. فكنـي عنها ولـم يجر لها ذكر, إذ كان فـي قوله: «إذا حشرجت يوما», دلالة لسامع كلامه علـى مراده بقوله: «وضاق بها». ومنه قول الله: ثُمّ إنّ رَبّكَ للّذِينَ هاجَرُوا مِنْ بَعْدِ ما فُتِنُوا ثُمّ جاهَدُوا وَصَبَرُوا إنّ رَبّكَ مِنْ بَعْدِها لَغَفُورٌ رَحيـمٌ فقال: «من بعدها», ولـم يجر قبل ذلك ذكر لاسم مؤنث.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

15022ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: فَأسَرّها يُوسُفُ فِـي نَفْسِهِ ولَـمْ يُبْدِها لَهُمْ أما الذي أسرّ فـي نفسه فقوله: أنْتُـمْ شَرّ مَكانا وَاللّهُ أعْلَـمُ بِـمَا تَصِفُونَ.

حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: فَأسَرّها يُوسُفُ فِـي نَفْسِهِ ولَـمْ يُبْدِها لَهُمْ قالَ أنْتُـمْ شَرّ مَكانا وَاللّهُ أعْلَـمُ بِـمَا تَصِفُونَ قال هذا القول.

15023ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس: فَأسَرّها يُوسُفُ فِـي نَفْسِهِ ولَـمْ يُبْدِها لَهُمْ يقول: أسرّ فـي نفسه قوله: أنْتُـمْ شَرّ مَكانا وَاللّهُ أعْلَـمُ بـمَا تَصِفُونَ.

وقوله: وَاللّهُ أعْلَـمُ بِـما تَصِفُونَ يقول: والله أعلـم بـما تكذّبون فـيـما تصفون به أخاه بنـيامين.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

15024ـ حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا شبـابة, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: أنْتُـمْ شَرّ مَكانا وَاللّهُ أعْلَـمُ بِـما تَصِفُونَ يقولون: يوسف يقوله.

حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, مثله.

حدثنـي الـمثنى, قال: أخبرنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, مثله.

15025ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: وَاللّهُ أعْلَـمُ بِـمَا تَصِفُونَ: أي بـما تكذبون.

فمعنى الكلام إذن: فأسرّها يوسف فـي نفسه ولـم يبدها لهم, قال: أنتـم شرّ عند الله منزلاً مـمن وصفتـموه بأنه سرق, وأخبث مكانا بـما سلف من أفعالكم, والله عالـم بكذبكم, وأن جهله كثـير مـمن حضر من الناس.

وذُكر أن الصواع لـما وُجد فـي رحل أخي يوسف تلاوم القوم بـينهم, كما:

15026ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمرو, عن أسبـاط, عن السديّ, قال: لـما استـخرجت السرقة من رحل الغلام انقطعت ظهورهم, وقالوا: يا بنـي راحيـل, ما يزال لنا منكم بلاء حتـى أخذت هذا الصواع فقال بنـيامين:

بل بنو راحيـل الذين لا يزال لهم منكم بلاء, ذهبتـم بأخي فأهلكتـموه فـي البرية, وضع هذا الصواع فـي رحلـي الذي وضع الدراهم فـي رحالكم.
فقالوا: لا تذكر الدراهم فنؤخذ بها. فلـما دخـلوا علـى يوسف دعا بـالصواع, فنقر فـيه, ثم أدناه من أذنه, ثم قال: إن صواعي هذا لـيخبرنـي أنكم كنتـم اثنـي عشر رجلاً, وأنكم انطلقتـم بأخ لكم فبعتـموه. فلـما سمعها بنـيامين, قام فسجد لـيوسف, ثم قال: أيها الـملك, سل صواعك هذا عن أخي أحيّ هو؟ فنقره, ثم قال: هو حيّ, وسوف تراه. قال: فـاصنع بـي ما شئت, فإنه إن علـم بـي سوف يستنقذنـي. قال: فدخـل يوسف فبكى, ثم توضأ, ثم خرج فقال بنـيامين: أيها الـملك إنـي أريد أن تضرب صواعك هذا فـيخبرك بـالـحقّ, فسله من سرقه فجعله فـي رحلـي؟ فنقره فقال: إن صواعي هذا غضبـان, وهو يقول: كيف تسألنـي عن صاحبـي, وقد رؤيت مع من كنت قال: وكان بنو يعقوب إذا غضبوا لـم يطاقوا, فغضب روبـيـل, فقال: أيها الـملك, والله لتتركنا أو لأصيحنّ صيحة لا يبقـى بـمصر امرأة حامل إلاّ ألقت ما فـي بطنها وقامت كلّ شعرة فـي جسد روبـيـل, فخرجت من ثـيابه, فقال يوسف لابنه: قم إلـى جنب روبـيـل فمسّه وكان بنو يعقوب إذا غضب أحدهم فمسه الآخر ذهب غضبه, فمرّ الغلام إلـى جنبه فمسه, فذهب غضبه, فقال روبـيـل: من هذا؟ إن فـي هذا البلد لبزرا من بَزْر يعقوب.
فقال يوسف: من يعقوب؟ فغضب روبـيـل فقال: يا أيها الـملك لا تذكر يعقوب, فإنه سَرِيّ الله, ابن ذبـيح الله, ابن خـلـيـل الله. قال يوسف: أنت إذن كنت صادقا.

الآية : 78

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {قَالُواْ يَأَيّهَا الْعَزِيزُ إِنّ لَهُ أَباً شَيْخاً كَبِيراً فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ }.
يقول تعالـى ذكره: قالت إخوة يوسف لـيوسف: يا أيّها العَزِيزُ يا أيها الـملك إنّ لَهُ أبـا شَيْخا كَبِـيرا كَلِفـا بحبه, يعنون يعقوب. فَخُذْ أحَدنا مَكانَهُ يعنون فخذ أحدا منا بدلاً من بنـيامين, وخـلّ عنه. إنّا نَرَاكَ مِنَ الـمُـحْسِنِـينَ يقولون: إنا نراك من الـمـحسنـين فـي أفعالك.
وقال مـحمد بن إسحاق فـي ذلك, ما:
15027ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق: إنّا نَراكَ مِنَ الـمُـحْسِنِـينَ إنا نرى ذلك منك إحسانا إن فعلت.

الآية : 79

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {قَالَ مَعَاذَ اللّهِ أَن نّأْخُذَ إِلاّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنّـآ إِذاً لّظَالِمُونَ }.
يقول تعالـى ذكره: قال يوسف لإخوته: مَعاذَ اللّهِ أعوذ بـالله. وكذلك تفعل العرب فـي كل مصدر وضعته موضع يَفْعَل ويَفْعِل, فإنها تنصب, كقولهم: حمدا لله وشكرا له, بـمعنى: أحمد الله وأشكره والعرب تقول فـي ذلك: معاذ الله, ومعاذة الله, فتدخـل فـيه هاء التأنـيث كما يقولون: ما أحسن معناه هذا الكلام, وعوذ الله, وعوذة الله, وعياذ الله, ويقولون: اللهمّ عائذا بك, كأنه قـيـل: أعوذ بك عائذا, أو أدعوك عائذا. أنْ نَأْخُذَ إلاّ مَنْ وَجَدْنا مَتاعَنا عِنْدَهُ يقول: أستـجير بـالله من أن نأخذ بريئا بسقـيـم. كما:

15028ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق: قالَ مَعاذَ اللّهِ أنْ نَأْخُذَ إلاّ مَنْ وَجَدْنا متَاعَنا عِنْدَهُ إنّا إذًا لَظالِـمُونَ يقول: إن أخذنا غير الذي وجدنا متاعنا عنده أنا إذا نفعل ما لـيس لنا فعله, ونـجور علـى الناس.

15029ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمرو, عن أسبـاط, عن السديّ: قالُوا يا أيّها العَزِيزُ إنّ لَهُ أبـا شَيْخا كَبِـيرا فَخُذْ أحَدَنا مَكانَهُ إنّا نَرَاكَ مِنَ الـمُـحْسنِـين قالَ مَعاذَ اللّهِ أنْ نَأْخُذَ إلاّ مَنْ وجَدْنا مَتاعَنا عِنْدَهُ إنّا إذًا لَظالِـمُونَ قال يوسف: إذا أتـيتـم أبـاكم فأقرئوه السلام, وقولوا له: إن ملك مصر يدعو لك أن لا تـموت حتـى ترى ابنك يوسف, حتـى يعلـم أن فـي أرض مصر صدّيقـين مثله.

الآية : 80

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {فَلَمّا اسْتَيْأَسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيّاً قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوَاْ أَنّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مّوْثِقاً مّنَ اللّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتّىَ يَأْذَنَ لِيَ أَبِيَ أَوْ يَحْكُمَ اللّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ }.

يعنـي تعالـى ذكره: فَلَـمّا اسْتَـيْأَسُوا مِنْهُ فلـما يئسوا منه من أن يخـلـى يوسف عن بنـيامين ويأخذ منهم واحدا مكانه وأن يجيبهم إلـى ما سألوه من ذلك. وقوله: اسْتَـيْأَسُوا استفعلوا, من يئس الرجل من كذا يـيأس. كما:

15030ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق: فَلَـمّا اسْتَـيْأَسُوا مِنْهُ يئسوا منه ورأوا شدّته فـي أمره.

وقوله: خَـلَصُوا نَـجِيّا يقول بعضهم لبعض: يتناجون, لا يختلط بهم غيرهم. والنـجيّ جماعة القوم الـمنتـجين يسمى به الواحد والـجماعة, كما يقال: رجل عدل ورجال عدل, وقوم زور وفطر, وهو مصدر من قول القائل: نـجوت فلانا أنـجوه نـجيّا, جعل صفة ونعتا. ومن الدلـيـل علـى أن ذلك كما ذكرنا قول الله تعالـى: وَقَرّبْناهُ نَـجِيّا فوصف به الواحد, وقال فـي هذا الـموضع: خَـلَصوا نَـجِيّا فوصف به الـجماعة, ويجمع النّـجِيّ أنـجية, كما قال لبـيد:

وشَهِدْتُ أنْـجِيَةَ الأُفـاقَةِ عالِـياكَعْبِـي وأرْدَافُ الـمُلُوكِ شُهُودُ

وقد يقال للـجماعة من الرجال: نـجوى, كما قال جلّ ثناؤه: وَإذْ هُمْ نَـجْوَى وقال: ما يَكُونُ مِنْ نَـجْوَى ثَلاثَةٍ وهم القوم الذين يتناجون. وتكون النـجوى أيضا مصدراكما قال الله: وإنّـمَا النّـجْوَى مِنَ الشّيْطانِتقول منه: نـجوت أنـجو نـجوى, فهي فـي هذا الـموضع: الـمناجاة نفسها, ومنه قول الشاعر:

بُنَـيّ بَدَا خِبّ نَـجْوَى الرّجالِفَكُنْ عِنْدَ سِرّكَ خَبّ النّـجِي

فـالنـجوى والنـجيّ فـي هذا البـيت بـمعنى واحد, وهو الـمناجاة, وقد جمع بـين اللغتـين.

وبنـحو الذي قلنا فـي تأويـل قوله: خَـلَصُوا نَـجِيّا قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

15031ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمرو, عن أسبـاط, عن السديّ: فَلَـمّا اسْتَـيْأَسُوا مِنْهُ خَـلَصُوا نَـجِيّا وأخـلص لهم شمعون, وقد كان ارتهنه, خَـلَوْا بـينهم نـجيّا يتناجون بـينهم.

15032ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: خَـلَصُوا نَـجِيّا خـلصوا وحدهم نـجيّا.

15033ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق: خَـلَصُوا نَـجِيّا: أي خلا بعضهم ببعض, ثم قالوا: ماذا ترون.

وقوله: قالَ كَبِـيرُهُمْ اختلف أهل العلـم فـي الـمعنـيّ بذلك, فقال بعضهم: عنى به كبـيرهم فـي العقل والعلـم, لا فـي السنّ, وهو شمعون, قالوا: وكان روبـيـل أكبر منه فـي الـميلاد. ذكر من قال ذلك:

15034ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, فـي قول الله تعالـى: قالَ كَبـيرُهُمْ قال: هو شمعون الذي تـخـلف, وأكبر منه, وأكبر منهم فـي الـميلاد روبـيـل.

حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا شبـابة, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: قالَ كَبـيرهُمْ: شمعون الذي تـخـلف, وأكبر منه فـي الـميلاد روبـيـل.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, مثله.

حدثنـي الـمثنى, قال: أخبرنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله بن الزبـير, عن سفـيان, عن ابن جريج, عن مـجاهد: قالَ كَبـيرُهُمْ قال: شمعون الذي تـخـلف, وأكبرهم فـي الـميلاد روبـيـل.

وقال آخرون: بل عَنَى به كبـيرهم فـي السنّ وهو روبـيـل. ذكر من قال ذلك:

15035ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا زيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: قالَ كَبـيرُهُمْ وهو روبـيـل أخو يوسف, وهو ابن خالته, وهو الذي نهاهم عن قتله.

حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: قالَ كَبـيرهُمْ قال: رُوبـيـل, وهو الذي أشار علـيهم أن لا يقتلوه.

15036ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمرو, عن أسبـاط, عن السديّ: قالَ كَبـيرُهُمْ فـي العلـم أنّ أبـاكُمْ قَدْ أخَذَ عَلَـيْكُمْ مَوْثقا مِنَ اللّهِ وَمِنْ قَبْلُ ما فَرّطْتُـمْ فِـي يُوسُفَ فَلَنْ أبْرَحَ الأرْضَ... الآية, فأقام روبـيـل بـمصر, وأقبل التسعة إلـى يعقوب فأخبروه الـخبر, فبكى وقال: يا بنـيّ ما تذهبون مرّة إلاّ نقصتـم واحدا, ذهبتـم مرّة فنقصتـم يوسف, وذهبتـم الثانـية فنقصتـم شمعون, وذهبتـم الآن فنقصتـم روبـيـل.

15037ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق: فَلَـمّا اسْتَـيْأسُوا مِنْهُ خَـلَصُوا نَـجِيّا قال: ماذا ترون؟ فقال رُوبـيـل كما ذُكر لـي, وكان كبـير القوم: ألَـمْ تَعْلَـمُوا أنّ أبـاكمْ قَدْ أخَذَ عَلَـيْكمْ مَوْثِقا مِنَ اللّهِ لَتَأْتُنّنِـي بِهِ إلاّ أنْ يُحاطَ بِكُمْ وَمِنْ قَبْلُ ما فَرّطْتُـمْ فِـي يُوسُفَ... الآية.

وأولـى الأقوال فـي ذلك بـالصحة قول من قال: عنى بقوله: قالَ كَبـيرُهُمْ رُوبـيـل لإجماع جميعهم علـى أنه كان أكبرهم سنّا, ولا تفهم العرب فـي الـمخاطبة إذا قـيـل لهم: فلان كبـير القوم مطلقا بغير وصل إلاّ أحد معنـيـين, إما فـي الرياسة علـيهم والسؤدد وإما فـي السنّ, فأما فـي العقل فإنهم إذا أرادوا ذلك وصلوه, فقالوا: هو كبـيرهم فـي العقل, فأما إذا أطلق بغير صلته بذلك فلا يفهم إلاّ ما ذكرت. وقد قال أهل التأويـل: لـم يكن لشمعون وإن كان قد كان من العلـم والعقل بـالـمكان الذي جعله الله به علـى إخوته رياسة وسؤدد, فـيعلـم بذلك أنه عنى بقوله: قالَ كَبِـيرُهُمْ فإذا كان ذلك كذلك فلـم يبق إلاّ الوجه الآخر, وهو الكبر فـي السنّ, وقد قال

الذين ذكرنا جميعا: رُوبـيـل كان أكبر القوم سنّا, فصحّ بذلك القول الذي اخترناه.

وقوله: أَلَـمْ تَعْلَـمُوا أنّ أبـاكُمْ قَدْ أخَذَ عَلَـيْكُمْ مَوْثِقا مِنَ اللّهِ يقول: ألـم تعلـموا أيها القوم أن أبـاكم يعقوب قد أخذ علـيكم عهود الله ومواثـيقه لنأتـينه به جميعا, إلاّ أن يُحاط بكم, ومن قبل فعلتكم هذه تفريطكم فـي يوسف يقول: أو لـم تعلـموا من قبل هذا تفريطكم فـي يوسف. وإذا صرف تأويـل الكلام إلـى هذا الذي قلناه, كانت «ما» حينئذٍ فـي موضع نصب. وقد يجوز أن يكون قوله: وَمِنْ قَبْلُ ما فَرّطْتُـمْ فِـي يُوسُفَ خبرا مبتدأ, ويكون قوله: أَلَـمْ تَعْلَـمُوا أنّ أبـاكُمْ قَدْ أخَذَ عَلَـيْكُمْ مَوْثِقا مِنَ اللّهِ خبرا متناهيا, فتكون «ما» حينئذٍ فـي موضع رفع, كأنه قـيـل: ومن قبل هذا تفريطكم فـي يوسف, فتكون «ما» مرفوعة ب «من» قبل هذا, ويجوز أن تكون «ما» التـي تكون صلة فـي الكلام, فـيكون تأويـل الكلام: ومن قبل هذا تفريطكم فـي يوسف.

وقوله: فَلَنْ أبْرَحَ الأرْضَ التـي أنا بها وهي مصر فأفـارقها, حتـى يَأْذَنَ لـي أبـي بـالـخروج منها, كما:

15038ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق: فَلَنْ أبْرَحَ الأرْضَ التـي أنا بها الـيوم, حتـى يَأْذَنَ لـي أبِـي بـالـخروج منها.

15039ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قال شمعون: لَنْ أبْرَحَ الأرْضَ حتـى يَأْذَنَ لـي أبِـي أوْ يَحْكُمَ اللّهُ لـي وَهُوَ خَيْرُ الـحاكِمِينَ.

وقوله: أوْ يَحْكُمَ اللّهُ لـي: أو يفضَي لـي ربـي بـالـخروج منها وترك أخي بنـيامين, وإلاّ فإنـي غير خارج: وَهُوَ خَيْرُ الـحاكمينَ يقول: والله خير من حكم وأعدل من فصَل بـين الناس.

وكان أبو صالـح يقول فـي ذلك بـما:

15040ـ حدثنـي الـحسين بن يزيد السبـيعيّ, قال: حدثنا عبد السلام بن حرب, عن إسماعيـل بن أبـي خالد, عن أبـي صالـح فـي قوله: حتـى يَأْذَنَ لـي أبِـي أوْ يَحْكُمَ اللّهُ لـي قال: بـالسيف.

وكأن أبـا صالـح وجه تأويـل قوله: أوْ يَحْكُمَ اللّهُ لـي إلـى: أو يفضي الله لـي بِحَربَ مَنْ منعنـي من الانصراف بأخي بنـيامين إلـى أبـيه يعقوب, فأحاربه.

الآية : 81

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {ارْجِعُوَاْ إِلَىَ أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَأَبَانَا إِنّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلاّ بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ }.

يقول تعالـى ذكره مخبرا عن قـيـل رُوبـيـل لإخوته حين أخذ يوسف أخاه بـالصواع الذي استـخرج من وعائه: ارْجِعُوا إخوتـي إلـى أبِـيكُمْ يعقوب فَقُولُوا له يا أبـاتَا إنّ ابْنكَ بنـيامين سَرَقَ. والقراءة علـى قراءة هذا الـحرف بفتـح السين والراء والتـخفـيف: إنّ ابْنَكَ سَرَقَ. ورُوي عن ابن عبـاس: «إِن ابْنَكَ سُرّقَ» بضم السين وتشديد الراء, علـى وجه ما لـم يسمّ فـاعله, بـمعنى: أنه سُرّق. وَما شَهِدْنا إلاّ بِـمَا عَلِـمْنا.

واختلف أهل التأويـل فـي تأويـل ذلك, فقال بعضهم: معناه: وما قلنا إنه سَرَق إلاّ بظاهر علـمنا بأن ذلك كذلك, لأن صوَاع الـملك أصيب فـي وعائه دون أوعية غيره. ذكر من قال ذلك:

15041ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق: ارْجِعُوا إلـى أبِـيكُمْ فإنـي ما كنت راجعا حتـى يأتـينـي أمره, فقُولُوا يا أبـانَا إنّ ابْنَكَ سَرَقَ وَما شَهِدْنا إلاّ بِـمَا عَلِـمْنا: أي قد وُجِدَت السرقة فـي رحله, ونـحن ننظر لا علـم لنا بـالغيب. وَما كُنّا للغَيْبِ حافِظِينَ.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وما شهدنا عند يوسف بأن السارق يؤخذ بسرقته إلاّ بـما علـمنا. ذكر من قال ذلك:

15042ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: قال لهم يعقوب علـيه السلام: ما يدري هذا الرجل أن السارق يؤخذ بسرقته إلاّ بقولكم؟ فقالوا: ما شَهِدْنا إلاّ بِـمَا عَلِـمْنا لـم نشهد أن السارق يؤخذ بسرقته إلاّ وذلك الذي علـمنا. قال: وكان الـحكم عند الأنبـياء يعقوب وبنـيه أن يؤخذ السارق بسرقته عبدا فـيسترقّ.

وقوله: وَما كُنّا للغَيْبِ حافِظِينَ يقول: وما كنا نرى أن ابنك يَسْرِق ويصير أمرنا إلـى هذا, وإنـما قلنا ونَـحْفَظُ أخانا مـما لنا إلـى حفظه منه السبـيـل. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

15043ـ حدثنا الـحسين بن الـحريث أبو عمار الـمروزي, قال: حدثنا الفضل بن موسى, عن الـحسين بن واقد, عن يزيد, عن عكرمة: وَما كُنّا للغَيْبِ حافِظِينَ قال: ما كنا نعلـم أن ابنك يسرق.

15044ـ حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا شبـابة, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: وَما كُنّا للغَيْبِ حافِظِينَ لـم نشعر أنه سيسرق.

حدثنا مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: وَما كُنّا للغَيْبِ حافِظِينَ قال: لـم نشعر أنه سيسرق.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: وَما كُنّا للغَيْبِ حافِظِينَ قال: لـم نشعر أنه سيسرق.

15045ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, عن مـجاهد وأبو سفـيان, عن معمر, عن قتادة: وَما كُنّا للغَيْبِ حافِظِين قال: ما كنا نظنّ ولا نشعر أنه سيسرق.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: وَما كُنّا للغَيْبِ حافِظِينَ قال: ما كنا نرى أنه سيسرق.

حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: وَما كُنّا للغَيْبِ حافِظِينَ قال: ما كنا نظنّ أن ابنك يسرق.

وأولـى التأويـلـين بـالصواب عندنا فـي قوله: وَما شَهِدْنا إلاّ بِـمَا عَلِـمْنا قول من قال: وما شهدنا بأن ابنك سرق إلاّ بـما علـمنا من رؤيتنا للصواع فـي وعائه لأنه عقـيب قوله: إنّ ابْنَكَ سَرَقَ فهو بأن يكون خبرا عن شهادتهم بذلك أولـى من أن يكون خبرا عما هو منفصل. وذكر أن الغيب فـي لغة حمير هو اللـيـل بعينه.

الآية : 82

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الّتِي كُنّا فِيهَا وَالّعِيْرَ الّتِيَ أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنّا لَصَادِقُونَ }.

يقول: وإن كنت متهما لنا لا تصدّقنا علـى ما نقول من أن ابنك سرق, فـاسأل القرية التـي كنا فـيها, وهي مصر. يقول: سل من فـيها من أهلها,

والعِيرَ التـي أقْبَلْنا فِـيها وهي القافلة التـي كنا فـيها, التـي أقبلنا منها معها, عن خبر ابنك وحقـيقة ما أخبرناك عنه من سرقه, فإنك تـخبر مصداق ذلك. وإنّا لَصَادِقونَ فـيـما أخبرناك من خبره.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

15046ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: واسأَلِ القَرْيَةَ التـي كنا فِـيها وهي مصر.

15047ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, قال: قال ابن عبـاس: وَاسأَلِ القَرْيَةَ التـي كُنّا فِـيها قال: يعنون مصر.

15048ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق, قال: قد عرف رُوبـيـل فـي رَجْع قوله لإخوته أنهم أهلِ تَهَمة عند أبـيهم, لـما كانوا صنعوا فـي يوسف, وقولهم له: اسأَلِ القَرْيَةَ التـي كُنّا فِـيها والعِيرَ التـي أقْبَلْنا فِـيها فقد علـموا ما علـمنا وشهدوا ما شهدنا إن كنت لا تصدقنا وَإنّا لَصَادِقُونَ.

الآية : 83

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {قَالَ بَلْ سَوّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ }.

قال أبو جعفر: فـي الكلام متروك, وهو: فرجع إخوة بنـيامين إلـى أبـيهم, وتـخـلّف روبـيـل, فأخبروه خبره, فلـما أخبروه أنه سرق قال: بَلْ سَوّلَتْ لَكُمْ أنْفُسُكُمْ أمْرا يقول: بل زيّنت لكم أنفكسم أمرا همـمتـم به وأردتـموه. فصَبْرٌ جَمِيـلٌ يقول: فصبري علـى ما نالنـي من فقد ولدي صبر جميـل لا جزع فـيه ولا شكاية, عسى الله أن يأتـينـي بأولادي جميعا فـيردّهم علـيّ. إنّهُ هُوَ العَلِـيـمُ بوحدتـي وبفقدهم وحزنـي علـيهم وصدق ما يقولون من كذبه. الـحَكِيـم فـي تدبـيره خـلقه.

وبنـحو الذي قَلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

15049ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: بَلْ سَوّلَتْ لَكُمْ أنْفُسُكُمْ أمْرا فَصَبْرٌ جَمِيـلٌ يقول: زينت.

وقوله: عَسَى اللّهُ أنْ يَأْتِـيَنِـي بِهِمْ جَمِيعا يقول: بـيوسف وأخيه وروبـيـل.

15050ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق, قال: لـما جاءوا بذلك إلـى يعقوب, يعنـي بقول روبـيـل لهم اتهمهم, وظنّ أن ذلك كفعلتهم بـيوسف, ثم قال: بَلْ سَوّلَتْ لَكُمْ أنْفُسُكُمْ أمْرا فَصَبْرٌ جَميـلٌ عَسَى اللّهُ أنْ يَأْتِـيَنِـي بهِمْ جَميعا: أي بـيوسف وأخيه وروبـيـل.

الآية : 84

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَتَوَلّىَ عَنْهُمْ وَقَالَ يَأَسَفَا عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ }.

يعنـي تعالـى ذكره بقوله: وَتَوَلّـى عَنْهُمْ وأعرض عنهم يعقوب, وَقالَ يا أسَفـا علـى يُوسُفَ يعنـي: يا حزنا علـيه. يقال: إن الأسف هو أشدّ الـحزن والتندم, يقال منه: أسفت علـى كذا آسف علـيه أسفـا. يقول الله جلّ ثناؤه: وابـيضت عينا يعقوب من الـحزن فَهُوَ كَظِيـمٌ يقول: فهو مكظوم علـى الـحزن, يعنـي أنه مـملوء منه مـمسك علـيه لا يبـينه صرف الـمفعول منه إلـى فعيـل. ومنه قوله: والكاظِمِينَ الغَيْظَ وقد بـيّنا معناه بشواهده فـيـما مضى.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ما قلنا فـي تأويـل قوله وَقالَ يا أسَفَـا علـى يُوسُفَ :

15051ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق: وَتَوَلّـى عَنْهُمْ أعرض عنهم, وتتامّ حزنه, وبلغ مـجهوده, حين لـحق بـيوسف أخوه وهيّج علـيه حزنه علـى يوسف, فقال: يا أسَفَـا علـى يُوسُفَ وابْـيَضّتْ عَيْناهُ مِنَ الـحُزْنِ فَهُوَ كَظِيـمٌ.

15052ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: وَتَوَلّـى عَنْهُمْ وَقالَ يا أسَفـا علـى يُوسُفَ يقول: يا حَزَنَى علـى يوسف.

15053ـ حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا شبـابة, قال: حدثنا ورقاء وحدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن نـمير, عن ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: يا أسَفَـا علـى يُوسُفَ: يا حَزَنَا.

حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: يا أسَفَـا علـى يُوسُفَ: يا جزعاه.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: يا أسَفَـا علـى يُوسُفَ يا جزعاه حزنا.

حدثنـي الـمثنى, قال: أخبرنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: يا أسَفَـا علـى يُوسُفَ قال: يا جزعا.

15054ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: يا أسَفَـا علـى يُوسُفَ أي حزناه.

حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: يا أسَفَـا علـى يُوسُفَ قال: يا حزناه.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا مـحمد بن حميد الـمَعْمَري, عن معمر, عن قتادة, نـحوه.

15055ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, قال: قال ابن عبـاس: وَقالَ يا أسَفـا علـى يُوسُفَ....

15056ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبـي, عن أبـي حجيرة, عن الضحاك: يا أسَفَـا علـى يُوسُفَ قال: يا حَزَنا علـى يوسف.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمرو, عن أبـي مرزوق, عن جويبر, عن الضحاك: يا أسَفَـا يا حزناه.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, قال: ثنـي هشيـم, قال: أخبرنا جويبر عن الضحاك: يا أسَفَـا يا حزنا علـى يوسف.

15057ـ حدثنا الـحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا الثوري, عن سفـيان العصفري, عن سعيد بن جبـير, قال: لـم يعط أحدٌ غير هذه الأمة الاسترجاع, ألا تسمعون إلـى قول يعقوب: يا أسَفَـا علـى يُوسُفَ.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو نعيـم, قال: حدثنا سفـيان, عن سعيد بن جبـير, نـحوه.

ذكر من قال ما قلنا فـي تأويـل قوله تعالـى وَابْـيَضّتْ عَيْناهُ مِنَ الـحُزْنِ فَهُوَ كَظِيـمٌ:

15058ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: فهُوَ كَظِيـمٌ قال: كظيـم الـحزن.

حدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا شبابة, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: فَهُوَ كَظِيمٌ قال: كظيم الحزن.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن نمير, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, نحوه.
حدثني المثنى, قال: أخبرنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: فَهُوَ كَظِيمٌ قال: الحزن.
حدثني المثنى, قال: أخبرنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: فَهُوَ كَظِيمٌ مكمود.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد: فَهُوَ كَظِيمٌ قال: كظيم على الحزن.
15059ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: أخبرنا هشيم, عن جويبر, عن الضحاك, في قوله: فَهُوَ كَظِيمٌ قال: الكظيم: الكميد.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا المحاربي, عن جويبر, عن الضحاك, في قوله: فَهُو كَظِيمٌ قال كميد.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا جويبر, عن الضحاك, في قوله: كَظِيمٌ قال: كميد.
15060ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: وَابْيَضّتْ عَيْناهُ مِنَ الحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ يقول: يردّد حزنه في جوفه ولم يتكلم بسوء.
حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: فَهُوَ كَظِيمٌ قال: كظيم على الحزن فلم يقل بأسا.
حدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا الحسين بن الحسن, قال: حدثنا ابن المبارك, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله: وَابْيَضّتْ عَيْناهُ مِنَ الحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ قال: كظيم على الحزن فلم يقل إلاّ خيرا.
15061ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يحيى بن يمان, عن يزيد بن زُريع, عن عطاء الخراسانيّ: فَهُوَ كَظِيمٌ قال: مكروب.
15062ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمرو, عن أسباط, عن السديّ: فَهُوَ كَظِيمٌ قال: من الغيظ.
15063ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَابْيَضّتْ عَيناهْ مِنَ الحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ. قال: الكظيم: الذي لا يتكلم, بلغ به الحزن حتى كان لا يكلمهم.

الآية : 85

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالُواْ تَالله تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتّىَ تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ }.
يعني تعالى ذكره: قال ولد يعقوب الذين انصرفوا إليه من مصر له حين قال يا أَسَفَا على يُوسُفَ: تالله لا تزال تذكر يوسف.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
15064ـ حدثني محمد بن عمرو, قال حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: تَفْتَؤُ تَفْتَرّ من حبه.
15065ـ حدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا شبابة, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: تَفْتَأ ما تفتر من حبه, كذا قال الحسن في حديثه, وهو غلط, إنما هو: تَفْتَرّ من حبه, تزال تذكر يوسف.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن نـمير, عن ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: قالُوا تاللّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ قال: لا تفترّ من حبه.
حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: تَفْتَؤُ: تفتر من حبه.
15066ـ قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, فـي قوله: تاللّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ قال: لا تزال تذكر يوسف.
15067ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبـي, عن أسرائيـل, عن سماك, عن عكرمة, عن ابن عبـاس: قالُوا تاللّهِ تَفْتَؤُ تَذْكُرُ يُوسُفَ قال: لا تزال تذكر يوسف, قال: لا تفتر من حبه.
15068ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: تَفْتُؤُ تَذْكُرُ يُوسُفَ قال: لا تزال تذكر يوسف.
حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: تَفْتَؤُ تَذْكُرُ يُوسُفَ قال: لا تزال تذكر يوسف.
يقال منه: ما فَتِئْت أقول ذاك, وما فَتَأْتُ لغة, أفتـىء وأفْتَأُ فَتْأً وفُتُوءا. وحُكي أيضا ما أفتأت به ومنه قول أوس بن حجر:
فما فَتِئَتْ حتـى كأنّ غُبـارَهاسُرَادِقُ يَوْمٍ ذي رِياحٍ تَرَفّعُ
وقول الآخر:
فمَا فَتِئَتْ خَيْـلٌ تَثُوبُ وتَدّعِيويَـلْـحَقُ مِنها لاحِقٌ وتَقَطّعُ
بـمعنى: فما زالت. وحذفت «لا» من قوله تَفْتَأُ وهي مرادة فـي الكلام, لأن الـيـمين إذا كان ما بعدها خبرا لـم يصحبها الـجحد, ولـم تسقط اللام التـي يجاب بها الأيـمان, وذلك كقول القائل: والله لآتـينك, وإذا كان ما بعدها مـجحودا تلقـيت ب «ما» أو ب«لا» فلـما عرف موقعها حذفت من الكلام لـمعرفة السامع بـمعنى الكلام, ومنه قول امرىء القـيس:
فقُلْتُ يَـمِينُ اللّهِ أبْرَحُ قاعِداولو قَطّعُوا رأسِي لَدَيْكِ وأوْصَالـي
فحذفت «لا» من قوله: «أبرح قاعدا», لـما ذكرت من العلة, كما قال الآخر:
فَلا وأبـي دَهْماءَ زَالَتْ عَزِيزَةًعلـى قومِها ما فَتّلَ الزّنْدَ قادِحُ
يريد: لا زالت.
وقوله: حتـى تَكُونَ حَرَضا يقول: حتـى تكون دنف الـجسم, مخبول العقل. وأصل الـحرض: الفساد فـي الـجسم والعقل من الـحزن أو العشق ومنه قول العرْجيّ:
إنـي امْرُؤٌ لَـجّ بـي حُبّ فأحْرَضَنـيحتـى بَلِـيتُ وحتـى شَفّنِـي السّقَمُ
يعنـي بقوله: «فأحرضنـي»: أذابنـي فتركنـي مُـحْرَضا, يقال منه: رجل حَرَض, وامرأة حَرَض, وقوم حَرَض, ورجلان حَرَض, علـى صورة واحدة للـمذكر والـمؤنث وفـي التثنـية والـجمع, ومن العرب من يقول للذكر: حارض, وللأنثى حارضة, فإذا وصف بهذا اللفظ ثنـي وجمع وذكر وأنث, ووحد حرض بكل حال, ولـم يدخـله التأنـيث لأنه مصدر, فإذا أخرج علـى فـاعل علـى تقدير الأسماء لزمه ما يـلزم الأسماء من التثنـية والـجمع والتذكير والتأنـيث. وذكر بعضهم سماعا: رجل مـحرض: إذا كان وجعا, وأنشد فـي ذلك بـيتا:
طَلَبَتْهُ الـخَيْـلُ يَوْما كامِلاًولَوْ اَلْفَتْهُ لأَضْحَى مُـحْرَضَا

وذُكر أن منه قول امرىء القـيس:
أرَى الـمَرْءَ ذا الأَذْوَادِ يُصْبحُ مُـحْرِضاكإِحْرَاضِ بَكْرٍ فـي الدّيارِ مَرِيضِ
وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:
15069ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: حتـى تَكُونَ حَرَضا يعنـي: الـجهد فـي الـمرض البـالـي.
15070ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن نـمير, عن ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: حتـى تَكُونَ حَرَضا قال: دون الـموت.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن فضيـل, عن لـيث, عن مـجاهد: حتـى تَكُونَ حَرَضا قال: الـحرض: ما دون الـموت.
حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, مثله.
قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, مثله.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: حدثنا حجاج, عن ابن جريج, عن مـجاهد, مثله.
حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, مثله.
حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا شبـابة, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, مثله.
15071ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: حتـى تَكُونَ حَرَضا حتـى تبلـى أو تهرم.
حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: حتـى تَكُونَ حَرَضا حتـى تكون هرما.
15072ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمرو, عن أبـي بكر الهذلـي, عن الـحسن: حتـى تَكُونَ حَرَضا قال: هرما.
15073ـ قال: حدثنا الـمـحاربـي, عن جويبر, عن الضحاك, قال: الـحرض: الشيء البـالـي.
حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: أخبرنا هشيـم, عن جويبر, عن الضحاك, فـي قوله: حتـى تَكُونَ حَرَضا قال: الـحرض: الشيء البـالـي الفـانـي.
قال: حدثنا سويد بن نصر, قال: أخبرنا ابن الـمبـارك, عن أبـي معاذ, عن عبـيد بن سلـيـمان, عن الضحاك: حتـى تَكُونَ حَرَضا الـحرض: البـالـي.
حُدثت عن الـحسين بن الفرج, قال: سمعت أبـا معاذ, قال: حدثنا عبـيد بن سلـيـمان, عن الضحاك يقول فـي قوله: حتـى تَكُونَ حَرَضا: هو البـالـي الـمندثر.
15074ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمرو, عن أسبـاط, عن السديّ: حتـى تَكُونَ حَرَضا بـالـيا.
15075ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق, قال: لـما ذكر يعقوب يوسف, قالوا: يعنـي ولده الذين حضروه فـي ذلك الوقت جهلاً وظلـما تاللَّهِ تَفْتَؤُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حتـى تَكُونَ حَرَضا أي تكون فـاسدا لا عقل لك أَوْ تَكُونَ مِنَ الهَالِكِينَ.

15076ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: حتى تَكُونَ حَرَضا أَوْ تَكُونَ مِنَ الهَالِكِينَ قال: الحرض: الذي قد ردّ إلى أرذل العمر حتى لا يعقل, أو تهلك فتكون هالكا قبل ذلك.

وقوله: أَوْ تَكُونَ مِنَ الهَالِكِينَ يقول: أو تكون ممن هلك بالموت.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

15077ـ حدثني ابن وكيع, قال: حدثنا ابن فضيل, عن ليث, عن مجاهد: أَوْ تَكُونَ مِنَ الهَالِكِينَ قال: الموت.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: أَوْ تَكُونَ مِنَ الهَالِكِينَ من الميتين.

15078ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا المحاربي, عن جويبر, عن الضحاك: أَوْ تَكُونَ مِنَ الهَالِكِينَ قال: الميتين.

حدثني المثنى, قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: أخبرنا هشيم, عن جويبر, عن الضحاك, مثله.

15079ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمرو بن عون, عن أبي بكر الهذلي, عن الحسن: أَوْ تَكُونَ مِنَ الهَالِكِينَ قال: الميتين.

15080ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: أَوْ تَكُونَ مِنَ الهَالِكِينَ قال أو تموت.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: أَوْ تَكُونَ مِنَ الهَالِكِينَ قال: من الميتين.

15081ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمرو, عن أسباط, عن السديّ: أَوْ تَكُونَ مِنَ الهَالِكِينَ قال: من الميتين.

الآية : 86

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ إِنّمَآ أَشْكُو بَثّي وَحُزْنِي إِلَى اللّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ }.

يقول تعالى ذكره: قال يعقوب للقائلين له من ولده تاللّهِ تَفْتَؤُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حتى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الهَالِكِينَ: لست إليكم أشكو بثي وحزني, وإنما أشكو ذلك إلى الله.

ويعني بقوله: إنّمَا أَشْكُو بَثّي ما أشكو همي وَحُزْنِي إلاّ إلى اللّهِ.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج: إنّمَا أَشْكُو بَثّي قال: ابن عباس: بثّي: همي.

حدثنا ابن حميد, قال:.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

15082ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج: إنّمَا أَشْكُو بَثّي قال: ابن عباس: بثّي: همي.

15083ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: قال يعقوب عن علم بالله: إنّمَا أَشْكُوا بَثّي وَحُزْنِي إلى اللّهِ وأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ ما لا تَعْلَمُونَ لما رأى من فظاظتهم وغلظتهم وسوء لفظهم له: لم أشك ذلك إليكم, وأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ ما لا تَعْلَمُونَ.

15084ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو أسامة, عن عوف, عن الحسن: إنّمَا أَشْكُو بَثّي وحُزْنِي إلى اللّهِ قال: حاجتي وحزني إلى الله.

حدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا هوذة بن خليفة, قال: حدثنا عوف, عن الحسن, مثله.
وقيل: إن البثّ أشدّ الحزن, وهو عندي من بَثّ الحديث, وإنما يراد منه: إنما أشكو خبري الذي أنا فيه من الهمّ, وأبثّ حديثي وحزني إلى الله.
15085ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا يحيى بن سعيد, عن عوف, عن الحسن: إنّمَا أشْكُو بَثّي قال: حزني.
15086ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يحيى بن سعيد, عن عوف, عن الحسن: إنّمَا أشْكُو بَثّي وَحُزْنِي قال: حاجتي.
وأما قوله: وأعْلَمُ مِنَ اللّهِ ما لا تَعْلَمُونَ فإن ابن عباس كان يقول في ذلك فيما ذكر عنه ما:
15087ـ حدثني به محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, في قوله: وأعْلَمُ مِنَ اللّهِ ما لا تَعْلَمُونَ يقول: أعلم أن رؤيا يوسف صادقة وأني سأسجد له.
15088ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمرو, عن أسباط, عن السديّ: قالَ إنّمَا أشْكُو بثِيّ وحُزْنِي إلى اللّهِ وأعْلَمُ منَ اللّهِ ما لا تَعْلَمُونَ قال: لما أخبروه بدعاء الملك أحست نفس يعقوب, وقال: ما يكون في الأرض صدّيق إلاّ نبيّ فطمع, قال: لعله يوسف.
15089ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: قالَ إنّمَا أشْكُو بَثّي وَحُزْنِي إلى اللّهِ الآية, ذكر لنا أن نبيّ الله يعقوب لم ينزل به بلاء قطّ إلاّ أتى حسن ظنه بالله من ورائه.
15090ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عيسى بن يزيد, عن الحسن, قال: قيل: ما بلغ وَجْدُ يعقوب على ابنه؟ قال: وَجْد سبعين ثكلى. قال: فما كان له من الأجر؟ قال: أجر مئة شهيد. قال: وما ساء ظنه بالله ساعة من ليل ولا نهار.
15091ـ حدثنا به ابن حميد مرّة أخرى, قال: حدثنا حكام, عن أبي معاذ, عن يونس, عن الحسن, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم, مثله.
15092ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن المبارك بن مجاهد, عن رجل من الأزد, عن طلحة بن مصرّف الإيامي, قال: ثلاثة لا تذكرهن واجتنب ذكرهن: لا تشك مرضك, ولا تشك مصيبتك, ولا تزك نفسك. قال: وأنبئت أن يعقوب بن إسحاق دخل عليه جار له, فقال له: يا يعقوب ما لي أراك قد انهشمت وفنيت ولم تبلغ من السنّ ما بلغ أبوك؟ قال: هشمني وأفناني ما ابتلاني الله به من همّ يوسف وذكره. فأوحى الله إليه: يا يعقوب أتشكوني إلى خلقي؟ فقال: يا ربّ خطيئة أخطأتها, فاغفرها لي قال: فإني قد غفرت لك. وكان بعد ذلك إذا سئل, قال: إنّمَا أشْكُو بَثّي وحُزْنِي إلى اللّهِ وأعْلَمُ مِنَ اللّهِ ما لا تَعْلَمُونَ.
15093ـ حدثنا عمرو بن عليّ, قال: ثني مؤمل بن إسماعيل, قال: حدثنا سفيان, عن حبيب بن أبي ثابت, قال: بلغني أن يعقوب كبر حتى سقط حاجباه على وجنتيه, فكان يرفعهما بخرقة, فقال له رجل: ما بلغ بك ما أرى؟ قال: طول الزمان وكثرة الأحزان. فأوحى الله إليه: يا يعقوب تشكوني؟ قال: خطيئة فاغفرها.

15094ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا ثور بن يزيد, قال: دخـل يعقوب علـى فرعون وقد سقط حاجبـاه علـى عينـيه, فقال: ما بلغ بك هذا يا إبراهيـم؟ فقالوا: إنه يعقوب, فقال: ما بلغ بك هذا يا يعقوب؟ قال: طول الزمان وكثرة الأحزان. فقال الله: يا يعقوب أتشكونـي؟ فقال: يا ربّ خطيئة أخطأتها, فـاغفرها لـي.

15095ـ حدثنا عمرو بن علـيّ, قال: حدثنا عبد الوهاب, قال: حدثنا هشام, عن لـيث بن أبـي سلـيـم, قال: دخـل جبرئيـل علـى يوسف السجن, فعرفه فقال: أيها الـملك الـحسن وجهه, الطيبة ريحه, الكريـم عل ربه, ألا تـخبرنـي عن يعقوب أحيّ هو؟ قال: نعم. قال: أيها الـملك الـحسن وجهه, الطيبة ريحه, الكريـم علـى ربه, فما بلغ من حزنه؟ قال: حزن سبعين مثكلة. قال: أيها الـملك الـحسن وجهه, الطيبة ريحه, الكريـم علـى ربه, فهل فـي ذلك من أجر؟ قال: أجر مئة شهيد.

15096ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق, عن لـيث بن أبـي سلـيـم, عن مـجاهد, قال: حُدثت أن جبرئيـل أتـى يوسف صلّـى الله علـيهما وسلـم وهو بـمصر فـي صورة رجل فلـما رآه يوسف عرفه, فقام إلـيه, فقال: أيها الـملك الطيب ريحه, الطاهر ثـيابه, الكريـم علـى ربه, هل لك بـيعقوب من علـم؟ قال: نعم. قال: أيها الـملك الطاهر ثـيابه, الكريـم علـى ربه, فكيف هو؟ قال: ذهب بصره. قال: أيها الـملك الطاهر ثـيابه, الكريـم علـى ربه, وما الذي أذهب بصره؟ قال: الـحزن علـيك. قال: أيها الـملك الطيب ريحه, الطاهر ثـيابه, الكريـم علـى ربه, فما أعْطِيَ علـى ذلك؟ قال: أجر سبعين شهيدا.

15097ـ حدثنـي يونس بن عبد الأعلـى, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال أبو شريح: سمعت من يحدّث أن يوسف سأل جبرئيـل: ما بلغ من حزن يعقوب؟ قال: حُزْنَ سبعين ثَكْلَـى. قال: فما بلغ أجره؟ قال: أجر سبعين شهيدا.

15098ـ قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرنـي نافع بن زيد, عن عبـيد الله بن أبـي جعفر, قال: دخـل جبرئيـل علـى يوسف فـي البئر أو فـي السجن, فقال له يوسف: يا جبرئيـل, ما بلغ حزن أبـي؟ قال: حزن سبعين ثكلـى. قال: فما بلغ أجره من الله؟ قال: أجر مئة شهيد.

15099ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا إسماعيـل بن عبد الكريـم, قال: ثنـي عبد الصمد بن معقل, قال: سمعت وهب بن منبه يقول: أتـى جبرئيـل يوسف بـالبشرى وهو فـي السجن, فقال: هل تعرفنـي أيها الصّدّيق؟ قال: أرى صورة طاهرة وروحا طيبة لا تشبه أرواح الـخاطئين. قال: فإنـي رسول ربّ العالـمين, وأنا الروح الأمين. قال: فما الذي أدخـلك علـيّ مُدْخَـل الـمذنبـين, وأنت أطيب الطيبـين, ورأس الـمقرّبـين, وأمين ربّ العالـمين؟ قال: ألـم تعلـم يا يوسف أنّ الله يطهر البـيوت بطهر النبـيـين, وأن الأرض التـي يدخـلونها هي أطهر الأرضين, وأن الله قد طهر بك السجن وما حوله يا طهر الطاهرين وابن الـمطهرين؟ إنـما يتطهر بفضل طهرك وطهر آبـائك الصالـحين الـمخـلصين. قال: كيف لـي بـاسم الصدّيقـين, وتعدنـي من الـمخـلصين, وقد أدخـلت مدخـل الـمذنبـين, وسميت بـالضالـين الـمفسدين؟ قال: لـم يفتتن قلبك, ولـم تطع سيدتك فـي معصية ربك, ولذلك سماك الله فـي الصدّيقـين, وعدّك من

الـمخـلصين, وألـحقك بآبـائك الصالـحين. قال: لك علـم بـيعقوب أيها الروح الأمين؟ قال: نعم, وهبه الله الصبر الـجميـل, وابتلاه بـالـحزن علـيك, فهو كظيـم. قال: فما قدر حزنه؟ قال: حزن سبعين ثكلـى. قال: فماذا له من الأجر يا جبرائيـل؟ قال: قدر مئة شهيد.

15100ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن لـيث, عن ثابت البنانـي, قال: دخـل جبرئيـل علـى يوسف فـي السجن, فعرفه يوسف, قال: فأتاه فسلـم علـيه, فقال: أيها الـملك الطيب ريحه, الطاهر ثـيابه, الكريـم علـى ربه, هل لك من علـم بـيعقوب؟ قال: نعم. قال: أيها الـملك الطيب ريحه, الطاهر ثـيابه, الكريـم علـى ربه, هل تدري ما فعل؟ قال: ابـيضت عيناه. قال: أيها الـملك الطيب ريحه, الطاهر ثـيابه, الكريـم علـى ربه, مـمّ ذاك؟ قال: من الـحزن علـيك, قال: أيها الـملك الطيب ريحه, الطاهر ثـيابه, الكريـم علـى ربه, وما بلغ من حزنه؟ قال: حزن سبعين مثكلة. قال: أيها الـملك الطيب ريحه, الطاهر ثـيابه, الكريـم علـى ربه, هل له علـى ذلك من أجر؟ قال: نعم أجر مئة شهيد.

15101ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمرو, عن أسبـاط, عن السديّ, قال: أتـى جبرئيـل يوسف وهو فـي السجن فسلـم علـيه, وجاء فـي صورة رجل حسن الوجه طيب الريح نقـيّ الثـياب, فقال له يوسف: أيها الـملك الـحسن وجهه, الكريـم علـى ربه, الطيب ريحه, حدّثنـي كيف يعقوب؟ قال: حَزِن علـيك حزنا شديدا. قال: وما بلغ من حزنه؟ قال: حزن سبعين مُثْكَلة. قال: فما بلغ من أجره؟ قال: أجر سبعين أو مئة شهيد. قال يوسف: فإلـى من أوَى بعدي؟ قال: إلـى أخيك بنـيامين. قال: فترانـي ألقاه أبدا؟ قال: نعم. فبكى يوسف لِـما لَقِـيَ أبوه بعده, ثم قال: ما أبـالـي ما لقـيت إنِ اللّهُ أرانـيه.

15102ـ قال: حدثنا عمرو بن مـحمد, عن إبراهيـم بن يزيد, عن عمرو بن دينار, عن عكرمة, قال: أتـى جبرئيـل يوسف وهو فـي السجن, فسلـم علـيه, فقال له يوسف: أيها الـملك الكريـم علـى ربه, الطيب ريحه, الطاهر ثـيابه, هل من علـم بـيعقوب؟ قال: نعم ما أشدّ حزنه قال: أيها الـملك الكريـم علـى ربه, الطيب ريحه, الطاهر ثـيابه, ماذا له من الأجر؟ قال: أجر سبعين شهيدا. قال: أفترانـي لاقـيه؟ قال: نعم. قال: فطابت نفس يوسف.

15103ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن لـيث, عن سعيد بن جبـير, قال: لـما دخـل يعقوب علـى الـملك وحاجبـاه قد سقطا علـى عينـيه, قال الـملك: ما هذا؟ قال: السنون والأحزان أو الهموم والأحزان, فقال ربه: يا يعقوب لـم تشكونـي إلـى خـلقـي, ألـم أفعل بك وأفعل؟.

15104ـ حدثنا حدثنا الـحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا الثوريّ, عن علـى الـملك وحاجبـاه قد سقطا علـى عينـيه, قال الـملك: ما هذا؟ قال: السنون والأحزان أو الهموم والأحزان, فقال ربه: يا يعقوب لـم تشكونـي إلـى خـلقـي, ألـم أفعل بك وأفعل؟.

15105ـ حدثنا حدثنا الـحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا الثوريّ, عنل: كان منذ خرج يوسف من عند يعقوب إلـى يوم رجع ثمانون سنة, لـم يفـارق الـحزنُ قلبه, يبكي حتـى ذهب بصره. قال الـحسن: والله ما علـى الأرض يومئذٍ خـلـيقة أكرم علـى الله من يعقوب صلى الله عليه وسلم.

الآية : 87

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {يَبَنِيّ اذْهَبُواْ فَتَحَسّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رّوْحِ اللّهِ إِنّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رّوْحِ اللّهِ إِلاّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ }.

يقول تعالـى ذكره: حين طمع يعقوب فـي يوسف, قال لبنـيه: يا بنـيّ اذهبوا إلـى الـموضع الذي جئتـم منه, وخَـلّفتـم أخويكم به فَتَـحَسّسُوا مِنْ يُوسُفَ يقول: التـمسوا يوسف وتعرّفوا من خبره. وأصل التـحسس: التفعل من الـحسّ. وأخِيهِ يعنـي بنـيامين, وَلا تَـيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللّهِ يقول: ولا تقنطوا من أن يروّح الله عنا ما نـحن فـيه من الـحزن علـى يوسف وأخيه بفَرَج من عنده فـيرينـيهما. إنّهُ لا يَـيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللّهِ يقول: لا يقْنَط من فَرَجه ورحمته ويقطع رجاءه منه, إلاّ القَوْمُ الكافِرُونَ يعنـي: القوم الذين يجحدون قدرته علـى ما شاء تكوينه.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

15106ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمرو, عن أسبـاط, عن السديّ: يا بَنِـيّ اذْهَبُوا فَتَـحَسّسُوا مِنْ يُوسُفَ وأخِيهِ بـمصر. وَلا تَـيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللّهِ قال: من فرَج الله أن يردّ يوسف.

15107ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, فـي قوله: وَلا تَـيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللّهِ: أي من رحمة الله.

حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة نـحوه.

15108ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق, قال: ثم إن يعقوب قال لبنـيه, وهو علـى حسن ظنه بربه مع الذي هو فـيه من الـحزن: يا بنـيّ اذهبوا إلـى البلاد التـي منها جئتـم فتَـحَسّسُوا مِنْ يُوسُفَ وأخِيهِ وَلا تَـيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللّهِ: أي من فرجه, إنّهُ لا يَـيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللّهِ إلاّ القَوْمُ الكافِرُونَ.

15109ـ حُدثت عن الـحسين بن الفرج, قال: سمعت أبـا معاذ يقول: أخبرنا عبـيد بن سلـيـمان, قال: سمعت الضحاك يقول فـي قوله: وَلا تَـيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللّهِ يقول: من رحمة الله.

15110ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: وَلا تَـيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللّهِ قال: من فرج الله, يفرُج عنكم الغمّ الذي أنتـم فـيه.

الآية : 88

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {فَلَمّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَأَيّهَا الْعَزِيزُ مَسّنَا وَأَهْلَنَا الضّرّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدّقْ عَلَيْنَآ إِنّ اللّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدّقِينَ }.

وفـي الكلام متروك قد استغنـي بذكر ما ظهر عما حذف, وذلك: فخرجوا راجعين إلـى مصر حتـى صاروا إلـيها, فدخـلوا علـى يوسف فَلَـمّا دَخَـلُوا عَلَـيْهِ قالُوا يا أيّها العَزِيزُ مَسّنا وأهْلَنا الضّرّ أي الشدّة من الـجدب والقحط, وَجِئْنا بِبِضَاعَةٍ مُزْجاةٍ. كما:

15111ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق, قال: وخرجوا إلـى مصر راجعين إلـيها ببضاعة مُزْجاة: أي قلـيـلة, لا تبلغ ما كانوا يتبـايعون به, إلاّ أن يُتَـجاوز لهم فـيها, وقد رأوا ما نزل بأبـيهم, وتتابع البلاء علـيه فـي ولده وبصره, حتـى قدموا علـى يوسف. فَلَـمّا دَخَـلُوا عَلَـيْهِ قالُوا

يا أيّها العَزِيزُ رجاء أن يرحمهم فـي شأن أخيهم, مَسّنا وأهْلَنا الضّرّ. وعَنَى بقوله: وَجِئْنا بِبِضَاعَةٍ مُزْجاةٍ بدراهم أو ثمن لا يجوز فـي ثمن الطعام إلاّ لـمن يتـجاوز فـيها. وأصل الإزجاء: السّوْق بـالدفع, كما قال النابغة الذبـيانـي:

وَهَبّتِ الرّيحُ مِنْ تِلْقاءِ ذي أُرُلٍتُزْجِي معَ اللّـيـلِ مِن صُرّادها صِرَما

يعنـي تسوق وتدفع ومنه قول أعشى بنـي ثعلبة:

الوَاهِبُ الـمِئَةَ الهِجانَ وعَبْدَهاعُوذًا تُزْجّي خَـلْفَها أطْفـالَهَا

وقول حاتـم:

لـيَبْك علـى مِلْـحانَ ضَيْفٌ مُدَقّعٌوأرْمَلَةٌ تُزْجِي معَ اللّـيـلِ أرْمَلا

يعنـي أنها تسوقه بـين يديها علـى ضعف منه عن الـمشي وعجز ولذلك قـيـل: بِبِضَاعَةٍ مُزْجاةٍ لأنها غير نافقة, وإنـما تـجوز تـجويزا علـى نفع من آخذيها. وقد اختلف أهل التأويـل فـي البـيان عن تأويـل ذلك, وإن كانت معانـي بـيانهم متقاربة. ذكر أقوال أهل التأويـل فـي ذلك:

15112ـحدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبـي, عن إسرائيـل, عن سماك, عن عكرمة, عن ابن عبـاس: بِبِضَاعَةٍ مُزْجاةٍ قال: ردية زيوف لا تنفَق حتـى يوضع منها.

حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا عمرو بن مـحمد العنقزي, قال: حدثنا إسرائيـل, عن سماك, عن عكرمة, عن ابن عبـاس, فـي قوله: وَجِئْنا بِبِضَاعَةٍ مُزْجاةٍ قال: الردية التـي لا تنفَق حتـى يُوضَع منها.

15113ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن عيـينة, عن عثمان بن أبـي سلـيـمان, عن ابن أبـي ملـيكة, عن ابن عبـاس: وَجِئْنا بِبِضَاعَةٍ مُزْجاةٍ قال: خَـلَقٍ,الغِرارة والـحبل والشيء.

حدثنا الـحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا ابن عيـينة, عن عثمان بن أبـي سلـيـمان عن ابن أبـي ملـيكة, قال: سمعت ابن عبـاس, وسئل عن قوله: وَجِئْنا بِبِضَاعَةٍ مُزْجاةٍ قال: رثّة الـمتاع: الـحبل والغِرارة والشيء.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا ابن عيـينة, عن عثمان بن أبـي سلـيـمان, عن ابن أبـي ملـيكة, عن ابن عبـاس, مثله.

15114ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: وَجِئْنا بِبِضَاعَةٍ مُزْجاةٍ قال: البضاعة: الدراهم, والـمزجاة: غير طائل.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: أخبرنا هشيـم, عن ابن أبـي زياد, عمن حدثه, عن ابن عبـاس, قال: كاسدة غير طائل.

15115ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا أبو بكر بن عياش, قال: حدثنا أبو حصين, عن سعيد بن جبـير وعكرمة: وَجِئْنا بِبِضَاعَةٍ مُزْجاةٍ قال سعيد: ناقصة. وقال عكرمة: دراهم فُسُول.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو بكر بن عياش, عن أبـي حصين, عن سعيد بن جبـير وعكرمة, مثله.

15116ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبـي, عن إسرائيـل, عن أبـي حصين, عن سعيد بن جبـير وعكرمة: وَجِئْنا بِبِضَاعَةٍ مُزْجاةٍ قال أحدهما: ناقصة. وقال الآخر: ردية.

15117ـ وبه قال: حدثنا أبـي عن سفـيان, عن يزيد بن أبـي زياد, عن عبد الله بن الـحارث, قال: كان سمنا وصوفـا.
حدثنا الـحسن, قال: حدثنا علـيّ بن عاصم, عن يزيد بن أبـي زياد قال: سأل رجل عبد الله بن الـحارث وأنا عنده, عن قوله: وَجِئْنا بِبِضَاعَةٍ مُزْجاةٍ قال: قلـيـلة, متاع الأعراب: الصوف والسمن.
15118ـ حدثنا إسحاق بن زياد القطان أبو يعقوب البصري, قال: حدثنا مـحمد بن إسحاق البلـخيّ, قال: حدثنا مروان بن معاوية الفزاري, عن مروان بن عمرو العذريّ, عن أبـي إسماعيـل, عن أبـي صالـح, فـي قوله: وَجِئْنا بِبِضَاعَةٍ مُزْجاةٍ قال: الصنوبر والـحبة الـخضراء.

15119ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن مغيرة, عن يزيد بن الوليد, عن إبراهيـم, فـي قوله: وَجِئْنا بِبِضَاعَةٍ مُزْجاةٍ قال: قلـيـلة, ألا تسمع إلـى قوله: «فأوقر ركابنا», وهم يقرؤون كذلك.
حدثنـي يعقوب بن إبراهيـم, قال: حدثنا هشيـم, قال: أخبرنا مغيرة, عن إبراهيـم, أنه قال: ما أراها إلاّ القلـيـلة, لأنها فـي مصحف عبد الله: «وأوقر ركابنا», يعنـي قوله: مزجاة.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جرير, عن القعقاع بن يزيد, عن إبراهيـم, قال: قلـيـلة, ألـم تسمع إلـى قوله: «وأوقر ركابنا».
15120ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمرو بن مـحمد, عن أبـي بكر الهذلـي, عن سعيد بن جبـير والـحسن: بِبِضَاعَةٍ مُزْجاةٍ قال سعيد: الردية. وقال الـحسن: القلـيـلة.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن إدريس, عن يزيد, عن عبد الله بن الـحارث, قال: متاع الأعراب سمن وصوف.
15121ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن إدريس, عن أبـيه, عن عطية, قال: دراهم لـيست بطائل.
15122ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: مُزْجاةٍ قال: قلـيـلة.
حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا شبـابة, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: مُزْجاةٍ قال: قلـيـلة.
حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, مثله.
قال: حدثنا قبـيصة بن عقبة, قال: حدثنا سفـيان, عن يزيد بن أبـي زياد, عن عبد الله بن الـحارث: وَجِئْنا بِبِضَاعَةٍ مُزْجاةٍ قال: شيء من صوف, وشيء من سمن.
15123ـ قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: أخبرنا هشيـم, عن منصور, عن الـحسن, قال: قلـيـلة.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا مـحمد بن بكر, عن ابن جريج, عمن حدثه, عن مـجاهد: مُزْجاةٍ قال: قلـيـلة.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, عن مـجاهد, مثله.
قال: حدثنا الـحسين, قال: حدثنا أبو بكر بن عياش, عن أبـي حصين, عن عكرمة, قال: ناقصة. وقال سعيد بن جبـير: فُسول.

15124ـ قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن أبـي بكر, عن سعيد بن جبـير: وَجِئْنا بِبِضَاعَةٍ مُزْجاةٍ قال: ردية.
15125ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا الـمـحاربـي, عن جويبر, ظن الضحاك, قال: كاسدة لا تنفَق.
حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: أخبرنا هشيـم, عن جويبر, عن الضحاك, قال: كاسدة.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عبدة, عن جويبر, عن الضحاك, قال: كاسدة غير طائل.
حُدثت عن الـحسين بن الفرج, قال: سمعت أبـا معاذ يقول: حدثنا عبـيد, قال: سمعت الضحاك يقول فـي قوله: بِبِضَاعَةٍ مُزْجاةٍ يقول: كاسدة غير نافقة.
حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد الزبـيري, قال: حدثنا إسرائيـل, عن أبـي حصين, عن سعيد بن جبـير: وَجِئْنا بِبِضَاعَةٍ مُزْجاةٍ قال: الناقصة, وقال عكرمة: فـيها تـجوّز.
15126ـ قال: حدثنا إسرائيـل, عن سماك, عن عكرمة, عن ابن عبـاس, قال: الدراهم الردية التـي لا تـجوز إلاّ بنقصان.
15127ـ قال: حدثنا إسرائيـل, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قال: الدراهم الرّذَال التـي لا تـجوز إلاّ بنقصان.
15128ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمرو, عن أسبـاط, عن السديّ, قال: دراهم فـيها جواز.
15129ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَجِئْنا بِبِضَاعَةٍ مُزْجاةٍ: أي يسيرة.
حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة, مثله.
15130ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: وَجِئْنا بِبِضَاعَةٍ مُزْجاةٍ قال: الـمزجاة: القلـيـلة.
15131ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق: وَجِئْنا بِبِضَاعَةٍ مُزْجاةٍ: أي قلـيـلة لا تبلغ ما كنا نشتري به منك, إلاّ أن تتـجاوز لنا فـيها.
وقوله: فَأَوْفِ لَنا الكَيْـلَ بها, وأعطنا بها ما كنت تعطينا قبلُ بـالثمن الـجيد والدراهم الـجائزة الوافـية التـي لا تردّ. كما:
15132ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق: فَأَوْفِ لَنا الكَيْـلَ: أي أعطنا ما كنت تعطينا قبل, فإن بضاعتنا مزجاة.
15133ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمرو, عن أسبـاط, عن السديّ: فَأَوْفِ لَنا الكَيْـلَ قال: كما كنت تعطينا بـالدراهم الـجياد.
وقوله: وَتَصَدّقْ عَلَـيْنا يقول تعالـى ذكره: قالوا: وتفضل علـينا بـما بـين سعر الـجياد والردية, فلا تنقصنا من سعر طعامك لرديّ بضاعتنا. إنّ اللّهَ يَجْزِي الـمُتَصَدّقـينَ يقول: إن الله يثـيب الـمتفضلـين علـى أهل الـحاجة بأموالهم.
وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:
15134ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمرو, عن أسبـاط, عن السديّ: وَتَصَدّقْ عَلَـيْنا قال: تفضل بـما بـين الـجياد والردية.

15135ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن أبي بكر, عن سعيد بن جبير: فَأَوْفِ لَنا الكَيْلَ وَتَصَدّق عَلَيْنا لا تنقصنا من السعر من أجل ردّي دراهمنا.

واختلفوا في الصدقة, هل كانت حلالاً للأنبياء قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم, أو كانت حراما؟ فقال بعضهم: لم تكن حلالاً لأحد من الأنبياء عليهم السلام. ذكر من قال ذلك:

15136ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن أبي بكر, عن سعيد بن جبير, قال: ما سأل نبيّ قط الصدقة, (و) لكنهم قالوا جِئْنا بِبضاعَةٍ مُزْجاةٍ فَأَوْفِ لَنا الكَيْلَ وَتَصَدّقْ عَلَيْنا لا تنقصنا من السعر.

ورُوي عن ابن عيينة ما:

15137ـ حدثني به الحارث, قال: حدثنا القاسم, قال: يحكى عن سفيان بن عيينة أنه سئل: هل حرّمت الصدقة على أحد الأنبياء قبل النبيّ صلى الله عليه وسلم؟ فقال: ألم تسمع قوله: فَأَوْف لَنا الكَيْلَ وَتَصَدّقْ عَلَيْنا إنّ اللّهَ يَجْزِي المُتَصَدّقِينَ.

قال الحارث: قال القاسم: يذهب ابن عيينة إلى أنهم لم يقولوا ذلك إلاّ والصدقة لهم حلال, وهم أنبياء, فإن الصدقة إنما حرمت على محمد صلى الله عليه وسلم, لا عليهم.

وقال آخرون: إنما عنى بقوله: وَتَصَدّقْ عَلَيْنا وتصدّق علينا بردّ أخينا إلينا. ذكر من قال ذلك:

15138ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قوله: وَتَصَدّقْ عَلَيْنا قال: ردّ إلينا أخانا.

وهذا القول الذي ذكرناه عن ابن جريج, وإن كان قولاً له وجه, فليس بالقول المختار في تأويل قوله: وَتَصَدّقْ عَلَيْنا لأن الصدقة في المتعارف: إنما هي إعطاء الرجل ذا الحاجة بعض أملاكه ابتغاء ثواب الله عليه, وإن كان كل معروف صدقة, فتوجيه تأويل كلام الله إلى الأغلب من معناه في كلام من نزل القرآن بلسانه أولى وأحرى.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال مجاهد.

15139ـ حدثني الحارث, قال: حدثنا القاسم, قال: حدثنا مروان بن معاوية, عن عثمان بن الأسود, قال: سمعت مجاهدا, وسئل: هل يكره أن يقول الرجل في دعائه: اللهمّ تصدّق عليّ؟ فقال: نعم, إنما الصدقة لمن يبغي الثواب.

الآية : 89

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ }.

ذُكِر أن يوسف صلوات الله وسلامه عليه لما قال له إخوته: يا أيّها العَزِيزُ مَسّنا وأهْلَنا الضّرّ وَجِئْنا بِبِضَاعَةٍ مُزْجاةٍ فَأَوْفِ لَنا الكَيْلَ وَتَصَدّقْ عَلَيْنا إنّ اللّهَ يَجْزِي المُتَصَدّقِينَ أدركته الرقة وباح لهم بما كان يكتمهم من شأنه. كما:

15140ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: ذُكر لي أنهم لما كلموه بهذا الكلام غلبته نفسه, فارفضّ دمعه باكيا, ثم باح لهم بالذي يكتم منهم, فقال: هَلْ عَلِمْتُمْ ما فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وأخِيهِ إذْ أنْتُمْ

جاهِلُونَ؟ ولـم يعن بذكر أخيه ما صنعه هو فـيه حين أخذه, ولكن للتفريق بـينه وبـين أخيه, إذ صنعوا بـيوسف ما صنعوا.

15141ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ: فَلَـمّا دَخَـلوا عَلَـيْهِ قالُوا يا أيّها العَزِيزُ مَسّنا وأهْلَنا الضّرّ... الآية, قال: فرحمهم عند ذلك, فقال لهم: هَلْ عَلِـمْتُـمْ ما فَعَلْتُـمْ بِـيُوسُفَ وأخِيهِ إذْ أنْتُـمْ جاهِلُونَ؟

فتأويـل الكلام: هل تذكرون ما فعلتـم بـيوسف وأخيه, إذ فرّقتـم بـينهما وصنعتـم ما صنعتـم إذ أنتـم جاهلون, يعنـي فـي حال جهلكم بعاقبة ما تفعلون بـيوسف, وما إلـيه صائر أمره وأمركم؟

الآية : 90

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {قَالُوَاْ أَإِنّكَ لأنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ وَهَـذَا أَخِي قَدْ مَنّ اللّهُ عَلَيْنَآ إِنّهُ مَن يَتّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ }.

يقول تعالـى ذكره: قال إخوة يوسف له حين قال لهم ذلك يوسف: إنّكَ لأَنْتَ يُوسُفَ, فقال: نعم أنا يُوسُفُ وَهَذَا أخِي قَدْ مَنّ اللّهُ عَلَـيْنا بأن جمع بـيننا بعد ما فرّقتـم بـيننا. إنّهُ مَنْ يَتّقِ وَيَصْبِرْ يقول: إنه من يتق الله فـيراقبه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه ويصبر, يقول: ويكفّ نفسه, فـيحبسها عما حرم الله علـيه من قول أو عمل عند مصيبة نزلت به من الله فإنّ اللّهَ لا يُضِيعُ أجْرَ الـمُـحْسِنـينَ يقول: فإن الله لا يبطل ثواب إحسانه وجزاء طاعته إياه فـيـما أمره ونهاه.

وقد اختلف القرّاء فـي قراءة قوله: أَإنكَ لأَنْتَ يُوسُفُ فقرأ ذلك عامة قرّاء الأمصار: أإنّكَ علـى الاستفهام. وذُكر أن ذلك فـي قراءة أبـيّ بن كعب: «أوَ أنْتَ يُوسُفُ». ورُوي عن ابن مـحيصن أنه قرأ: «إنّكَ لأَنْتَ يُوسُفُ» علـى الـخبر, لا علـى الاستفهام.

والصواب من القراءة فـي ذلك عندنا, قراءة من قرأة بـالاستفهام, لإجماع الـحجة من القرّاء علـيه.

15142ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق, قال: لـما قال لهم ذلك, يعنـي قوله: هَلْ عَلِـمْتُـمْ ما فَعَلْتُـمْ بِـيُوسُفُ وأخِيهِ إذْ أنْتُـمْ جاهِلُونَ كَشَف الغطاء فعرفوه, فقالوا: أإنّكَ لأَنْتَ يُوسُفُ... الآية.

15143ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي من سمع عبد الله بن إدريس يذكر, عن لـيث, عن مـجاهد, قوله: إنّهُ مَنْ يَتّقِ وَيَصْبِرْ يقول: من يتق معصية الله ويصبر علـى السجن.

الآية : 91

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {قَالُواْ تَاللّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنّا لَخَاطِئِينَ }.

يقول جلّ ثناؤه: قال إخوة يوسف له: تالله لقد فضلك الله علـينا وآثرك بـالعلـم والـحلـم والفضل, وَإنْ كُنّا لـخاطِئِينَ يقول: وما كنا فـي فعلنا الذي فعلنا بك فـي تفريقنا بـينك وبـين أبـيك وأخيك وغير ذلك من صنـيعنا الذي صنعنا بك, إلاّ خاطئين: يعنون مُخْطئين, يقال منه: خَطِىء فلان يَخْطَأ خَطأً وخِطْأً, وأخطأ يخطىء إخطاءً ومن ذلك قول أمية بن الأسكر:

وإنّ مُهاجِرَيْنِ تَكَنّفـاهُلعَمْرُ اللّهِ قَدْ خَطِئا وَحابـا

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

15144ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمرو, عن أسباط, عن السديّ, قال: لـما قال لهم يوسف: أنا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي اعتذَروا إلـيه, وقالوا: تاللّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللّهُ عَلَـيْنا وَإنْ كُنّا لَـخاطِئِينَ فـيـما كنا صنعنا بك.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: تاللّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللّهُ عَلَـيْنا وذلك بعد ما عرّفهم أنفسهم, يقول: جعلك الله رجلاً حلـيـما.

الآية : 92

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {قَالَ لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرّاحِمِينَ }.

يقول تعالـى ذكره: قال يوسف لإخوته: لا تَثْرِيبَ يقول: لا تغيـير علـيكم ولا إفساد لـما بـينـي وبـينكم من الـحُرْمة وحقّ الأخوّة, ولكن لكم عندي الصفح والعفو.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

15145ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: لا تَثْرِيبَ عَلَـيْكُم لـم يثرّب علـيهم أعمالهم.

15146ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله بن الزّبـير, قوله: لا تَثْرِيبَ عَلَـيْكُمُ الـيَوْمَ قال: قال سفـيان: لا تغيـير علـيكم.

15147ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق: قالَ لا تَثْرِيبَ عَلَـيْكُمُ الـيَوْمَ: أي لا تأنـيب علـيكم الـيوم عندي فـيـما صنعتـم.

15148ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمرو, عن أسباط, عن السديّ, قال: اعتذروا إلـى يوسف, فقال: لا تَثْرِيبَ عَلَـيْكُمُ الـيَوْمَ يقول: لا أذكر لكم ذنبكم.

و قوله: يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أرْحَمُ الرّاحِمِينَ وهذا دعاء من يوسف لإخوته بأن يغفر الله لهم ذنبهم فـيـما أتوا إلـيه وركبوا منه من الظلـم, يقول: عفـا الله لكم عن ذنبكم وظلـمكم, فستره علـيكم وَهُوَ أرْحَمُ الرّاحِمِينَ يقول: والله أرحم الراحيـم لـمن تاب من ذنبه وأناب إلـى طاعته بـالتوبة من معصيته. كما:

15149ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق: يَغْفُر اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أرْحَمُ الرّاحِمينَ حيث اعترفوا بذنبهم.

الآية : 93

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {اذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَـذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىَ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ }.

قال أبو جعفر: ذكر أن يوسف صلى الله عليه وسلم لـما عرّف نفسه إخوته, سألهم عن أبـيهم, فقالوا: ذهب بصره من الـحزن. فعند ذلك أعطاهم قميصه وقال لهم: اذْهَبُوا بقَمِيصِي هَذَا. ذكر من قال ذلك:

15150ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمرو, عن أسباط, عن السديّ, قال: قال لهم يوسف: ما فعل أبـي بعدي؟ قالوا: لـما فـاته بنـيامين عمي من الـحزن. قالَ: اذْهَبُوا بقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ علـى وَجْهِ أبِـي يَأتِ بَصِيرا وأْتُونِـي بأَهْلِكُمْ أجمَعِينَ.

وقوله: يَأتِ بَصِيرا يقول: يعد بصيرا. وأْتُونـي بأهْلِكُمْ أجمَعِينَ يقول: وجيئونـي بجميع أهلكم.

الآية : 94

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَلَمّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنّي لأجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَن تُفَنّدُونِ }.

يقول تعالـى ذكره: ولـما فصلت عير بنـي يعقوب من عند يوسف متوجهة إلـى يعقوب, قال أبوهم يعقوب: إنّـي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ذكر أن الريح استأذنت ربها فـي أن تأتـي يعقوب بريح يوسف قبل أن يأتـيه البشير, فأذن لها, فأتته بها. ذكر من قال ذلك:

15151ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: ثنـي أبو شريح, عن أبـي أيوب الهوزنـي, حدثه, قال: استأذنت الريح أن تأتـي يعقوب بريح يوسف حين بعث بـالقميص إلـى أبـيه قبل أن يأتـيه البشير, ففعل, قال يعقوب: إنّـي لأجِدُ ريحَ يُوسُفَ لَوْلا أنْ تُفَنّدُونِ.

15152ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن إسرائيـل, عن أبـي سنان, عن ابن أبـي الهذيـل, عن ابن عبـاس, فـي قوله: وَلـمّا فَصَلَتِ العِيرُ قالَ أبُوهُمْ إنّـي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلا أنْ تُفَنّدُونِ قال: هاجت ريح, فجاءت بريح يوسف من مسيرة ثمان لـيال, فقال: إنّـي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلا أنْ تُفَنّدُونِ.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبـي, عن إسرائيـل, عن أبـي سنان, عن ابن أبـي الهذيـل, عن ابن عبـاس: وَلـمّا فَصَلَتِ العِيرُ قال: هاجت ريح, فجاءت بريح قميص يوسف من مسيرة ثمان لـيال.

حدثنـي أبو السائب, قال: حدثنا ابن فضيـل, عن ضرار, عن ابن أبـي الهذيـل, قال: سمعت ابن عبـاس يقول: وجد يعقوب ريح يوسف, وهو منه علـى مسيرة ثمان لـيال.

حدثنا ابن وكيع والـحسن بن مـحمد, قالا: حدثنا سفـيان بن عيـينة, عن أبـي سنان, عن ابن أبـي الهذيـل, قال: كنت إلـى جنب ابن عبـاس, فسئل: مِن كم وجدَ يعقوب ريح القميص؟ قال: من مسيرة سبع لـيال أو ثمان لـيال.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جرير, عن أبـي سنان, عن أبـي الهذيـل, قال: قال لـي أصحابـي: إنك تأتـي ابن عبـاس, فسله لنا, قال: فقلت: ما أسأله عن شيء, ولكن أجلس خـلف السرير فـيأتـيه الكوفـيون فـيسألون عن حاجتهم وحاجتـي, فسمعته يقول: وجد يعقوب ريح قميص يوسف من مسيرة ثمان لـيال, قال ابن أبـي الهذيـل: فقلت: ذاك كمكان البصرة من الكوفة.

حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا علـيّ بن عاصم, عن ضرار بن مرّة, عن عبد الله بن أبـي الهذيـل, قال: سمعت ابن عبـاس يقول: وجد يعقوب ريح قميص يوسف من مسيرة ثمان لـيال. قال: فقلت فـي نفسي: هذا كمكان البصرة من الكوفة.

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبـي, عن سفـيان, عن أبـي سنان, عن ابن أبـي الهذيـل, عن ابن عبـاس, فـي قوله: إنّـي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ قال: وجد ريح قميص يوسف من مسيرة ثمان لـيال. قال: قلت له: ذاك كما بـين البصرة إلـى الكوفة. واللفظ لـحديث أبـي كريب.

حدثنا الـحسين بن مـحمد, قال: حدثنا عاصم وعلـي, قالا: أخبرنا شعبة, قال: أخبرنـي أبو سنان, قال: سمعت عبد الله بن أبـي الهذيـل, عن ابن

عبـاس فـي هذه الآية: إنّـي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ قال: وجد ريحه من مسيرة ما بـين البصرة إلـى الكوفة.
حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا آدم العسقلانـي, قال: حدثنا شعبة, قال: حدثنا أبو سنان, قال: سمعت عبد الله بن أبـي الهذيـل يحدث عن ابن عبـاس, مثله.
قال: حدثنا أبو نعيـم, قال: حدثنا سفـيان, عن أبـي سنان, عن عبد الله بن أبـي الهذيـل, قال: كنا عند ابن عبـاس فقال: إنّـي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ قال: وجد ريح قميصه من مسيرة ثمان لـيال.
حدثنا الـحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا إسرائيـل, عن أبـي سنان, عن عبد الله بن أبـي الهذيـل, قال: سمعت ابن عبـاس يقول: وَلـما فَصَلَتِ العِيرُ قال: لـما خرجت العير هاجت ريح فجاءت يعقوب بريح قميص يوسف, فقال: إنّـي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلا أنْ تُفَنّدُونِ قال: فوجد ريحه من مسيرة ثمان لـيال.
15153ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, عن الـحسن: ذكر لنا أنه كان بـينهما يومئذٍ ثمانون فرسخا, يوسف بأرض مصر ويعقوب بأرض كنعان, وقد أتـى لذلك زمان طويـل.
15154ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, قوله: إنّـي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ قال: بلغنا أنه كان بـينهم يومئذٍ ثمانون فرسخا, وقال: إنّـي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ وكان قد فـارقه قبل ذلك سبعا وسبعين سنة.
حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفـيان, عن أبـي سنان, عن عبد الله بن أبـي الهذيـل عن ابن عبـاس, فـي قوله: إنّـي لأَجِدُ رَيحَ يُوسُفَ قال: وجد ريح قميص من مسيرة ثمانـية أيام.
قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا إسرائيـل, عن أبـي سنان, عن عبد الله بن أبـي الهذيـل, عن ابن عبـاس, قوله: وَلـمّا فَصَلَتِ العِيرُ قال: فلـما خرجت العير هبّت ريح, فذهبت بريح قميص يوسف إلـى يعقوب, فقال: إنّـي لأجِدُ رِيحَ يُوسُفَ قال: ووجد ريح قميصه من مسيرة ثمانـية أيام.
15155ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق قال: لـما فصلت العير من مصر استروح يعقوب ريح يوسف, فقال لـمن عنده من ولده: إنّـي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلا أنْ تُفَنّدُونِ.
وأما قوله: لَوْلا أنْ تُفَنّدُونِ فإنه يعنـي: لولا أن تُعَنّفُونـي, وتُعَجّزونـي, وتلُومونـي, وتكذّبونـي ومنه قول الشاعر:
يا صاحِبَـيّ دَعا لَوْمي وتَفْنِـيدِيفلَـيْس ما فـاتَ من أمْرِي بـمرْدودِ
ويقال: أفند فلانا الدهر, وذلك إذا أفسده ومنه قول ابن مقبل:
دَع الدّهرَ يفْعَلْ ما أرَاد فإنّهإذا كُلِّفَ الإفْنادَ بـالنّاس أفْنَدا
واختلف أهل التأويـل فـي معناه, فقال بعضهم: معناه: لولا أن تسفهونـي. ذكر من قال ذلك:
15156ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن عيـينة, عن أبـي سنان, عن ابن أبـي الهذيـل, عن ابن عبـاس: لَوْلا أنْ تُفَنّدُونِ قال: تسفهون.
حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبـي, عن إسرائيـل, عن أبـي سنان عن ابن أبـي الهذيـل, عن ابن عبـاس, مثله.

15157ـ وبه قال: حدثنا أبـي, عن سفـيان, عن خَصيف, عن مـجاهد: لَوْلا أنْ تُفَنّدُونِ قال: تسفهون.
15158ـ حدثنـي الـمثنى وعلـيّ بن داود, قالا: حدثنا عبد الله, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله: لَوْلا أنْ تُفَنّدُونِ يقول: تـجهلون.
حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا إسرائيـل, عن أبـي سنان, عن عبد الله بن أبـي الهذيـل, عن ابن عبـاس: لَوْلا أنْ تُفَنّدُونِ قال: لولا أن تسفهون.
حدثنا أحمد, قال: حدثنا أبو أحمد وحدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو نعيـم, قالا: جميعا, حدثنا سفـيان, عن خَصِيف, عن مـجاهد: لَوْلا أنْ تُفَنّدُونِ قال: لولا أن تسفهون.
15159ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا الـحِمّانـي, قال: حدثنا شريك, عن أبـي سنان, عن سعيد بن جبـير, عن ابن عبـاس, وسالـم عن سعيد: لَوْلا أنْ تُفَنّدُونْ قال أحدهما: تسفهون, وقال الآخر: تكذّبون.
15160ـ حدثنـي يعقوب, قال: حدثنا هشيـم, قال: أخبرنا عبد الـملك بن أبـي سلـيـمان, عن عطاء: لَوْلا أنْ تُفَنّدُونِ قال: لولا أن تكذّبون, لولا أن تسفهون.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يزيد بن هارون, عن عبد الـملك, عن عطاء, قال: تسفهون.
15161ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: لَوْلا أنْ تُفَنّدُونِ يقول: لولا أن تسفهون.
حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: لَوْلا أنْ تُفَنّدونِ يقول: لولا أن تسفهون.
حدثنا الـحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا إسرائيـل, عن أبـي سنان, عن عبد الله بن أبـي الهذيـل, قال: سمعت ابن عبـاس يقول: لَوْلا أنْ تُفَنّدُونِ يقول: تسفهون.
15162ـ حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا شبـابة, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: لَوْلا أنْ تُفَنّدُونِ قال: ذهب عقله.
حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: لَوْلا أنْ تُفَنّدُونِ قال: قد ذهب عقله.
حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد وحدثنـي الـمثنى قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: لَوْلا أنْ تُفَنّدُونِ قال: قد ذهب عقله.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, عن مـجاهد: لَوْلا أنْ تُفَنّدُونِ قال لولا أن تقولوا: ذهب عقلك.
15163ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق: لَوْلا أنْ تُفَنّدُونِ يقول: لولا أن تضعفونـي.
15164ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: لَوْلا أنْ تُفَنّدُونِ قال: الذي لـيس له عقل ذلك الـمفند, يقولون لا يعقل.
وقال آخرون: معناه: لولا أن تكذّبون. ذكر من قال ذلك:

15165ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا سويد بن عمرو الكلبـي, عن شريك, عن سالـم: لَوْلا أنْ تُفَنّدُونِ قال: تكذبون.
15166ـ قال: حدثنا عمرو, عن أسبـاط, عن السديّ, قال: لولا أن تهرّمون وتكذّبون.
15167ـ قال: حدثنا مـحمد بن بكر, عن ابن جريج, قال: بلغنـي عن مـجاهد, قال: تكذّبون.
15168ـ قال: حدثنا عبدة وأبو خالد, عن جويبر, عن الضحاك, قال: لولا أن تكذّبون.
حُدثت عن الـحسين, قال: سمعت أبـا معاذ, يقول: حدثنا عبـيد بن سلـيـمان, قال: سمعت الضحاك يقول فـي قوله: لَوْلا تُفَنّدُونِ تكذّبون.
15169ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا عمرو, قال: أخبرنا هشيـم, عن عبد الـملك, عن عطاء, فـي قوله: لَوْلا أنْ تُفَنّدُونِ قال: تسفهون أو تكذّبون.
15170ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: لَوْلا أنْ تُفَنّدُونِ يقول: تكذّبون.
وقال آخرون: معناه تهرّمون. ذكر من قال ذلك:
15171ـ حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا إسرائيـل, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: لَوْلا أنْ تُفَنّدُونِ قال: لولا أن تهرّمون.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عبـيد الله, عن إسرائيـل, عن أبـي يحيى, عن مـجاهد, مثله.
15172ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, عن الـحسن, قال: تُهرّمون.
حدثنـي يعقوب, قال: حدثنا هشيـم, قال: أخبرنا أبو الأشهب, عن الـحسن: لَوْلا أنْ تُفَنّدُونِ قال: تهرمون.
حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: أخبرنا هشيـم, عن أبـي الأشهب وغيره, عن الـحسن, مثله.
وقد بـيّنا أن أصل التفنـيد: الإفساد. وإذا كان ذلك كذلك فـالضعف والهرم والكذب وذهاب العقل وكل معانـي الإفساد تدخـل فـي التفنـيد, لأن أصل ذلك كله الفساد, والفساد فـي الـجسم: الهرم وذهاب العقل والضعف, وفـي الفعل الكذب واللوم بـالبـاطل, ولذلك قال جرير بن عطية:
يا عاذلـيّ دَعا الـمَلام وأقْصِرَا طالَ الهَوَى وأطلْتُـما التّفْنِـيدا
يعنـي الـملامة. فقد تبـين إذ كان الأمر علـى ما وصفنا أن الأقوال التـي قالها مَن ذكرنا قوله فـي قوله: لَوْلا أنْ تُفَنّدُونِ علـى اختلاف عبـاراتهم عن تأويـله, متقاربة الـمعانـي, مـحتـمل جميعها ظاهر التنزيـل, إذ لـم يكن فـي الآية دلـيـل علـى أنه معنـيّ به بعض ذلك دون بعض.

الآية : 95

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {قَالُواْ تَاللّهِ إِنّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ الْقَدِيمِ }.
يقول تعالـى ذكره: قال الذين قال لهم يعقوب من ولده إنّـي لأَجِدَ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلا أنْ تُفَنّدُونِ تالله أيها الرجل, إنك من حبّ يوسف وذكره, لَفـي خطئك وزللك القديـم لا تنساه, ولا تتسلّـى عنه.
وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

15173ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله: إنّكَ لَفِـي ضَلالِكَ القَدِيـمِ يقول: خطئك القديـم.
15174ـ حدثنا بشرٍ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: قالُوا تاللّهِ إنّكَ لَفِـي ضَلالِكَ القَديـمِ أي من حبّ يوسف لا تنساه ولا تسلاه, قالوا لوالدهم كلـمة غلـيظة لـم يكن ينبغي لهم أن يقولوها لوالدهم ولا لنبـيّ الله صلى الله عليه وسلم.
15175ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمرو, عن أسبـاط, عن السديّ: قالُوا تاللّهِ إنّكَ لَفِـي ضَلالِكَ القَدِيـمِ قال: فـي شأن يوسف.
15176ـ حدثنا أحمد, قال: حدثنا أبو أحمد, قال قال سفـيان: تاللّهِ إنّكَ لَفِـي ضَلالِكَ القَدِيـمِ قال: من حبك لـيوسف.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمرو, عن سفـيان, نـحوه.
15177ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج: قالُوا تاللّهِ إنّكَ لَفِـي ضَلالِكَ القَدِيـمِ قال: فـي حبك القديـم.
15178ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق: قالُوا تاللّهِ إنّكَ لَفِـي ضَلالِكَ القَدِيـم أي إنك لـمن ذكر يوسف فـي البـاطل الذي أنت علـيه.
15179ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: تاللّهِ إنّكَ لَفِـي ضَلالِكَ القَدِيـم قال: يعنون: حزنه القديـم علـى يوسف, وفـي ضلالك القديـم: لفـي خطئك القديـم.

الآية : 96

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {فَلَمّآ أَن جَآءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىَ وَجْهِهِ فَارْتَدّ بَصِيراً قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لّكُمْ إِنّيَ أَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ }.
يقول تعالـى ذكره: فلـما أن جاء يعقوبَ البشيرُ من عند ابنه يوسف, وهو الـمبشر برسالة يوسف, وذلك بريد فـيـما ذكر كان يوسف يردّه إلـيه, وكان البريد فـيـما ذكر والبشير يهوذا بن يعقوب أخا يوسف لأبـيه. ذكر من قال ذلك:
15180ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: فَلَـمّا أنْ جاءَ البَشِيرُ ألْقاهُ علـى وَجْهِهِ يقول: البشير: البريد.
15181ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: حدثنا هشيـم, قال: أخبرنا جويبر عن الضحاك: فَلَـمّا أنْ جاءَ البَشِيرُ قال: البريد.
حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا مـحمد بن يزيد الواسطي, عن جويبر, عن الضحاك: فَلَـمّا أنْ جاءَ البَشِيرُ قال: البريد.
15182ـ قال: حدثنا شبـابة, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: فَلَـمّا أنْ جاءَ البَشِيرُ قال: يهوذا بن يعقوب.
حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: البَشِيرُ قال: يهوذا بن يعقوب.
حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قال: يهوذا بن يعقوب.
قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قال: هو يهوذا بن يعقوب.

15183ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج: فَلَـمّا أنْ جاءَ البَشِيرُ قال: يهوذا بن يعقوب كان البشير.
حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله بن الزبـير, عن سفـيان, عن ابن جريج, عن مـجاهد: فَلَـمّا أنْ جاءَ البَشِيرُ قال: هو يهوذا بن يعقوب.
قال سفـيان: وكان ابن مسعود يقرأ: وجاء البشير من بـين يدي العير.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا الـمـحاربـي, عن جويبر, عن الضحاك: فَلَـمّا أنْ جاءَ البَشِيرُ قال: البريد هو يهوذا بن يعقوب.
15184ـ قال: حدثنا عمرو, عن أسبـاط, عن السديّ, قال: قال يوسف: اذْهَبُوا بقَمِيصِي هَذَا فألْقُوهُ علـى وَجْهِ أبـي يَأْتِ بَصِيرا وأْتُونِـي بأهْلِكُمْ أجمَعِينَ قال يهوذا: أنا ذهبت بـالقميص ملطخا بـالدم إلـى يعقوب فأخبرته أن يوسف أكله الذئب, وأنا أذهب الـيوم بـالقميص وأخبره أنه حيّ فأفرّحه كما أحزنته. فهو كان البشير.
حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا هشيـم, عن جويبر, عن الضحاك: فَلَـمّا أنْ جاءَ البَشِيرُ قال: البريد.
وكان بعض أهل العربـية من أهل الكوفة يقول: «أن» فـي قوله: فَلَـمّا أنْ جاءَ البَشِيرُ وسقوطها بـمعنى واحد, وكان يقول هذا فـي «لـما» و «حتـى» خاصة, ويذكر أن العرب تدخـلها فـيهما أحيانا وتسقطها أحيانا, كما قال جلّ ثناؤه: ولَـمّا أنْ جاءَتْ رُسُلُنا, وقال فـي موضع آخر: ولَـمّا جاءَتْ رُسُلُنا وقال: هي صلة لا موضع لها فـي هذين الـموضعين, يقال: حتـى كان كذا وكذا, وحتـى أن كان كذا وكذا.
وقوله: ألْقاهُ علـى وَجْهِهِ يقول: ألقـى البشير قميص يوسف علـى وجه يعقوب. كما:
15185ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق: فَلَـمّا أنْ جاءَ البَشِيرُ ألقـى القميص علـى وجهه.
وقوله: فـارْدَتدّ بَصِيرا يقول: رجع وعاد مبصرا بعينـيه بعد ما قد عمي. قالَ أَلـمْ أَقُلْ لَكُمْ إنّـي أَعْلَـمُ مِنَ اللّهِ ما لا تَعْلَـمُونَ يقول عزّ وجلّ: قال يعقوب لـمن كان بحضرته حينئذٍ من ولده: ألـم أقل لكم يا بنـيّ إنى أعلـم من الله أنه سيردّ علـيّ يوسف, ويجمع بـينـي وبـينه, وكنتـم لا تعلـمون أنتـم من ذلك ما كنت أعلـمه, لأن رؤيا يوسف كانت صادقة, وكان الله قد قضى أن أخِرّ أنا وأنتـم له سجودا, فكنت موقنا بقضائه.

الآية : 97-98

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {قَالُواْ يَأَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنّا كُنّا خَاطِئِينَ * قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبّيَ إِنّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرّحِيمُ }.
يقول تعالـى ذكره: قال ولد يعقوب الذين كانوا فرّقوا بـينه وبـين يوسف: يا أبـانا سل لنا ربك يعف عنا ويستر علـينا ذنوبنا التـي أذنبناها فـيك وفـي يوسف فلا يعاقبنا بها فـي القـيامة إنّا كُنّا خاطِئِينَ فـيـما فعلنا به, فقد اعترفنا بذنوبنا. قال: سَوْفَ أسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبّـي يقول جل ثناؤه: قال يعقوب: سوف أسأل ربـي أن يعفو عنكم ذنوبكم التـي أذنبتـموها فـيّ وفـى يوسف.
ثم اختلف أهل التأويـل فـي الوقت الذي أخر الدعاء إلـيه يعقوب لولده بـالاستغفـار لهم من ذنبهم, فقال بعضهم: أخر ذلك إلـى السحر. ذكر من قال ذلك:

15186ـ حدثنـي أبو السائب, قال: حدثنا ابن إدريس, قال: سمعت عبد الرحمن بن إسحاق, يذكر, عن مـحارب ابن دثار, قال: كان عمّ لـي يأتـي الـمسجد, فسمع إنسانا يقول: اللهمّ دعوتنـي فأجبت وأمرتنـي فأطعت, وهذا سَحَرٌ, فـاغفر لـي قال: فـاستـمع الصوت فإذا هو من دار عبد الله بن مسعود, فسأل عبد الله عن ذلك, فقال: إن يعقوب أخّر بنـيه إلـى السحر بقوله: سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبّـي.

15187ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن فضيـل, عن عبد الرحمن بن إسحاق, عن مـحارب بن دثار, عن عبد الله بن مسعود: سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبّـي قال: أخرهم إلـى السحر.

15188ـ قال: حدثنا أبو سفـيان الـحميريّ, عن العوام, عن إبراهيـم التـيـميّ فـي قول يعقوب لبنـيه: سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبّـي قال: أخرهم إلـى السّحر.

15189ـ قال: حدثنا عمرو, عن خلاد الصّفّـار, عن عمرو بن قـيس: سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبّـي قال: فـي صلاة اللـيـل.

15190ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج: سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبّـي قال: أخرّ ذلك إلـى السّحرَ.

وقال آخرون: أخّر ذلك إلـى لـيـلة الـجمعة. ذكر من قال ذلك:

15191ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا سلـيـمان بن عبد الرحمن أبو أيوب الدمشقـي, قال: حدثنا الولـيد, قال: أخبرنا ابن جُريج, عن عطاء وعكرمة, عن ابن عبـاس, عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبّـي يقول: «حَتّـى تَأْتِـيَ لَـيْـلَةُ الـجُمُعَةِ. وهو قَوْلُ أخي يَعْقُوبَ لبَنِـيهِ».

حدثنا أحمد بن الـحسن الترمذي, قال: حدثنا سلـيـمان بن عبد الرحمن الدمشقـيّ, قال: حدثنا الولـيد بن مسلـم, قال: أخبرنا ابن جريج, عن عطاء وعكرمة مولـى ابن عبـاس, عن ابن عبـاس, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قَدْ قالَ أخِي يَعْقُوبُ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبّـي, يَقُولُ: حتـى تَأْتـيَ لَـيْـلَةُ الـجُمُعَة».

وقوله: إنّهُ هُوَ الغَفُورُ الرّحِيـمُ يقول: إن ربّـي هو الساتر علـى ذنوب التائبـين إلـيه من ذنوبهم الرحيـم بهم أن يعذّبهم بعد توبتهم منها.

الآية : 99-100

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {فَلَمّا دَخَلُواْ عَلَىَ يُوسُفَ آوَىَ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ اللّهُ آمِنِينَ * وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرّواْ لَهُ سُجّدَاً وَقَالَ يَأَبَتِ هَـذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبّي حَقّاً وَقَدْ أَحْسَنَ بَيَ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السّجْنِ وَجَآءَ بِكُمْ مّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نّزغَ الشّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيَ إِنّ رَبّي لَطِيفٌ لّمَا يَشَآءُ إِنّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ }.

يقول جلّ ثناؤه: فلـما دخـل يعقوبُ وولده وأهلوهم علـى يوسف آوَى إِلَـيْهِ أَبَوَيْهِ يقول: ضمّ إلـيه أبويه, فقال لهم: ادْخُـلُوا مِصْرَ إنْ شاءَ اللّهُ آمِنِـينَ.

فإن قال قائل: وكيف قال لهم يوسف: ادْخُـلُوا مِصْر إنْ شاءَ اللّهُ آمِنِـينَ بعد ما دخـلوها, وقد أخبر الله عزّ وجلّ عنهم أنهم لـما دخولها علـى يوسف وضمّ إلـيه أبويه قال لهم هذا القول؟ قـيـل: قد اختلف أهل التأويـل فـي ذلك فقال بعضهم: إن يعقوب إنـما دخـل علـى يوسف هو وولده, وآوى يوسف أبويه إلـيه قبل دخول مصر, قالوا: وذلك أن يوسف تلقـى أبـاه

تكرمة له قبل أن يدخـل مصر, فآواه إلـيه, ثم قال له ولـمن معه: ادْخُـلُوا مِصْرَ إنْ شاءَ اللّهُ آمِنِـينَ بها قبل الدخول. ذكر من قال ذلك:

15192ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمرو, عن أسبـاط, عن السديّ: فحملوا إلـيه أهلهم وعيالهم, فلـما بلغوا مصر كلـم يوسف الـملك الذي فوقه, فخرج هو والـملوك يتلقونهم, فلـما بلغوا مصر قال ادْخُـلُوا مِصْرَ إنْ شاءَ اللّهُ آمِنِـينَ فَلَـمّا دَخَـلُوا علـى يُوسُفَ آوَى إلَـيْهِ أَبَوَيْهِ.

15193ـ حدثنـي الـحارث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا جعفر بن سلـيـمان, عن فرقد السبخيّ, قال: لـما ألقـي القميص علـى وجهه ارتدّ بصيرا, وقال: ائتونـي بأهلكم أجميعن فحُمل يعقوب وإخوة يوسف فلـما دنا أُخبر يوسف أنه قد دنا منه, فخرج يتلقاه. قال: وركب معه أهل مصر, وكانوا يعظمونه فلـما دنا أحدهما من صاحبه, وكان يعقوب يـمشي وهو يتوكأ علـى رَجل من ولده يقال له يهوذا, قال: فنظر يعقوب إلـى الـخيـل والناس, فقال: يا يهوذا هذا فرعون مصر؟ قال: لا, هذا ابنك. قال: فلـما دنا كل واحد منهما من صاحبه, فذهب يوسف يبدؤه بـالسلام, فمنع من ذلك, وكان يعقوب أحقّ بذلك منه وأفضل, فقال: السلام علـيك يا ذاهب الأحزان عنـي, هكذا قال: «يا ذاهب الأحزان عنـي».

15194ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: قال حجاج: بلغنـي أن يوسف والـملك خرجا فـي أربعة آلاف يستقبلون يعقوب وبنـيه.

قال: وحدثنـي من سمع جعفر بن سلـيـمان يحكي, عن فرقد السبخيّ, قال: خرج يوسف يتلقـى يعقوب وركب أهل مصر مع يوسف, ثم ذكر بقـية الـحديث, نـحو حديث الـحارث, عن عبد العزيز.

وقال آخرون: بل قوله: إنْ شاءَ اللّهُ استثناء من قول يعقوب لبنـيه أسْتَغفِرُ لَكُمْ رَبّـي قال: وهو من الـمؤخر الذي معناه التقديـم, قالوا: وإنـما معنى الكلام: قال: أستغفر لكم ربـي إن شاء الله إنه هو الغفور الرحيـم. فَلَـمّا دَخَـلُوا علـى يُوسُفَ آوَى إلَـيْهِ أَبَوَيْهِ وقالَ ادْخـلوا مصْر ورفع أبويه. ذكر من قال ذلك:

15195ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج: قالَ سَوْفَ أسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبّـي إن شاء الله آمنـين. وبـين ذلك ما بـينه من تقديـم القرآن.

يعنـي ابن جريج: «وبـين ذلك ما بـينه من تقديـم القرآن» أنه قد دخـل بـين قوله: سَوْفَ أسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبّـي وبـين قوله: إنْ شاءَ اللّهُ من الكلام ما قد دخـل, وموضعه عنده أن يكون عقـيب قوله: سَوْفَ أسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبّـي.

والصواب من القول فـي ذلك عندنا ما قاله السّديّ, وهو أن يوسف قال ذلك لأبويه ومن معهما من أولادهما وأهالـيهم قبل دخولهم مصر حين تلقاهم, لأن ذلك فـي ظاهر التنزيـل كذلك, فلا دلالة تدلّ علـى صحة ما قال ابن جريج, ولا وجه لتقديـم شيء من كتاب الله عن موضعه أو تأخيره عن مكانه إلا بحجة واضحة.

وقـيـل: عُنِـي بقوله: آوَى إلَـيْهِ أبَوَيْهِ: أبوه وخالته. وقال الذين قالوا هذا القول: كانت أمّ يوسف قد ماتت قبلُ. وإنـما كانت عند يعقوب يومئذٍ خالته أخت أمه, كان نكحها بعد أمه. ذكر من قال ذلك:

15196ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمرو, عن أسبـاط, عن السديّ: فَلَـمّا دَخَـلُوا علـى يُوسُفَ آوَى إلَـيْهِ أَبَوَيْهِ قال: أبوه وخالته.

وقال آخرون: بل كان أبـاه وأمه. ذكر من قال ذلك:
15197ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق: فَلَـمّا دَخَـلُوا علـى يُوسُفَ آوَى إلَـيْهِ أبَوَيْهِ قال: أبـاه وأمه.
وأولـى القولـين فـي ذلك بـالصواب ما قاله ابن إسحاق لأن ذلك هو الأغلب فـي استعمال الناس والـمتعارف بـينهم فـي «أبوين», إلا أن يصحّ ما يقال من أن أم يوسف كانت قد ماتت قبل ذلك بحجة يجب التسلـيـم لها, فـيسلّـم حينئذٍ لها.
وقوله: وَقالَ ادْخُـلُوا مِصْرَ إنْ شاءَ اللّهُ آمِنِـينَ مـما كنتـم فـيه فـي بـاديتكم من الـجدب والقحط.
وقوله: وَرَفَعَ أبَوَيْهِ علـى العَرْشِ يعنـي: علـى السرير. كما:
15198ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمرو, عن أسبـاط, عن السديّ: وَرَفَعَ أبَوَيْهِ علـى العَرْشِ قال: السرير.
15199ـ حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا مـحمد بن يزيد الواسطيّ, عن جويبر, عن الضحاك, قال: العرش: السرير.
15200ـ قال: حدثنا شبـابة, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: وَرَفَعَ أبَوَيْهِ علـى العَرْشِ قال: السرير.
حدثنا مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, مثله.
حدثنـي الـمثنى, قال: أخبرنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل عن ابن أبـي نـجيح عن مـجاهد, وحدثنـي الـمثنى قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد مثله.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, عن مـجاهد, مثله.
حدثنـي الـمثنى, قال: أخبرنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد وحدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, مثله.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, عن مـجاهد, مثله.
15201ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَرَفَعَ أبَوَيْهِ علـى العَرْشِ قال: سريره.
حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: عَلـى العَرْشِ قال: علـى السرير.
15202ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس: وَرَفَعَ أبَوَيْهِ علـى العَرْشِ يقول: رفع أبويه علـى السرير.
15203ـ حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: قال سفـيان: وَرَفَعَ أبَوَيْهِ علـى العَرْشِ قال: علـى السرير.
15204ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: وَرَفَعَ أبَوَيْهِ علـى العَرْشِ قال: مـجلسه.
15205ـ حدثنـي ابن عبد الرحيـم البرقـيّ, قال: حدثنا عمرو بن أبـي سلـمة, قال: سألت زيد بن أسلـم, عن قول الله تعالـى: وَرَفَعَ أبَوَيْهِ علـى

العَرْشِ فقلت: أبلغك أنها خالته, قال: قال ذلك بعض أهل العلـم, يقولون: إن أمه ماتت قبل ذلك وإن هذه خالته.

وقوله: وخَرّوا لَهُ سُجّدا يقول: وخرّ يعقوبُ وولده وأمه لـيوسف سجدا.

15206ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس: وخَرّوا لَهُ سُجّدا يقول: رفع أبويه علـى السرير, وسجدا له, وسجد له إخوته.

15207ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق, قال: تَـحَمّلَ يعنـي يعقوب بأهله حتـى قدموا علـى يوسف فلـما اجتـمع إلـى يعقوب بنوه دخـلوا علـى يوسف فلـما رأوه وقعوا له سجودا, وكانت تلك تـحية الـملوك فـي ذلك الزمان أبوه وأمه وإخوته.

15208ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: وَخَرّوا لَهُ سُجّدا وكانت تـحية من قبلكم, كان بها يحيـيّ بعضهم بعضا, فأعطى الله هذه الأمة السلام, تـحية أهل الـجنة, كرامة من الله تبـارك وتعالـى عَجّلَها لهم ونعمة منه.

15209ـ حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: وَخَرّوا لَهُ سُجّدا قال: وكانت تـحية الناس يومئذٍ أن يسجد بعضهم لبعض.

15210ـ حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو إسحاق, قال: قال سفـيان: وَخَرّوا لَهُ سُجّدا قال: كانت تـحية فـيهم.

15211ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج: وَخَرّوا لَهُ سُجّدا أبواه وإخوته, كانت تلك تـحيتهم كما تصنع ناس الـيوم.

15212ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا الـمـحاربـيّ, عن جويبر, عن الضحاك: وَخَرّوا لَهُ سُجّدا قال: تـحية بـينهم.

15213ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد فـي قوله: وَخَرّوا لَهُ سُجّدا قال: قال ذلك السجود تشرفه, كما سجدت الـملائكة لآدم تشرفة لـيس بسجود عبـادة.

وإنـما عني من ذكر بقوله: إن السجود كان تـحية بـينهم, أن ذلك كان منهم علـى الـخُـلُق لا علـى وجه العبـادة من بعضهم لبعض. ومـما يدلّ علـى أن ذلك لـم يزل من أخلاق الناس قديـما علـى غير وجه العبـادة من بعضهم لبعض, قول أعشى بنـي ثعلبة:

فَلَـمّا أتانا بُعَيْدَ الكَرَى سَجَدْنا لَهُ وَرَفَعْنا العَمَارَا

وقوله: يا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيـلُ رُؤْيايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَها رَبّـي حَقّا يقول جلّ ثناؤه: قال يوسف لأبـيه: يا أبت هذا السجود الذي سجدت أنت وأمي وإخوتـي لـي تَأْوِيـلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ يقول: ما آلت إلـيه رؤياي التـي كنت رأيتها. وهي رؤياه التـي كان رآها قبل صنـيع إخوته ما صنعوا, أن أحد عشر كوكبـا والشمس والقمر له ساجدون. قَدْ جَعَلَها رَبّـي حَقّا يقول: قد حققها ربـي لـمـجيء تأويـلها علـى الصحة.

وقد اختلف أهل العلـم فـي قدر الـمدّة التـي كانت بـين رؤيا يوسف وبـين تأويـلها فقال بعضهم: كانت مدة ذلك أربعين سنة. ذكر من قال ذلك:

15214ـ حدثني محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا المعتمر, عن أبيه, قال: حدثنا أبو عثمان, عن سلمان الفارسيّ, قال: كان بين رؤيا يوسف إلى أن رأى تأويلها أربعون سنة.

15215ـ حدثني يعقوب بن برهان ويعقوب بن إبراهيم, قالا: حدثنا ابن عُلَيَة, قال: حدثنا سليمان التيميّ, عن أبي عثمان النهديّ, قال: قال عثمان: كانت بين رؤيا يوسف وبين أن رأى تأويله, قال: فذكر أربعين سنة.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن عُلَية, عن التيميّ, عن أبي عثمان, عن سلمان, قال: كان بين رؤيا يوسف وتأويلها أربعون سنة.

15216ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو نعيم, قال: حدثنا سفيان, عن أبي سنان, عن عبد الله بن شدّاد, قال: رأى تأويل رؤياه بعد أربعين عاما.

قال: حدثنا سفيان, عن سليمان التيمي, عن أبي عثمان, عن سلمان, مثله.

15217ـ حدثني أبو السائب, قال: حدثنا ابن فضيل, عن ضرار, عن عبد الله بن شداد أنه سمع قوما يتنازعون في رؤيا رآها بعضهم وهو يصلي, فلما انصرف سألهم عنها, فكتموه فقال: أما إنه جاء تأويل رؤيا يوسف بعد أربعين عاما.

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن إسرائيل, عن ضرار بن مرّة أبي سنان, عن عبد الله بن شدّاد, قال: كان بين رؤيا يوسف وتأويلها أربعون سنة.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن فضيل وجرير, عن أبي سنان, قال: سمعت عبد الله بن شدّاد قوما يتنازعون في رؤيا, فذكر نحو حديث أبي السائب, عن ابن فُضَيل.

حدثنا أحمد, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفيان, عن سليمان التيمي, عن أبي عثمان, عن سلمان, قال: رأى تأويل رؤياه بعد أربعين عاما.

حدثنا الحسن بن محمد, قال: أخبرنا ابن عيينة, عن أبي سنان, عن عبد الله بن شداد, قال: وقعت رؤيا يوسف بعد أربعين سنة, وإليها تنتهي أقصى الرؤيا.

قال: حدثنا معاذ بن معاذ, قال: حدثنا سليمان التيميّ, عن أبي عثمان, عن سلمان, قال: كان بين رؤيا يوسف وبين أن رأى تأويلها أربعون سنة.

قال: حدثنا عبد الوهاب بن عطاء, عن سليمان التيميّ, عن أبي عثمان, عن سلمان, قال: كان بين رؤيا يوسف وبين عبارتها أربعون سنة.

قال: حدثنا سعيد بن سليمان, قال: حدثنا هشيم, عن سليمان التيميّ, عن أبي عثمان, عن سلمان, قال: كان بين رؤيا يوسف وبين أن رأى تأويلها أربعون سنة.

قال: حدثنا عمرو بن محمد العنقزيّ, قال: حدثنا إسرائيل, عن أبي سنان, عن عبد الله بن شدّاد, قال: كان بين رؤيا يوسف وبين تعبيرها أربعون سنة.

وقال آخرون: كانت مدة ذلك ثمانين سنة. ذكر من قال ذلك:

15218ـ حدثنا عمرو بن علـيّ, قال: حدثنا عبد الوهاب الثقـفـي, قال: حدثنا هشام, عن الـحسن, قال: كان منذ فـارق يوسف يعقوب إلـى أن التقـيا ثمانون سنة لـم يفـارق الـحزن قلبه, ودموعه تـجري علـى خدّيه, وما علـى وجه الأرض يومئذٍ عبد أحبّ إلـى الله من يعقوب.

15219ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن أبـي جعفر جسر بن فَرْقَد, قال: كان بـين أن فقد يعقوب يوسف إلـى يومَ رُدّ علـيه ثمانون سنة.

15220ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا حسن بن علـيّ, عن فضيـل بن عياض, قال: سمعت أنه كان بـين فراق يوسف حجر يعقوب إلـى أن التقـيا ثمانون سنة.

15221ـ حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا داود بن مهران, قال: حدثنا عبد الواحد بن زياد, عن يونس, عن الـحسن, قال: أُلقـي يوسف فـي الـجبّ وهو ابن سبع عشرة سنة, وكان بـين ذلك وبـين لقائه يعقوب ثمانون سنة, وعاش بعد ذلك ثلاثا وعشرين سنة, ومات وهو ابن عشرين ومئة سنة.

قال: حدثنا سعيد بن سلـيـمان, قال: حدثنا هشيـم, عن يونس, عن الـحسن, نـحوه, غير أنه قال: ثلاث وثمانون سنة.

قال: حدثنا داود بن مهران, قال: حدثنا ابن عُلَـية, عن يونس, عن الـحسن, قال: أُلقـي يوسف فـي الـجبّ وهو ابن سبع عشرة سنة, وكان فـي العبودية وفـي السجن وفـي الـملك ثمانـين سنة, ثم جمع الله عزّ وجلّ شمله وعاش بعد ذلك ثلاثا وعشرين سنة.

حدثنـي الـحارث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا مبـارك بن فضالة, عن الـحسن, قال: أُلقـي يوسف فـي الـجبّ وهو ابن سبع عشرة, فغاب عن أبـيه ثمانـين سنة, ثم عاش بعدما جمع الله له شمله, ورأى تأويـل رؤياه ثلاثا وعشرين سنة, فمات وهو ابن عشرين ومئة سنة.

حدثنا مـجاهد, قال: حدثنا يزيد, قال: أخبرنا هشيـم, عن الـحسن, قال: غاب يوسف عن أبـيه فـي الـجبّ وفـي السجن حتـى التقـيا ثمانـين عاما, فما جفت عينا يعقوب, وما علـى الأرض أحد أكرم علـى الله من يعقوب.

وقال آخرون: كانت مدة ذلك ثمان عشرة سنة. ذكر من قال ذلك:

15222ـ حدثنا ابن حُميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق, قال: ذُكر لـي والله أعلـم أن غيبة يوسف عن يعقوب كانت ثمان عشرة سنة, قال: وأهل الكتاب يزعمون أنها كانت أربعين سنة أو نـحوها, وأن يعقوب بقـي مع يوسف بعد أن قدم علـيه مصر سبع عشرة سنة, ثم قبضه الله إلـيه.

وقوله: وَقَدْ أَحْسَنَ بِـي إِذْ أَخْرَجَنِـي مِنَ السّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ البَدْوِ يقول جلّ ثناؤه مخبرا عن قـيـل يوسف: وقد أحسن الله بـي فـي إخراجه إياي من السجن الذي كنت فـيه مـحبوسا, وفـي مـجيئه بكم من البدو. وذلك أن مسكن يعقوب وولده فـيـما ذُكر كان ببـادية فِلَسْطين كذلك.

15223ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق, قال: كان منزل يعقوب وولده فـيـما ذَكر لـي بعض أهل العلـم بـالعَرَبـات من أرض فلسطين ثغور الشام, وبعض يقول بـالأولاج من ناحية الشعب, وكان صاحبَ بـادية له إبل وشاء.

15224ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمرو, قال: أخبرنا شيخ لنا أن يعقوب كان ببـادية فلسطين.

15225ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: وَقَدْ أَحْسَنَ بِـي إِذْ أَخْرَجَنِـي مِنَ السّجْنِ وَجاءَ بِكُمْ مِنَ البَدْوِ وكان يعقوب وبنوه أرض كنعان أهل مواش وبرية.

15226ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج: وَجاء بِكُمْ مِنَ البَدوِ وقال: كانوا أهل بـادية وماشية.

والبدو مصدر من قول القائل: بدا فلان: إذا صار بـالبـادية يبدو بدوا. وذُكر أن يعقوب دخـل مصر هو ومن معه من أولاده وأهالـيهم وأبنائهم يوم دخـلوها وهم أقلّ من مئة, وخرجوا منها يوم خرجوا منها وهم زيادة علـى ستّ مئة ألف. ذكر الرواية بذلك:

15227ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا زيد بن الـحبـاب وعمرو بن مـحمد, عن موسى بن عبـيدة, عن مـحمد بن كعب القرظي, عن عبد الله بن شدّاد, قال: اجتـمع آل يعقوب إلـى يوسف بـمصر وهم ستة وثمانون إنسانا, صغيرهم وكبـيرهم وذكرهم وأنثاهم, وخرجوا من مصر يوم أخرجهم فرعون وهم ستّ مئة ألف ونـيف.

15228ـ قال: حدثنا عمرو, عن إسرائيـل, عن أبـي إسحاق, عن أبـي عبـيدة, عن عبد الله, قال: خرج أهل يوسف من مصر وهم ستّ مئة ألف وسبعون ألفـا, فقال فرعون: إن هؤلاء لشرذمة قلـيـلون.

15229ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن إسرائيـل والـمسعودي, عن أبـي إسحاق, عن أبـي عبـيدة, عن ابن مسعود, قال: دخـل بنو إسرائيـل مصر وهم ثلاث وستون إنسانا, وخرجوا منها وهم ستّ مئة ألف. قال إسرائيـل فـي حديثه. ستّ مئة ألف وسبعون ألفـا.

15230ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمرو, عن إسرائيـل, عن أبـي إسحاق, عن مسروق, قال: دخـل أهل يوسف مصر وهم ثلاث مئة وتسعون من بـين رجل وامرأة.

وقوله: مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشّيْطانُ بَـيْنِـي وبـينَ إخْوَتـي يعنـي: من بعد أن أفسد ما بـينـي وبـينهم وجهل بعضنا علـى بعض, يقال منه: نَزَغَ الشيطان بـين فلان وفلان, يَنْزَغُ نَزْغا ونُزُوغا.

وقوله: إنّ رَبّـي لَطِيفٌ لِـما يَشاءُ يقول: إن ربـي ذو لطف وصنع لـما يشاء, ومن لطفه وصنعه أنه أخرجنـي من السجن وجاء بأهلـي من البدو بعد الذي كان بـينـي وبـينهم من بُعد الدار وبعد ما كنت فـيه من العبودة والرقّ والإسار. كالذي:

15231ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إنّ رَبّـي لَطِيفٌ لِـمَا يَشاءُ لطف بـيوسف وصنع له حتـى أخرجه من السجن, وجاء بأهله من البدو, ونزع من قلبه نزغ الشيطان وتـحريشه علـى إخوته.

وقوله: إنّهُ هُوَ العَلِـيـمُ بـمصالـح خـلقه, وغير ذلك لا يخفـى علـيه مبـادي الأمور وعواقبها. الـحَكيـمُ فـي تدبـيره.

الآية : 101

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {رَبّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيّي فِي الدّنُيَا وَالآخِرَةِ تَوَفّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصّالِحِينَ }.

يقول تعالـى ذكره: قال يوسف بعد ما جمع الله له أبويه وإخوته, وبسط علـيه من الدنـيا ما بسط من الكرامة, ومكنه فـي الأرض, متشوّقا إلـى لقاء

آبـائه الصالـحين: رَبّ قَدْ آتَـيْتَنِـي مِنَ الـمُلْكِ يعنـي: من ملك مصر, وَعَلّـمْتَنِـي مِنْ تَأْوِيـلِ الأحادِيثِ يعنـي من عبـارة الرؤيا, تعديدا لنعم الله وشكرا له علـيها. فـاطِرَ السّمَوَاتِ والأرْضِ يقول: يا فـاطر السموات والأرض, يا خالقها وبـارئها, أنْتَ وَلِـيّـي فـي الدّنْـيَا والآخِرَةِ يقول: أنت ولـيـي فـي دنـياي علـى من عادانـي وأرادنـي بسوء بنصرك, وتغذونـي فـيها بنعمتك, وتلـينـي فـي الآخرة بفضلك ورحمتك. تَوَفّنِـي مُسْلِـما يقول: اقبضنـي إلـيك مسلـما. وألْـحِقْنِـي بـالصّالْـحِينَ يقول: وألـحقنـي بصالـح آبـائي إبراهيـم وإسحاق ومن قبلهم من أنبـيائك ورسلك.

وقـيـل: إنه لـم يتـمنّ أحد من الأنبـياء الـموت قبل يوسف. ذكر من قال ذلك:

15232ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ: رَبّ قَدْ آتَـيْتَنِـي مِنَ الـمُلْك وعَلّـمْتَنِـي مِنْ تَأْوِيـلِ الأحادِيثِ... الآية, كان ابن عبـاس: يقول: أوّل نبـيّ سأل الله الـموت يوسف.

15233ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, قال: قال ابن عبـاس, قوله: ربّ قَد آتَـيْتَنِـي مِنَ الـمُلْكِ... الآية, قال: اشتاق إلـى لقاء ربه, وأحبّ أن يـلـحق به وبآبـائه, فدعا الله أن يتوفـاه ويـلـحقه بهم, ولـم يسأل نبـيّ قط الـموت غير يوسف, فقال: رَبّ قَدْ آتَـيْتَنِـي مِنَ الـمُلْكِ وَعَلّـمْتَنِـي مِنْ تَأْوِيـلِ الأحادِيث... الآية. قال ابن جريج: فـي بعض القرآن من الأنبـياء من قال: توفنـي.

15234ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: تَوَفّنِـي مُسْلِـما وألـحقِنْـي بـالصالِـحِينَ لـما جمع شمله, وأقرّ عينه, وهو يومئذٍ مغموس فـي نعيـم الدنـيا وملكها وغضارتها, فـاشتاق إلـى الصالـحين قبله. وكان ابن عبـاس يقول: ما تـمنى نبـيّ قط الـموت قبل يوسف.

حدثنـي الـمثنى, قال: أخبرنا إسحاق, قال: أخبرنا عبد الله بن الزبـير, عن سفـيان, عن ابن أبـي عروبة, عن قتادة, قال: لـما جمع لـيوسف شمله, وتكاملت علـيه النعم سأل لقاء ربه فقال: رَبّ قَدْ آتَـيْتَنِـي مِنَ الـمُلْكِ وَعَلّـمْتَنِـي مِنْ تَأْوِيـلِ الأحادِيثِ فـاطِرَ السّمَوَاتِ والأرْضِ أنْتَ وَلِـيّـي فِـي الدّنْـيا وَالآخِرَةِ تَوَفّنِـي مُسْلِـما وألْـحِقْنِـي بـالصّالِـحِينَ قال قتادة: ولـم يتـمنّ الـموت أحد قط نبـيّ ولا غيره إلا يوسف.

15235ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا هشام, قال: حدثنا الولـيد بن مسلـم, قال: ثنـي غير واحد, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: أن يوسف النبـيّ صلى الله عليه وسلم لـما جمع بـينه وبـين أبـيه وإخوته, وهو يومئذٍ ملك مصر, اشتاق إلـى الله وإلـى آبـائه الصالـحين إبراهيـم وإسحاق, قال: رَبّ قَدْ آتَـيْتَنِـي مِنَ الـمُلْكِ وَعَلّـمْتَنِـي مِنْ تَأْوِيـلِ الأحادِيثِ فـاطِرَ السّمَوَاتِ والأرْضِ أنْتَ وَلِـيّـي فِـي الدّنـيْا والآخِرَةِ تَوَفّنِـي مُسْلِـما وألْـحِقْنِـي بـالصّالِـحِينَ.

15236ـ حدثنـي الـمثنى, قال: أخبرنا إسحاق, قال: حدثنا هشام, عن مسلـم بن خالد, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد فـي قوله: وَعَلّـمْتَنِـي مِنْ تَأْوِيـلِ الأحادِيثِ قال: العبـارة.

15237ـ حُدثت عن الـحسين, قال: سمعت أبـا معاذ, يقول: أخبرنا عبـيد بن سلـيـمان, قال: سمعت الضحاك يقول فـي قوله: تَوَفّنِـي مُسْلِـما

وأَلْـحِقْنِـي بـالصّالِـحِينَ يقول: توفنـي علـى طاعتك, واغفر لـي إذا توفـيتنـي.

15238ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق, قال: قال يوسف حين رأى ما رأى من كرامة الله وفضله علـيه وعلـى أهل بـيته حين جمع الله له شمله, وردّه علـى والده, وجمع بـينه وبـينه فـيـما هو فـيه من الـملك والبهجة: يا أبَتِ هَذَا تَأوِيـلُ رُؤْيايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَها رَبّـي حَقّا... إلـى قوله: إنّهُ هُوَ العَلِـيـمُ الـحَكِيـمُ. ثم ارعوى يوسف, وذكر أن ما هو فـيه من الدنـيا بـائد وذاهب, فقال: رَبّ قَدْ آتَـيْتَنِـي مِنَ الـمُلْكِ وعَلّـمْتَنِـي مِنْ تَأوِيـلِ الأحادِيثِ فـاطِرَ السّمَوَاتِ والأرْضِ أنْتَ وَلِـيّـي فـي الدّنْـيا والآخِرَةِ تَوَفّنِـي مُسْلِـما وأَلْـحِقْنِـي بـالصّالِـحِينَ.

وذكر أن بنـي يعقوب الذين فعلوا بـيوسف ما فعلوا, استغفر لهم أبوهم, فتاب الله علـيهم وعفـا عنهم وغفر لهم ذنبهم. ذكر من قال ذلك:

15239ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن صالـح الـمري, عن يزيد الرقاشي, عن أنس بن مالك, قال: إن الله تبـارك وتعالـى بـما جمع لـيعقوب شمله, وأقرّ عينه, خلا وُلدُه نـجيّا, فقال بعضهم لبعض: ألستـم قد علـمتـم ما صنعتـم وما لقـي منكم الشيخ وما لقـي منكم يوسف؟ قالوا: بلـى. قال: فـيغركم عفوهما عنكم, فكيف لكم بربكم؟ فـاستقام أمرهم علـى أن أتوا الشيخ فجلسوا بـين يديه, ويوسف إلـى جنب أبـيه قاعد, قالوا: يا أبـانا أتـيناك فـي أمر لـم نأتك فـي أمر مثله قط ونزل بنا أمر لـم ينزل بنا مثله حتـى حركوه, والأنبـياء أرحم البرية, فقال: مالكم يا بنـيّ؟ قالوا: ألست قد علـمت ما كان منا إلـيك وما كان منا إلـى أخينا يوسف؟ قال: بلـى. قالوا: أفلستـما قد عفوتـما؟ قالا: بلـى. قالوا: فإن عفوكما لا يغنـي عنا شيئا إن كان الله لـم يعف عنا. قال: فما تريدون يا بنـيّ؟ قالوا: نريد أن تدعو الله لنا, فإذا جاءك الوحي من عند الله بأنه قد عفـا عما صنعنا قرّت أعيننا واطمأنت قلوبنا, وإلا فلا قرّة عين فـي الدنـيا لنا أبدا. قال: فقام الشيخ واستقبل القبلة, وقام يوسف خـلف أبـيه, وقاموا خـلفهما أذلة خاشيعن. قال: فدعا وأمن يوسف, فلـم يجب فـيهم عشرين سنة قال صالـح الـمري: يخيفهم قال: حتـى إذا كان رأس العشرين, نزل جبرئيـل صلى الله عليه وسلم علـى يعقوب علـيه السلام, فقال: إن الله تبـارك وتعالـى بعثنـي إلـيك أبشرك بأنه قد أجاب دعوتك فـي ولدك, وأنه قد عفـا عما صنعوا, وأنه قد اعتقد مواثـيقهم من بعدك علـى النبوّة.

15240ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا الـحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا جعفر بن سلـيـمان, عن أبـي عمران الـجَونـيّ, قال: والله لو كان قتل يوسف مضى لأدخـلهم الله النار كلهم, ولكن الله جلّ ثناؤه أمسك نفس يوسف لـيبلغ فـيه أمره ورحمة لهم. ثم يقول: والله ما قصّ الله نبأهم يعيرهم بذلك إنهم لأنبـياء من أهل الـجنة, ولكنّ الله قصّ علـينا نبأهم لئلا يقنط عبده.

وذُكر أن يعقوب توفـي قبل يوسف, وأوصى إلـى يوسف وأمره أن يدفنه عند قبر أبـيه إسحاق. ذكر من قال ذلك:

15241ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمرو, عن أسبـاط, عن السديّ, قال: لـما حضر الـموت يعقوب, أوصى إلـى يوسف أن يدفنه عند إبراهيـم وإسحاق, فلـما مات نفخ فـيه الـمر وحمله إلـى الشام, قال: فلـما بلغوا

إلـى ذلك الـمكان أقبل عيص أخو يعقوب, فقال: غلبنـي علـى الدعوة, فوالله لا يغلبنـي علـى القبر فأبى أن يتركهم أن يدفنوه. فلـما احتبسوا قال هشام بن دان بن يعقوب وكان هشام أصمّ لبعض إخوته: ما لـجدّي لا يدفن؟ قالوا: هذا عمك يـمنعه. قال: أرونـيه أين هو فلـما رآه, رفع هشام يده فوجأ بها رأس العيص وجأة سقطت عيناه علـى فخذ يعقوب, فدفنا فـي قبر واحد.

الآية : 102

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {ذَلِكَ مِنْ أَنْبَآءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوَاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ }.

يقول تعالـى ذكره: هذا الـخبر الذي أخبرتك به من خبر يوسف ووالده يعقوب وإخوته وسائر ما فـي هذه السورة مِنْ أنْبـاءِ الغَيْبِ يقول: من أخبـار الغيب الذي لـم تشاهده, ولـم تعاينه, ولكنا نُوحِيهِ إلَـيْكَ ونعرّفكه, لنثبت به فؤادك, ونشجع به قلبك, وتصبر علـى ما نالك من الأذى من قومك فـي ذات الله, وتعلـم أن من قبلك من رسل الله إذ صبروا علـى ما نالهم فـيه, وأخذوا بـالعفو, وأمروا بـالعرف, وأعرضوا عن الـجاهلـين, فـازوا بـالظفر, وأيدوا بـالنصر, ومكنوا فـي البلاد, وغلبوا من قصدوا من أعدائهم وأعداء دين الله. يقول الله تبـارك وتعالـى لنبـيه مـحمد صلى الله عليه وسلم: فـيهم يا مـحمد فتأسّ, وآثارهم فقصّ. وَما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إذْ أجمَعُوا أمْرَهُمْ وَهُمْ يَـمْكُرُونَ يقول: وما كنت حاضرا عند إخوة يوسف, إذ أجمعوا واتفقت آراؤهم وصحّت عزائمهم علـى أن يُـلقوا يوسف فـي غيابة الـجبّ, وذلك كان مكرهم الذي قال الله عزّ وجلّ وهم يـمكرون. كما:

15242ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعي, عن قتادة, قوله: وَما كُنْتَ لَدَيْهِمْ يعنـي مـحمدا صلى الله عليه وسلم, يقول: ما كنت لديهم وهم يـلقونه فـي غيابة الـجبّ وهم يـمكرون: أبـي بـيوسف.

15243ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, عن عطاء الـخراسانـيّ, عن ابن عبـاس: وَما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إذْ أجمَعُوا أمْرَهُمْ وَهُمْ يَـمْكُرُونَ... الآية, قال: هم بنو يعقوب.

الآية : 103

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَمَآ أَكْثَرُ النّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ }.

يقول جلّ ثناؤه: وما أكثر مشركي قومك يا مـحمد, ولو حرصت علـى أن يؤمنوا بك فـيصدّقوك, ويتبعوا ما جئتهم به من عند ربك بـمصدّقـيك ولا متبعيك.

الآية : 104

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلاّ ذِكْرٌ لّلْعَالَمِينَ }.

يقول تعالـى ذكره لـمـحمد صلى الله عليه وسلم: وما تسأل يا مـحمد هؤلاء ينكرون نبوّتك ويـمتنعون من تصديقك والإقرار بـما جئتهم به من عند ربك علـى ما تدعوهم إلـيه من إخلاص العبـادة لربك وهجر عبـادة الأوثان وطاعة الرحمن مِنْ أجْرٍ يعنـي من ثواب وجزاء منهم, بل إنـما ثوابك وأجر عملك علـى الله, يقول: ما تسألهم علـى ذلك ثوابـا, فـيقولوا لك: إنـما تريد بدعائك إيانا إلـى اتبـاعك لننزل لك عن أموالنا إذا سألتنا ذلك, وإذ كنت لا

تسألهم ذلك فقد كان حقا علـيهم أن يعلـموا أنك إنـما تدعوهم إلـى ما تدعوهم إلـيه اتبـاعا منك لأمر ربك ونصيحة منك لهم, وأن لا يستغشوك.

وقوله: إن هُوَ إلاّ ذِكْرٌ للعالَـمِينَ يقول تعالـى ذكره: ما هذا الذي أرسلك به ربك يا مـحمد من النبوّة والرسالة إلا ذكر, يقول: إلا عظة وتذكير للعالـمين, لـيتعظوا ويتذكروا به.

الآية : 105

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَكَأَيّن مّن آيَةٍ فِي السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ يَمُرّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ }.

يقول جلّ وعزّ: وكم من آية فـي السموات والأرض لله, وعبرة وحجة, وذلك كالشمس والقمر والنـجوم ونـحو ذلك من آيات السموات وكالـجبـال والبحار والنبـات والأشجار, وغير ذلك من آيات الأرض يَـمُرّونَ عَلَـيْها يقول: يعاينونها فـيـمرّون بها معرضين عنها لا يعتبرون بها ولا يفكرون فـيها وفـيـما دلت علـيه من توحيد ربها, وأن الأولوهة لا تبتغي إلا للواحد القهار الذي خـلقها وخـلق كلّ شيء فدبرها.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

15244ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: وكأيّنْ مِنْ آيَةٍ فِـي السّمَوَاتِ والأرْضِ يَـمُرّونَ عَلَـيْها وهي فـي مصحف عبد الله: «يـمشون علـيها» السماء والأرض آيتان عظيـمتان.

الآية : 106

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاّ وَهُمْ مّشْرِكُونَ }.

يقول تعالـى ذكره: وما يقر أكثر هؤلاء الذين وصف عزّ وجلّ صفتهم بقوله: وكأيّنْ مِنْ آيَةٍ فِـي السّمَواتِ والأرْضِ يَـمْرّونَ عَلَـيْها وَهُمْ عَنْها مُعْرِضُونَ بـالله, أنه خالقه ورازقه وخالق كلّ شيء, إلا وهم به مشركون فـي عبـادتهم الأوثان والأصنام, واتـخاذهم من دونه أربـابـا, وزعمهم أنه له ولدا, تعالـى الله عما يقولون.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

15245ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمران بن عيـينة, عن عطاء بن السائب, عن سعيد بن جبـير, عن ابن عبـاس: وَما يُؤْمِنُ أكْثَرُهُمْ بـاللّهِ... الآية, قال: من إيـمانهم إذا قـيـل لهم من خـلق السماء, ومن خـلق الأرض, ومن خـلق الـجبـال؟ قالوا: الله. وهم مشركون.

15246ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا أبو الأحوص, عن سمالك, عن عكرمة, فـي قوله: وَما يُؤْمِنُ أكْثَرُهُمْ بـاللّهِ إلاّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ قال: تسألهم من خـلقهم ومن خـلق السموات والأرض, فـيقولون: الله. فذلك إيـمانهم بـالله, وهم يعبدون غيره.

15247ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن إسرائيـل, عن جابر, عن عامر وعكرمة: وَما يُؤْمِنُ أكْثَرُهُمْ بـاللّهِ... الآية, قالا: يعلـمون أنه ربهم, وأنه خـلقهم, وهم مشركون به.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبـي, عن إسرائيـل, عن جابر, عن عامر وعكرمة بنـحوه.

قال: حدثنا ابن نـمير, عن نصر, عن عكرمة: وَما يُؤْمِنُ أكْثَرُهُمْ بـاللّهِ إلاّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ قال: من إيـمانهم إذا قـيـل لهم: من خـلق السموات؟ قالوا: الله وإذا سئلوا: من خـلقهم؟ قالوا: الله وهم يشركون به بعد.

قال: حدثنا أبو نعيـم, عن الفضل بن يزيد الثمالـي, عن عكرمة, قال: هو قول الله: وَلَئِنْ سألْتَهُمْ مَنْ خَـلَقَ السّمَوَاتِ والأرْضِ لَـيَقُولُنّ اللّهُ فإذا سئلوا عن الله وعن صفته, وصفوه بغير صفته وجعلوا له ولدا وأشركوا به.

15248ـ حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا شبـابة, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: وَمَا يُؤْمِنُ أكْثَرُهُمْ بـاللّهِ إلاّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ إيـمانهم قولهم: الله خالقنا ويرزقنا ويـميتنا.

حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: وَما يُؤْمِنُ أكْثَرُهُمْ بـاللّهِ إلاّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ إيـمانهم قولهم: الله خالقنا ويرزقنا ويـميتنا.

حدثنـي الـمثنى, قال: أخبرنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: وَما يُؤْمِنُ أكْثَرُهُمْ بـاللّهِ إلاّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ إيـمانهم قولهم: الله خالقنا ويرزقنا ويـميتنا, فهذا إيـمان مع شرك عبـادتهم غيره.

قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: وَما يُؤْمِنُ أكْثَرُهُمْ بـاللّهِ إلاّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ قال: إيـمانهم قولهم: الله خالقنا ويرزقنا ويـميتنا.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا هانىء بن سعيد وأبو معاوية, عن حجاج, عن القاسم, عن مـجاهد, قال: يقولون: الله ربنا, وهو يرزقنا وهم يشركون به بعد.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, عن مـجاهد, قال: إيـمانهم قولهم: الله خالقنا ويرزقنا ويـميتنا.

15249ـ قال: حدثنا الـحسين, قال: حدثنا أبو تـميـلة, عن أبـي حمزة, عن جابر, عن عكرمة ومـجاهد وعامر, أنهم قالوا فـي هذه الآية: وَما يُؤْمِنُ أكْثَرُهُمْ بـاللّهِ إلاّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ قال: لـيس أحد إلا وهو يعلـم أن الله خـلقه وخـلق السموات والأرض, فهذا إيـمانهم, ويكفرون بـما سوى ذلك.

15250ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَما يُؤمِنُ أكْثَرُهُمْ بـاللّهِ إلاّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ فـي إيـمانهم هذا, إنك لست تلقـى أحدا منهم إلا أنبأك أن الله ربه وهو الذي خـلقه ورزقه, وهو مشترك فـي عبـادته.

حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: وما يُؤْمِنُ أكْثَرهُمْ بـاللّهِ... الآية, قال: لا تسأل أحدا من الـمشركين من ربك إلا قال: ربـي الله, وهو يشرك فـي ذلك.

15251ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: وَما يُؤْمِنُ أكْثَرُهُمْ بـاللّهِ إلاّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ يعنـي النصارى. يقول: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَـلَقَ السّمَوَاتِ والأَرْضَ لَـيَقُولُنّ الله وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَـلَقُهُمْ لَـيَقُولُنّ الله ولئن سألتهم من يرزقكم من السماء والأرض؟ لـيقولنّ الله. وهم من ذلك يشركون به ويعبدون غيره ويسجدون للأنداد دونه.

15252ـ حدثنـي الـمثنى, قال: أخبرنا عمرو بن عون, قال: أخبرنا هشيـم, عن جويبر, عن الضحاك, قال: كانوا يشركون به فـي تلبـيتهم.

15253ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن نـمير, عن عبد الـملك, عن عطاء: وَما يُؤْمِنُ أكْثرُهُمْ بـاللّهِ... الآية, قال: يعلـمون أن الله ربهم, وهم يشركون به بعد.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: أخبرنا هشيـم, عن عبد الـملك, عن عطاء, فـي قوله: وَما يُؤْمِنُ أكْثَرُهُمْ بـاللّهِ إلاّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ قال: يعلـمون أن الله خالقهم ورازقهم, وهم يشركون به.

15254ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال: سمعت ابن زيد يقول: وَما يُؤْمِنُ أكْثَرُهُمْ بـاللّهِ... الآية, قال: لـيس أحد يعبد مع الله غيره إلا وهو مؤمن بـالله, ويعرف أن الله ربه, وأن الله خالقه ورازقه, وهو يشرك به ألا ترى كيف قال إبراهيـم: أفَرأيْتُـمْ ما كُنْتُـمْ تَعْبُدُونَ أنْتُـمْ وآبـاؤُكُمُ الأقْدَمُونَ فإنّهُمْ عَدُوّ لـي إلاّ رَبّ العَالَـمِينَ قد عرف أنهم يعبدون ربّ العالـمين مع ما يعبدون. قال: فلـيس أحد يشرك به إلا وهو مؤمن به, ألا ترى كيف كانت العرب تلبـي, تقول: لبـيك اللهم لبـيك, لا شريك لك, إلا شريك هو لك, تـملكه وما ملك؟ الـمشركون كانوا يقولون هذا.

الآية : 107

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {أَفَأَمِنُواْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مّنْ عَذَابِ اللّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ }.

يقول جلّ ثناؤه: أفأمن هؤلاء الذين لا يقرّون بأن الله ربهم إلا وهم مشركون فـي عبـادتهم إياه غيره, أنْ تَأتِـيَهُمْ غاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللّهِ تغشاهم من عقوبة الله وعذابه, علـى شركهم بـالله, أو تأتـيهم القـيامة فجأة وهم مقـيـمون علـى شركهم وكفرهم بربهم, فـيخـلدهم الله عزّ وجلّ فـي ناره وهم لا يدرون بـمـجيئها وقـيامها.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

15255ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: أنْ تَأتِـيَهُمْ غاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللّهِ قال: تغشاهم.

حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا شبـابة, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: غاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللّهِ قال: تغشاهم.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, مثله.

قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, مثله.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, عن مـجاهد, مثله.

15256ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: أفأمِنُوا أنْ تَأتِـيَهُمْ غاشِيَةٌ مِنْ عَذَاب اللّهِ: أي عقوبة من عذاب الله.

حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: غاشيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللّهِ قال: غاشية واقعة تغشاهم من عذاب الله.

الآية : 108

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِيَ أَدْعُو إِلَىَ اللّهِ عَلَىَ بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَآ أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }.

يقول تعالـى ذكره لنبـيه مـحمد صلى الله عليه وسلم: قُلْ يا مـحمد هَذِهِ الدعوة التـي أدعو إلـيها, والطريقة التـي أنا علـيها من الدعاء إلـى توحيد الله وإخلاص العبـادة له دون الآلهة والأوثان والانتهاء إلـى طاعته وترك معصيته, سَبِـيـلِـي وطريقتـي ودعوتـي أدْعُو إلـى اللّهِ وحده لا شريك له علـى بَصِيرَةٍ بذلك, ويقـين علـم منـي به, أنَا وَ يدعو إلـيه علـى بصيرة أيضا مَن اتّبَعَنِـي وصدّقنـي وآمن بـي. وَسُبْحانَ اللّهِ يقول له تعالـى ذكره: وقل تنزيها لله وتعظيـما له من أن يكون له شريك فـي ملكه أو معبود سواه فـي سلطانه, وَما أنا مِنَ الـمُشْرِكِينَ يقول: وأنا بريء من أهل الشرك به, لست منهم ولا هم منـي.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

15257ـ حدثنـي الـمثنى, قال: أخبرنا إسحاق, قال: حدثنا ابن أبـي جعفر, عن أبـيه, عن الربـيع بن أنس, فـي قوله: قُلْ هَذِهِ سَبِـيـلـي أدْعُو إلـى اللّهِ علـى بَصِيرَةٍ يقول: هذه دعوتـي.

15258ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: قُلْ هَذِهِ سَبِـيـلـي أدْعُوا إلـى اللّهِ علـى بَصِيرَةٍ قال: هذه سبـيـلـي, هذا أمري وسنتـي ومنهاجي. أدْعُو إلـى اللّهِ علـى بَصِيرَةٍ أنا وَمَن اتّبَعَنـي قال: وحقّ الله وعلـى من اتبعه أن يدعو إلـى ما دعا إلـيه, ويذكر بـالقرآن والـموعظة, وينهي عن معاصي الله.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن أبـي جعفر, عن الربـيع بن أنس, قوله: قُلْ هَذِهِ سَبِـيـلـي: هذه دعوتـي.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن أبـي جعفر, عن الربـيع: قُلْ هَذِهِ سَبِـيـلـي قال: هذه دعوتـي.

الآية : 109

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاّ رِجَالاً نّوحِيَ إِلَيْهِمْ مّنْ أَهْلِ الْقُرَىَ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الاَخِرَةِ خَيْرٌ لّلّذِينَ اتّقَواْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ }.

يقول تعالـى ذكره: وَمَا أرْسَلْنا يا مـحمد مِنْ قَبْلِكَ إلاّ رِجالاً لا نساء ولا ملائكة, نُوحِي إلَـيْهِمْ آياتنا بـالدعاء إلـى طاعتنا وإفراد العبـادة لنا مِنْ أهْل القُرَى يعنـي من أهل الأمصار, دون أهل البوادي. كما:

15259ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَما أرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إلاّ رِجالاً نُوحِي إلَـيْهِمْ مِنْ أهْل القُرَى لأنهم كانوا أحلـم وأحلـم من أهل العمود.

وقوله: أفَلَـمْ يَسِيروا فـي الأرْضِ يقول تعالـى ذكره: أفل يسر هؤلاء الـمشركون الذين يكذبونك يا مـحمد, ويجحدون نبوّتك, ويُنكرون ما جئتهم به من توحيد الله وإخلاص الطاعة والعبـادة له فـي الأرض, فَـيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ إذ كذّبوا رسلنا, ألـم نُـحِلّ بهم عقوبتنا, فنهلكَهم بها, وننـج منها رسلنا وأتبـاعنا, فـيتفكروا فـي ذلك ويعتبروا؟ ذكر من قال ذلك:

15260ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, قال: قال ابن جريج: قوله: وَما أرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إلاّ رِجالاً نُوحِي إلَـيْهِمْ قال: إنهم قالوا: ما أنْزَلَ الله علـى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قال: وقوله: وَما أكْثَرُ النّاس وَلَوْ حَرَصْتَ بِـمُؤْمِنِـينَ وَما تسْألُهُمْ عَلَـيْهِ مِنْ أجْرٍ, وقوله: وكأيّنْ مِنْ آيَةٍ فِـي

السّمَوَاتِ والأرْض يَـمُرّونَ عَلَـيْها, وقوله: «أفأَمِنُوا أنْ تَأْتِـيَهُمْ غاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ, وقوله: أفَلَـمْ يَسِيرُوا فِـي الأرْضِ فَـيَنْظُرُوا من أهلكنا؟ قال: فكل ذلك قال لقريش: أفلـم يسيروا فـي الأرض فـينظروا فـي آثارهم فـيعتبروا ويتفكروا.

وقوله: وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ يقول تعالـى ذكره: هذا فِعْلنا فـي الدنـيا بأهل ولايتنا وطاعتنا, إن عقوبتنا إذا نزلت بأهل معاصينا والشرك بنا أنـجيناهم منها, وما فـي الدار الآخرة لهم خير. وترك ذكر ما ذكرنا اكتفـاء بدلالة قوله: وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ للَّذِينَ اتَّقَوْا علـيه, وأضيفت الدار إلـى الآخرة, وهي الآخرة, لاختلاف لفظهما, كما قـيـل: إنّ هذَا لَهُوَ حَقّ الـيَقِـينِ وكما قـيـل: أتـيتك عامَ الأوّلِ, وبـارحة الأولـى, ولـيـلةَ الأولـى, ويومَ الـخميس, وكما قال الشاعر:

أتَـمْدِحُ فَقُعَسا وتَذُمّ عَبَسا ألا لِلّهِ أُمّكَ مِنْ هَجِينِ
ولوْ أقْوَتْ عَلَـيْكَ دِيارُ عَبْسٍ عَرَفتَ الذّلّ عِرْفـانَ الـيَقِـينِ

يعنـي عرفـانا به يقـينا.

فتأويـل الكلام: وللدار الآخرة خير للذين اتقوا الله بأداء فرائضه واجتناب معاصيه.

وقوله: أفَلا تَعْقِلُونَ يقول: أفلا يعقل هؤلاء الـمشركون بـالله حقـيقة ما نقول لهم ونـخبرهم به من سوء عاقبة الكفر, وغبّ ما يصير إلـيه حال أهله مع ما قد عاينوا ورأوا وسمعوا مـما حلّ بـمن قبلهم من الأمـم الكافرة الـمكذّبة رسل بها.

الآية : 110

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {حَتّىَ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرّسُلُ وَظَنّوَاْ أَنّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجّيَ مَن نّشَآءُ وَلاَ يُرَدّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ }.

يقول تعالـى ذكره: وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً يوحي إلـيهم من أهل القُرى, فدعوا من أرسلنا إلـيهم, فكذّبوهم, وردّوا ما أتوا به من عند الله, حتـى إذا استـيأس الرسل الذين أرسلناهم إلـيهم منهم أن يؤمنوا بـالله, ويصدّقوهم فـيـما أتوهم به من عند الله, وظنّ الذين أرسلناهم إلـيهم من الأمـم الـمكذّبة أن الرسل الذين أرسلناهم, قدكذبوهم فـيـما كانوا أخبروهم عن الله من وعده إياهم نصرهم علـيهم, جاءهم نصرنا. وذلك قول جماعة من أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

15261ـ حدثنا أبو السائب سلـم بن جنادة, قال: حدثنا أبو معاوية, عن الأعمش, عن مسلـم, عن ابن عبـاس, فـي قوله: حتـى إذَا اسْتَـيْأَسَ الرّسُلُ وَظَنّوا أنّهُمْ قَد كُذِبُوا قال: لـما أيست الرسل أن يستـجيب لهم قومهم, وظنّ قومهم أن الرسل قد كذبوهم, جاءهم النصر علـى ذلك, فننـجي من نشاء.

حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا أبو معاوية الضرير, قال: حدثنا الأعمش, عن مسلـم, عن ابن عبـاس بنـحوه, غير أنه قال فـي حديثه, قال: أيست الرسل, ولـم يقل: لـما أيست.

15262ـ حدثنا مـحمد بن بشار, قال: حدثنا مؤمل, قال: حدثنا سفـيان, عن عطاء بن السائب, عن سعيد بن جبـير: حتـى إذَا اسْتَـيْأَسَ الرّسُلُ أن يسلـم قومهم, وظنّ قوم الرسل أن الرسل قد كذَبوا جاءهم نصرنا.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا مؤمل, قال: حدثنا سفـيان, عن الأعمش, عن أبـي الضحى, عن ابن عبـاس, مثله.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمران بن عيـينة, عن عطاء, عن سعيد بن جبـير, عن ابن عبـاس: حتـى إذَا اسْتَـيْأَسَ الرّسُلُ وظَنّوا أَنّهُمْ قَدْ كُذِبُوا قال: حتـى إذا استـيأس الرسل من قومهم, وظنّ قومهم أن الرسل قد كذَبوا, جاءَهُمْ نَصْرُنا.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفـيان, عن حصين, عن عمران السلـمي, عن ابن عبـاس: حتـى إذَا اسْتَـيأَسَ الرّسُلُ وظَنّوا أنّهُمْ قَدْ كُذِبُوا أيس الرسل من قومهم أن يصدّقوهم, وظنّ قومهم أن الرسل قد كذبتهم.

حدثنا عمرو بن عبد الـحميد, قال: حدثنا جرير, عن حصين, عن عمرا بن الـحرث السلـمي, عن عبد الله بن عبـاس, فـي قوله: حتـى إذَا اسْتَـيأَسَ الرّسُلُ قال: استـيأس الرسل من قومهم أن يستـجيبوا لهم وَظَنّوا أنّهُمْ قَد كُذِبُوا قال: ظنّ قومهم أنهم جاءوهم بـالكذب.

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن إدريس, قال: سمعت حصينا, عن عمران بن الـحرث, عن ابن عبـاس: حَتّـى إذَا اسْتَـيأَسَ الرّسُلُ من أن يستـجيب لهم قومهم, وظنّ قومهم أن قد كذبوهم, جاءَهُمْ نَصْرُنا.

حدثنـي أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس, قال: حدثنا عبثر, قال: حدثنا حصين, عن عمران بن الـحارث, عن ابن عبـاس, فـي هذه الآية: حَتـى إذَا اسْتَـيْأَسَ الرّسُلُ قال: استـيأس الرسل من قومهم أن يؤمنوا, وظنّ قومهم أن الرسل قد كذبوهم فـيـما وعدوا وكذبوا, جاءَهُمْ نَصْرُنا.

حدثنا مـحمد بن الـمثنى, قال: حدثنا ابن أبـي عديّ, عن شعبة, عن حصين, عن عمران بن الـحرث, عن ابن عبـاس, قال: حتـى إذَا اسْتَـيْأَسَ الرّسُلُ من نصر قومهم وَظَنّوا أنّهُمْ قَدْ كُذِبُوا ظنّ قومهم أنهم قد كذبوهم.

حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا مـحمد بن الصبـاح, قال: حدثنا هشيـم, قال: أخبرنا حصين, عن عمران بن الـحرث, عن ابن عبـاس, فـي قوله: حتـى إذَا اسْتَـيْأَسَ الرّسُلُ قال: من قومهم أن يؤمنوا بهم, وأن يستـجيبوا لهم, وظنّ قومهم أن الرسل قد كذبوهم جاءَهُمْ نَصْرُنا يعنـي الرسل.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: أخبرنا هشيـم, عن حصين, عن عمران بن الـحرث, عن ابن عبـاس بـمثله سواء.

حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا عبد الوهابن عطاء, عن هارون, عن عبـاد القرشي, عن عبد الرحمن بن معاوية, عن ابن عبـاس: وَظَنّوا أنّهُمْ قَدْ كُذِبُوا خفـيفة, وتأويـلها عنده, وظنّ القوم أن الرسل قد كَذَبوا.

حدثنا أبو بكر, قال: حدثنا طلق بن غنام, عن زائدة, عن الأعمش, عن مسلـم, عن ابن عبـاس, قال: حتـى إذَا اسْتَـيْأَسَ الرّسُلُ من قومهم أن يصدّقوهم, وظنّ قومهم أن قد كذبتهم رسلهم, جاءَهُمْ نَصْرُنا.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالـح قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله: حتـى إذَا اسْتَـيْأَسَ الرّسُلُ وظَنّوا أنّهُمْ قَدْ كُذِبُوا يعنـي: أيس الرسل من أن يتبعهم قومهم, وظنّ قومهم أن الرسل قد كَذَبوا, فـينصر الله الرسل, ويبعث العذاب.

حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس قوله: حتـى إذَا اسْتَـيْأَسَ الرّسُلُ وَظَنّوا أنّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جاءَهُمْ نَصْرُنا حتـى إذا استـيأس الرسل من قومهم أن يطيعوهم ويتبعوهم, وظنّ قومهم أن رسلهم كذبوهم جاءهم نصرنا.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا مـحمد بن فضيـل, عن حصين, عن عمران بن الـحرث, عن ابن عبـاس: حتـى إذَا اسْتَـيْأَسَ الرّسُلُ من قومهم وَظَنّوا أنّهُمْ قَدْ كُذِبُوا قال: فما أبطأ علـيهم لا من ظنّ أنهم قد كذَبوا.

قال: حدثنا آدم العسقلانـي, قال: حدثنا شعبة, قال: أخبرنا حصين بن عبد الرحمن, عن عمران بن الـحرث قال: سمعت ابن عبـاس يقول: وَظَنّوا أنّهُمْ قَدْ كُذِبُوا خفـيفة. وقال ابن عبـاس: ظنّ القوم أن الرسل قد كذبوهم خفـيفة.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جرير, عن عطاء, عن سعيد بن جبـير, فـي قوله: حتـى إذَا استْـيْأَسَ الرّسُلُ من قومهم, وظنّ قومهم أن الرسل قد كذبوهم.

قال: حدثنا مـحمد بن فضيـل, عن خصيف, قال: سألت سعيد بن جبـير, عن قوله: حتـى إذا استْـيَأس الرّسُلُ من قومهم, وظنّ الكفـار أنهم هم كُذِبوا.

حدثنـي يعقوب والـحسن بن مـحمد, قالا: حدثنا إسماعيـل بن علـية. قال: حدثنا كلثوم بن جبر, عن سعيد ابن جبـير, قوله: حتـى إذَا اسْتَـيْأَسَ الرّسُلُ من قومهم أن يؤمنوا, وظنّ قومهم أن الرسل قد كذبتهم.

15263ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا عارم أبو النعمان, قال: حدثنا حماد بن زيد, قال: حدثنا شعيب, قال: ثنـي إبراهيـم بن أبـي حرّة الـجزري, قال: سأل فتـى من قريش سعيد بن جبـير, فقال له: يا أبـا عبد الله كيف تقرأ هذا الـحرف فإنـي إذا أتـيت علـيه تـمنـيت أن لا أقرأ هذه السورة حتـى إذَا اسْتَـيْأَسَ الرّسُلُ وَظَنّوا أنّهُمْ قَدْ كُذِبُوا؟ قال: نعم, حتـى إذا استـيأس الرسل من قومهم أن يصدّقوهم, وظنّ الـمرسل إلـيهم أن الرسل كذبوا. قال: فقال الضحاك بن مزاحم: ما رأيت كالـيوم قط رجلاً يدعى إلـى علـم فـيتلكأ, لو رحلت فـي هذه إلـى الـيـمن كان قلـيلاً.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا الـحجاج, قال: حدثنا ربـيعة بن كلثوم, قال: ثنـي أبـي, أن مسلـم بن يسار, سأل سعيد بن جبـير فقال: يا أبـا عبد الله, آية بلغت منـي كل مبلغ: حتـى إذَا اسْتَـيْأَسَ الرّسُلُ وظَنّوا أنّهمْ قَدْ كُذِبُوا فهذا الـموتُ, أن تظنّ الرسل أنهم قد كُذِبوا, أو نظنّ أنهم قد كَذَبوا مخففة؟ قال: فقال سعيد بن جبـير: يا أبـا عبد الرحمن, حتـى إذا استـيأس الرسل من قومهم أن يستـجيبوا لهم, وظنّ قومهم أن الرسل كذبتهم جاءَهُمْ نَصْرُنا فَنُـجّيَ مَنْ نَشاءُ, وَلا يُرَدّ بأسُنا عَنِ القَوْمِ الـمُـجْرِمِينَ. قال: فقال مسلـم إلـى سعيد, فـاعتنقه وقال: فرّج الله عنكَ كما فرّجت عنـي.

حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا يحيى بن عبـاد, قال: حدثنا وهيب, قال: حدثنا أبو الـمعلـى العطار, عن سعيد بن جبـير, عن ابن عبـاس: حتـى إذَا اسْتَـيْأَسَ الرّسُلُ وَظَنّوا أنّهُمْ قَدْ كُذِبُوا قال: استـيأس الرسل من إيـمان قومهم وظنّ قومهم أن الرسل قد كذبوهم, ما كانوا يخبرونهم ويبلغونهم.

15264ـ قال: حدثنا شبـابة, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله حتـى إذَا اسْتَـيْأَسَ الرّسُلُ أن يصدّقهم قومهم, وظنّ قومهم أن الرسل قد كذبوا, جاء الرسل نصرنا.

حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, مثله.

حدثنـي الـمثنى. قال: حدثنا الـحجاج, قال: حدثنا حماد, عن عطاء بن السائب, عن سعيد بن جبـير, فـي هذه الآية: حتـى إذَا استْـيَأَسَ الرّسُلُ من قومهم. وظن قومهم أن الرسل قد كذبت.

قال: حدثنا حماد, عن كلثوم بن جبر, قال: قال لـي سعيد بن جبـير: سألنـي سعيد من ساداتكم عن هذه الآية. فقلت: استـيأس الرسل من قومهم, وظنّ قومهم أن الرسل قد كذبت.

15265ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: حتـى إذَا اسْتَـيْأَسَ الرّسُلُ وَظَنّوا أنّهُمْ قَدْ كُذِبُوا قال: استـيأس الرسل أن يؤمن قومهم بهم, وظنّ قومهم الـمشركون أن الرسل قد كُذِبوا ما وعدهم الله من نصره إياهم علـيهم وأخـلِفوا. وقرأ: جاءَهُمْ نَصْرُنا قال: جاء الرسل النصر حينئذٍ, قال: وكان أبّـي يقرؤها: «كُذِبُوا».

15266ـ حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا عبد الوهاب بن عطاء, عن سعيد, عن أبـي الـمتوكل, عن أيوب ابن أبـي صفوان, عن عبد الله بن الـحرث, أنه قال: حتـى إذَا اسْتَـيْأَسَ الرّسُلُ من إيـمان قومهم وَظَنّوا أنّهُمْ قَدْ كُذِبُوا وظن القوم أنهم قد كذبوهم فـيـما جاءوهم به.

15267ـ حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا عبد الوهاب, عن جويبر, عن الضحاك, قال: ظنّ قومهم أن رسلهم قد كذبوهم فـيـما وعدوهم به.

15268ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: حدثنا مـحمد بن فضيـل, عن جحش بن زياد الضبـي, عن تـميـم ابن حذلـم, قال: سمعت عبد الله بن مسعود يقول فـي هذه الآية: «حتـى إذَا اسْتَـيْأَسَ الرّسُلُ وَظَنّوا أنّهُمْ قَدْ كَذَبُوا» قال: استـيأس الرسل من إيـمان قومهم أن يؤمنوا بهم, وظنّ قومهم حين أبطأ الأمر أنه قد كَذَبُوا بـالتـخفـيف.

حدثنا أبو الـمثنى, قال: حدثنا مـحمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن أبـي الـمعلـى, عن سعيد بن جبـير, فـيقوله: حتـى إذَا اسْتَـيأَسَ الرّسُل قال: استـيأس الرسل من نصر قومهم, وظنّ قوم الرسل أن الرسل قد كَذَبوهم.

حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا عمرو بن ثابت, عن أبـيه, عن سعيد بن جبـير: حتـى إذَا اسْتَـيْأَسَ الرّسُلُ أن يصدّقوهم, وظنّ قومهم أن الرسل قد كذبوهم.

قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا إسرائيـل, عن عطاء بن السائب, عن سعيد بن جبـير, عن ابن عبـاس: حتـى إذَا اسْتَـيْأَسَ الرّسُلُ أن يصدّقهم قومهم, وظنّ قومهم أن الرسل قد كذبوهم.

حُدثت عن الـحسين بن الفرج, قال: سمعت أبـا معاذ يقول: حدثنا عبـيد بن سلـيـمان, قال: سمعت الضحاك فـي قوله: حتـى إذَا اسْتَـيْأَسَ الرّسُلُ يقول: استـيأسوا من قومهم أن يجيبوهم, ويؤمنوا بهم, وظنوا: يقول: وظنّ قوم الرسل أن الرسل قد كذبوهم الـموعد.

والقراءة علـى هذا التأويـل الذي ذكرنا فـي قوله: كُذِبُوا بضم الكاف وتـخفـيف الذال, وذلك أيضا قراءة بعض قرّاء أهل الـمدينة وعامّة قرّاء أهل الكوفة.

وإنـما اخترنا هذا التأويـل وهذه القراءة, لأن ذلك عقـيب قوله: وَما أرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إلاّ رِجالاً نُوحِي إلَـيْهِمْ مِنْ أهْل القُرَى أفَلَـم يَسِيرُوا فـي الأرْضِ فَـيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فكان ذلك دلـيلاً علـى أن إياس الرسل كان من إيـمان قومهم الذين أهلكوا, وأن الـمضمر فـي قوله: وظَنّوا أنّهُمْ قَدْ كُذِبُوا إنـما هو من ذكر الذين من قبلهم من الأمـم الهالكة, وزاد ذلك وضوحا أيضا إتبـاع الله فـي سياق الـخبر عن الرسل وأمـمهم قوله: فَنُـجّيَ مَنْ نَشاءُ إذ الذين أهلكوا هم الذين ظنوا أن الرسل قد كذبتـم, فكَذّبُوهم ظنّا منهم أنهم قد كَذَبُوهم.

وقد ذهب قوم مـمن قرأ هذه القراءة إلـى غير التأويـل الذي اخترنا, ووجهوا معناه إلـى: حتـى إذا استـيأس الرسل من إيـمان قومهم, وظنت الرسل أنهم قد كذبوا فـيـما وعدوا من النصر. ذكر من قال ذلك:

15269ـ حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا عثمان بن عمر, قال: حدثنا ابن جريج, عن ابن أبـي ملـيكة, قال: قرأ ابن عبـاس: حتـى إذَا اسْتَـيْأسَ الرّسُلُ وَظَنّوا أنّهُمْ قَدْ كُذِبُوا قال: كانوا بشرا ضعفوا ويئسوا.

15270ـ قال: حدثنا حجاج بن مـحمد, عن ابن جريج, قال: أخبرنـي ابن أبـي ملـيكة, عن ابن عبـاس, قرأ: وَظَنّوا أنّهُمْ قَدْ كُذِبُوا خفـيفة. قال ابن جريج: أقول كما يقول: أخـلفوا. قال عبد الله: قال لـي ابن عبـاس: كانوا بشرا, وتلا ابن عبـاس: حتـى يَقُولَ الرّسُولُ والّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتـى نَصْرُ اللّهِ ألا إنّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ. قال ابن جريج: قال ابن أبـي ملـيكة: ذهب بها إلـى أنهم ضعفوا فظنوا أنهم أخـلفوا.

15271ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا مؤمل, قال: حدثنا سفـيان, عن الأعمش, عن أبـي الضحى, عن مسروق عن عبد الله, أنه قرأ: حتـى إذَا اسْتَـيْأسَ الرّسُلُ وَظَنّوا أنّهُمْ قَدْ كُذِبُوا مخففة, قال عبد الله: هو الذي تكره.

قال: حدثنا أبو عامر, قال: حدثنا سفـيان, عن سلـيـمان, عن أبـي الضحى, عن مسروق, أن رجلا سأل عبد الله بن مسعود: حَتـى إذا اسْتَـيْأَسَ الرّسُلُ وَظَنّوا أنّهُمْ قَدْ كُذِبُوا قال: هو الذي تكره, مخففة.

15272ـ قال: حدثنا مـحمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن أبـي بشر, عن سعيد بن جبـير, أنه قال فـي هذه الآية: حتـى إذَا اسْتَـيْأَسَ الرّسُلُ وَظَنّوا أنّهُمْ قَدْ كُذِبُوا قلت: كُذِبُوا؟ قال: نعم ألـم يكونوا بشرا.

15273ـ حدثنا الـحارث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا إسرائيـل, عن سماك, عن عكرمة, عن ابن عبـاس, فـي قوله: حتـى إذَا اسْتَـيْأسَ الرّسُلُ وَظَنّوا أنّهُمْ قَدْ كُذِبُوا قال: كانوا بشرا قد ظنوا.

وهذا تأويـلٌ وقولٌ, غيره من أهل التأويـل أولـى عندي بـالصواب, وخلافه من القول أشبه بصفـات الأنبـياء والرسل, إن جاز أن يرتابوا بوعد الله إياهم ويشكوا فـي حقـيقة خبره مع معاينتهم من حجج الله وأدلته ما لا يعاينه الـمرسَل إلـيهم, فـيعذروا فـي ذلك أن الـمرسل إلـيهم لأولـى فـي ذلك منهم بـالعذر, وذلك قول إن قاله قائل لا يخفـى أمره. وقد ذكر هذا التأويـل الذي ذكرناه أخيرا عن ابن عبـاس لعائشة, فأنكرته أشدّ النكرة فـيـما ذُكر لنا. ذكر الرواية بذلك عنها رضوان الله علـيها:

15274ـ حدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا عثمان بن عمر, قال: حدثنا ابن جريج, عن ابن أبي مليكة, قال: قرأ ابن عباس: حتى إذَا اسْتَيْأَسَ الرّسُلُ وظَنّوا أنّهُمْ قَدْ كُذِبُوا فقال: كانوا بشرا ضعفوا ويئسوا, قال ابن أبي مليكة: فذكرت ذلك لعروة, فقال: قالت عائشة: معاذ الله, ما حدّث الله رسوله شيئا قطّ إلا علم أنه سيكون قبل أن يموت, ولكن لم يزل البلاء بالرسل, حتى ظنّ الأنبياء أن من تبعهم قد كذبوهم. فكانت تقرؤها: «قد كُذّبوا» تثقلها.

قال: حدثنا حجاج, عن ابن جريج, قال: أخبرني ابن أبي مليكة, أن ابن عباس قرأ: وَظَنّوا أنّهُمْ قَدْ كُذِبُوا خفيفة قال عبد الله: ثم قال لي ابن عباس: كانوا بشرا. وتلا ابن عباس: حتى يَقُولَ الرّسُولُ والّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتى نَصْرُ اللّهِ ألا إنّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ. قال ابن جريج: قال ابن أبي مليكة: يذهب بها إلى أنهم ضعفوا, فظنوا أنهم أخلفوا. قال ابن جريج: قال ابن أبي مليكة: وأخبرني عروة عن عائشة, أنها خالفت ذلك وأبته, وقالت: ما وعد الله محمدا صلى الله عليه وسلم من شيء إلا وقد علم أنه سيكون حتى مات, ولكنه لم يزل البلاء بالرسل حتى ظنوا أن من معهم من المؤمنين قد كَذّبوهم. قال ابن أبي مليكة في حديث عروة: كانت عائشة تقرؤها: «وظَنّوا أنّهُمْ قَدْ كُذّبُوا» مثّقله, للتكذيب.

15275ـ قال: حدثنا سليمان بن داود الهاشمي, قال: حدثنا إبراهيم بن سعد, قال: ثني صالح بن كيسان, عن ابن شهاب, عن عروة, عن عائشة قال: قلت لها قوله: حتى إذَا اسْتَيْأَسَ الرّسُلُ وَظَنّوا أنّهُمْ قَدْ كُذِبُوا قال: قالت عائشة: لقد استيقنوا أنهم قد كذّبوا. قلت: كُذبُوا؟ قالت: معاذ الله, لم تكن الرسل تُظنّ يوما, إنما هم أتباع الرسل لـمّا استأخر عنهم الوحي واشتدّ عليهم البلاء ظنّت الرسل أن أتباعهم قد كذّبوهم جاءَهُمْ نَصْرُنا.

15276ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن الزهري, عن عروة, عن عائشة, قالت: حتى إذا استيأس الرجل ممن كذبهم من قومهم أن يصدّقوهم, وظنت الرسل أن من قد آمن من قومهم قد كذبوهم, جاءهم نصر الله عند ذلك.

فهذا رُوي في ذلك عن عائشة, غير أنها كانت تقرأ: «كُذّبوا» بالتشديد وضمّ الكاف, بمعنى ما ذكرنا عنها, من أن الرسل ظنت بأتباعها الذين قد آمنوا بهم أنهم قد كذبوهم, فارتدّوا عن دينهم, استبطاءً منهم للنصر.

وقد بيّنا أن الذي نختار من القراءة في ذلك والتأويل غيره في هذا الحرف خاصة.

وقال آخرون ممن قرأ قوله: «كُذّبُوا» بضم الكاف وتشديد الذال, معنى ذلك: حتى إذا استيأس الرسل من قومهم أن يؤمنوا بهم ويصدّقوهم, وظنت الرسل: بمعنى واستيقنت أنهم قد كذّبهم أممُهم جاءت الرسلَ نُصْرَتُنا وقالوا: الظنّ في هذا بمعنى العلم, من قول الشاعر:

فَظَنّوا بألْفَيْ فارِسٍ مُتَلَبّبسَرَاتُهُم في الفارِسِيّ المُسَرّدِ

15277ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, عن الحسن, وهو قول قتادة: حتى إذَا اسْتَيْأَسَ الرّسُلُ من إيمان قومهم, «وظَنّوا أنّهُمْ قَدْ كُذّبُوا»: أي استيقنوا أنه لا خير عند قومهم, ولا إيمان, جاءهم نصرنا.

15278ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: حتى إذَا اسْتَيْأَسَ الرّسُلُ قال: من قومهم «وظَنّوا أنّهُمْ قَدْ كُذّبُوا» قال: وعلموا قد كُذّبوا, جاءَهُمْ نَصْرُنا.

وبهذه القراءة كانت تقرأ عامة قرّاء المدينة والبصرة والشام, أعني بتشديد الذال من «كذبوا» وضمّ كافها. وهذا التأويل الذي ذهب إليه الحسن وقتادة في ذلك إذا قرىء بتشديد الذال وضمّ الكاف خلاف لما ذكرنا من أقوال جميع من حكينا قوله من الصحابة, لأنه لم يوجّه الظنّ في هذا الموضع منهم أحد إلى معنى العلم واليقين, مع أن الظنّ إنما استعمله العرب في موضع العلم فيما كان من علم أدرك من جهة الخبر أو من غير وجه المشاهدة والمعاينة, فأما ما كان من علم أدرك من وجه المشاهدة والمعاينة فإنها لا تستعمل فيه الظنّ, لا تكاد تقول: أظنني حيّا وأظنني إنسانا, بمعنى: أعلمني إنسانا وأعلمني حيّا. والرسل الذين كذّبتهم أممهم, لا شكّ أنها كانت لأممها شاهدة ولتكذيبها إياها منها سامعة, فيقال فيها: ظنّت بأممها أنها كذبتها.

ورُوي عن مجاهد في ذلك قول هو خلاف جميع ما ذكرنا من أقوال الماضين الذين سمينا أسماءهم وذكرنا أقوالهم وتأويل خلاف تأويلهم وقراءة غير قراءة جميعهم, وهو أنه فيما ذكر عنه كان يقرأ: «وظَنّوا أنّهُمْ قَدْ كَذَبُوا» بفتح الكاف والذال وتخفيف الذال. ذكر الرواية عنه بذلك:

15279ـ حدثني أحمد بن يوسف, قال: حدثنا أبو عبيد, قال: حدثنا حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, أنه قرأها: «كَذَبُوا» بفتح الكاف بالتخفيف. وكان يتأوّله كما:

15280ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد: استيأس الرجل أن تَعذّبَ قومهم, وظنّ قومهم أن الرسل قد كذَبوا, جاءهم نصرنا, قال: جاء الرسل نصرُنا. قال مجاهد: قال في المؤمن: فَلَمّا جاءَتْهُمْ رُسُلُنا بالبَيّناتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ العِلْمَ قال: قولهم نحن أعلم منهم, ولن نعذّب. وقوله: وَحاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ قال: حاق بهم ما جاءت به رسلهم من الحقّ.

وهذه القراءة لا أستجيز القراءة بها لإجماع الحجة من قرّاء الأمصار على خلافها, ولو جازت القراءة بذلك لاحتمل وجها من التأويل وهو أحسن مما تأوّله مجاهد, وهو: حَتى إذَا استَيأس الرسُلُ من عذاب الله قومَها المكذّبة بها, وظنت الرسلُ أن قومها قد كَذّبوا وافتروا على الله بكفرهم بها. ويكون الظنّ موجها حينئذٍ إلى معنى العلم, على ما تأوّله الحسن وقتادة.

وأما قوله: فَنُجّيَ مَنْ نَشاءُ فإن القرّاء اختلفت في قراءته, فقرأه عامة قرّاء أهل المدينة ومكة والعراق: «فَنُنَجّي مَنْ نَشاءُ» بنونين, بمعنى: فننجي نحن من نشاء من رسلنا والمؤمنين بنا, دون الكافرين الذين كذّبوا رسلنا إذا جاء الرسلَ نصرُنا. واعتلّ الذين قرءوا ذلك كذلك أنه إنما كُتب في المصحف بنون واحدة, وحكمه أن يكون بنونين, لأن إحدى النونين حرف من أصل الكلمة, من أنجى يُنجي, والأخرى النون التي تأتي لمعنى الدلالة على الاستقبال, من فعل جماعة مخبرة عن أنفسها, لأنهما حرفان أعني النونين من جنس واحد يخفي الثاني منهما عن الإظهار في الكلام, فحذفت من الخط واجتزىء بالمثبتة من المحذوفة,

كما يفعل ذلك فـي الـحرفـين اللّذين يدغم أحدهما فـي صاحبه. وقرأ ذلك بعض الكوفـيـين علـى هذا الـمعنى, غير أنه أدغم النون الثانـية وشدّد الـجيـم. وقرأه آخر منهم بتشديد الـجيـم ونصب الـياء علـى معنى فعل ذلك به من نـجيته أنـجيه. وقرأ ذلك بعض الـمكيـين: «فَنَـجا مَنْ نَشاءُ» بفتـح النون والتـخفـيف, من نـجا من عذاب الله من نشاء ينـجو.

والصواب من القراءة فـي ذلك عندنا قراءة من قرأ: «فَنُنَـجّي مَنْ نَشاءُ» بنونـين, لأن ذلك هو القراءة التـي علـيها القِرَاءة فـي الأمصار, وما خالفه مـمن قرأ ذلك ببعض الوجوه التـي ذكرناها فمنفرد بقراءته عما علـيه الـحجة مـجمعة من القرّاء, وغير جائز خلاف ما كان مستفـيضا بـالقراءة فـي قِرَاءة الأمصار. وتأويـل الكلام: فننـجي الرسل ومن نشاء من عبـادنا الـمؤمنـين إذا جاء نصرنا كما:

15281ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال ثنـي عمي: قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس: «فَنُنَـجّي مَنْ نَشاءُ» فننـجّي الرسل ومن نشاء, وَلا يُرَدّ بأْسُنا عَنِ القَوم الـمُـجْرِمِينَ وذلك أن الله تبـارك وتعالـى بعث الرسل, قدعَوا قومهم. وأخبروهم أنه من أطاع نـجا ومن عصاه عُذّب وغَوَى.

وقوله وَلا يُرَدّ بأْسُنا عَن القَوْم الـمُـجْرِمِينَ يقول: ولا تردّ عقوبتنا وبطشنا بـمن بطشنا به من أهل الكفر بنا عن القوم الذين أجرموا, فكفروا بـالله وخالفوا رسله وما أتوهم به من عنده.

الآية : 111

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَىَ وَلَـكِن تَصْدِيقَ الّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ }.

يقول تعالـى ذكره: لقد كان فـي قصص يوسف وإخوته عِبرة لأهل الـحِجا والعقول, يعتبرون بها وموعظة يتعظون بها وذلك أن الله جلّ ثناؤه بعد أن ألقـي يوسف فـي الـجبّ لـيهلك, ثم بِـيع بـيع العبـيد بـالـخسيس من الثمن, وبعد الإسار والـحبس الطويـل ملّكه مصر ومكّن له فـي الأرض وأعلاه علـى من بغاه سوءا من إخوته, وجمع بـينه وبـين والديه وإخوته بقدرته بعد الـمدّة الطويـلة, وجاء بهم إلـيه من الشّقّة النائية البعيدة. فقال جلّ ثناؤه للـمشركين من قريش من قوم نبـيه مـحمد صلى الله عليه وسلم: لقد كان لكم أيّها القوم فـي قَصَصهم عبرة لو اعتبرتـم به, أن الذي فعل ذلك بـيوسف وإخوته لا يتعذّر علـيه أن يفعل مثله بـمـحمد صلى الله عليه وسلم, فـيخرجه من بـين أظهركم ثم يظهره علـيكم ويـمكن له فـي البلاد ويؤيده بـالـجند والرجال من الأتبـاع والأصحاب, وإن مرّت به شدائد وأتت دونه الأيام واللـيالـي والدهور والأزمان.

وكان مـجاهد يقول: معنى ذلك: لقد كان فـي قصصهم عبرة لـيوسف وإخوته. ذكر الرواية بذلك:

15282ـ حدثنا مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, فـي قوله: لَقَدْ كانَ فـي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لـيوسف وإخوته.

حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا شبـابة, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: عبرة لـيوسف وإخوته.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, مثله.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, عن مـجاهد, قوله: لَقَدْ كانَ فِـي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولـى الأَلْبـاب قال: يوسف وإخوته.

وهذا القول الذي قاله مـجاهد وإن كان له وجه يحتـمله التأويـل, فإن الذي قلنا فـي ذلك أولـى به لأن ذلك عقـيب الـخبر عن نبـينا صلى الله عليه وسلم وعن قومه من الـمشركين, وعقـيب تهديدهم ووعيدهم علـى الكفر بـالله وبرسوله مـحمد صلى الله عليه وسلم, ومنقطع عن خبر يوسف وإخوته, ومع ذلك أنه خبر عامّ عن جميع ذوي الألبـاب, أن قصصهم لهم عبرة, وغير مخصوص بعض به دون بعض. فإذا كان الأمر علـى ما وصفت فـي ذلك, فهو بأن يكون خبرا عن أنه عبرة لغيرهم أشبه, والرواية التـي ذكرناها عن مـجاهد من رواية ابن جريج أشبه به أن تكون من قوله لأن ذلك موافق القول الذي قلناه فـي ذلك.

وقوله: ما كانَ حَديثا يُفْتَرَى يقول تعالـى ذكره: ما كان هذا القول حديثا يُختلَق ويُتَكَذّب ويتـخرّص. كما:

15283ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: ما كانَ حَدِيثا يُفْتَرَى والفِرية: الكذب.

ولكِنْ تَصْدِيقَ الّذِي بـينَ يَدَيْه يقول: ولكنه تصديق الذي بـين يديه من كتب الله التـي أنزلها قبله علـى أنبـيائه, كالتوراة والإنـجيـل والزبور, ويصدّق ذلك كله ويشهد علـيه أن جميعه حقّ من عند الله. كما:

15284ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الّذي بـينَ يَدَيْهِ والفرقان تصديق الكتب التـي قبله, ويشهد علـيها.

وقوله: وَتَفْصِيـلَ كُلّ شَيْءٍ يقول تعالـى ذكره: وهو أيضا تفصيـل كلّ ما بـالعبـاد إلـيه حاجة من بـيان أمر الله ونهيه وحلاله وحرامه وطاعته ومعصيته.

وقوله: وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ يقول تعالـى ذكره: وهو بـيان أمره, ورشاد من جَهِلَ سبـيـل الـحقّ فعمِي عنه إذا تبعه فـاهتدى به من ضلالته ورحمة لـمن آمن به وعمل بـما فـيه, ينقذه من سخط الله وألـيـم عذابه, ويورثه فـي الآخرة جنانه والـخـلود فـي النعيـم الـمقـيـم. لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ يقول: لقوم يصدّقون بـالقرآن وبـما فـيه من وعد الله ووعيده وأمره ونهيه, فـيعملون بـما فـيه من أمره وينتهون عما فـيه من نهيه.

سورة الرعد

مَدنـيّة

وآيَاتها ثَلاثٌ وأربَعُونَ

القول فـي تفسير السورة التـي يذكر فـيها الرعد

بِسْمِ اللّهِ الرّحْمَنِ الرّحِيـمِ

الآية : 1

{الَمر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالّذِيَ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رّبّكَ الْحَقّ وَلَـكِنّ أَكْثَرَ النّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ }.

قال أبو جعفر: قد بـينا القول فـي تأويـل قوله (الر) و (الـمر) ونظائرهما من حروف الـمعجم التـي افتتـح بها أوائل بعض سور القرآن فـيـما مضى بـما فـيه الكفـاية من إعادتها, غير أنا نذكر من الرواية ما جاء خاصّا به كلّ سورة افتُتِـح أوّلها بشيء منها. فمـما جاء من الرواية فـي ذلك فـي هذه السورة عن ابن عبـاس من نقل أبـي الضحى مسلـم بن صبـيح وسعيد بن جبـير عنه, التفريق بـين معنى ما ابتدىء به أوّلها مع زيادة الـميـم التـي فـيها علـى سائر سور ذوات الراء, ومعنى ما ابتدىء به أخواتها, مع نقصان ذلك منها عنها. ذكر الرواية بذلك عنه:

15285ـ حدثنا ابن الـمثنى, قال: حدثنا عبد الرحمن, عن هشيـم, عن عطاء بن السائب, عن سعيد بن جبـير, عن ابن عبـاس: الـمر قال: أنا الله أرى.

حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا شريك, عن عطاء بن السائب, عن أبـي الضحى, عن ابن عبـاس: قوله: الـمر قال: أنا الله أرى.

15286ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو نعيـم الفضل بن دكين, قال: حدثنا سفـيان, عن مـجاهد: الـمر: فواتـح يفتتـح بها كلامه.

وقوله: تِلْكَ آياتُ الكِتاب يقول تعالـى ذكره: تلك التـي قصصت علـيك خبرها آياتُ الكتاب الذي أنزلته قبل هذا الكتاب الذي أنزلته إلـيك إلـى من أنزلته إلـيه من رسلـي قبلك.

وقـيـل: عنى بذلك: التوراة والإنـجيـل. ذكر من قال ذلك:

15287ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: الـمر تِلْكَ آياتُ الكِتابِ الكتب التـي كانت قبل القرآن.

15288ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو نعيـم, قال: حدثنا سفـيان, عن مـجاهد: تِلْكَ آياتُ الكتاب قال: التوراة والإنـجيـل.

وقوله: والّذِي أُنْزِلَ إلَـيْكَ مِنْ رَبّكَ الـحَقّ (وهو القرآن) فـاعمل بـما فـيه واعتصم به.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

15289ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو نعيـم الفضل بن دكين, قال: حدثنا سفـيان, عن مـجاهد: والّذِي أُنْزِلَ إلَـيْكَ مِنْ رَبّكَ الـحَقّ قال: القرآن.

15290ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: والّذِي أُنْزِل إلَـيْكَ مِنْ رَبّكَ الـحَقّ: أي هذا القرآن.

وفـي قوله: وَالّذِي أُنْزِلَ إلَـيْكَ وجهان من الإعراب: أحدهما الرفع علـى أنه كلام مبتدأ, فـيكون مرفوعا ب «الـحق» و «الـحق به». وعلـى هذا الوجه تأويـل مـجاهد وقتادة الذي ذكرنا قبل عنهما. والآخر: الـخفض علـى العطف به علـى الكتاب, فـيكون معنى الكلام حينئذٍ: تلك آيات التوراة والإنـجيـل والقرآن, ثم يبتدىء الـحقّ بـمعنى ذلك الـحقّ, فـيكون رفعه بـمضمر من الكلام قد استغنـي بدلالة الظاهر علـيه منه. ولو قـيـل: معنى ذلك: تلك آيات الكتاب الذي أنزل إلـيك من ربك الـحقّ, وإنـما أدخـلت الواو فـي «والذي», وهو نعت للكتاب, كما أدخـلها الشاعر فـي قوله:

إلـى الـمَلِكِ القَرْمِ وابنِ الهُمامولَـيْثِ الكَتِـيبَةِ فـي الـمُزْدَحَمْ

فعطف بـالواو, وذلك كله من صفة واحد, كان مذهبـا من التأويـل ولكن ذلك إذا تؤوّل كذلك فـالصواب من القراءة فـي «الـحقّ الـخفض» علـى أنه نعت ل «الذي».

وقوله: وَلكِنّ أكْثَرَ النّاس من مشركي قومك لا يصدقون بـالـحقّ الذي أنزل إلـيك من ربك, ولا يقرّون بهذا القرآن وما فـيه من مـحكم آيِه.

الآية : 2

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {اللّهُ الّذِي رَفَعَ السّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمّ اسْتَوَىَ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخّرَ الشّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلّ يَجْرِي لأجَلٍ مّسَمّـى يُدَبّرُ الأمْرَ يُفَصّلُ الآيَاتِ لَعَلّكُمْ بِلِقَآءِ رَبّكُمْ تُوقِنُونَ }.

يقول تعالـى ذكره: الله يا مـحمد هو الذي رفع السموات السبع بغير عمد ترونها, فجعلها للأرض سقـفـا مسموكا. والعمد جمع عمود, وهي السواري, وما يُعْمد به البناء, كما قال النابغة:

وخَيّسُ الـجِنّ إنّـي قدْ أذِنْتُ لهُمْيَبْنُونَ تَدْمُرَ بـالصّفّـاح والعَمَدِ

وجمع العمود: عَمَد, كما جمع الأديـم: أدَم, ولو جمع بـالضم فقـيـل: عُمُد جاز, كما يجمع الرسول: رُسُل, والشّكُور: شُكُر.

واختلف أهل التأويـل فـي تأويـل قوله: رَفَعَ السّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها فقال بعضهم: تأويـل ذلك: الله الذي رفع السموات بعمَد لا ترونها. ذكر من قال ذلك:

15291ـ حدثنا أحمد بن هشام, قال: حدثنا معاذ بن معاذ, قال: حدثنا عمران بن حدير, عن عكرمة, قال: قلت لابن عبـاس: إن فلانا يقول: إنها علـى عَمَد, يعنـي السماء؟ قال: فقال: اقرأها «بغيرِ عَمَدٍ تَرَونها»: أي لا ترونها.

حدثنا الـحسن بن مـحمد بن الصبـاح, قال: حدثنا معاذ بن معاذ, عن عمران بن حُدَير, عن عكرمة, عن ابن عبـاس, مثله.

15292ـ حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا عفـان, قال: حدثنا حماد, قال: حدثنا حميد, عن الـحسن بن مسلـم, عن مـجاهد, قوله: بغَيُرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها قال: بعمد لا ترونها.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا الـحجاج, قال: حدثنا حماد, عن حميد, عن الـحسن بن مسلـم, عن مـجاهد, فـي قول الله: بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوَنْهَا قال: هي لا ترونها.

15293ـ حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا شبـابة, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد بغير عمد يقول: عمد.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, مثله.

15294ـ قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الرزاق, عن معمر, عن الـحسن وقتادة, قوله: اللّهُ الّذِي رَفَعَ السّمَوَاتِ بغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها قال قتادة: قال ابن عبـاس: بعَمَد ولكن لا ترونها.

15295ـ حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا شريك, عن سماك, عن عكرمة, عن ابن عبـاس, قوله: رَفَعَ السّمَوَاتِ بغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها قال: ما يدريك لعلها بعمد لا ترونها؟

ومن تأوّل ذلك كذلك, قصد مذهب تقديـم العرب الـجحد من آخر الكلام إلـى أوّله, كقول الشاعر:

ولا أرَاها تَزَالُ ظالِـمَةً تُـحْدِثُ لـي نَكْبَةً وتَنْكَؤُها
يريد: أراها لا تزال ظالـمة, فقدم الـجحد عن موضعه من تزال, وكما قال الآخر:
إذَا أعْجَبَتْكَ الدّهْر حالٌ من امْرِىءٍفَدَعْهِ وَوَاكِلْ حالَهُ واللّـيالِـيا
يَجِئْنَ علـى ما كانَ مِنْ صَالِـحٍ بِهوإنْ كانَ فِـيـما لا تَرَى النّاسُ آلِـيا
يعنـي: وإن كان فـيـما يرى الناس لا يألو.
وقال آخرون: بل هي مرفوعة بغير عمد. ذكر من قال ذلك:
15296ـ حدثنـي مـحمد بن خـلف العسقلانـيّ, قال: أخبرنا آدم, قال: حدثنا حماد بن سلـمة, عن إياس بن معاوية, فـي قوله: رَفَعَ السّمَوَاتِ بغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها قال: السماء مقببة علـى الأرض مثل القبة.
15297ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: بغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها قال: رفعها بغير عمد.
وأولـى الأقوال فـي ذلك بـالصحة أن يقال كما قال الله تعالـى: اللّهُ الّذِي رَفَعَ السّمَوَاتِ بغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها فهي مرفوعة بغير عمد نراها, كما قال ربنا جلّ ثناؤه. ولا خبر بغير ذلك, ولا حجة يجب التسلـيـم لها بقول سواه.
وأما قوله: ثُمّ اسْتَوَى علـى العَرْشِ فإنه يعنـي: علا علـيه.
وقد بـيّنا معنى الاستواء واختلاف الـمختلفـين فـيه والصحيح من القول فـيـما قالوا فـيه بشواهده فـيـما مضى بـما أغنى عن إعادته فـي هذا الـموضع.
وقوله: وسَخّرَ الشّمْسَ والقَمَرَ يقول: وأجرى الشمس والقمر فـي السماء, فسخرهما فـيها لـمصالـح خـلقه, وذللهما لـمنافعهم, لـيعلـموا بجريهما فـيها عدد السنـين والـحساب, ويفصلوا به بـين اللـيـل والنهار.
وقوله: كُلّ يَجْرِي لأَجَل مسَمّى يقول جلّ ثناؤه: كل ذلك يجري فـي السماء لأجل مسمى: أي لوقت معلوم, وذلك إلـى فناء الدنـيا وقـيام القـيامة التـي عندها تكوّر الشمس, ويُخسف القمر وتنكدر النـجوم وحذف ذلك من الكلام لفهم السامعين من أهل لسان من نزل بلسانه القرآن معناه, وأنّ «كلّ» لا بدّ لها من إضافة إلـى ما تـحيط به.
وبنـحو الذي قلنا فـي قوله لأَجَل مُسَمّى قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:
15298ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: وَسَخّرَ الشّمْسَ والقَمَرَ كُلّ يَجْرِي لأَجَل مُسَمّى قال: الدنـيا.
وقوله: يُدَبّرُ الأمْرَ يقول تعالـى ذكره: يقضي الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها أمور الدنـيا والآخرة كلها, ويدبر ذلك كله وحده, بغير شريك ولا ظهير ولا معين سبحانه.
وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:
15299ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: يُدَبّرُ الأمْرَ يقضيه وحده.
قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, بنـحوه.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, عن مـجاهد, بنـحوه.

وقوله: يُفَصّلُ الآيَاتِ يقول: يفصل لكم ربكم آيات كتابه, فـيبـينها لكم احتـجاجا بها علـيكم أيها الناس, لَعَلّكُمْ بِلِقاءِ رَبّكُمْ تُوقِنُونَ يقول: لتوقنوا بلقاء الله, والـمعاد إلـيه, فتصدّقوا بوعده ووعيده, وتنزجروا عن عبـادة الآلهة والأوثان, وتـخـلصوا له العبـادة إذا تـيقنتـم ذلك.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

15300ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: لَعَلّكُمْ بِلِقاءِ رَبّكُمْ تُوقِنُونَ وأن الله تبـارك وتعالـى إنـما أنزل كتابه, وأرسل رسله لنؤمن بوعده, ونستـيقن بلقائه.

الآية : 3

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَهُوَ الّذِي مَدّ الأرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِن كُلّ الثّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللّيْلَ النّهَارَ إِنّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لّقَوْمٍ يَتَفَكّرُونَ }.

يقول تعالـى ذكره: والله الذي مدّ الأرض, فبسطها طولاً وعرضا. وقوله: وَجَعَلَ فِـيها رَوَاسِيَ يقول جلّ ثناؤه: وجعل فـي الأرض جبـالاً ثابتة والرواسي: جمع راسية, وهي الثابتة, يقال منه: أرسيت الوتد فـي الأرض: إذا أثبته, كما قال الشاعر:

بِهِ خالِدَاتٌ ما يَرِمْنَ وهامِدٌوأشْعَثُ أرْسَتْهُ الوَلِـيدَةُ بـالفِهْرِ

يعنـي: أثبتته.

وقوله: وأنهارا يقول: وجعل فـي الأرض أنهارا من ماء. وقوله: وَمِنْ كُلّ الثّمَرَاتِ جَعَلَ فِـيهَا زَوْجيْنِ اثْنَـينِ ف «مِنْ» فـي قوله وَمِنْ كُلّ الثّمَرَاتِ جَعَلَ فِـيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَـيْنِ من صلة «جعل» الثانـي لا الأول. ومعنى الكلام: وجعل فـيها زوجين اثنـين من كلّ الثمرات. وعنى بزوجين اثنـين: من كل ذَكَرٍ اثنان, ومن كل أنثى اثنان, فذلك أربعة من الذكور اثنان ومن الإناث اثنان فـي قول بعضهم. وقد بـيّنا فـيـما مضى أن العرب تسمي الاثنـين زوجين, والواحد من الذكور زوجا لأنثاه, وكذلك الأنثى الواحدة زوجا وزوجة لذكرها, بـما أغنى عن إعادته فـي هذا الـموضع. ويزيد ذلك إيضاحا قول الله عزّ وجلّ: وأنّهُ خَـلَقَ الزّوْجَيْن الذّكَرَ والأُنْثَى فسمى الاثنـين الذكر والأنثى زوجين. وإنـما عنى بقوله: مِنْ كُلّ زَوْجَيْن اثْنَـيْن: نوعين وضربـين.)

وقوله: يُغْشى اللّـيْـلَ النّهارَ يقول: يجلل اللـيـل النهار فـيـلبسه ظلـمته, والنهار اللـيـل بضيائه. كما:

15301ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: يُغْشِي اللّـيْـلَ النّهارَ: أي يـلبس اللـيـلَ النهار.

وقوله: إنّ فِـي ذلكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكّرُونَ يقول تعالـى ذكره: إن فـيـما وصفت وذكرت من عجائب خـلق الله وعظيـم قدرته التـي خـلق بها هذه الأشياء, لدلالات وحججا وعظات, لقوم يتفكرون فـيها فـيستدلون ويعتبرون بها, فـيعلـمون أن العبـادة لا تصلـح ولا تـجوز إلاّ لـمن خـلقها ودبّرها دون غيره من الآلهة والأصنام التـي لا تقدر علـى ضرّ ولا نفع ولا لشيء غيرها, إلاّ لـمن أنشأ ذلك فأحدثه من غير شيء تبـارك وتعالـى, وأن القدرة التـي أبدع بها ذلك هي القدرة التـي لا يتعذّر علـيه إحياء من هلك من خـلقه وإعادة ما فنـي منه وابتداع ما شاء ابتداعه بها.

الآية : 4

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنّاتٌ مّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىَ بِمَآءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضّلُ بَعْضَهَا عَلَىَ بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ }.

يقول تعالـى ذكره: وفـي الأرْض قطَعٌ مُتَـجاوِرَاتٌ: وفـي الأرض قطع منها متقاربـات متدانـيات يقرب بعضها من بعض بـالـجوار, وتـختلف بـالتفـاضل مع تـجاورها وقرب بعضها من بعض, فمنها قطعة سَبِخة لا تنبت شيئا فـي جوار قطعة طيبة تنبت وتنفع.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

15302ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن سفـيان, عن لـيث, عن مـجاهد: وفـي الأرْضِ قِطَعٌ مُتَـجاوِرَاتٌ قال: السّبِخة والعَذِيَة, والـمالـح والطيب.

حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفـيان, عن لـيث, عن مـجاهد, قوله: وفِـي الأرْضِ قِطَعٌ مُتَـجاوِرَاتٌ قال: سبـاخ وعُذُوبة.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو نعيـم, قال: حدثنا سفـيان, عن لـيث, عن مـجاهد, مثله.

15303ـ حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا سعيد بن سلـيـمان, قال: حدثنا إسحاق بن سلـيـمان, عن أبـي سنان, عن ابن عبـاس فـي قوله: وفِـي الأرْضِ قِطَعٌ مُتَـجاورَاتٌ قال: العَذِية والسّبِخة.

15304ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: وفِـي الأرْضِ قِطَعٌ مُتَـجاوِرَاتٌ يعنـي: الأرض السّبِخة, والأرض العَذِية, يكونان جميعا متـجاورات, نفضل بعضها علـى بعض فـي الأكل.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, قال: قال ابن عبـاس: قِطَعٌ مُتَـجاوِرَاتٌ العَذِية والسّبِخة متـجاورات جميعا, تنبت هذه, وهذه إلـى جنبها لا تنبت.

حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا شبـابة, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: قِطَعٌ مُتَـجاوِرَاتٌ طيبها: عَذِيّهَا, وخبـيثها: السبـاخ.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, بنـحوه.

قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, مثله.

15305ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وفِـي الأرْضِ قِطَعٌ مُتَـجاوِرَاتٌ قرى قربت متـجاورات بعضها من بعض.

حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: وفِـي الأرْضِ قِطَعٌ مُتَـجاوِرَاتٌ قال: قُرًى متـجاورات.

15306ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا هشيـم, عن أبـي إسحاق الكوفـيّ, عن الضحاك, فـي قوله: قِطَعٌ مُتَـجاوِرَاتٌ قال: الأرض السّبِخة تلـيها الأرض العَذِية.

حُدثت عن الـحسين بن الفرج, قال: سمعت أبـا معاذ يقول: حدثنا عبـيد بن سلـيـمان, قال: سمعت الضحاك يقول فـي قوله: وفِـي الأرْضِ قِطَعٌ

مُتَـجاوِرَاتٌ يعنـي الأرض السّبِخة والأرضِ العَذِية, متـجاورات بعضها عند بعض.

حدثنا الـحارث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا إسرائيـل, عن عطاء بن السائب, عن سعيد بن جبـير عن ابن عبـاس, فـي قوله: وفِـي الأرْضِ قِطَعٌ مُتَـجاوِرَاتٌ قال: الأرض تنبت حلُوا, والأرض تنبت حامضا, وهي متـجاورة تُسْقَـى بِـمَاءٍ وَاحِدٍ.

حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا إسرائيـل, عن عطاء بن السائب, عن سعيد بن جبـير, عن ابن عبـاس: وفِـي الأرْضِ قِطَعٌ مُتَـجاوِرَاتٌ قال: يكون هذا حلُوا وهذا حامضا, وهو يُسْقـى بـماء واحد, وهنّ متـجاورات.

15307ـ حدثنـي عبد الـجبـار بن يحيى الرملـيّ, قال: حدثنا ضَمْرة بن ربـيعة, عن ابن شوذب فـي قوله: وفِـي الأرْضِ قِطَعٌ مُتَـجاوِرَاتٌ قال: عذية ومالـحة.

وقوله: وَجَنّاتٌ مِنْ أعْنابٍ وَزَرْعٌ ونَـخِيـلٌ صِنْوَانٌ وغيرُ صِنْوَانٍ يُسْقَـى بِـمَاءٍ وَاحِدٍ ونُفَضّلُ بَعْضَها علـى بَعْضٍ فِـي الأُكُلِ يقول تعالـى ذكره: وفـي الأرض مع القطع الـمختلفـات الـمعانـي منها, بـالـملوحة والعذوبة, والـخبـيث والطيب, مع تـجاورها وتقارب بعضها من بعض, بساتـينُ من أعناب وزرع ونـخيـل أيضا, متقاربة فـي الـخِـلقة مختلفة فـي الطعوم والألوان, مع اجتـماع جميعها علـى شِرب واحد, فمِنْ طيّبٍ طعمُه منها حَسَنٍ منظره طيبة رائحته, ومِن حامض طعمه ولا رائحة لَه.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

15308ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن عطاء بن السائب, عن سعيد بن جبـير, فـي قوله: وَجَنّاتٌ مِنْ أعْنابٍ وَزَرْعٌ ونَـخِيـلٌ صِنْوَانٍ وغير صِنْوَان قال: مـجتمع وغير مـجتـمع. يُسْقَـى بِـمَاءٍ واحِد ونُفَضّلُ بَعْضَها علـى بَعْضٍ فِـي الأُكُلِ قال: الأرض الواحدة يكون فـيها الـخَوْخ والكمثري والعنب الأبـيض والأسود, وبعضها أكثر حملاً من بعض, وبعضه حلو, وبعضه حامض, وبعضه أفضل من بعض.

15309ـ حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا شبـابة, عن ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: وَجَنّاتٌ قال: وما معها.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد قال الـمثنى, وثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, مثله.

واختلفت القرّاء فـي قراءة قوله: وَزَرْعٌ ونَـخِيـلٌ فقرأ ذلك عامة قرّاء أهل الـمدينة والكوفة: «وَزَرْعٍ ونَـخِيـلٍ» بـالـخفض عطفـا بذلك علـى «الأعناب», بـمعنى: وفـي الأرض قطع متـجاورات, وجنّات من أعناب ومن زرع ونـخيـل. وقرأ ذلك بعض قرّاء أهل البصرة: وزَرْعٌ ونَـخِيـلٌ بـالرفع عطفـا بذلك علـى «الـجنات», بـمعنى: وفـي الأرض قطع متـجاورات وجنات من أعناب, وفـيها أيضا زرع ونـخيـل.

والصواب من القول فـي ذلك أن يقال: إنهما قراءتان متقاربتا الـمعنى, وقرأ بكلّ واحدة منهما قرّاء مشهورون, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب وذلك أن الزرع والنـخـل إذا كانا فـي البساتـين فهما فـي الأرض, وإذا كانا فـي

الأرض فـالأرض التـي هما فـيها جنة, فسواءٌ وصفـا بأنهما فـي بستان أو فـي أرض.

وأما قوله: ونَـخِيـلٌ صِنْوَانٌ وغيرُ صِنْوَانٍ فإن الصنوان: جمع صنو, وهي النـخَلات يجمعهن أصل واحد, لا يفرّق فـيه بـين جميعه واثْنـيه إلاّ بـالإعراب فـي النون, وذلك أن تكون نونه فـي اثنـيه مكسورة بكل حال, وفـي جميعه متصرّفة فـي وجوه الإعراب, ونظيره القِنْوان: واحدها قِنْو.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

15310ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن سفـيان, عن أبـي إسحاق, عن البراء: صِنْوَانٌ قال: الـمـجتـمع, وغيرُ صِنْوَانٍ: الـمتفرّق.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا الـحسين, عن أبـي إسحاق, عن البراء, قال: صِنْوَانٌ: هي النـخـلة التـي إلـى جنبها نـخلات إلـى أصلها, وغيرُ صِنْوَانٍ: النـخـلة وحدها.

حدثنا مـحمد بن بشار, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا سفـيان, عن أبـي إسحاق, عن البراء بن عازب: صِنْوَانٌ وغيرُ صِنْوَانٍ قال: الصنوان: النـخـلتان أصلهما واحد, وغيرُ صِنْوَانٍ النـخـلة والنـخـلتان الـمتفرّقتان.

حدثنا مـحمد بن الـمثنى, قال: حدثنا مـحمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن أبـي إسحاق, قال: سمعت البرَاء يقول فـي هذه الآية, قال: النـخـلة يكون لها النـخلات, وغيرُ صِنْوَانٍ النـخـل الـمتفرّق.

حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا عمرو بن الهيثم أبو قطن, ويحيى بن عبـاد وعفـان, واللفظ لفظ أبـي قَطَن, قال: حدثنا شعبة, عن أبـي إسحاق, عن البراء, فـي قوله: صِنْوَانٌ وغيرُ صِنْوَانٍ قال: الصنوان: النـخـلة التـي جنبها النـخَلات, وغيرُ صنْوَانٍ: الـمتفرّق.

حدثنا الـحسن, قال: حدثنا شبـابة, قال: حدثنا إسرائيـل, عن أبـي إسحاق, عن البراء فـي قوله: صِنْوَانٌ وغيرُ صَنْوَانٍ قال: الصنوان: النـخلات الثلاث والأربع والثنتان أصلهنّ واحد, وغير صنوان: الـمتفرّق.

حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفـيان وشريك, عن أبـي إسحاق, عن البراء فـي قوله: صِنْوَانٌ وغيرُ صِنْوَانٍ قال: النـخـلتان يكون أصلهما واحد, وغير صنوان: الـمتفرّق.

15311ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالـح, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله: صِنْوَانٌ يقول: مـجتـمع.

15312ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: ونَـخِيـلٌ صِنْوَانٌ وغيرُ صِنْوانِ يعنـي بـالصنوان: النـخـلة يخرج من أصلها النـخَلات, فَـيحمِل بعضه ولا يحمل بعضه, فـيكون أصله واحدا ورؤوسه متفرّقة.

15313ـ حدثنـي الـحارث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا إسرائيـل, عن عطاء بن السائب, عن سعيد بن جبـير, عن ابن عبـاس, فـي قوله: صِنْوَانٌ وغيرٌ صِنْوَانٍ النـخيـل فـي أصل واحد, وغير صنوانٍ: النـخيـل الـمتفرّق.

15314ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن عطاء, عن سعيد بن جبـير: ونَـخيـلٌ صِنْوَانٌ وغيرُ صِنْوَانٍ قال: مـجتـمع, وغير مـجتـمع.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا النفـيـلـي, قال: حدثنا زهير, قال: حدثنا أبو إسحاق, عن البرَاء, قال: الصنوان: ما كان أصله واحدا وهو متفرّق, وغير صنوان: الذي نبت وحده.

15315ـ حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا شبـابة, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, فـي قوله: صِنْوَانٌ النـخـلتان وأكثر فـي أصل واحد, وَغيرُ صِنْوَانٍ وحدها.

حدثنا الـمثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: صِنْوَانٌ: النـخـلتان أو أكثر فـي أصل واحد, وغيرُ صِنْوَانٍ واحدة.

قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, مثله.

15316ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن سلـمة بن نبـيط, عن الضحاك: صِنْوَانٌ وغيرُ صِنْوَانٍ قال: الصنوان: الـمـجتـمع أصله واحد, وغير صنوان: الـمتفرّق أصله.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: أخبرنا هشيـم, عن جويبر, عن الضحاك, فـي قوله: صِنْوانٌ وغيرُ صِنْوَانٍ قال: الصنوان: الـمـجتـمع الذي أصله واحد, وغير صنوان: الـمتفرّق.

15317ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: ونَـخِيـلٌ صِنْوَانٌ وغيرُ صِنْوانٍ أما الصنوان: فـالنـخـلتان والثلاث أصولهنّ واحدة وفروعهنّ شتـى, وغير صنوان: النـخـلة الواحدة.

حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: صِنْوَانٌ وغيرُ صِنْوَانٍ قال: صنوان: النـخـلة التـي يكون فـي أصلها نـخـلتان وثلاث أصلهنّ واحد.

15318ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد قوله: ونَـخِيـلٌ صِنْوَانٌ وغيرُ صِنْوَانٍ قال: الصنوان: النـخـلتان أو الثلاث يكنّ فـي أصل واحد, فذلك يعدّه الناس صنوانا.

15319ـ حدثنا ابن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, قال: حدثنـي رجل أنه كان بـين عمر بن الـخطاب وبـين العبـاس قول, فأسرع إلـيه العبـاس, فجاء عمر إلـى النبـيّ صلى الله عليه وسلم, فقال: يا رسول الله, ألـم تر عبـاسا فعل بـي وفعل, فأردت أن أجيبه, فذكرت مكانه منك فكففت فقال: «يَرْحَمُكَ اللّهُ إنّ عَمّ الرّجُلِ صِنْوُ أَبِـيهِ».

15320ـ حدثنا الـحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة: صِنْوَانٌ: النـخـلة التـي يكون فـي أصلها نـخـلتان وثلاث أصلهنّ واحد قال: فكان بـين عمر بن الـخطاب وبـين العبـاس رضي الله عنهما قول, فأسرع إلـيه العبـاس, فجاء عمر إلـى النبـيّ صلى الله عليه وسلم فقال: يا نبـيّ الله ألـم تر عبـاسا فعل بـي وفعل؟ فأردت أن أجيبه, فذكرت مكانه منك فكففت عند ذلك, فقال: «يَرْحَمُكَ اللّهُ إنّ عَمّ الرّجُلِ صِنْوُ أَبِـيهِ».

15321ـ قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا ابن عيـينة, عن داود بن شابور, عن مـجاهد, أن النبـيّ صلى الله عليه وسلم, قال: «لا تُؤْذُونِـي فِـي العَبّـاسِ فإنّهُ بَقِـيّةُ آبـائِي, وإنّ عَمّ الرّجُلِ صِنْوُ أَبِـيهِ».

15322ـ حدثنـي يعقوب, قال: حدثنا هشيـم, قال: أخبرنا حجاج, عن عطاء, وابن أبـي ملـيكة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر: «يا عُمَرُ أما عَلِـمْتَ أنّ عَمّ الرّجُلِ صِنْوُ أبِـيهِ؟».

15323ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, قال: أخبرنـي القاسم بن أبـي بَزّة, عن مـجاهد: صِنْوَانٌ قال: فـي أصل ثلاث نَـخَلات, كمثل ثلاثة بنـي أمّ وأب يتفـاضلون فـي العمل, كما يتفـاضل ثمر هذه النـخلات الثلاث فـي أصل واحد. قال ابن جريج: قال مـجاهد: كمثل صالـح بنـي آدم وخبـيثهم أبوهم واحد.

حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا حجاج بن مـحمد, عن ابن جريج, قال: أخبرنـي إبراهيـم بن أبـي بكر بن عبد الله, عن مـجاهد, نـحوه.

15324ـ حدثنـي القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن أبـي بكر بن عبد الله, عن الـحسن, قال: هذا مثل ضربه الله لقلوب بنـي آدم كان الأرض فـي يد الرحمن طينة واحدة, فسَطَحها وبطَحَها, فصارت الأرض قطعا متـجاورات, فـينزل علـيها الـماء من السماء, فتـخرج هذه زهرتها وثمرها وشجرها وتـخرج نبـاتها وتـحيـي مواتها, وتـخرج هذه سَبَخها ومِلْـحها وخَبثها, وكلتاهما تُسقـى بـماء واحد, فلو كان الـماء مالـحا, قـيـل: إنـما استسبخت هذه من قبل الـماء, كذلك الناس خـلقوا من آدم, فـينزل علـيهم من السماء تذكرة, فترقّ قلوب فتـخشع وتـخضع, وتقسو قلوب فتلهو وتسهو وتـجفو. قال الـحسن: والله ما جالس القرآنَ أحدٌ إلاّ قام بزيادة أو نقصان, قال الله: وَنُنَزّلُ مِنَ القُرآنِ ما هُوَ شِفـاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْـمُؤْمِنِـينَ وَلا يَزِيدُ الظّالِـمِينَ إلاّ خَسارًا.

وقوله: «تُسْقَـى بِـمَاءٍ وَاحِدٍ» اختلفت القرّاء فـي قوله «تُسْقَـى», فقرأ ذلك عامّة قرّاء أهل الـمدينة والعراق من أهل الكوفة والبصرة: «تُسْقَـى» بـالتاء, بـمعنى: تسقـى الـجنات والزرع والنـخيـل. وقد كان بعضهم يقول: إنـما قـيـل: «تُسقـى» بـالتاء لتأنـيث الأعناب. وقرأ ذلك بعض الـمكيـين والكوفـيـين: يُسْقَـى بـالـياء. وقد اختلف أهل العربـية فـي وجه تذكيره إذا قرىء كذلك, وإنـما ذلك خبر عن الـجنات والأعناب والنـخيـل والزرع أنها تسقـى بـماء واحد, فقال بعض نـحويّـي البصرة: إذا قرىء ذلك بـالتاء, فذلك علـى الأعناب كما ذكّر الأنعام فـي قوله: ما فِـي بُطُونِهِ وأنّث بعدُ فقال: وَعَلَـيْها وَعلـى الفُلْكِ تُـحْمَلُونَ فمن قال: يُسْقَـى بـالـياء جعل الأعناب مـما تذكر وتؤنث, مثل الأنعام. وقال: بعض نـحويـي الكوفة: من قال «تُسْقَـى» ذهب إلـى تأنـيث الزرع والـجنات والنـخيـل, ومن ذكّر ذهب إلـى أن ذلك كله يسقـى بـماء واحد, وأكله مختلف حامض وحلو, ففـي هذا آية.

وأعجب القراءتـين إلـيّ أن أقرأ بها, قراءة من قرأ ذلك بـالتاء: «تُسْقَـى بِـمَاءٍ وَاحِدٍ» علـى أن معناه: تسقـى الـجنات والنـخـل والزرع بـماء واحد لـمـجيء «تسقـى» بعد ما قد جرى ذكرها, وهي جماع من غير بنـي آدم, ولـيس الوجه الآخر بـمـمتنع علـى معنى يسقـى ذلك بـماء واحد: أي جميع ذلك يسقـى بـماء واحد عذب دون الـمالـح.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

15325ـ حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا شبـابة, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, فـي قوله: «تُسْقَـى بِـمَاءٍ وَاحِدٍ» ماء السماء كمثل صالـح بنـي آدم وخبـيثهم أبوهم واحد.

15326ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن سفـيان, عن لـيث, عن مـجاهد: «تُسْقَـى بِـمَاءٍ وَاحِدٍ» قال: ماء السماء.

حدثنـي أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفـيان, عن لـيث, عن مـجاهد, مثله.

15327ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا عمرو, قال: أخبرنا هشيـم, عن أبـي إسحاق الكوفـي, عن الضحاك: «تُسْقَـى بِـمَاءٍ وَاحِدٍ» قال: ماء الـمطر.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا سويد, قال: أخبرنا ابن الـمبـارك, قرأه ابن جريج, عن مـجاهد: «تُسْقَـى بِـمَاءٍ وَاحِدٍ» قال: ماء السماء, كمثل صالـح بنـي آدم وخبـيثهم أبوهم واحد.

قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل وحدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, بنـحوه.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, عن مـجاهد, نـحوه.

15328ـ حدثنا عبد الـجبـار بن يحيى الرملـي, قال: حدثنا ضمرة بن ربـيعة, عن ابن شوذب: «تُسْقَـى بِـمَاءٍ وَاحِدٍ» قال: بـماء السماء.

وقوله: وَنُفَضّلُ بَعْضَها علـى بَعْضٍ فِـي الأُكُلِ اختلفت القرّاء فـي قراءة ذلك, فقرأه عامة قرّاء الـمكيـين والـمدنـيـين والبصريـين وبعض الكوفـيـين: ونُفَضّلُ بـالنون بـمعنى: ونفضل نـحن بعضها علـى بعض فـي الأكل. وقرأته عامُة قرّاء الكوفـيـين: «ويفضل» بـالـياء, ردا علـى قوله: يُغْشِي اللّـيْـلَ النّهارَ ويفضل بعضها علـى بعض. وهما قراءتان مستفـيضتان بـمعنى واحد, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب, غير أن الـياء أعجبهما إلـيّ فـي القراءة, لأنه فـي سياق كلام ابتداؤه «الله الذي رفع السموات» فقراءته بـالـياء إذ كان كذلك أولـى.

ومعنى الكلام: أن الـجنات من الأعناب والزرع والنـخيـل, الصنوان وغير الصنوان, تسقـى بـماء واحد عذب لا ملـح, ويخالف الله بـين طعوم ذلك, فـيفضل بعضها علـى بعض فـي الطعم, فهذا حلو وهذا حامض.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

15329ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن سفـيان, عن عطاء, عن سعيد بن جبـير, عن ابن عبـاس: وَنُفَضّلُ بَعْضَها علـى بَعْضٍ فِـي الأُكُلِ قال: الفـارسي والدّقَل والـحلو والـحامض.

15330ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن عطاء بن السائب, عن سعيد بن جبـير: وَنُفَضّلُ بَعْضَها علـى بَعْضٍ فِـي الأُكُلِ قال: الأرض الواحدة يكون فـيها الـخوخ والكمثري والعنب الأبـيض والأسود, وبعضها أكثر حملاً من بعض, وبعضه حلو وبعضه حامض, وبعضه أفضل من بعض.

15331ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا عارم أبو النعمان, قال: حدثنا حماد بن زيد, عن عطاء بن السائب, عن سعيد بن جبـير: وَنُفَضّلُ بَعْضَها علـى بَعْضٍ فِـي الأُكُلِ قال: برنـيّ وكذا وكذا, وهذا بعضه أفضل من بعض.

15332ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا مؤمل, قال: حدثنا سفيان, عن عطاء بن السائب, عن سعيد بن جبير, في قوله: وَنُفَضّلُ بَعْضَها على بَعْضٍ فِي الأُكُلِ قال: هذا حامض, وهذا حلو, وهذا مرّ.

15333ـ حدثني محمود بن خداش, قال: حدثنا سيف بن محمد بن أحمد, عن سفيان الثوري, قال: حدثنا الأعمش عن أبي صالح, عن أبي هريرة, قال: قال النبيّ صلى الله عليه وسلم في قوله: وَنُفَضّلُ بَعْضَها عَلى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ قال: «الدّقَلُ والفَارِسيّ والحُلْوُ والحَامِضُ».

حدثنا أحمد بن الحسن الترمذي, قال: حدثنا سليمان بن عبد الله الرقي, قال: حدثنا عبيد الله بن عمر الرقي, عن زيد بن أبي أنيسة, عن الأعمش, عن أبي صالح, عن أبي هريرة, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم, في قوله: وَنُفَضّلُ بَعْضَها على بَعْضٍ فِي الأُكُلِ قال: «الدّقَلُ والفَارِسِيّ والحُلْوُ والحَامِضُ».

وقوله: إنّ فِي ذلكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ يقول تعالى ذكره: إن في مخالفة الله عزّ وجلّ بين هذا القطع من الأرض المتجاورات وثمار جناتها وزروعها على ما وصفنا وبينا لدليلاً واضحا وعبرة لقوم يعقلون اختلاف ذلك, أن الذي خالف بينه على هذا النحو الذي خالف بينه, هو المخالف بين خلقه فيما قسم لهم من هداية وضلال وتوفيق وخذلان, فوفق هذا وخذل هذا, وهدى ذا وأضلّ ذا, ولو شاء لسوّى بين جميعهم, كما لو شاء سوّى بين جميع أكل ثماء الجنة التي تشرب شربا واحدا, وتسقى سقيا (واحدا), وهي متفاضلة في الأكل.

الآية : 5

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنّا تُرَاباً أَإِنّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُوْلَـئِكَ الّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبّهِمْ وَأُوْلَئِكَ الأَغْلاَلُ فِيَ أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدونَ }.

يقول تعالى ذكره: وإن تعجب يا محمد من هؤلاء المشركين المتخذين ما لا يضرّ ولا ينفع آلهة يعبدونها من دوني, فعجب قولهم أَئِذَا كُنّا تُرَابا وبلينا فعدمنا أَئِنّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أإنا لمجدّد إنشاؤنا وإعادتنا خلقا جديدا كما كنا قبل وفاتنا؟ تكذيبا منهم بقدرة الله, وجحودا للثواب والعقاب والبعث بعد الممات. كما:

15334ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ إن عجبت يا محمد فعجب قَوْلُهُمْ أَئِذَاكُنّا تُرَابا أَئِنّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ عجب الرحمن تبارك وتعالى من تكذيبهم بالبعث بعد الموت.

15335ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ قال: إن تعجب من تكذيبهم, وهم قد رأوا من قدرة الله وأمره وما ضرب لهم من الأمثال, فأراهم من حياة الموتى في الأرض الميتة, إن تعجب من هذه فتعجب من قولهم: أَئِذَا كُنّا تُرَابا أَئِنّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أو لا يرون أنا خلقناهم من نطفة, فالخلق من نطفة أشدّ أم الخلق من تراب وعظام؟.

واختلف في وجه تكرير الاستفهام في قوله: أَئِنّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بعد الاستفهام الأوّل في قوله: أَئِذَا كُنّا تُرَابا أهلُ العربية, فقال بعض نحويي البصرة: الأوّل ظرف, والآخر هو الذي وقع عليه الاستفهام كما تقول: أيوم الجمعة زيد منطلق؟ قال: ومن أوقع استفهاما آخر على قوله: أئذا متنا

وكنا ترابـا؟ جعله ظرفـا لشيء مذكور قبله, كأنهم قـيـل لهم: تبعثون, فقالوا: أئذا كنا ترابـا؟ ثم جعل هذا استفهاما آخر. قال: وهذا بعيد. قال: وإن شئت لـم تـجعل فـي قولك: «أئذا» استفهاما, وجعلت الاستفهام فـي اللفظ علـى «أئِنا», كأنك قلت: أيوم الـجمعة أعبد الله منطلق؟ وأضمر نفـيه, فهذا موضع قد ابتدأت فـيه أئذا, ولـيس بكبـير فـي الكلام لو قتل الـيوم: أإن عبد الله منطلق لـم يحسُن, وهو جائز, وقد قالت العرب ما علـمت أنه لصالـح, تريد: إنه لصالـح ما علـمت. وقال غيره: أئذا جزاء ولـيست بوقت, وما بعدها جواب لها إذا لـم يكن فـي الثانـي استفهام والـمعنى له, لأنه هو الـمطلوب, وقال: ألا ترى أنك تقول: إن تقم يقوم زيد ويقم من جزم, فلأنه وقع موقع جواب الـجزاء, ومن رفع فلأن الاستفهام له. واستشهد بقول الشاعر:

حَلَفْتُ لهُ إنْ تُدْلِـجِ اللّـيْـلَ لاَ يَزَلْأمامَكَ بَـيْتٌ مِنْ بُـيُوتِـيَ سائِرُ

فجزم جواب الـيـمين, لأنه وقع موقع جواب الـجزاء, والوجه الرفع. قال: فهكذا هذه الآية. قال: ومن أدخـل الاستفهام ثانـية, فلأنه الـمعتـمد علـيه, وترك الـجزء الأوّل.

وقوله: أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبّهِمْ يقول تعالـى ذكره: هؤلاء الذين أنكروا البعث وجحدوا الثواب والعقاب, وَقالُوا أَئِذَا كُنّا تُرَابـا أَئِنّا لَفِـي خَـلْقٍ جَدِيدٍ هم الذين جحدوا قدرة ربهم وكذّبوا رسوله, وهم الذين فـي أعناقهم الأغلال يوم القـيامة فـي نار جهنـم. فأولئك أصحاب النار: يقول: هم سكان النار يوم القـيامة, هُمْ فـيها خَالِدُونَ يقول: هم فـيها ماكثون أبدا, لا يـموتون فـيها, ولا يخرجون منها.

الآية : 6

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسّيّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلاَتُ وَإِنّ رَبّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لّلنّاسِ عَلَىَ ظُلْمِهِمْ وَإِنّ رَبّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ }.

يقول تعالـى ذكره: ويستعجلونك يا مـحمد مشركو قومك بـالبلاء والعقوبة قبل الرخاء والعافـية, فـيقولون: اللّهُمّ إنْ كانَ هذَا هُوَ الـحَقّ مِنْ عِنْدِكَ فَأمْطِرْ عَلَـيْنا حِجَارَةً مِنَ السّماءِ أوِ ائْتِنا بِعَذَابٍ أَلِـيـمٍ وهم يعلـمون ما حلّ بـمن خلا قبلهم من الأمـم التـي عصت ربها وكذّبت رسلها من عقوبـات الله وعظيـم بلائه, فمن بـين أمة مُسِخت قِرَدة وأخرى خنازير, ومن بـين أمة أهلكت بـالرجْفَة, وأخرى بـالـخسف, وذلك هو الـمُثلات التـي قال الله جلّ ثناؤه: وَقَدْ خَـلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ الـمَثُلاتُ والـمَثُلات: العقوبـات الـمنكّلات, والواحدة منها: مَثُلة بفتـح الـميـم وضمّ الثاء, ثم تـجمع مَثُلات كما واحدة الصّدُقات صَدُقَة, ثم تـجمع صَدُقات. وذكر أن تـميـما من بـين العرب تضم الـميـم والثاء جميعا من الـمَثُلات, فـالواحدة علـى لغتهم منها مُثْلة, ثم تـجمع علـى مُثُلات, مثل غُرْفة وغُرُفـات, والفعل منه: مثلتَ به أمثُل مَثْلاً بفتـح الـميـم وتسكين الثاء, فإذا أردت أنك أقصصته من غيره, قلت: أمَثْلته من صاحبه أمْثِله إمثالاً, وذلك إذا أقصصته منه.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

15336ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَقَدْ خَـلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الـمَثُلاتُ: وقائع الله فـي الأمـم فـيـمن خلا قبلكم.

وقوله: وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بـالسّيّئَةِ قَبْلَ الـحَسَنَةِ وهم مشركو العرب إستعجلوا بـالشرّ قبل الـخير, وقالوا: اللّهُمّ إنْ كانَ هَذَا هُوَ الـحَقّ مِنْ عِنْدِكَ فَأمْطِرْ عَلَـيْنا حِجَارَةً مِنَ السّماءِ أوِ ائْتِنا بِعَذابٍ أَلِـيـمٍ.

15337ـ حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بـالسّيِئَةِ قَبْلَ الـحَسَنَةِ قال: بـالعقوبة قبل العافـية. وَقَدْ خَـلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ الـمَثُلاتُ قال: العقوبـات.

15338ـ حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا شبـابة, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: الـمَثُلات قال: الأمثال.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد. وحدثنـي الـمُثنّى قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, مثله.

15339ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: وَقَدْ خَـلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ الـمَثُلاتُ قال: الـمَثُلات: الذي مَثّل الله فـي الأمـم من العذاب الذي عَذّبهم تولّت الـمَثُلات من العذاب, قد خَـلَت من قبلهم, وعرفوا ذلك, وانتهى إلـيهم ما مَثّل الله بهم حين عصَوه وعصَوا رسله.

15340ـ حدثنـي الـحارث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا سلـيـم, قال: سمعت الشعبـيّ يقول فـي قوله: وَقَدْ خَـلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الـمَثُلاتُ قال: القِردَة والـخنازير هي الـمثلات.

وقوله: وَإنّ رَبّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ للنّاسِ علـى ظُلْـمِهِمْ يقول تعالـى ذكره: وإن ربك يا مـحمد لذو ستر علـى ذنوب من تاب من ذنوبه من الناس, فتارك فضيحَته بها فـي موقـف القـيامة, وصافحٌ له عن عقابه علـيها عاجلاً وآجلاً علـى ظلـمهم. يقول: علـى فعلهم ما فعلوا من ذلك بغير إذن لهم بفعله. وَإنّ رَبّكَ لَشَدِيدُ العِقابِ لـمن هلك مُصرّا علـى معاصيه فـي القـيامة إن لـم يُعَجّلِ له ذلك فـي الدنـيا, أو يجمعهما له فـي الدنـيا والآخرة. وهذا الكلام وإن كان ظاهُره ظاهرَ خير, فإنه وعيد من الله وتهديد للـمشركين من قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم, إن هم لـم ينـيبوا ويتوبوا من كفرهم قبل حلول نقمة الله بهم.

15341ـ حدثنـي علـيّ بن داود, قال: حدثنا عبد الله بن صالـح, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ بن أبـي طلـحة, عن ابن عبـاس: وَإنّ رَبّكَ لَذُو ومَغْفِرَةٍ للنّاسِ يقول: ولكن ربك.

الآية : 7

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَيَقُولُ الّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلآ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مّن رّبّهِ إِنّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلّ قَوْمٍ هَادٍ }.

يقول تعالـى ذكره: وَيَقُولُ الّذِينَ كَفَرُوا يا مـحمد من قومك, لَوْلا أُنْزِلَ عَلَـيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبّهِ هلا أنزل علـى مـحمد آية من ربه يعنون: علامة وحُجة له علـى نبوّته, وذلك قولهم: لَوْلا أُنْزِلَ عَلَـيْهِ كَنْزٌ أوْ جاءَ مَعَهُ مَلَكٌ يقول الله له: يا مـحمد إنّـمَا أنْتَ مُنْذِرٌ لهم, تنذرهم بأس الله أن يحلّ بهم علـى شركهم. وَلِكُلّ قَوْمٍ هادٍ: يقول ولكلّ قوم إمام يأتـمون به وهاد يتقدّمهم, فـيهديهم إما إلـى خير وإما إلـى شرّ. وأصله من هادي الفَرَس, وهو عنقه الذي يهدي سائر جسده.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل علـى اختلاف منهم فـي الـمغنـيّ بـالهادي فـي هذا الـموضع, فقال بعضهم: هو رسول الله صلى الله عليه وسلم. ذكر من قال ذلك:

15342ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: وَيَقُولُ الّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَـيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبّهِ هذا قول مشركي العرب, قال الله:إنّـمَا أنْتَ مُنْذِرٌ ولِكُلّ قَوْمٍ هادٍ لكلّ قوم داعٍ يدعوهم إلـى الله.

15343ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن سفـيان, عن السّديّ, عن عكرمة ومنصور, عن أبـي الضحى: إنّـمَا أنْتَ مُنْذِرٌ ولِكُلّ قَوْمٍ هادٍ قالا: مـحمد هو الـمنذر وهو الهاد.

15344ـ حدثنا مـحمد بن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفـيان, عن السديّ, عن عكرمة, مثله.

حدثنـي الـحارث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا سفـيان, عن أبـيه, عن عكرمة, مثله.

وقال آخرون: عُنى بـالهادي فـي هذا الـموضع: الله. ذكر من قال ذلك:

15345ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن سفـيان, عن عطاء بن السائب, عن سعيد بن جبـير: إنّـمَا أنْتَ مُنْذِرٌ ولِكُلّ قَوْمٍ هادٍ قال: مـحمد الـمنذر, والله الهادي.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا سفـيان, عن عطاء بن السائب, عن سعيد بن جبـير: إنّـمَا أنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلٍ قَوْمٍ هادٍ قال مـحمد الـمنذر, والله الهادي.

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا الأشجعيّ, عن سفـيان, عن عطاء بن السائب, عن سعيد بن جبـير: إنّـمَا أنْتَ مُنْذِرٌ قال: أنت يا مـحمد منذر, والله الهادي.

15346ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: أخبرنا هشيـم, عن عبد الـملك, عن قـيس, عن مـجاهد فـي قوله: إنّـمَا أنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلّ قَوْمٍ هادٍ قال: الـمنذر: النبـيّ صلى الله عليه وسلم. وَلِكُلّ قَوْمٍ هادٍ قال: الله هادي كلّ قوم.

15347ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس قوله: إنّـمَا أنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلّ قَوْمٍ هادٍ يقول: أنت يا مـحمد منذر وأنا هادي كل قوم.

15348ـ حُدثت عن الـحسين, قال: سمعت أبـا معاذ يقول: حدثنا عبـيد بن سلـيـمان, قال: سمعت الضحاك يقول: إنّـمَا أنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلّ قَوْمٍ هادٍ الـمنذر: مـحمد صلى الله عليه وسلم, والهادي: الله عزّ وجل.

وقال آخرون: الهادي فـي هذا الـموضع معناه نبـيّ. ذكر من قال ذلك:

15349ـ حدثنا مـحمد بن بشار, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا سفـيان, عن لـيث, عن مـجاهد, قال: الـمنذر مـحمد صلى الله عليه وسلم. وَلِكُلّ قَوْمٍ هادٍ قال: نبـيّ.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن مـحمد بن عبد الرحمن, عن القاسم بن أبـي بَزّة, عن مـجاهد فـي قوله: إنّـمَا أنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلّ قَوْمٍ هادٍ قال: نبـيّ.

قال: حدثنا جرير, عن لـيث, عن مـجاهد, عن عبد الـملك, عن قـيس, عن مـجاهد, مثله.

حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا أسبـاط بن مـحمد, عن عبد الـملك, عن قـيس, عن مـجاهد, فـي قوله: إنّـمَا أنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلّ قَوْمِ هادٍ قال: لكلّ قوم نبـيّ, والـمنذر: مـحمد صلى الله عليه وسلم.

قال: حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: ثنـي عبد الـملك, عن قـيس, عن مـجاهد, فـي قول الله: وَلِكُلّ قَوْمٍ هادٍ قال: نبـيّ.

قال: حدثنا شبـابة, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: وَلِكُلّ قَوْمٍ هادٍ يعنـي: لكلّ قوم نبـيّ.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: وَلِكُلّ قَوْمٍ هادٍ قال: نبـيّ.

15350ـ حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: وَلِكُلّ قَوْمٍ هادٍ قال: نبـيّ يدعوهم إلـى الله.

15351ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: وَلِكُلّ قَوْمٍ هادٍ قال: لكلّ قوم نبـيّ, الهادي: النبـيّ صلى الله عليه وسلم, والـمنذر أيضا: النبـيّ صلى الله عليه وسلم. وقرأ: وَإنْ مِنْ أُمّةٍ إلاّ خَلا فِـيها نَذِيرٌ. وقال: نَذِيرٌ مِنَ النّذُرِ الأُولـى قال: نبـيّ من الأنبـياء.

وقال آخرون: بل عُنـي به: ولكلّ قوم قائد. ذكر من قال ذلك:

15352ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا جابر بن نوح, عن إسماعيـل بن أبـي خالد, عن أبـي صالـح: إنّـمَا أنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلّ قَوْمٍ هادٍ قال: إنـما أنت يا مـحمد منذر, ولكلّ قوم قادة.

قال: حدثنا الأشجعيّ, قال: ثنـي إسماعيـل أو سفـيان, عن إسماعيـل بن أبـي خالد, عن أبـي صالـح: وَلِكُلّ قَوْمٍ هادٍ قال: لكلّ قوم قادة.

15353ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله بن أبـي جعفر, عن أبـيه, عن الربـيع, عن أبـي العالـية: إنّـمَا أنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلّ قَوْمٍ هادٍ قال: الهادي: القائد, والقائد: الإمام, والإمام: العمل.

15354ـ حدثنـي الـحسن, قال: حدثنا مـحمد, وهو ابن يزيد, عن إسماعيـل, عن يحيى بن رافع, فـي قوله: إنّـمَا أنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلّ قَوْمٍ هادٍ قال: قائد.

وقال آخرون: هو علـيّ بن أبـي طالب رضي الله عنه. ذكر من قال ذلك:

15355ـ حدثنا أحمد بن يحيى الصوفـيّ, قال: حدثنا الـحسن بن الـحسين الأنصاري, قال: حدثنا معاذ بن مسلـم, حدثنا الهروي, عن عطاء بن السائب, عن سعيد بن جبـير, عن ابن عبـاس, قال: لـما نزلت إنّـمَا أنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلّ قَوْمٍ هادٍ وضع صلى الله عليه وسلم يده علـى صدره, فقال: «أنَا الـمُنْذِرُ وَلِكُلّ قَوْمٍ هادٍ», وأومأ بـيده إلـى منكب علـيّ, فقال: «أنْتَ الهادِي يا عَلـيّ, بك يَهْتَدِي الـمُهْتَدُون بَعْدِي».

وقال آخرون: معناه: لكلّ قوم داع. ذكر من قال ذلك:

15356ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله: وَلِكُلّ قَوْمٍ هادٍ قال: داع.

وقد بـيّنت معنى الهداية, وأنه الإمام الـمتبع الذي يقدمُ القوم. فإذا كان ذلك كذلك, فجائز أن يكون ذلك هو الله الذي يهدي خـلقه وَيَتْبِعُ خـلقه هداه ويأتـمون بأمره ونهيه, وجائز أن يكون نبـيّ الله الذي تأتـمّ به أمته, وجائز أن يكون إماما من الأئمة يؤتـمّ به ويتبع مِنهاجَه وطريقته أصحابه, وجائز أن يكون داعيا من الدّعاة إلـى خير أو شرّ.

وإذا كان ذلك كذلك, فلا قول أولـى فـي ذلك بـالصواب من أن يقال كما قال جلّ ثناؤه: إن مـحمدا هو الـمنذر مَن أُرْسِل إلـيه بـالإنذار, وإن لكلّ قوم هاديا يهديهم فـيتبعونه ويأتـمون به.

الآية : 8

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {اللّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلّ أُنثَىَ وَمَا تَغِيضُ الأرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ }.

يقول تعالـى ذكره: وَإنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلهُمْ أئِذَا كُنّا تُرَابـا أئِنّا لَفِـي خَـلْقٍ جَدِيدٍ منكرين قدرة الله علـى إعادتهم خَـلقا جديدا بعد فنائهم وبلائهم, ولا ينكرون قدرته علـى ابتدائهم وتصويرهم فـي الأرحام وتدبـيرهم وتصريفهم فـيها حالاً بعد حال. فـابتدأ الـخبر عن ذلك ابتداء, والـمعنى فـيه ما وصفت, فقال جلّ ثناؤه: اللّهُ يَعْلَـمُ ما تَـحْمِلُ كُلّ أُنْثَى وَما تَغِيضُ الأرْحامُ وَما تَزْدَادُ يقول: وما تنقص الأرحام من حملها فـي الأشهر التسعة بإرسالها دم الـحيض, وما تزداد فـي حملها علـى الأشهر التسعة لتـمام ما نقص من الـحمل فـي الأشهر التسعة بـارسالها دم الـحيض. وكُلّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِـمِقْدَارٍ لا يجاوز شيء من قَدَره عن تقديره, ولا يقصر أمر أراده فدبره عن تدبـيره, كما لا يزداد حمل أنثى علـى ما قدر له من الـحمل, ولا يقصر عما حدّ له من القَدْر والـمِقدار, مفعال من القدر.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

15357ـ حدثنـي يعقوب بن ماهانَ, قال: حدثنا القاسم بن مالك, عن داود بن أبـي هند, عن عكرمة, عن ابن عبـاس فـي قوله: يَعْلَـمُ ما تَـحْمِلُ كُلّ أُنْثَى وَما تَغِيضُ الأرْحامُ قال: ما رأت الـمرأة من يوم دما علـى حملها زاد فـي الـحمل يوما.

15358ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: اللّهُ يَعْلَـمُ ما تَـحْمِلُ كُلّ أُنْثَى وَما تَغِيضُ الأرْحامُ يعنـي السّقط. وَما تَزْدَادُ يقول: ما زادت الرحم فـي الـحمل علـى ما غاضت حتـى ولدته تـماما وذلك أن من النساء من تـحمل عشرة أشهر ومنهنّ من تـحمل تسعة أشهر, ومنهنّ من تزيد فـي الـحمل ومنهنّ من تنقص, فذلك الغيَض والزيادة التـي ذكر الله, وكلّ ذلك بعلـمه.

15359ـ حدثنا سعيد بن يحيى الأموي, قال: حدثنا عبد السلام, قال: حدثنا خَصِيف, عن مـجاهد أو سعيد بن جبـير فـي قول الله: وَما تَغِيضُ الأرْحامُ قال: غيضها دون التسعة, والزيادة فوق التسعة.

15360ـ حدثنـي يعقوب, قال: حدثنا هشيـم, قال: أخبرنا أبو بشر, عن مـجاهد, أنه قال: الغيض: ما رأت الـحامل من الدم فـي حملها, فهو نقصان من الولد, والزيادة: ما زاد علـى التسعة أشهر, فهو تـمام للنقصان وهو زيادة.

حدثنا مـحمد بن الـمثنى, قال: حدثنا عبد الصمد, قال: حدثنا شعبة, عن أبـي بشر, عن مـجاهد, فـي قوله: وَماتَغِيضُ الأرْحامُ وَما تَزْدَادُ قال: ما ترى من الدم, وما تزداد علـى تسعة أشهر.

حدثنا مـحمد بن بشار, قال: حدثنا مـحمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن أبـي بشر, عن مـجاهد, أنه قال: يَعْلَـمُ وما تَغِيضُ الأرْحامُ وَما تَزْدَادُ قال: ما زاد علـى التسعة الأشهر وما تغيض الأرحام: قال: الدم تراه الـمرأة فـي حملها.

حدثنـي الـمثنى, حدثنا عمرو بن عون والـحجاج بن الـمنهال, قالا: حدثنا هشيـم, عن أبـي بشر, عن مـجاهد, فـي قوله: وَما تَغِيضُ الأرْحامُ وَما تَزْدَادُ قال: الغيض: الـحامل ترى الدم فـي حملها فهو الغيض, وهو نقصان من الولد, وما زاد علـى تسعة أشهر فهو تـمام لذلك النقصان, وهي الزيادة.

حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد,قال: حدثنا عبد السلام, عن خصيف, عن مـجاهد: وَما تَغِيضُ الأرْحامُ وَما تَزْدَادُ قال: إذا رأت دون التسعة زاد علـى التسعة مثل أيام الـحيض.

حدثنا أحمد, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفـيان, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: وَما تَغِيضُ الأرْحامُ قال: خروج الدم. وَما تَزْدَادُ قال: استـمساك الدم.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: وَما تَغِيضُ الأرْحامُ إراقة الـمرأة حتـى يَخس الولد. وَما تَزْدَادُ قال: إن لـم تهرق الـمرأة تـمّ الولد وعظُم.

حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا شبـابة, قال: حدثنا شعبة, عن جعفر, عن مـجاهد, فـي قوله: وقوله: وَما تَغِيضُ الأرْحامُ وَما تَزْدَادُ قال: الـمرأة ترى الدم وتـحمل أكثر من تسعة أشهر.

15361ـ حدثنا الـحسن, قال: حدثنا مـحمد بن الصبـاح, قال: حدثنا هشيـم, قال: أخبرنا أبو بشر, عن سعيد بن جبـير, فـي قوله: وَما تَغِيضُ الأرْحامُ قال: هي الـمرأة ترى الدم فـي حملها.

قال: حدثنا شبـابة, حدثنا ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: وَما تَغِيضُ الأرحامُ وَما تَزْدَادُ إهراق الدم حتـى يخس الولد, وتزداد إن لـم تهرق الـمرأة تـمّ الولد وعظم.

15362ـ قال: حدثنا الـحكم بن موسى, قال: حدثنا هقل, عن عثمان بن الأسود, قال: قلت لـمـجاهد: امرأتـي رأت دما, وأرجو أن تكون حاملاً قال أبو جعفر: هكذا هو فـي الكتاب فقال مـجاهد: ذاك غيض الأرحام يَعْلَـمُ ما تَغِيضُ الأرْحامُ وَما تَزْدادُ وكُلّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِـمِقْدارٍ. الولد لا يزال يقع فـي النقصان ما رأت الدم, فإذا انقطع الدم وقع فـي الزيادة, فلا يزال حتـى يتـم, فذلك قوله: وَمَا تَغِيضُ الأرْحامُ وَمَا تَزْدَادُ, وَكُلّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِـمِقْدَارٍ.

قال: حدثنا مـحمد بن الصبـاح, قال: حدثنا هشيـم, قال: أخبرنا أبو بشر, عن مـجاهد, فـي قوله: وَما تَغِيضُ الأرْحامُ وَما تَزْدَادُ قال: الغَيْض: الـحامل ترى الدم فـي حملها, وهو الغَيض, وهو نقصان من الولد, فما زادت علـى التسعة الأشهر, فهي الزيادة, وهو تـمام للولادة.

15363ـ حدثنا ابن الـمثنى, قال: حدثنا عبد الوهاب, قال: حدثنا داود, عن عكرمة فـي هذه الآية: اللّهُ يَعْلَـمُ ما تَـحْمِلُ كُلّ أُنْثَى وَما تَغِيضُ الأرْحامُ قال: كلـما غاضت بـالدم زاد ذلك فـي الـحمل.

قال: حدثنا عبد الأعلـى, قال: حدثنا داود, عن عكرمة نـحوه.

حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا عبـاد بن العوّام, عن عاصم, عن عكرمة: وَما تَغِيضُ الأرْحامُ قال: غيض الرحم: الدم علـى الـحمل كلـما غاض الرحم من الدم يوما زاد فـي الـحمل يوما حتـى تستكمل وهي طاهرة.

15364ـ قال: حدثنا عبـاد, عن سعيد, عن يَعْلـى بن مسلـم, عن سعيد بن جبـير, مثله.

حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا الولـيد بن صالـح, قال: حدثنا أبو يزيد, عن عاصم, عن عكرمة فـي هذه الآية: وَما تَغِيضُ الأرْحامُ قال: هو الـحيض علـى الـحمل. وَما تَزْدَادُ قال: فلها بكلّ يوم حاضت علـى حملها يوم تزداده فـي طهرها حتـى تستكمل تسعة أشهر طاهرا.

قال: حدثنا يزيد بن هارون, قال: أخبرنا عمران بن حدير, عن عكرمة, فـي قوله: وَما تَغِيضُ الأرْحامُ وَما تَزْدَادُ قال: ما رأت الدم فـي حملها زاد فـي حملها.

15365ـ حدثنا عبد الـحميد بن بـيان, قال: أخبرنا إسحاق, عن جويبر, عن الضحاك, فـي قوله: وَما تَغِيضُ الأرْحامُ وَما تَزْدَادُ ما تغيض: أقلّ من تسعة, وما تزداد: أكثر من تسعة.

حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا ابن الـمبـارك, عن الـحسن بن يحيى, قال: سمعت الضحاك يقول: قد يُولد الـمولود لسنتـين, قد كان الضحاك ولد لسنتـين, والغيض: ما دون التسعة, وما تزداد: فوق تسعة أشهر.

قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفـيان, عن جويبر, عن الضحاك: وَما تَغِيضُ الأرْحامُ وَما تَزْدادُ قال: دون التسعة, وما تزداد: قال: فوق التسعة.

15366ـ قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفـيان, عن جويبر, عن الضحاك, قال: ولدت لسنتـين.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا سويد بن نصر, قال: أخبرنا ابن الـمبـارك, عن الـحسن بن يحيى, قال: حدثنا الضحاك: أن أمه حملته سنتـين, قال: وَما تَغِيضُ الأرْحامُ قال: ما تنقص من التسعة وَما تَزْدَادُ قال: ما فوق التسعة.

15367ـ قال: حدثنا عمرو بن عون قال: أخبرنا هشيـم, عن جويبر, عن الضحاك, فـي قوله: اللّهُ يَعْلَـمُ ما تَـحْمِلُ كُلّ أُنْثَى وَما تَغِيضُ الأرْحامُ قال: كلّ أنثى من خـلق الله.

15368ـ قال: حدثنا هشيـم, عن جويبر, عن الضحاك, ومنصور عن الـحسن, قالا: الغَيْض ما دون التسعة الأشهر.

15369ـ قال: حدثنا سويد, قال: أخبرنا ابن الـمبـارك, عن داود بن عبد الرحمن, عن ابن جريج, عن جميـلة بنت سعد, عن عائشة قالت: لا يكون الـحمل أكثر من سنتـين, قدر ما يتـحولّ ظلّ مغزل.

15370ـ حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا فضيـل بن مرزوق, عن عطية العوفـي: وَما تَغِيضُ الأرْحامُ قال: هو الـحمل لتسعة أشهر وما دون التسعة. وَما تَزْدَادُ قال: علـى التسعة.

15371ـ قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا عمرو بن ثابت عن أبـيه, عن سعيد بن جبـير: وَما تَغِيضُ الأرْحامُ قال: حيض الـمرأة علـى ولدها.

15372ـ حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: وَمَا تَغِيضُ الأرْحامٌ وَما تَزْدَادُ. قال: الغيض: السّقْط وما تزداد: فوق التسعة الأشهر.

حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن سعيد بن جبـير: إذا رأت الـمرأة الدم علـى الـحمل, فهو الغيض للولد. يقول: نقصان فـي غذاء الولد, وهو زيادة فـي الـحمل.

15373ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيدُ, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: اللّهُ يَعْلَـمُ ما تَـحْمِلُ كُلّ أُنْثَى وَما تَغِيضُ الأرْحامُ وَما تَزْدَادُ قال: كان الـحسن يقول: الغيضوضة أن تضع الـمرأة لستة أشهر أو لسبعة أشهر, أو لـما دون الـحدّ. قال قتادة: وأما الزيادة, فما زاد علـى تسعة أشهر.

حدثنـي الـحارث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا قـيس, عن سالـم الأفطس, عن سعيد بن جبـير, قال: غيض الرحم: أن ترى الدم علـى حملها, فكلّ شيء رأت فـيه الدم علـى حملها ازدادت علـى حملها مثل ذلك.

قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا حماد بن سلـمة, عن قـيس بن سعد, عن مـجاهد, قال: إذا رأت الـحاملُ الدم كان أعظم للولد.

حُدثت عن الـحسين, قال: سمعت أبـا معاذ يقول: حدثنا عبـيد بن سلـيـمان, قال: سمعت الضحاك يقول فـي قوله: وَما تَغِيضُ الأرْحامُ وَما تَزْدَادُ الغيض: النقصان من الأجل, والزيادة: ما زاد علـى الأجل وذلك أن النساء لا يـلدن لعدّة واحدة, يولد الـمولود لستة أشهر فـيعيش, ويولد لسنتـين فـيعيش, وفـيـما بـين ذلك. قال: وسمعت الضحاك يقول: ولدت لسنتـين, وقد نبتت ثناياي.

15374ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: وَما تَغِيضُ الأرْحامُ قال: غيض الأرحام: الإهراقة التـي تأخذ النساء علـى الـحمل, وإذا جاءت تلك الإهراقة لـم يعتدّ بها من الـحمل ونقص ذلك حملها حتـى يرتفع ذلك وإذا ارتفع استقبلت عِدة مستقبلة تسعة أشهر وأما ما دامت ترى الدم فإن الأرحام تغيض وتنقص والولد يرقّ, فإذا ارتفع ذلك الدم ربـا الولد واعتَدّت حين يرتفع عنها ذلك الدم, عِدّة الـحمل تسعة أشهر, وما كان قبله فلا تعتدّ به هو هِراقة يُبْطل ذلك أجمع أكتع.

وقوله: وكُلّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِـمِقْدَارٍ.

15375ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة قوله: وكُل شَيْءٍ عِنْدَهُ بِـمِقْدَارٍ إي والله, لقد حفظ علـيهم رزقهم وآجالهم, وجعل لهم أجلاً معلوما.

الآية : 9

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ }.

يقول تعالـى ذكره: والله عالـم ما غاب عنكم وعن أبصاركم فلـم تَرَوْه وما شاهدتـموه, فعاينتـم بأبصاركم, لا يخفـى علـيه شيء, لأنهم خـلقه, وتدبـيره الكبـير الذي كلّ شيء دونه, الـمتعال الـمستعلـي علـى كلّ شيء بقدرته, وهو الـمتفـاعل من العلوّ مثل الـمتقارب من القرب والـمتدانـي من الدنوّ.

الآية : 10

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {سَوَآءٌ مّنْكُمْ مّنْ أَسَرّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنّهَارِ }.

يقول تعالـى ذكره: معتدلٌ عند الله منكم أيها الناس الذي أسر القول, والذي جهر به, والذي هُوَ مُسْتَـخْفٍ بـاللّـيْـلِ فـي ظلـمته بـمعصية الله وَسارِبٌ بـالنهارِ يقول: وظاهر بـالنهار فـي ضوئه, لا يخفـى علـيه شيء من ذلك, سواء عنده سرّ خـلقه وعلانـيتهم, لأنه لا يستسرّ عنده شيء ولا يخفـى يقال منه: سَرَب يَسْرُبُ سُروبـا إذا ظهر, كما قال قـيس بن الـخطيـم:

أنّى سَرَبْتِ وكنتِ غيرَ سَرُوبِوتَقُرّبُ الأحْلامِـم غيرُ قَرِيبِ

يقول: كيف سربت بـالليـل علـى بعد هذا الطريق ولـم تكونـي تبرزين وتظهرين. وكان بعضهم يقول: هو السالك فـي سِرْبه: أي فـي مذهبه ومكانه.

واختلف أهل العلـم بكلام العرب فـي السرب, فقال بعضهم: هو آمن فـي سَربه, بفتـح السين, وقال بعضهم: هو آمن فـي سِربه بكسر السين.

وبنـحو ما قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

15376ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَر القَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَـخْفٍ بـاللّـيْـلِ وَسارِبٌ بـالنّهارِ يقول: هو صاحب رِيبة مستـخف بـاللـيـل, وإذا خرج بـالنهار أرى الناس أنه بريء من الإثم.

15377ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, قال: قال ابن عبـاس: وَسارِبٌ بـالنّهارِ: ظاهر.

15378ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا ابن أبـي عديّ, عن عوف, عن أب رجاء, فـي قوله: سَوَاءٌ مِنكُمْ مَنْ أَسَرّ القَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَـخْفٍ بـاللّـيْـلِ وَسارِبٌ بـالنّهارِ قال: إن الله أعلـم بهم, سواء من أسرّ القول ومن جهر به, ومن هو مستـخف بـاللـيـل وسارب بـالنهار.

حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا علـيّ بن عاصم, عن عوف, عن أبـي رجاء: سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرّ القَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَـخْفٍ بـاللّـيْـلِ وَسارِبٌ بـالنّهارِ قال: من هو مستـخف فـي بـيته, وساربٌ بـالنهار: ذاهب علـى وجهه علـمُه فـيهم واحد.

15379ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرّ القَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ يقول: السرّ والـجهر عنده سواء. وَمَنْ هُوَ مُسْتَـخْفٍ بـاللّـيْـلِ وَسارِبٌ بـالنّهارِ أما الـمستـخفـي ففـي بـيته, وأما السارب: الـخارج بـالنهار حيثما كان الـمستـخفـي غيبه الذي يغيب فـيه والـخارج عنده سواء.

15380ـ قال: حدثنا الـحِمّانِـيّ, قال: حدثنا شريك, عن خَصِيف, فـي قوله: مُسْتَـخْفٍ بـاللّـيْـلِ قال: راكب رأسه فـي الـمعاصي. وَسارِبٌ بـالنّهارِ قال: ظاهر بـالنهار.

15381ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرّ القَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ كلّ ذلك عنده تبـارك وتعالـى سواء السرّ عنده علانـية. قوله: وَمَنْ هُوَ مُسْتَـخْفٍ بـاللّـيْـلِ وَسارِبٌ بـالنّهارِ: أي فـي ظلـمه اللـيـل, وسارب: أي ظاهر بـالنهار.

15382ـ حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا شريك, عن خَصِيف, عن مـجاهد وعكرمة: وَسارِبٌ بـالنّهارِ قال: ظاهر بـالنهار.

و«من» فـي قوله: مَنْ أَسَرّ القَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَـخْفٍ بـاللّـيـلِ رفع الأولـى منهنّ بقوله سواء, والثانـية معطوفة علـى الأولـى والثالثة علـى الثانـية.

الآية : 11

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِنّ اللّهَ لاَ يُغَيّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتّىَ يُغَيّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللّهُ بِقَوْمٍ سُوَءًا فَلاَ مَرَدّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مّن دُونِهِ مِن وَالٍ }.

اختلف أهل التأويـل فـي تأويـل ذلك, فقال بعضهم: معناه: لله تعالـى ذكره مُعَقبّـات, قالوا: الهاء فـي قوله «له» من ذكر اسم الله, والـمعقّبـات التـي تتعقّب علـى العبد وذلك أن ملائكة اللـيـل إذا صَعِدت بـالنهار أعقبتها ملائكة النهار, فإذا انقضى النهار صعدت ملائكة النهار ثم أعقبتها ملائكة اللـيـل, وقالوا: قـيـل معقبّـات, والـملائكة: جمع مَلَك مذكر غير مؤنث, وواحد الـملائكة معقب, وجماعتها مُعقّبة, ثم جمع جمعه, أعنـي جمع معقب بعد ما جمع معقبة. وقـيـل: معقبـات, كما قـيـل: أبناوات سعد, ورجالات بنـي فلان جمع رجال.

وقوله: مِنْ بـينَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَـلْفِهِ يعنـي بقوله: مِنْ بـينَ يَدَيْهِ من قدّام هذا الـمستـخفـي بـاللـيـل والسارب بـالنهار, وَمَنْ خَـلْفِهِ: من وراء ظهره. ذكر من قال ذلك:

15383ـ حدثنا مـحمد بن الـمثنى, قال: حدثنا مـحمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن منصور, يعنـي ابن زاذان, عن الـحسن فـي هذه الآية: لَهُ مُعَقّبـاتٌ مِنْ بَـينَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَـلْفِهِ قال: الـملائكة.

15384ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا إبراهيـم بن عبد السلام بن صالـح القُشَيريّ, قال: حدثنا علـيّ بن جرير, عن حماد بن سلـمة, عن عبد الـحميد بن جعفر, عن كنانة العدويّ, قال: دخـل عثمان بن عفّـان علـى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله, أخبرنـي عن العبد كم معه من ملَك؟ قال: «مَلَكٌ علـى يَـمِينِكَ علـى حَسَناتِكَ, وَهُوَ أمِيرٌ علـى الّذِي علـى الشّمالِ, فإذَا عَمِلْتَ حَسَنَةً كُتِبَتْ عَشْرا, وَإذَا عَمِلْتَ سَيّئَةً قالَ الّذِي علـى الشّمالِ للّذِي علـى الـيَـمِينِ: اكْتُبْ قالَ: لا لَعَلّهُ يَسْتَغْفِرُ اللّهَ وَيَتُوبُ, فإذَا قالَ ثَلاثَا, قالَ: نَعَمْ اكْتُبْ أرَاحَنا اللّهُ مِنْهُ, فَبِئْسَ القَرِينُ, ما أقَلّ مُرَاقَبَتَهُ لِلّهِ, وأقَلّ اسْتِـحْياءَهُ مِنّا يَقُولُ اللّهُ: ما يَـلْفِظَ مِنْ قَوْلٍ إلاّ لَدَيْهِ رَقِـيبٌ عَتِـيدٌ. وَمَلَكانِ مِنْ بـينِ يَدَيْكِ وَمِنْ خَـلْفكَ, يَقُولُ اللّهُ: لَهُ مُعَقّبـاتٌ مِنْ بـينِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَـلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أمْرِ اللّهِ وَمَلَكٌ قابِضٌ علـى ناصِيَتَكَ, فإذَا تَوَاضَعْتَ لِلّهِ رَفَعَكَ, وإذَا تَـجَبّرْتَ علـى اللّهِ قَصَمَك. ومَلَكانِ علـى شَفَتَـيْكَ لَـيْس يَحْفَظانِ عَلَـيْكَ إلاّ الصّلاةَ علـى مُـحَمّد وَمَلَكٌ قائمٌ علـى فِـيكَ لا يَدَعُ الـحَيّةَ تَدْخُـلُ فِـي فِـيكَ وَمَلَكانِ علـى عَيْنَـيْكَ. فَهُؤلاءِ عَشْرَةُ أمْلاكٍ علـى كُلّ آدَميّ, يَنْزِلُونَ مَلائِكَةُ اللّـيْـلِ علـى مَلاَئِكَةِ النّهارِ, (لأن ملائكة اللـيـل سوى ملأئكة النهار) فَهَؤُلاءِ عِشْرُونَ مَلَكا علـى كُلّ آدَمِيّ, وَإبْلِـيسُ بـالنّهارِ وَوَلَدُهُ بـاللّـيْـلِ».

15385ـ حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا شبـابة, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, فـي قوله: لَهُ مُعَقّبـاتٌ مِنْ بـينِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَـلْفِهِ الـملائكة يَحْفَظُونَهُ مِنْ أمْرِ الله.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, مثله.

قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: أخبرنا هشيـم, عن عبد الـملك, عن قـيس, عن مـجاهد, فـي قوله: لَهُ مُعَقّبـاتٌ مِنْ بـينِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَـلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ قال: مع كلّ إنسان حفظة يحفظونه من أمر الله.

15386ـ قال: حدثنا عبد الله بن صالـح, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله: لَهُ مُعَقّبـاتٌ مِنْ بـينِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَـلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أمْرِ اللّهِ فـالـمعقبـات هنّ من أمر الله, وهي الـملائكة.

15387ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبـي, عن إسرائيـل, عن سماك, عن عكرمة, عن ابن عبـاس: يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ قال: ملائكة يحفظونه من بـين يديه ومن خـلفه, فإذا جاء قدره خَـلّوا عنه.

حدثنـي الـحارث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا إسرائيـل, عن سماك, عن عكرمة, عن ابن عبـاس: لَهُ مُعَقّبـاتٌ مِنْ بـينِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَـلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ فإذا جاء القدر خَـلّوا عنه.

15388ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن إبراهيـم فـي هذه الآية, قال: الـحَفَظة.

15389ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبـي, عن سفـيان, عن منصور, عن إبراهيـم: لَهُ مُعَقبـاتٌ مِنْ بـينِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَـلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ قال: ملائكة.

15390ـ حدثنا أحمد بن حازم, قال: حدثنا يَعْلـى, قال: حدثنا إسماعيـل بن أبـي خالد, عن أبـي صالـح, فـي قوله: لَهُ مُعَقّبـاتٌ قال: ملائكة اللـيـل يَعقُبون ملائكة النهار.

15391ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: لَهُ مُعَقّبـاتٌ مِنْ بـينِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَـلْفِهِ هذه ملائكة اللـيـل يتعاقبون فـيكم بـاللـيـل والنهار, وذُكر لنا أنهم يجتـمعون عند صلاة العصر وصلاة الصبح. وفـي قراءة أُبـيّ بن كعب: «له معقّبـات من بـين يديه ورقـيب من خـلفه يحفظونه من أمر الله».

15392ـ حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة, قوله: لَهُ مَعَقّبـاتٌ مِنْ بـينِ يَدَيْهِ قال: ملائكة يتعاقبونه.

15393ـ حدثنا القاسم, قال حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, قال: قال ابن عبـاس: لَهُ مُعَقّبـاتٌ مِنْ بـينِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَـلْفِهِ قال: الـملائكة. قال ابن جريج: معقّبـات: قال: الـملائكة تَعَاقبُ اللـيـل والنهار. وبلغَنَا أن النبـيّ صلى الله عليه وسلم قال: «يجتـمعون فـيكم عند صلاة العصر وصلاة الصبح»وقوله: مِنْ بـينِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَـلْفِهِ يَحْفَظُونَه قال ابن جريج: مثل قوله: عَنِ الـيَـمينِ وَعَنِ الشّمالِ قَعِيدٌ قال: الـحسنات من بـين يديه والسيئات من خـلفه, الذي عن يـمينه يكتب الـحسناتِ والذي عن شماله يكتب السيئات.

15394ـ حدثنا سَوّار بن عبد الله, قال: حدثنا الـمعتـمر بن سلـيـمان, قال: سمعت لـيثا يحدّث عن مـجاهد أنه قال: ما من عبد إلا له ملَك مُوَكّلٌ يِحفِظه فـي نونه ويقظته من الـجنّ والإنس والهوامّ, فما منها شيء يأتـيه يريده إلا قال: وراءَك, إلا شيئا يأذن الله فـيه فـيصيبه.

حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: لَهُ مُعَقّبـاتٌ مِنْ بَـيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَـلْفِهِ قال: يعنـي الـملائكة.

وقال آخرون: بل عنـي بـالـمعقّبـات فـي هذا الـموضع: الـحرس الذي يتعاقب علـى الأمير. ذكر من قال ذلك:

15395ـ حدثنا أبو هشام الرفـاعيّ, قال: حدثنا ابن يـمان, قال: حدثنا سفـيان عن حبـيب بن أبـي ثابت, عن سعيد بن جبـير, عن ابن عبـاس: لَهُ مُعَقّبـاتٌ مِنْ بـينِ يَدَيْهِ وَمنْ خَـلْفهِ قال: ذلك مَلِك من ملوك الدنـيا له حرس من دونه حرس.

حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: لَهُ مُعَقّبـاتٌ مِنْ بـينِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَـلْفِهِ يعنـي: ولـيّ السلطان يكون علـيه الـحرس.

15396ـ حدثنا مـحمد بن الـمثنى, قال: حدثنا مـحمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن شَرْقـيّ أنه سمع عكرمة يقول فـي هذه الآية: لَهُ مُعَقّبـاتٌ مِنْ بـينِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَـلْفِهِ قال: هؤلاء الأمراء.

15397ـ حدثنـي الـحارث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا عمرو بن نافع, قال: سمعت عكرمة يقول: لَهُ مُعَقّبـاتٌ مِنْ بـينِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَـلْفِهِ قال: الـمواكب من بـين يديه ومن خـلفه.

15398ـ حُدثت عن الـحسين بن الفرج, قال: سمعت أبـا معاذ يقول: حدثنا عبـيد بن سلـيـمان, قال: سمعت الضحاك يقول فـي قوله: لَهُ مُعَقّبـاتٌ مِنْ بَـيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَـلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ قال: هو السلطان الـمـحروس من أمر الله, وهم أهل الشرك.

وأولـى التأويـلـين فـي ذلك بـالصواب, قول من قال: الهاء فـي قوله: لَهُ مُعَقّبـاتٌ من ذكر «من» التـي فـي قوله: وَمَنْ هُوَ مُسْتَـخْفٍ بـاللّـيْـلِ وأن الـمعقبـات من بـين يديه ومن خـلفه, هي حَرَسه وجَلاَوِزته كما قال ذلك مَن ذكرنا قوله.

وإنـما قلنا: ذلك أولـى التأويـلـين بـالصواب لأن قوله: لَهُ مُعَقّبـاتٌ أقرب إلـى قوله: وَمَنْ هُوَ مُسْتَـخْفٍ بـاللّـيْـلِ منه إلـى عالـم الغيب, فهي لقربها منه أولـى بأن تكون من ذكره, وأن يكون الـمعنيّ بذلك هذا, مع دلالة قول الله: وَإِذَا أَرَادَ اللّهُ بِقَوْمٍ سُوءا فَلا مَرَدّ لَهُ علـى أنهم الـمعِنـيّون بذلك. وذلك أنه جلّ ثناؤه ذكر قوما أهل معصية له وأهل ريبة, يستـخفون بـاللـيـل ويظهرون بـالنهار, ويـمتنعون عند أنفسهم بحرس يحرسهم, ومَنَعَة تـمنعهم من أهل طاعته أن يحولوا بـينهم وبـين ما يأتون من معصية الله, ثم أخبر أن الله تعالـى ذكره إذا أراد بهم سوءا لـم ينفعهم حرسهم, ولا يدفع عنهم حفظهم.

وقوله: يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ اختلف أهل التأويـل فـي تأويـل هذا الـحرف علـى نـحو اختلافهم فـي تأويـل قوله: لَهُ مُعَقّبـاتٌ فمن قال: الـمعقبـات هي الـملائكة, قال: الذين يحفظونه من أمر الله هم أيضا الـملائكة ومن قال: الـمعقبـات هي الـحرس والـجلاوزة من بنـي آدم, قال: الذين يحفظونه من أمر الله هم أولئك الـحرس.

واختلفوا أيضا فـي معنى قوله: مِنْ أَمْرِ اللّهِ فقال بعضهم: حِفْظهم إياه من أمره. وقال بعضهم: يحفظونه من أمر الله بأمر الله. ذكر من قال: الذين يحفظونه هم الـملائكة, ووَجّهَ قوله: بأمر الله إلـى معنى أن حفظها إياه من أمر الله:

15399ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالـح, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله: يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ يقول: بإذن الله, فـالـمعقبـات: هي من أمر الله, وهي الـملائكة.

15400ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن عطاء بن السائب, عن سعيد بن جبـير: يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ قال: الـملائكة: الـحَفَظَة, وحِفْظهم إياه من أمر الله.

15401ـ حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا مـحمد بن عبـيد, قال: ثنـي عبد الـملك, عن ابن عبـيد الله, عن مـجاهد, فـي قوله: لَهُ مُعَقّبـاتٌ مِنْ بـينِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَـلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أمْرِ اللّهِ قال: الـحَفَظَة هم من أمر الله.

15402ـ قال: حدثنا علـيّ, يعنـي ابن عبد الله بن جعفر, قال: حدثنا سفـيان, عن عمرو, عن ابن عبـاس: له مُعَقّبـاتٌ مِنْ بـينِ يَدَيْهِ رُقبـاء وَمِنْ خَـلْفِهِ منْ أمْر اللّهِ يَحْفَظُونَهُ.

قال: حدثنا عبد الوهاب, عن سعيد, عن قتادة, عن الـجارود, عن ابن عبـاس: لَهُ مُعَقّبـاتٌ مِنْ بـينِ يَدَيْهِ رقـيب وَمِنْ خَـلْفِهِ.

15403ـ حدثنـي الـحارث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا إسرائيـل, عن خَصِيف, عن مـجاهد: لَهُ مُعَقّبـاتٌ مِنْ بـينِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَـلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أمْرِ اللّهِ قال: الـملائكة من أمر الله.

15404ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, قال: قال ابن عبـاس: يَحْفَظُونَهُ مِنْ أمْرِ الله قال: الـملائكة من أمر الله.

15405ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن إبراهيـم: لَهُ مُعَقّبـاتٌ مِنْ بـينِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَـلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أمْرِ اللّهِ قال: الـحَفَظة.

ذكر من قال: عنى بذلك يحفظونه بأمر الله:

15406ـ حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: يَحْفَظُونَهُ مِنْ أمْرِ اللّهِ: أي بأمر الله.

حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: يَحْفَظُونَهُ مِنْ أمْرِ اللّهِ, وفـي بعض القراءات: «بأمر الله».

15407ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: أخبرنا هشيـم, عن عبد الـملك, عن قـيس, عن مـجاهد فـي قوله: لَهُ مُعَقّبـاتٌ مِنْ بـينِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَـلْفِهِ قال: مع كلّ إنسان حفظة يحفظونه من أمر الله. ذكر من قال: تـحفظه الـحرس من بنـي آدم من أمر الله:

15408ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: حدثنا أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس: يَحْفَظُونَهُ مِنْ أمْرِ اللّهِ يعنـي: ولـيّ السلطان يكون علـيه الـحرس, يحفظونه من بـين يديه ومن خـلفه. يقول الله عزّ وجلّ: يحفظونه من أمري, فإنـي إذا أردت بقوم سوءا فلا مردّ له وما لهم من دونه من والٍ.

15409ـ حدثنـي أبو هريرة الضبعيّ, قال: حدثنا أبو قتـيبة, قال: حدثنا سعيد, عن شَرْقـيّ, عن عكرمة: يَحْفَظُونَهُ مِنْ أمْرِ اللّهِ قال: الـجلاوزة.

وقال آخرون: معنى ذلك: يحفظونه من أمر الله, وأمر الله الـجنّ, ومن يبغي أذاه ومكروهه قبل مـجيء قضاء الله, فإذا جاء قضاؤه خَـلّوا بـينه وبـينه. ذكر من قال ذلك:

15410ـ حدثنـي أبو هريرة الضّبَعيّ, قال: حدثنا أبو داود, قال: حدثنا ورقاء, عن منصور, عن طلـحة, عن إبراهيـم: يَحْفَظُونَهُ مِنْ أمْرِ اللّهِ قال: من الـجنّ.

15411ـ حدثنا سَوّار بن عبد الله, قال: حدثنا الـمعتـمر, قال: سمعت لـيثا يحدّث عن مـجاهد أنه قال: ما من عبد إلا له ملَك موكل يحفظه فـي نومه ويقظته من الـجنّ والإنس والهوامّ, فما منهم شيء يأتـيه يريده إلا قال: وراءَك, إلا شيئا يأذن الله فـيصيبه.

15412ـ حدثنا الـحسن بن عرفة, قال: حدثنا إسماعيـل بن عياش, عن مـحمد بن زياد الألهانـيّ, عن يزيد بن شُرَيح عن كعب الأحبـار, قال: لو تـجّلـى لابن آدم كلّ سهل وحَزْن, لرأى علـى كلّ شيء من ذلك شياطين, لولا أن الله وَكل بكم ملائكة يذُبّون عنكم فـي مطعمكم ومشربكم وعوراتكم إذنْ لتُـخُطّفتـم.

15413ـ حدثنـي يعقوب, قال: حدثنا ابن علـية, قال: حدثنا عمارة بن أبـي حفصة, عن أبـي مُـجَلّز, قال: جاء رجل من مُراد إلـى علـيّ رضي الله عنه, وهو يصّلـي, فقال: احترس, فإن ناسا من مُراد يريدون قتلك فقال: إن مع كل رجل مَلَكين يحفظانه مـما لـم يقدّر, فإذا جاء القدر خَـلـيّا بـينه وبـينه, وإن الأجل جنة حصينة.

15414ـ حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا عبد الوهاب, عن الـحسن بن ذَكوان, عن أبـي غالب, عن أبـي أُمامة قال: ما من آدميّ إلا ومعه مَلَك موكّل يذود عنه حتـى يُسْلِـمه للذي قُدّر له.

وقال آخرون: معنى ذلك: يحفظونه علـيه من الله. ذكر من قال ذلك:

15415ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج: يَحْفَظُونَهُ مِنْ أمْر الله قال: يحفظون علـيه من الله.

قال أبو جعفر: يعنـي ابن جريج بقوله: يحفظون علـيه الـملائكة الـموكّلة بـابن آدم, بحفظ حسناته وسيئاته, وهي الـمعّقبـات عندنا, تـحفظ علـى ابن آدم حسناته وسيئاته من أمر الله. وعلـى هذا القول يجب أن يكون معنى قوله: مِنْ أمْر الله أن الـحفظة من أمر الله, أو تـحفظ بأمر الله, ويجب أن تكون الهاء التـي فـي قوله: يَحْفَظُونَهُ وحدت وذكرت, وهي مراد بها الـحسنات والسيئات, لأنها كناية عن ذكر من الذي هو مستـخف بـاللـيـل وسارب بـالنهار, وأن يكون الـمستـخفـي بـاللـيـل أقـيـم ذكره مقام الـخبر عن سيئاته وحسناته, كما قـيـل: وَاسْئَل القَرْيَة التـي كُنّا فِـيها والعِيرَ التـي أقْبَلْنا فِـيها.

وكان عبد الرحمن بن زيد يقول فـي ذلك خلاف هذه الأقوال كلها:

15416ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: وَمَنْ هُوَ مُسْتَـخْفٍ بـاللّـيْـلِ وَسارِبٌ بـالنّهارِ قال: أتـى عامرُ بن الطفـيـل, وأربد بن ربـيعة إلـى رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقال عامر: ما تـجعل لـي إن أنا اتبعتك؟ قال: «أنْتَ فـارِسٌ أُعْطِيكَ أعِنّة الـخَيْـلِ» قال: لا. قال: «فَمَا تَبغِي؟» قال: لـي الشرقُ ولك الغرب. قال: «لا». قال: فلـي الوَبَرِ ولك الـمدَر. قال: «لا» قال: لأملأنها علـيك إذا خيلاً ورجالاً, قال: «يَـمْنَعُكَ اللّهُ ذَاكَ وَأبْناء قِـيْـلة» يريد الأوس والـخزرج. قال: فخرجا, فقال عامر لأربد: إنْ كان الرجل لنا لـمـمكنا لو قتلناه ما انتطحت فـيه عنزان ولرضُوا بأن نعقله لهم وأحبوا السلـم وكرهوا الـحرب إذا رأوا أمرا قد وقع. فقال الآخر: إن شئت فتشاورا, وقال: ارجع وأنا أشغله عنك بـالـمـجادلة, وكن وراءه فـاضربه بـالسيف ضربة واحدة فكانا كذلك, واحد وراء النبـي صلى الله عليه وسلم, والآخر قال: اقصص علـينا قصصك, قال: ما يقول قرآنك؟ فجعل يجادله ويستبطئه حتـى قال: مالك أحْشمت؟ قال: وضعت يدي علـى قائم سيفـي فـيبست, فما قدرت علـى أن أُحْلـي وَلا أُمِرّ ولا أحرّكها. قال: فخرجا فلـما كانا بـالـحرّة سمع بذلك سعد بن معاذ وأسيد بن حضير, فخرجا إلـيهما, علـى كل واحد منهما لأمته وَرُمـحه بـيده وهو

متقلد سيفه, فقالا لعامر بن الطفيـل: يا أعور يا خبـيث يا أملـخ, أنت الذي تشترط علـى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ لولا أنك فـي أمان من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رُمت الـمنزل حتـى ضربت عنقك, ولكن لا تستبقـينّ وكان أشدّ الرجلـين علـيه أسيد بن الـحُضَير, (فقال: من هذا؟ فقالوا: أسيد بن حضير), فقال: لو كان أبوه حيّا لـم يفعل بـي هذا. ثم قال لأربد: اخرج أنت يا أربد إلـى ناحية عَذبة, وأخرج أنا إلـى نـجد, فنـجمع الرجال فنلتقـي علـيه. فخرج أربد حتـى إذا كان بـالرقم بعث الله سحابة من الصيف فـيها صاعقة فأحرقته. قال: وخرج عامر, حتـى إذا كان بواد يقال له الـجرير, أرسل الله علـيه الطاعون, فجعل يصيح: يا آل عامر, أغدة كغدة البكر تقتلنـي, يا آل عامر أغدة كغدة البكر تقتلنـي, وموتٌ أيضا فـي بـيت سَلُولـية وهي امرأة من قـيس, فذلك قول الله: سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أسَرّ القَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ فقرأ حتـى بلغ: يَحْفَظُونَهُ تلك الـمعقبـات من أمر الله, هذا مقدّم ومؤخر لرسول الله صلى الله عليه وسلم معقبـات يحفظونه من بـين يديه ومن خـلفه تلك الـمعقبـات من أمر الله. وقال لهذين: إنّ اللّهَ لا يُغَيّرُ ما بِقَومٍ حتـى يُغَيّروا ما بأنْفُسِهِمْ فقرأ حتـى بلغ: وَيُرْسِلُ الصّوَاعِق فَـيُصيبُ بها مَنْ يَشاءُ... الآية, فقرأ حتـى بلغ: وَما دُعاءُ الكافرينَ إلاّ فِـي ضَلالٍ. قال وقال لبـيد فـي أخيه أربد, وهو يبكيه:

أخْشَى علـى أرْبَدَ الـحُتُوفَ ولاأرْهَبُ نَوْءَ السّماك والأسَدِ

فَجّعَنـي الرّعْدُ والصّوَاعقُ بـالفـارس يومَ الكَرِيَهةِ النّـجُدِ

قال أبو جعفر: وهذا القول الذي قاله ابن زيد فـي تأويـل هذه الآية قول بعيد من تأويـل الآية مع خلافه أقوال من ذكرنا قوله من أهل التأويـل, وذلك أنه جعل الهاء فـي قوله: لَهُ مُعَقّبـاتٌ من ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم, ولـم يجر له فـي الآية التـي قبلها ولا فـي التـي قبل الأخرى ذكر, إلا أن يكون أراد أن يردّها علـى قوله: إنّـمَا أنْتَ مُنْذِرٌ وَلكُلّ قَوْمٍ هادٍ لَهُ مُعَقّبـاتٌ فإن كان أراد ذلك, فذلك بعيد لـما بـينهما من الآيَاتَ بغير ذكر الـخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وإذا كان كذلك, فكونها عائدة علـى «مَن» التـي فـي قوله: وَمَنْ هُوَ مُسْتَـخْفٍ بـاللّـيْـلِ أقرب, لأنه قبلها والـخبر بعدها عنه. فإذا كان ذلك كذلك, فتأويـل الكلام: سواء منكم أيها الناس من أسرّ القول ومن جهر به عند ربكم, ومن هو مستـخف بفسقه وريبته فـي ظلـمة اللـيـل, وسارب: يذهب ويجيء فـي ضوء النهار مـمتنعا بجنده وحرسه الذين يتعقبونه من أهل طاعة الله أن يحولوا بـينه وبـين ما يأتـي من ذلك, وأن يقـيـموا حدّ الله علـيه, وذلك قوله: يَحْفَظُونَهُ مِنْ أمْرِ اللّهِ. وقوله: إنّ اللّهَ لا يُغَيّرُ ما بِقَوْمٍ حتـى يُغَيّرُوا ما بأنْفُسِهِمْ يقول تعالـى ذكره: إن الله لا يغير ما بقوم من عافـية ونعمة فـيزيـل ذلك عنهم ويهلكهم حتـى يغيروا ما بأنفسهم من ذلك بظلـم بعضهم بعضا واعتداء بعضهم علـى بعض, فتـحلّ بهم حينئذٍ عقوبته وتغيـيره. وقوله: وَإذَا أرَادَ اللّهُ بِقَوْمٍ سُوءا فَلا مَرَدّ لَهُ يقول: وإذا أراد الله بهؤلاء الذين يستـخفون بـاللـيـل ويسربون بـالنهار, لهم جند ومنعة من بـين أيديهم ومن خـلفهم, يحفظونهم من أمر الله هلاكا وخزيا فـي عاجل الدنـيا فلا مَرَدّ لَهُ يقول: فلا يقدر علـى ردّ ذلك عنهم أحد غير الله. يقول تعالـى ذكره: وَما لَهُمْ مِنْ دُونِه مِنْ وَالٍ يقول: وما لهؤلاء القوم, والهاء والـميـم فـي «لهم» من ذكر القوم الذين فـي قوله: وَإذَا أرَادَ اللّهُ بِقَوْمٍ سُوءا. مِنْ دُونِ اللّهِ مِنْ وَالٍ يعنـي: من وال يـلـيهم

ويـلـي أمرهم وعقوبهم. وكان بعض أهل العلـم بكلام العرب يقول: السوء: الهلكة, ويقول: كلّ جذام وبرص وعمى وبلاء عظيـم فهو سُوء مضموم الأوّل, وإذا فتـح أوله فهو مصدر سؤت, ومنه قولهم: رجل سوء.

واختلف أهل العربـية فـي معنى قوله: وَمَنْ هُوَ مُسْتَـخْفٍ بـاللّـيْـل وَساربٌ بـالنّهار فقال بعض نـحويـي أهل البصرة: معنى قوله: وَمَنْ هُوَ مُسْتَـخْفٍ بـاللـيْـل ومن هو ظاهر بـاللـيـل, من قولهم: خَفَـيْت الشيء: إذا أظهرته, وكما قال امرؤ القـيس:

فإنْ تَكْتُـمُوا الدّاءَ لا نَـخْفِهوإنْ تَبْعَثُوا الـحَرْبَ لا نَقْعُدِ

وقال: وقد قرىء أكادُ أُخْفِـيها بـمعنى: أظهرها. وقال فـي قوله: وَساربٌ بـالنهار السارب: هو الـمتواري, كأنه وجّهه إلـى أنه صار فـي السّرَب بـالنهار مستـخفـيا. وقال بعض نـحويـي البصرة والكوفة: إنـما معنى ذلك: ومن هو مستـخف: أي مستتر بـاللـيـل من الاستـخفـاء, وسارب بـالنهار: وذاهب بـالنهار, من قولهم: سربت الإبل إلـى الـمراعي, وذلك ذهابها إلـى الـمراعي وخروجها إلـيها. وقـيـل: إن السروب بـالعشيّ والسروح بـالغداة.

واختلفوا أيضا فـي تأنـيث معقبـات, وهي صفة لغير الإناث, فقال بعض نـحويـي البصرة: إنـما أنثت لكثرة ذلك منها, نـحو: نسابة وعلامة, ثم ذكّر لأن الـمعنى مذكر, فقال: يحفظونه. وقال بعض نـحويـي الكوفة: إنـما هي ملائكة معقبة, ثم جمعت مقبـات, فهو جمع جمع, ثم قـيـل: يحفظونه, لأنه للـملائكة. وقد تقدّم قولنا فـي معنى الـمستـخفـي بـاللـيـل والسارب بـالنهار. وأما الذي ذكرناه عن نـحويـي البصريـين فـي ذلك فقول وإن كان له فـي كلام العرب وجه خلافٌ لقول أهل التأويـل, وحسبه من الدلالة علـى فساده خروجه عن قول جميعهم. وأما الـمعقبـات, فإن التعقـيب فـي كلام العرب العود بعد البدء والرجوع إلـى الشيء بعد الانصراف عنه, من قول الله تعالـى: وَلّـى مُدْبِرا ولَـمْ يُعَقِّبْ: أي لـم يرجع, وكما قال سلامة بن جندل:

وكَرّنا الـخَيْـلَ فـي آثارهم رُجُعاكُسّ السّنابِك مِنْ بدْءٍ وتَعقِـيب

يعنـي: فـي غزو ثان عقبوا وكما قال طرفة:

وَلَقَدْ كُنْتُ عَلَـيْكَمْ عاتِبـافَعَقَبْتُـمْ بِذَنُوبٍ غَيْر مُرّ

يعنـي بقوله: عقبتـم: رجعتـم, وأتاها التأنـيث عندنا, وهي من صفة الـحرس الذي يحرسون الـمستـخفـي بـاللـيـل والسارب بـالنهار, لأنه عُنـي بها حرس معقبة, ثم جمعت الـمعقبة, فقـيـل: معقبـات, فذلك جمع جمع الـمعقب, والـمعقب: واحد الـمعقبة, كما قال لبـيد:

حتـى تهَجّرَ فـي الرّواح وَهاجَهاطَلَبَ الـمُعَقّبِ حَقّهُ الـمَظْلُومُ

والـمعقبـات جمعها, ثم قال: يحفظونه, فردَّ الـخبر إلـى تذكير الـحرس والـجند.

وأما قوله: يَحْفَظُونَهُ مِنْ أمْرِ اللّهِ فإن أهل العربـية اختلفوا فـي معناه, فقال بعض نـحويـي الكوفة معناه: له معقبـات من أمر الله يحفظونه, ولـيس من أمره إنـما هو تقديـم وتأخير. قال: ويكون يحفظونه ذلك الـحفظ من أمر الله وبإذنه, كما تقول للرجل: أجبتك من دعائك إياي, وبدعائك إياي. وقال بعض نـحويـي البصريـين: معنى ذلك: يحفظونه عن أمر الله, كما قالوا: أطعمنـي من جوع وعن جوع, وكسانـي عن عُرْي ومن عُرْي.

وقد دللنا فـيـما مضى علـى أن أولـى القول بتأويـل ذلك أن يكون قوله: يَحْفَظُونَهُ مِنْ أمْرِ اللّهِ من صفة حرس هذا الـمستـخفـي بـالليـل وهي تـحرسه ظنّا منها أنها تدفع عنه أمر الله, فأخبر تعالـى ذكره أن حرسه ذلك لا يغنـي عنه شيئا إذا جاء أمره, فقال: وَإذَا أرَادَ اللّهُ بَقَوْمٍ سُوءا فَلا مَرَدّ لَهُ وَما لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ.

الآية : 12-13

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {هُوَ الّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنْشِىءُ السّحَابَ الثّقَالَ * وَيُسَبّحُ الرّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلاَئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ }.

يقول تعالـى ذكره: هُوَ الّذِي يُرِيكُمُ البَرْقَ يعنـي أن الربّ هو الذي يرى عبـاده البرق. وقوله: هُوَ كناية اسمه جلّ ثناؤه, وقد بـيّنا معنى البرق فـيـما مضى وذكرنا اختلاف أهل التأويـل فـيه بـما أغنى عن إعادته فـي هذا الـموضع. وقوله خَوْفـا يقول: خوفـا للـمسافر من أذاه. وذلك أن البرق الـماء فـي هذا الـموضع, كما:

15417ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا حجاج, قال: حدثنا حماد, قال: أخبرنا موسى بن سالـم أبو جهضم, مولـى ابن عبـاس, قال: كتب ابن عبـاس إلـى أبـي الـجلد يسأله عن البرق, فقال: البرق: الـماء.

وقوله وَطَمَعا يقول: وطمعا للـمقـيـم أن يـمطر فـينتفع. كما:

15418ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عنقتادة, قوله: هُوَ الّذِي يُرِيكُمُ البَرْقَ خَوْفـا وَطَمَعا يقول: خوفـا للـمسافر فـي أسفـاره, يخاف أذاه ومشقته, وطمعا للـمقـيـم يرجو بركته ومنفعته ويطمع فـي رزق الله.

حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: خَوْفـا وطَمَعا خوفـا للـمسافر, وطمعا للـمقـيـم.

وقوله: وَيُنْشِىءُ السّحابَ الثّقالَ: ويثـير السحاب الثقال بـالـمطر, ويبدئه, يقال منه: أنشأ الله السحاب: إذا أبدأه, ونشأ السحاب: إذا بدأ ينشأ نشأ. والسحاب فـي هذا الـموضع وإن كان فـي لفظ واحد فإنها جمع واحدتها سحابة, ولذلك قال: «الثقال», فنعتها بنعت الـجمع, ولو كان جاء: السحاب الثقـيـل كان جائزا, وكان توحيدا للفظ السحاب, كما قـيـل: جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشّجَرِ الأخْضَرِ نارا.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

15419ـ حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا شبـابة, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: وَيُنْشِىءُ السّحابَ الثّقالَ قال: الذي فـيه الـماء.

حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, مثله.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, مثله.

قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, مثله.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, عن مـجاهد: وَيُنْشِىءُ السّحابَ الثِّقالَ قال: الذي فـيه الـماء.

وقوله: وَيُسَبّحُ الرّعْدُ بِحَمْدِهِ قال أبو جعفر: وقد بـيّنا معنى الرعد فـيـما مضى بـما أغنى عن إعادته فـي هذا الـموضع. وذُكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا سمع صوت الرعد, قال كما:

15420ـ حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا كثـير بن هشام, قال: حدثنا جعفر, قال: بلغنا أن النبـيّ صلى الله عليه وسلم كان إذا سمع صوت الرعد الشديد, قال: «اللّهُمّ لا تَقْتُلْنا بِغَضَبكَ, وَلا تُهْلِكْنا بِعَذَابِكَ, وَعافِنا قَبْلَ ذلكَ».

15421ـ حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا إسرائيـل, عن أبـيه, عن رجل, عن أبـي هريرة رفع الـحديث: أنه كان إذا سمع الرعد قال: «سُبْحانَ مَنْ يُسَبّحُ الرّعْدُ بِحَمْدِهِ».

15422ـ حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا مسعدة بن الـيسع الباهلـي, عن جعفر بن مـحمد, عن أبـيه, عن علـيّ رضي الله عنه, كان إذا سمع صوت الرعد, قال: «سبحان من سبحتَ له».

15423ـ قال: حدثنا إسماعيـل بن علـية, عن الـحكم بن أبـان, عن عكرمة, عن ابن عبـاس, أنه كان إذا سمع الرعد, قال: «سبحان الذي سبحت له».

15424ـ حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا يعلـى بن الـحارث, قال: سمعت أبـا صخرة يحدّث عن الأسود بن يزيد, أنه كان إذا سمع الرعد, قال: «سبحان من سبحت له», أو «سبحان الذي يسبح الرعد بحمده, والـملائكة من خيفته».

15425ـ قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا ابن علـية, عن ابن طاوس, عن أبـيه, وعبد الكريـم, عن طاوس أنه كان إذا سمع الرعد, قال: «سبحان من سبحت له».

15426ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: حدثنا حجاج, عن ميسرة, عن الأوزاعي, قال: كان ابن أبـي زكريا يقول: من قال حين يسمع الرعد: «سبحان الله وبحمده», لـم تصبه صاعقة.

ومعنى قوله: وَيُسَبّحُ الرّعْدُ بِحَمْدِهِ ويعظم الله الرعدُ ويـمـجده, فـيثنى علـيه بصفـاته, وينزّهه مـما أضاف إلـيه أهل الشرك به ومـما وصفوه به من اتـخاذ الصاحبة والولد, تعالـى ربنا وتقدّس.

وقوله: مِنْ خِيفَتِهِ يقول: وتسبح الـملائكة من خيفة الله ورهبته.

وأما قوله: وَيُرْسِلُ الصّوَاعِقَ فَـيُصِيبُ بِها مَنْ يَشاءُ فقد بـيّنا معنى الصاعقة فـيـما مضى بـما أغنى عن إعادته بـما فـيه الكفـاية من الشواهد, وذكرنا ما فـيها من الرواية.

وقد اختلف فـيـمن أنزلت هذه الآية, فقال بعضهم: نزلت فـي كافر من الكفـار ذَكَرَ الله تعالـى وتقدس بغير ما ينبغي ذكره, فأرسل علـيه صاعقة أهلكته. ذكر من قال ذلك:

15427ـ حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا عفـانُ, قال: حدثنا أبـانُ بن يزيد, قال: حدثنا أبو عمران الـجونـيّ, عن عبد الرحمن بن صحُار العبديّ, أنه بلغه أن نبـيّ الله صلى الله عليه وسلم بعث إلـى جبّـار يدعوه, فقال: «أرأيتـم ربكم, أذهبٌ هو أم فضة هو أم لؤلؤ هو؟»قال: فبـينـما هو يجادلهم, إذ بعث الله سحابة فرعدت, فأرسل الله علـيه صاعقة فذهبت بقَحْف رأسه

فأنزل الله هذه الآية: وَيُرْسِلُ الصّوَاعِقَ فَـيُصِيبُ بِها مَنْ يَشاءُ وَهُمْ يُجادِلُونَ فِـي اللّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الـمِـحالِ.

15428ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا إسحاق بن سلـيـمان, عن أبـي بكر بن عياش, عن لـيث, عن مـجاهد, قال: جاء يهودي إلـى النبـيّ صلى الله عليه وسلم, فقال: أخبرنـي عن ربك من أيّ شيء هو, من لؤلؤ أو من ياقوت؟ فجاءت صاعقة فأخذته, فأنزل الله: وَيُرْسِلُ الصّوَاعِقَ فَـيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشاءُ وَهُمْ يُجادِلُونَ فِـي اللّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الـمِـحالِ.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا الـحمّانـي, قال: حدثنا أبو بكر بن عياش, عن لـيث, عن مـجاهد, مثله.

15429ـ قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله بن هاشم, قال: حدثنا سيف, عن أبـي رَوق, عن أبـي أيوب, عن علـيّ, قال: جاء رجل إلـى النبـيّ صلى الله عليه وسلم فقال: يا مـحمد حدثنـي مَنْ هذا الذي تدعو إلـيه, أياقوت هو, أذهب هو, أم ما هو؟ قال: فنزلت علـى السائل الصاعقة فأحرقته, فأنزل الله: وَيُرسِلُ الصّوَاعِقَ... الآية.

15430ـ حدثنا مـحمد بن مرزوق, قال: حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب, قال: ثنـي علـيّ بن أبـي سارة الشيبـانـيّ, قال: حدثنا ثابت البُنَانـي, عن أنس بن مالك, قال: بَعَث النبـيّ صلى الله عليه وسلم مرّة رجلاً إلـى رجل من فراعنة العرب, أن ادعه لـي, فقال: يا رسول الله, إنه أعتـى من ذلك, قال: «اذْهَبْ إلـيه فـادْعُهُ» قال: فأتاه, فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك, فقال: من رسول الله, وما الله؟ أمن ذهب هو, أم من فضة, أم من نـحاس؟ قال: فأتـى الرجل النبـيّ صلى الله عليه وسلم فأخبره, فقال: «ارْجِعْ إلَـيْهِ فـادْعُهُ» قال: فأتاه فأعاد علـيه وردّ علـيه مثل الـجواب الأوّل, فأتـى النبـيّ صلى الله عليه وسلم فأخبره, فقال: «ارْجِعْ إلَـيْهِ فـادْعُهُ» قال: فرجع إلـيه. فبـينـما هما يتراجعان الكلام بـينهما, إذ بعث الله سحابة بحِيال رأسه فرعدت, فوقعت منها صاعقة فذهبت بقحْف رأسه, فأنزل الله: وَيُرْسِلُ الصّوَاعِقَ فَـيُصِيبُ بِها مَنْ يَشاءُ وَهُمْ يُجادِلُونَ فِـي اللّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الـمِـحالِ.

وقال آخرون: نزلت فـي رجل من الكفـار أنكر القرآن وكذّب النبـيّ صلى الله عليه وسلم. ذكر من قال ذلك:

15431ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: ذُكر لنا أن رجلاً أنكر القرآن وكذّب النبـيّ صلى الله عليه وسلم, فأرسل الله علـيه صاعقة فأهلكته, فأنزل الله عزّ وجلّ فـيه: وَهُمْ يُجادِلُونَ فِـي اللّهِ, وَهُوَ شَدِيدُ الـمِـحالِ.

وقال آخرون: نزلت فـي أرَبَدَ أخي لَبـيد بن ربـيعة, وكان همّ بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وعامر بن الطفـيـل. ذكر من قال ذلك:

15432ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, قال: نزلت, يعنـي قوله: وَيُرْسِلُ الصّوَاعِقَ فَـيُصِيبُ بها مَنْ يَشاءُ فـي أربدَ أخي لبـيد بن ربـيعة, لأنه قَدم أربد وعامر بن الطفـيـل بن مالك بن جعفر علـى النبـيّ صلى الله عليه وسلم, فقال عامر: يا مـحمد أأُسلـم وأكون الـخـلـيفة من بعدك؟ قال: «لا» قال: فأكون علـى أهل الوبَر وأنت علـى أهل الـمدر؟ قال: «لا», قال: فما ذاك؟ قال: «أُعْطِيكَ أعِنّةَ الـخَيْـلِ تُقَاتِلُ عَلَـيْها, فإنّكَ رَجُلٌ فَـارِسٌ» قال: أو لـيست أعنة الـخَيـلِ بـيدي؟ أما

والله لأملأنها علـيك خيلاً ورجالاً من بنـي عامر وقال لأربد: إما أن تكفـينـيه وأضربه بـالسيف, وإما أن أكفـيكه وتضربه بـالسيف. قال أربد: أكفـيكه واضربه فقال عامر بن الطفـيـل: يا مـحمد إن لـي إلـيك حاجة, قال: «ادْنُ», فلـم يزل يدنو, ويقول النبـي صلى الله عليه وسلم, «ادْنُ» حتـى وضع يديه علـى ركبتـيه وحنى علـيه, واستلّ أربد السيف, فـاستلّ منه قلـيلاً فلـما رأى النبـيّ صلى الله عليه وسلم بريقه, تعوّذ بآية كان يتعوّذ بها, فـيبست يد أربد علـى السيف, فبعث الله علـيه صاعقة فأحرقته, فذلك قول أخيه:

أَخْشَى علـى أرْبَدَ الـحُتُوفَ ولاأرْهَبُ نَوْءَ السّماك والأسَدِ
فَجّعَنِـي البَرْقُ والصّوَاعقُ بـالْفـارِسِ يَوْمَ الكَرِيهَةِ النّـجُدِ وقد ذكرت قبلُ خبر عبد الرحمن بن زيد بنـحو هذه القصة. وقوله: وَهُمْ يُجادِلُونَ فِـي اللّهِ يقول: وهؤلاء الذين أصابهم الله بـالصواعق أصابهم فـي حال خصومتهم فـي الله عزّ وجلّ لرسوله صلى الله عليه وسلم. وقوله: وَهُوَ شَدِيدُ الـمِـحالِ يقول تعالـى ذكره والله شديدة مـما حلته فـي عقوبة من طغى علـيه وعَتَا وتـمادى فـي كفره. والـمِـحال: مصدر من قول القائل: ما حَلتُ فلانا فأنا أما حله مـما حلة ومـحالاً, وفَعَلْتُ منه: مَـحَلت أمْـحَل مَـحْلاً: إذا عَرّض رجل رجلاً لـما يهلكه ومنه قوله: «وما حِلٌ مُصَدّق» ومنه قول أعشى بنـي ثعلبة: فَرْعُ نَبْعٍ يَهْتَزّ فِـي غُصُنِ الـمَـجْدِ غزيرُ النّدَى شَدِيدُ الـمِـحالِ

هكذا كان يُنشده معمر بن الـمثنى فـيـما حُدثت عن علـيّ بن الـمغيرة عنه. وأما الرواة بعدُ فإنهم ينشدونه:

فَرْعُ فَرْعٍ يَهْتَزّ فِـي غُصُنِ الـمَـجْدِ كثـيرُ النّدَى عَظِيـمُ الـمِـحالِ

وفسّر ذلك معمر بن الـمثنى, وزعم أنه عنى به العقوبة والـمكر والنكال ومنه قول الآخر:

وَلَبّسَ بـينَ أقْوَامٍ فُكُلّأعدّ له الشّغازِبَ والـمِـحالا

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

15433ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله بن هاشم, قال: حدثنا سيف, عن أبـي رَوْق, عن أبـي أيوب, عن علـيّ رضي الله عنه: وَهُوَ شَدِيدُ الـمِـحالِ قال: شديد الأخذ.

15434ـ حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا إسرائيـل, عن أبـي يحيى, عن مـجاهد: وَهُوَ شَدِيدُ الـمِـحالِ قال: شديد القوّة.

15435ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: وَهُوَ شَدِيدُ الـمِـحالِ أي القوّة والـحيـلة.

15436ـ حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن الـحسن: شَدِيدُ الـمِـحالِ يعنـي: الهلاك, قال: إذا مـحل فهو شديد. وقال قتادة: شديد الـحِيـلة.

15437ـ حدثنـي الـحارث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا رجل, عن عكرمة: وَهُمْ يُجادِلُونَ فِـي اللّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الـمِـحالِ قال: الـمـحال: جدال أربَدَ, وهو شَدِيدُ الـمِـحَالِ قال: ما أصاب أربدَ من الصاعقة.

15438ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج: وَهُوَ شَدِيدُ الـمِـحال قال: قال ابن عبـاس: شديد الـحَوْل.

15439ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَهُوَ شَدِيدُ الـمِحالِ قال: شديد القوّة. الـمحال: القوّة.

والقول الذي ذكرناه عن قتادة في تأويل الـمحال أنه الحيلة, والقول الذي ذكره ابن جريج عن ابن عباس يدلان على أنهما كانا يقرآن: «وَهُوَ شَدِيدُ الـمَحَال» بفتح الميم, لأن الحيلة لا يأتي مصدرها مِحَالاً بكسر الميم, ولكن قد يأتي على تقدير الـمَفْعلة منها, فيكون مَحَالة, ومن ذلك قولهم: «المرء يعجز لا مَحالة», والمحالة في هذا الموضع: المفعلة من الحيلة. فأما بكسر الميم, فلا تكون إلا مصدرا, من ما حلت فلانا أما حلهِ محالاً, والمماحلة بعيدة المعنى من الحيلة, ولا أعلم أحدا قرأه بفتح الميم. فإذا كان ذلك كذلك, فالذي هو أولى بتأويل ذلك ما قلنا من القول.

الآية : 14

القول في تأويل قوله تعالى: {لَهُ دَعْوَةُ الْحَقّ وَالّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاّ كَبَاسِطِ كَفّيْهِ إِلَى الْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَآءُ الْكَافِرِينَ إِلاّ فِي ضَلاَلٍ }.

يقول تعالى ذكره: لله من خلقه الدعوة الحق, والدعوة هي الحقّ كما أضيفت الدار إلى الآخرة في قوله: وَلَدَارُ الآخِرَةِ وقد بيّنا ذلك فيما مضى. وإنما عنى بالدعوة الحقّ: توحيد الله, وشهادة أن لا إله إلاّ الله.

وبنحو الذي قلنا أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

15440ـ حدثنا أحمد بن إسحاق, قال حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا إسرائيل, عن سماك, عن عكرمة, عن ابن عباس: دَعْوَةُ الحَقّ قال: لا إله إلاّ الله.

حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: لَه دَعْوَةُ الحَقّ قال: شهادة لا إله إلاّ الله.

15441ـ قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله بن هاشم, قال: حدثنا سيف, عن أبي رَوْق, عن أبي أيوب, عن عليّ رضي الله عنه: لَه دَعْوَةُ الحَقّ قال: التوحيد.

15442ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: لَهُ دَعْوَةُ الحَقّ قال: لا إله إلاّ الله.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال ابن عباس, في قوله: لَه دَعْوَةُ الحَقّ قال: لا إله إلاّ الله.

15443ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: لَهُ دَعْوَةُ الحَقّ: لا إله إلاّ الله ليست تنبغي لأحد غيره, لا ينبغي أن يقال: فلان إله بني فلان.

وقوله: والّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ يقول تعالى ذكره: والآلهة التي يدعوها المشركون أربابا وآلهة. وقوله مِنْ دُونِهِ يقول: من دون الله وإنما عنى بقوله: مِنْ دُونِهِ الآلهة أنها مقصرة عنه, وأنها لا تكون إلها, ولا يجوز أن يكون إلها إلاّ الله الواحد القهار ومنه قول الشاعر:

أتُوعِدُنِي وَرَاءَ بَنِي رِياحٍكَذَبْتَ لَتَقُصُرّنَ يَداكَ دُونِي

يعني: لتقصرن يداكَ عني.

وقوله: لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ يقول: لا تجيب هذه الآلهة التي يدعوها هؤلاء المشركون آلهة بشيء يريدونه من نفع أو دفع ضرّ. إلاّ كباسطِ كَفّيْهِ

إلـى الـماءِ يقول: لا ينفع داعي الآلهة دعاؤه إياها إلاّ كما ينفع بـاسطَ كفـيه إلـى الـماء, بسطُه إياهما إلـيه من غير أن يرفعه إلـيه فـي إناء, ولكن لـيرتفع إلـيه بدعائه إياه وإشارته إلـيه وقبضه علـيه. والعرب تضرب لـمن سعى فـيـما لا يدركه مثلاً بـالقابض علـى الـماء. قال بعضهم:

فإنّـي وَإيّاكُمْ وَشَوْقا إلَـيْكُمُكقابِضِ ماءٍ لَـمْ تَسِقْه أنامِلُهْ

يعنـي بذلك: أنه لـيس فـي يده من ذلك إلاّ كما فـي يد القابض علـى الـماء, لأن القابض علـى الـماء لا شيء فـي يده. وقال آخر:

فأصْبَحْتُ مـمّا كانَ بَـيْنِـي وبَـيْنَهامِنَ الوُدّ مِثْلَ القابِضِ الـمَاءَ بـالـيَدِ

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

15444ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا سيف, عن أبـي روق, عن أبـي أيوب, عن علـيّ رضي الله عنه, فـي قوله: إلاّ كبَـاسِطِ كَفّـيْهِ إلـى الـمَاءِ لِـيَبْلُغَ فـاهُ وَما هُوَ بِبـالِغِهِ قال: كالرجل العطشان يـمدّ يده إلـى البئر لـيرتفع الـماء إلـيه وما هو ببـالغه.

15445ـ حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا شبـابة, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: كبَـاسِطِ كَفّـيْهِ إلـى الـماءِ يدعو الـماء بلسانه ويشير إلـيه بـيده, ولا يأتـيه أبدا.

قال: حدثنا حجاج, عن ابن جريج, قال: أخبرنـي الأعرج, عن مـجاهد: لِـيَبْلُغَ فـاهُ يدعوه لـيأتـيه وما هو بآتـيه, كذلك لا يستـجيب من هو دونه.

حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: كبَـاسِطِ كَفّـيْهِ إلـى الـمَاءِ يدعو الـماء بلسانه ويشير إلـيه بـيده, فلا يأتـيه أبدا.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد قال: وثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, مثله.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, عن مـجاهد, مثل حديث الـحسن, عن حجاج, قال ابن جريج: وقال الأعرج عن مـجاهد: لِـيَبْلُغَ فـاهُ قال: يدعوه لأن يأتـيه وما هو بآتـيه, فكذلك لا يستـجيب من هو دونه.

15446ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَالّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِه لا يَسْتَـجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ كبَـاسِطِ كَفّـيْهِ إلـى الـمَاءِ لِـيَبْلُغَ فـاهُ وَما هُوَ بِبـالِغِهِ ولـيس ببـالغه حتـى يتـمزّع عنقه ويهلك عطشا, قال الله تعالـى: وَما دُعاءُ الكافرِينَ إلاّ فِـي ضَلالٍ هذا مَثَلٌ ضربه الله أي هذا الذي يدعو من دون الله هذا الوثن وهذا الـحجر لا يستـجيب له بشيء أبدا ولا يسوق إلـيه خيرا ولا يدفع عنه سوءا حتـى يأتـيه الـموت, كمثل هذا الذي بسط ذارعيه إلـى الـماء لـيبلغ فـاه ولا يبلغ فـاه ولا يصل إلـيه ذلك حتـى يـموت عطشا.

وقال آخرون: معنى ذلك: والذين يدعون من دونه لا يستـجيبون لهم بشيء إلاّ كبـاسط كفـيه إلـى الـماء لـيتناول خياله فـيه, وما هو ببـالغ ذلك. ذكر من قال ذلك:

15447ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالـح, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ بن أبـي طلـحة, عن ابن عبـاس, قوله: كبَـاسِطِ كَفّـيْهِ إلـى الـمَاءِ لـيَبْلُغَ فـاهُ فقال: هذا مثل الـمشرك مع الله غيره, فمثّله كمثل

الرجل العطشان الذي ينظر إلـى خياله فـي الـماء من بعيد, فهو يريد أن يتناوله ولا يقدر علـيه.

وقال آخرون فـي ذلك ما:

15448ـ حدثنـي به مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَـجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ... إلـى: وَما دُعاءُ الكافِرِينَ إلاّ فِـي ضَلالٍ يقول: مثل الأوثان الذين يُعبدون من دون الله كمثل رجل قد بلغه العطش حتـى كربه الـموت وكفـاه فـي الـماء قد وضعهما لا يبلغان فـاه, يقول الله: لا تستـجيب الآلهة ولا تنفع الذين يعبدونها حتـى يبلغ كَفّـا هذا فـاه, وما هما ببـالغتـين فـاه أبدا.

15449ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَـجيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إلاّ كبَـاسِطِ كَفّـيْهِ إلـى الـمَاءِ لِـيَبْلُغَ فـاهُ وَما هُوَ بِبـالغهِ قال: لا ينفعونهم بشيء إلاّ كما ينفع هذا بكفّـيه, يعنـي بسطهما إلـى ما لا ينال أبدا.

وقال آخرون فـي ذلك ما:

15450ـ حدثنا به مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: إلاّ كبَـاسِطِ كَفّـيْهِ إلـى الـمَاءِ لِـيَبْلُغَ فـاهُ ولـيس الـماء ببـالغ فـاه ما قام بـاسطا كفـيه لا يقبضهما وَما هُوَ بِبـالِغِهِ وما دُعاءُ الكافِرِينَ إلاّ فِـي ضَلالٍ قال: هذا مثل ضربه الله لـمن اتـخذ من دون الله إلها أنه غير نافعه, ولا يدفع عنه سوءًا حتـى يـموت علـى ذلك.

وقوله: وَما دُعاءُ الكافِرِينَ إلاّ فِـي ضَلالٍ يقول: وما دعاء من كفر بـالله ما يدعو من الأوثان والآلهة إلاّ فـي ضلال: يقول: إلاّ فـي غير استقامة ولا هُدًى, لأنه يشرك بـالله.

الآية : 15

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَللّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلالُهُم بِالْغُدُوّ وَالآصَالِ }.

يقول تعالـى ذكره: فإن امتنع هؤلاء الذين يدعون من دون الله الأوثان والأصنام لله شركاء من إفراد الطاعة والإخلاص بـالعبـادة له, فللّه يسجد من فـي السموات من الـملائكة الكرام ومن فـي الأرض من الـمؤمنـين به طوعا, فأما الكافرون به فإنهم يسجدون له كَرْها حين يكرهون علـى السجود. كما:

15451ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: وِلِلّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِـي السّمَوَاتِ والأرْضِ طَوْعا وكَرْها فأما الـمؤمن فـيسجد طائعا, وأما الكافر فـيسجد كارها.

15452ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا سويد, قال: أخبرنا ابن الـمبـارك, عن سفـيان, قال: كان ربـيع بن خيثم إذا تلا هذه الآية: وِلِلّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِـي السّمَوَاتِ والأرْضِ طَوْعا وكَرْها قال: بلـى يا ربـاه.

15453ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: وِلِلّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِـي السّمَوَاتِ والأرْضِ طَوْعا وكَرْها قال: من دخـل طائعا هذا طوعا, وكرها من لـم ير يدخـل إلاّ بـالسيف.

وقوله: وَظِلالُهُمْ بـالغُدُوّ والآصَالِ يقول: ويسجد أيضا ظلال كلّ من سجد لله طوعا وكرها بـالغدوات والعشايا, وذلك أن ظل كلّ شخص فإنه يفـىء

بـالعشيّ كما قال جلّ ثناؤه: أوَ لـمْ يَرَوْا إلـى ما خَـلَقَ اللّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَـيّأ ظِلالُهُ عَنِ الـيَـمِينِ والشّمائِلِ سُجّدا لِلّهِ وَهُمْ داخِرُونَ.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

15454ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: وَظِلالُهُمْ بـالغُدُوّ والآصالِ يعنـي: حين يفـىء ظلّ أحدهم عن يـمينه أو شماله.

15455ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله بن الزبـير, عن سفـيان, قال فـي تفسير مـجاهد: وِلِلّهِ يَسْجُدُ مَنْ فـي السّمَوَاتِ والأرْضِ طَوْعا وكَرْها وَظِلالُهُمْ بـالغُدُوّ والآصَالِ قال: ظلّ الـمؤمن يسجد طوعا وهو طائع, وظلّ الكافر يسجد طوعا وهو كاره.

15456ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد فـي قوله: وَظِلالُهُمْ بـالغُدُوّ والآصَالِ قال: ذكر أن ظلال الأشياء كلها تسجد له, وقرأ: سُجّدا لِلّهِ وهم دَاخِرُونَ قال: تلك الظلال تسجد لله. والآصال: جمع أُصُل, والأصُلُ: جمع أصيـل, وا لأصيـل: هو العشيّ, وهو ما بـين العصر إلـى مغرب الشمس قال أبو ذؤَيب:

لَعَمْرِيَ لأَنْتَ البَـيْتُ أُكْرِمُ أَهْلَهُوأقْعُدُ فـي أفْـيائِهِ بـالأصَائِلِ

الآية : 16

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {قُلْ مَن رّبّ السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ قُلِ اللّهُ قُلْ أَفَاتّخَذْتُمْ مّن دُونِهِ أَوْلِيَآءَ لاَ يَمْلِكُونَ لأَنْفُسِهِمْ نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأعْمَىَ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظّلُمَاتُ وَالنّورُ أَمْ جَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللّهُ خَالِقُ كُلّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهّارُ }.

يقول تعالـى ذكره لنبـيه مـحمد صلى الله عليه وسلم: قل يا مـحمد لهؤلاء الـمشركين بـالله مَنْ ربّ السموات والأرض ومدبرها, فإنهم سيقولون الله. وأمر الله نبـيه صلى الله عليه وسلم أن يقول الله, فقال له: قل يا مـحمد: رَبّها الذي خـلقها وأنشأها, هو الذي لا تصلـح العبـادة إلاّ له, وهو الله. ثم قال: فإذا أجابوك بذلك فقل لهم: أفـاتـخذتـم من دون ربّ السموات والأرض أولـياء لا تـملك لأنفسها نفعا تـجلبه إلـى نفسها, ولا ضرّا تدفعه عنها, وهي إذ لـم تـملك ذلك لأنفسها, فمن ملكه لغيرها أبعد فعبدتـموها, وتركتـم عبـادة من بـيده النفع والضرّ والـحياة والـموت وتدبـير الأشياء كلها. ثم ضرب لهم جلّ ثناؤه مثلاً, فقال: قُلْ هَلْ يَسْتَوي الأعْمَى والبَصِيرُ.

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: «قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأعْمَى والبَصِيرُ أمْ هَلْ تَسْتَوِي الظّلُـماتُ والنّورُ أم جَعَلُوا لِلّهِ شُرَكاءَ خَـلَقُوا كخَـلْقِهِ فَتَشابَه الـخَـلْقُ عَلَـيْهِمْ قُلِ اللّهُ خالِقُ كُلّ شَيْءٍ وَهُوَ الوَاحِدُ القَهّارُ:

يقول تعالـى ذكره لنبـيه مـحمد صلى الله عليه وسلم: قل يا مـحمد لهؤلاء الـمشركين الذين عبدوا من دون الله الذي بـيده نفعهم وضرّهم ما لا ينفع ولا يضرّ: هل يستوي الأعمى الذي لا يبصر شيئا ولا يهتدي لِـمَـحَجّة يسلكها إلاّ بأن يُهْدَى, والبصير الذي يَهدِي الأعمى لـمـحجة الطريق الذي لا يبصر؟ إنهما لا شكّ لَغَير مستويـين يقول: فكذلك لا يستوي الـمؤمن الذي يبصر الـحقّ فـيتبعه ويعرف الهدى فـيسلكه وأنتـم أيها الـمشركون الذين لا تعرفون حقّا ولا تبصرون رشدا.

وقوله: أمْ هَلْ تَسْتَوِي الظّلُـماتُ والنّورُ يقول تعالـى ذكره: وهل تستوي الظلـمات التـي لا تُرَى فـيها الـمَـحَجّة فتُسْلك ولا يُرى فـيها السبـيـلُ فـيركب, والنور الذي يُبصَرُ به الأشياء ويجلو ضوءُه الظلام؟ يقول: إن هذين لا شكّ لَغير مستويـين, فكذلك الكفر بـالله, إنـما صاحبه منه فـي حَيْرة يضرب أبدا فـي عَمْرة لا يرجع منه إلـى حقـيقة, والإيـمان بـالله صاحبه منه فـي ضياء يعمل علـى علـم بربه ومعرفة منه بأن له مثـيبـا يثـيبه علـى إحسانه ومعاقبـا يعاقبه علـى إساءته ورازقا يرزقه ونافعا ينفعه.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

15457ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأعْمَى والبَصِيرُ أمْ هَلْ تَسْتَوِي الظّلُـماتُ والنّورُ أما الأعمى والبصير فـالكافر والـمؤمن وأما الظلـمات والنور فـالهُدى والضلالة.

وقوله: أمْ جَعَلُوا لِلّهِ شُرَكاءَ خَـلَقُوا كَخَـلْقِهِ فَتَشابَهَ الـخَـلْقُ عَلَـيْهِمْ يقول تعالـى ذكره لنبـيه مـحمد صلى الله عليه وسلم: قل يا مـحمد لهؤلاء الـمشركين: أخـلق أوثانكم التـي اتـخذتـموها أولـياء من دون الله كخـلق الله فـاشتبه علـيكم أمرها فـيـما خـلَقت وخـلق الله فجعلتـموها له شركاء من أجل ذلك, أم إنـما بكم الـجهل والذهاب عن الصواب؟ فإنه لا يشكل علـى ذي عقل أن عبـادة ما لا يضرّ ولا ينفع من الفعل جهل, وأن العبـادة إنـما تصلـح للذي يُرجَى نفعه ويخشى ضُرّه, كما أن ذلك غير مُشكل خطؤه وجهل فـاعله, كذلك لا يُشكل جهل من أشرك فـي عبـادة من يرزقه ويكفله ويَـمونُه من لا يقدر له علـى ضرر ولا نفع.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

15458ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: أمْ جَعَلُوا لِلّهِ شُرَكاءَ خَـلَقُوا كخَـلْقِهِ حملهم ذلك علـى أن شكوا فـي الأوثان.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد مثله.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, عن مـجاهد: أمْ جَعَلُوا لِلّه شُرَكاءَ خَـلَقُوا كَخَـلْقِهِ فَتَشابَهَ الـخَـلْقُ عَلَـيْهِمْ خَـلَقوا كخـلقه, فحملهم ذلك علـى أن شكوا فـي الأوثان.

حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا شبـابة, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, مثله.

15459ـ قال: حدثنا حجاج, عن ابن جريج, قال: قال ابن كثـير: سمعت مـجاهدا يقول: أمْ جَعَلُوا لِلّهِ شُرَكاءَ خَـلَقُوا كخَـلْقِهِ فَتَشابَهَ الـخَـلْقُ عَلَـيْهِمْ ضربت مثلاً.

وقوله: قُلِ اللّهُ خالِقُ كُلّ شَيْءٍ يقول تعالـى ذكره لنبـيه مـحمد صلى الله عليه وسلم: قل لهؤلاء الـمشركين إذا أقرّوا لك أن أوثانهم التـي أشركوها فـي عبـادة الله لا تـخـلق شيئا, فـالله خالقكم وخالق أوثانكم وخـلق كلّ شيء, فما وجه إشراككم ما لا تـخـلق ولا تضرّ.

وقوله: وَهُوَ الوَاحِدُ القَهّارُ يقول: وهو الفرد الذي لا ثانـي له, القهار الذي يستـحقّ الألوهة والعبـادة, لا الأصنام والأوثان التـي لا تضرّ ولا تنفع.

الآية : 17

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {أَنَزَلَ مِنَ السّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السّيْلُ زَبَداً رّابِياً وَمِمّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النّارِ ابْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الْحَقّ وَالْبَاطِلَ فَأَمّا الزّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمّا مَا يَنفَعُ النّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأمْثَالَ }.

قال أبو جعفر: وهذا مثل ضربه الله للـحقّ والبـاطل والإيـمان به والكفر, يقول تعالـى ذكره: مثل الـحقّ فـي ثبـاته والبـاطل فـي اضمـحلاله مثل ماء أنزله الله من السماء إلـى الأرض فَسالَتْ أوْدِيَةٌ بقَدَرِها يقول: فـاحتـملته الأودية بـملئها الكبـير بكبره والصغير بصغره, فـاحْتَـمَلَ السّيْـلُ زَبَدًا رَابـيا يقول: فـاحتـمل السيـل الذي حدث عن ذلك الـماء الذي أنزله الله من السماء زَبدا عالـيا فوق السيـل. فهذا أحد مَثَـلى الـحقّ والبـاطل, فـالـحقّ هو الـماء البـاقـي الذي أنزله الله من السماء, والزّبَد الذي لا ينتفع به هو البـاطل. والـمثل الآخر: وَمِـمّا يُوقدُونَ عَلَـيْهِ فِـي النّارِ ابْتغاءَ حلْـيَةٍ يقول جلّ ثناؤه: ومثل آخر للـحقّ والبـاطل, مثل فضة أو ذهب يُوقد علـيها الناس فـي النار طلب حلـية يتـخذونها أو متاع, وذلك من النـحاس والرصاص والـحديد, يوقَد علـيه لـيتـخذ منه متاع ينتفع به زَبَدٌ مِثْلُهُ يقول تعالـى ذكره: ومـما يوقدون علـيه من هذه الأشياء زَبَد مثله, بـمعنى: مثل زَبَد السيـل لا ينتفع به ويذهب بـاطلاً, كما لا ينتفع بزبد السيـل ويذهب بـاطلاً. ورفع «الزبد» بقوله: ومِـمّا يُوقِدُونَ عَلَـيْهِ فِـي النّارِ ومعنى الكلام: ومـما يوقدون علـيه فـي النار زبد مثل زبد السيـل فـي بطول زبده, وبقاء خالص الذهب والفضة. يقول الله تعالـى: كذلكَ يَضْرِبُ اللّهُ الـحَقّ والبـاطلَ يقول: كما مثل الله الإيـمان والكفر فـي بطول الكفر وخيبة صاحبه عند مـجازاة الله بـالبـاقـي النافع من ماء السيـل وخالص الذهب والفضة, كذلك يـمثل الله الـحقّ والبـاطل. فأمّا الزّبَدُ فَـيَذْهَبُ جُفـاءً يقول: فأما الزبد الذي علا السيـل, والذهب والفضة والنـحاس والرصاص عند الوقود علـيها, فـيذهب بدفع الرياح وقدف الـماء به وتعلقه بـالأشجار وجوانب الوادي. وأمّا ما يَنْفَعُ النّاسَ من الـماء والذهب والفضة والرصاص والنـحاس, فـالـماء يـمكث فـي الأرض فتشربه, والذهب والفضة تـمكث للناس. كذلكَ يَضْرِبُ اللّهَ الأمْثالَ يقول: كما مثل هذا الـمثل للإيـمان والكفر, كذلك يـمثل الأمثال.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

15460ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالـح, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله: أنْزَلَ مِنَ السّماءِ ماءً فَسالَتْ أوْدِيَةٌ بقَدَرِها فهذا مثل ضربه الله احتـملت منه القلوب علـى قدر يقـينها وشكها, فأما الشكّ فلا ينفع معه العمل, وأما الـيقـين فـينفع الله به أهله, وهو قوله: فأمّا الزّبَدُ فَـيَذْهَبُ جُفـاءً وهو الشكّ, وأمّا ما ينفعُ النّاسَ فَـيَـمْكُثُ فِـي الأرْضِ وهو الـيقـين, كما يجعل الـحلـيّ فـي النار, فـيؤخذ خالصه ويترك خبثه فَـي النار, فكذلك يقبل الله الـيقـين ويترك الشكّ.

حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس قوله: أنْزَلَ مِنَ السّماءِ ماءً فَسالَتْ بِقَدَرِها فـاحْتَـمَلَ السّيْـلُ زَبَدا رَابِـيا يقول: احتـمل السيـل ما فـي الوادي من عود ودمنة ومِـمّا يُوقِدُونَ عَلَـيْهِ فِـي النّارِ فهو الذهب والفضة والـحلـية والـمتاع والنـحاس والـحديد, وللنـحاس والـحديد خبث, فجعل الله مثل خبثه كزبد الـماء فأمّا ما يَنْفَعُ النّاسُ فـالذهب والفضة, وأما ما ينفع الأرض فما شربت

من الـماء فأنبتت. فجعل ذلك مثل العمل الصالـح يبقـى لأهله, والعمل السيىء يضمـحلّ عن أهله, كما يذهب هذا الزبد, فكذلك الهدى والـحقّ جاء من عند الله, فمن عمل بـالـحقّ كان له وبقـي كما يبقـى ما ينفع الناس فـي الأرض, وكذلك الـحديد لا يستطاع أن يجعل منه سكين ولا سيف حتـى يدخـل فـي النار فتؤكل خبثه, فـيخرج جيده فـينتفع به, فكذلك يضمـحلّ البـاطل إذا كان يوم القـيامة وأقـيـم الناس, وعرضت الأعمال, فـيريغ البـاطل ويهلك, وينتفع أهل الـحقّ بـالـحقّ, ثم قال: ومِـمّا يُوقِدُونَ عَلَـيْهِ فِـي النارِ ابْتِغاءَ حِلْـيَةٍ أوْ مَتاعٍ زَبَدٌ مِثله.

15461ـ حدثنـي يعقوب, قال: حدثنا ابن علـية, عن أبـي رجاء, عن الـحسن, فـي قوله: أنْزَلَ مِنَ السّماءِ ماءً فَسالَتْ أوْدِيَةٌ... إلـى: أوْ مَتاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ فقال: ابتغاء حلـية الذهب والفضة, أو متاع الصّفر والـحديد. قال: كما أوقد علـى الذهب والفضة والصفر والـحديد فخـلص خالصه, قال: كذلكَ يَضْرِبُ اللّهُ الـحَقّ والبـاطِلَ فأمّا الزّبَدُ فَـيَذْهَبُ جُفـاء وأمّا ما يَنْفَعُ النّاسَ فَـيَـمْكُثُ فِـي الأرْضِ كذلك بقاء الـحقّ لأهله فـانتفعوا.

15462ـ حدثنا الـحسن بن مـحمد الزعفرانـي, قال: حدثنا حجاج بن مـحمد, قال: قال ابن جريج: أخبرنـي عبد الله بن كثـير أنه سمع مـجاهدا يقول: أنْزَلَ مِنَ السّماءِ ماءً فَسالَتْ أوْدِيَةٌ بِقَدَرِها قال: ما أطاقت ملأها فـاحْتَـمَلَ السّيْـلُ زَبَدا رَابِـيا قال: انقضَى الكلام, ثم استقبل فقال: «وَمِـمّا تُوقِدُونَ عَلَـيْه فِـي النّارِ ابْتِغاءَ حِلْـيَةٍ أوْ مَتاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ» قال: الـمتاع: الـحديد والنـحاس والرصاص وأشبـاهه, زبد مثله, قال: خبث ذلك مثل زبد السيـل. قال: وأمّا ما يَنْفَعُ النّاسَ فَـيَـمْكُثُ فِـي الأرْضِ فَأمّا الزبَدُ فَـيَذْهَبُ جُفـاءً قال: فذلك مثل الـحقّ والبـاطل.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, عن عبد الله بن كثـير, عن مـجاهد, أنه سمعه يقول: فذكر نـحوه. وزاد فـيه: قال: قال ابن جريج: قوله: فأمّا الزّبَدُ فَـيَذْهَبُ جُفـاءً قال: جُمودا فـي الأرض, وأمّا ما يَنْفَعُ النّاس فَـيَـمْكُثُ فِـي الأرْضِ يعنـي الـماء وهما مَثَلان: مثل الـحقّ والبـاطل.

حدثنا الـحسن, قال: حدثنا شبـابة, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: زَبَدًا رَابِـيا السيـل مثل خَبَث الـحديد والـحلـية, فَـيَذْهَبُ جُفـاءً جمودا فـي الأرض, ومِـمّا يُوقِدُونَ عَلَـيْهِ فِـي النّارِ ابْتِغاءَ حِلْـيَةٍ أوْ مَتاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ الـحديد والنـحاس والرّصاص وأشبـاهه. وقوله: وأمّا ما يَنْفَعُ النّاسَ فَـيَـمْكُثُ فِـي الأرْضِ إنـما هما مثلان للـحقّ والبـاطل.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد قال: وثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, يزيد أحدهما علـى صاحبه فـي قوله: فَسالَتْ أوْدِيَةٌ بِقَدَرِها قال: بـملئها, فـاحْتَـمَلَ السّيْـلُ زَبَدا رابـيا قال: الزبد: السيـل ابْتِغاءَ حلْـيَةٍ أوْ مَتاعٍ زَبَدٌ مثْلُهُ قال: خبث الـحديد والـحلـية, فأمّا الزّبَدُ فَـيَذْهُبُ جُفـاءً قال: جمودا فـي الأرض, وأمّا ما ينفع الناسُ فَـيَـمْكُثُ فِـي الأرْضِ قال: الـماء وهما مثلان للـحقّ والبـاطل.

15463ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: أنْزَلَ مِنَ السّماءِ ماءً فَسالَتْ أوْدِيَةٌ بِقَدَرِها الصغير بصغره والكبـير بكبره, فـاحْتَـمَلَ السّيْـلُ زَبَدا رابِـيا أي عالـيا, ومِـمّا يُوقدُونَ عَلَـيْهِ فِـي النّارِ ابْتغاءَ

حِلْـيَةٍ أوْ مَتاعٍ زَبَدٌ مثْلُهُ كذلكَ يَضْرِبُ اللّهُ الـحَقّ والبـاطلَ فأمّا الزّبَدُ فَـيَذْهُب جُفـاءً والـجفـاء: ما يتعلق بـالشجر, وأمّا ما يَنْفَعُ النّاسَ فـيَـمْكُثُ فِـي الأرْضِ. هذه ثلاثة أمثال ضربها الله فـي مثل واحد, يقول: كما اضمـحلّ هذا الزبد فصار جفـاء لا ينتفع به ولا ترجى بركته, كذلك يضمـحلّ البـاطل عن أهله كما اضمـحلّ هذا الزبد, وكما مكث هذا الـماء فـي الأرض, فأمرعت هذه الأرض, وأخرجت نبـاتها, كذلك يبقـى الـحقّ لأهله كما بقـي هذا الـماء فـي الأرض, فأخرج الله به ما أخرج من النبـات. قوله: ومِـمّا يُوقِدُونَ عَلَـيْهِ فِـي النّارِ... الآية, كما يبقـى خالص الذهب والفضة, حين أدخـل النار وذهب خَبَثه, كذلك يبقـى الـحقّ لأهله. قوله: أوْ مَتاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ يقول: هذا الـحديد والصفر الذي ينتفع به, فـيه منافع: يقول: كما يبقـى خالص هذا الـحديد وهذا الصفر حين أدخـل النار وذهب خبثه, كذلك يبقـى الـحقّ لأهله كما بقـي خالصهما.

حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: فَسالَتْ أوْدِيَة بقَدَرِها الكبـير بقدره والصغير بقدره. زَبَدًا رَابـيا قال: ربـا فوق الـماء الزبد. ومِـمّا يُوقِدُونَ عَلَـيْهِ فِـي النّارِ قال: هو الذهب إذا أدخـل النار بقـي صفوه ونفـى ما كان كدره وهذا مثل ضربه اللّهُ. للـحقّ والبـاطل, فأمّا الزّبَدُ فَـيَذْهَبُ جُفـاءً يتعلق بـالشجر فلا يكون شيئا مثل البـاطل, وأمّا ما يَنْفَعُ النّاسَ فَـيَـمْكُثُ فِـي الأرْضِ وهذا يخرج النبـات, وهو مثل الـحقّ أوْ مَتاعٍ زَبَدُ مِثْلُهُ قال: الـمتاع: الصّفْر والـحديد.

15464ـ حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا هَوْذة بن خـلـيفة, قال: حدثنا عوف, قال: بلغنـي فـي قوله: أنْزَلَ مِنَ السّماءِ ماءً فَسالَتْ أوْدِيَةٌ بِقَدَرِها قال: إنـما هو مثل ضربه الله للـحقّ والبـاطل, فَسالَتْ أوْدِيَةٌ بِقَدَرِها الصغير علـى قدره, والكبـير علـى قدره, وما بـينهما علـى قدره. فـاحْتَـمَلَ السّيْـلُ زَبَدًا رَابـيا يقول: عظيـما, وحيث استقرّ الـماء يذهب الزبد جُفـاء فتطير به الريح, فلا يكون شيئا, ويبقـى صريح الـماء الذي ينفع الناس منه شرابهم ونبـاتهم ومنفعتهم. أوْ مَتاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ ومثل الزبد كل شيء يوقد علـيه فـي النار الذهب والفضة والنـحاس والـحديد, فـيذهب خبثه ويبقـى ما ينفع فـي أيديهم, والـخَبَث والزّبَد مثل البـاطل, والذي ينفع الناس مـما تـحصّل فـي أيديهم مـما ينفعهم الـمال الذي فـي أيديهم.

15465ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: ومِـمّا يُوقِدُونَ عَلَـيْهِ فِـي النّارِ ابْتِغاءَ حِلْـيَةٍ أوْ مَتاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ قال: هذا مثل ضربه الله للـحقّ والبـاطل. فقرأ: أنْزَلَ مِنَ السّماءِ ماءً فَسالَتْ أوْدِيَةٌ بِقَدَرِها فـاحْتَـمَلَ السّيْـلُ زَبَدًا رابِـياهذا الزبد لا ينفع, أو متاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ هذا لا ينفع أيضا, قال: وبقـي الـماء فـي الأرض فنفع الناس, وبقـي الـحلـيُ الذي صلـح من هذا, فـانتفع الناس به. فأمّا الزّبَدُ فَـيَذْهَبُ جُفـاءً وأمّا ما يَنْفَعُ النّاسَ فَـيَـمْكُثُ فـي الأرْضِ كذلكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأمْثالَ وقال: هذا مثل ضربه الله للـحقّ والبـاطل.

15466ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, قال: قال ابن عبـاس: أوْدِيَةٌ بِقَدَرِها قال: الصغير بصغره, والكبـير بكبره.

15467ـ حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا طلـحة بن عمرو, عن عطاء: ضرب الله مثلاً للـحقّ والبـاطل, فضرب مثل الـحقّ

كمثل السيـل الذي يـمكث فـي الأرض, وضرب مثل البـاطل كمثل الزّبَد الذي لا ينفع الناس.

وعنى بقوله رَابِـيا: عالـيا منتفخا, من قولهم: ربـا الشيء يرْبُو رُبُوّا فهو راب, ومنه قـيـل للنشَز من الأرض كهيئة الأكمة: رابـية ومنه قول الله تعالـى: اهْتَزّتْ وَرَبَتْ. وقـيـل للنـحاس والرصاص والـحديد فـي هذا الـموضع: الـمتاع, لأنه يُستـمتع به, وكلّ ما يتـمتع به الناس فهو متاع كما قال الشاعر:

تَـمَتّعْ يا مُشَعّثُ إنّ شَيْئاسَبَقْتَ بهِ الـمَـماتَ هُوَ الـمَتاعُ

وأما الـجُفـاء فإنـي:

15468ـ حُدثت عن أبـي عبـيدة مَعْمَرِ بنِ الـمُثَنّى, قال: قال أبو عمرو بن العلاء, يقال: قد أجفأتِ القِدرُ, وذلك إذا غَلَتْ فـانصبّ زَبَدُها, أو سكنت فلا يبقـى منه شيء.

وقد زعم بعض أهل العربـية من أهل البصرة أن معنى قوله: فَـيَذْهَبُ جُفـاءً تَنْشَفُه الأرض, وقال: يقال: جفـا الوادي وأجفـى فـي معنى نَشِف, وانـجفـى الوادي: إذا جاء بذلك الغثاء, وغثى الوادي فهو يَغْثَى غَثْـيا وغَثَـيانا. وذَكَر عن العرب أنها تقول: جَفَأتُ القدَر أجْفَؤها: إذا أخرجت جُفـاءَها, وهو الزّبَد الذي يعلوها, وأجْفَأتُها إجْفَـاءً لغة. قال: وقالوا: جَفَأتُ الرجل جَفْـا: صرعته.

وقـيـل: فَـيَذْهَبُ جُفـاءً بـمعنى جَفْئا, لأنه مصدر من قول القائل: جَفَأَ الوادي غُثاءه, فخَرَجَ مَخرَج الاسم وهو مصدر, كذلك تفعل العرب فـي مصدر كلّ ما كان من فعل شيء اجتـمع بعضه إلـى بعض كالقُماش والدّقاق والـحُطام والغُثاء, تـخرجه علـى مذهب الاسم, كما فعلت ذلك فـي قولهم: أعطيته عطاء, بـمعنى الإعْطَاء, ولو أريد من القُماش الـمصدر علـى الصحة لقـيـل: قد قَمَشْته قَمْشا.

الآية : 18

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {لِلّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِرَبّهِمُ الْحُسْنَىَ وَالّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُ لَوْ أَنّ لَهُمْ مّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لاَفْتَدَوْاْ بِهِ أُوْلَـئِكَ لَهُمْ سُوَءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ }.

يقول تعالـى ذكره: أما الذين استـجابوا لله فآمنوا به حين دعاهم إلـى الإيـمان به وأطاعوه فـاتبعوا رسوله وصدّقوه فـيـما جاءهم به من عند الله, فإن لهم الـحسنى, وهي الـجنة. كذلك:

15469ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: لِلّذِينَ اسْتَـجابُوا لِرَبّهمُ الـحُسْنَى وهي الـجنة.

وقوله: وَالّذِينَ لَـمْ يَسْتَـجِيبُوا لَهُ لَوْ أنّ لَهُمْ ما فِـي الأرْض جَمِيعا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بِهِ يقول تعالـى ذكره: وأما الذين لـم يستـجيبوا له حين دعاهم إلـى توحيده والإقرار بربوبـيته, ولـم يطيعوه فـيـما أمرهم به, ولـم يتبعوا رسوله فـيصدّقوه فـيـما جاءهم به من عند ربهم, فلو أنّ لهم ما فِـي الأرض جميعا من شيء ومثله معه ملكا لهم ثم مثل ذلك وقُبِل ذلك منهم بدلاً من العذاب الذي أعدّه الله لهم فـي نار جهنـم وعوضا لافتدوا به أنفسهم منه, يقول الله: أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الـحِسابِ يقول: هؤلاء الذين لـم يستـجيبوا لله لهم سوء الـحساب: يقول: لهم عند الله أن يأخذهم بذنوبهم كلها, فلا يغفر لهم منها شيئا, ولكن يعذّبهم علـى جميعها. كما:

15470ـ حدثنا الـحسن بن عرفة, قال: حدثنا يونس بن مـحمد, قال: حدثنا عون, عن فَرقدٍ السّبَخِيّ, قال: قال لنا شهر بن حَوُشب: سُوءُ الـحِسابِ أن لا يتـجاوز لهم عن شيء.

حدثنـي يعقوب, قال: حدثنا ابن علـية, قال: ثنـي الـحجاج بن أبـي عثمان, قال: ثنـي فَرْقَدٍ السبَخِيّ, قال: قال إبراهيـم النـخعيّ: يا فرقد أتدري ما سوء الـحساب؟ قلت: لا, قال: هو أن يحاسب الرجل بذنبه كله لا يُغفر له منه شيء.

وقوله: ومَأْوَاهُمْ جَهَنّـمُ يقول: ومسكنهم الذي يسكنونه يوم القـيامة جهنـم. وَبِئْسَ الـمِهادُ يقول: وبئس الفِراش والوِطاء جهنـم, التـي هي مأواهم يوم القـيامة.

الآية : 19

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {أَفَمَن يَعْلَمُ أَنّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبّكَ الْحَقّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىَ إِنّمَا يَتَذَكّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ }.

يقول تعالـى ذكره: أهذا الذي يعلـم أن الذي أنزله الله علـيك يا مـحمد حقّ, ويصدّق ويعمل بـما فـيه, كالذي هو أعمى فلا يعرف مَوْقع حجة الله علـيه به ولا يعلـم ما ألزمه الله من فرائضه.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

15471ـ حدثنا إسحاق, قال: حدثنا هشام, عن عمرو, عن سعيد, عن قتادة فـي قوله: أَفَمَنْ يَعْلَـمُ أنّـمَا أُنْزِلَ إلَـيْكَ منْ رَبّكَ الـحَقّ قال: هؤلاء قوم انتفعوا بـما سمعوا من كتاب الله وعقلوه ووَعَوه, قال الله: كمَنْ هُوَ أعْمَى قال: عن الـخير فلا يبصره.

وقوله: إنّـمَا يَتَذَكّرُ أُولُوا الأَلْبـابِ يقول: إنـما يتعظ بآيات الله, ويعتبر بها ذوو العقول, وهي الألبـاب, واحدها: لُبّ.

الآية : 20-21

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {الّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَلاَ يِنقُضُونَ الْمِيثَاقَ * وَالّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ }

يقول تعالـى ذكره: إنـما يتعظ ويعتبر بآيات الله أولو الألبـاب الذين يوفون بوصية الله التـي أوصاهم. ولا ينقضُونَ الـميثاقَ ولا يخالفون العهد الذي عاهدوا الله علـيه إلـى خلافه, فـيعملوا بغير ما أمرهم به ويخالفوا إلـى ما نهى عنه. وقد بـيّنا معنى العهد والـميثاق فـيـما مضى بشواهده, فأغنى عن إعادته فـي هذا الـموضع.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

15472ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا هشام, عن عمرو, عن سعيد, عن قتادة, قال: إنّـمَا يَتَذَكّرُ أُولُوا الأَلْبـابِ فبـين من هم, فقال: الّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَلا يَنْقُضُونَ الـمِيثاقَ فعلـيكم بوفـاء العهد, ولا تنقضوا هذا الـميثاق, فإن الله تعالـى قد نهى وقدّم فـيه أشدّ التقدمة, فذكره فـي بضع وعشرين موضعا, نصيحة لكم وتقدمة إلـيكم وحُجّة علـيكم, وإنـما يعظم الأمر بـما عظّمه الله به عند أهل الفهم والعقل, فعظّموا ما عظم الله قال قتادة: وذُكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه

وسلم كان يقول فـي خطبته: «لا إيـمَانَ لِـمَنْ لا أمانَةَ لَهُ, وَلا دِينَ لِـمَنْ لا عَهْدَ لَهُ».

وقوله: وَالّذِينَ يَصِلُونَ ما أمَرَ اللّهُ بِهِ أنْ يُوصَلَ يقول تعالـى ذكره: والذين يصلون الرحم التـي أمرهم الله بوصلها فلا يقطعونها, ويَخْشَوْنَ رَبّهُمْ يقول: ويخافون الله فـي قطعها أن يقطعوها, فـيعاقبهم علـى قطعها وعلـى خلافهم أمره فـيها. وقوله: ويَخافُونَ سُوءَ الـحِسابِ يقول: ويحذرون مناقشة الله إياهم فـي الـحساب, ثم لا يصفح لهم عن ذنب, فهم لرهبتهم ذلك جادّون فـي طاعته مـحافظون علـى حدوده. كما:

15473ـ حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا عفـان, قال: حدثنا جعفر بن سلـيـمان, عن عمرو بن مالك, عن أبـي الـجوزاء, فـي قوله: الّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبّهُمْ ويَخافُونَ سُوءَ الـحِسابِ قال: الـمناقشة بـالأعمال.

15474ـ قال: حدثنا عفـان, قال: حدثنا حماد, عن فرقد, عن إبراهيـم, قال: سوء الـحساب أن يحاسب من لا يغفر له.

15475ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: ويَخافُونَ سُوءَ الـحِسابِ قال: فقال: وما سوء الـحساب؟ قال: الذي لا جواز فـيه.

15476ـ حدثنـي ابن سنان القزّاز, قال: حدثنا أبو عاصم, عن الـحجاج, عن فرقد, قال: قال لـي إبراهيـم: تدري ما سوء الـحساب؟ لا أدري, قال: يحاسب العبد بذنبه كله لا يغفر له منه شيء.

الآية : 22

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَالّذِينَ صَبَرُواْ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبّهِمْ وَأَقَامُواْ الصّلاَةَ وَأَنْفَقُواْ مِمّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيّئَةَ أُوْلَـئِكَ لَهُمْ عُقْبَىَ الدّارِ }.

يقول تعالـى ذكره: وَالّذِينَ صَبَرُوا علـى الوفـاء بعهد الله وترك نقض الـميثاق وصلة الرحم, ابْتِغاءَ وَجْهِ رَبّهِمْ ويعنـي بقوله: ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبّهِمْ طلب تعظيـم الله, وتنزيها له أن يخالف فـي أمره أو يأتـي أمرا كره إتـيانه فـيعصيَه به. وأقامُوا الصّلاةَ يقول: وأدّوا الصلاة الـمفروضة بحدودها فـي أوقاتها. وأنْفقُوا مِـمّا رَزَقْناهُمْ سِرّا وَعَلانِـيَةً يقول: وأدّوا من أموالهم زكاتها الـمفروضة, وأنفقوا منها فـي السبل التـي أمرهم الله بـالنفقة فـيها, سرّا فـي خفـاء وعلانـية فـي الظاهر. كما:

15477ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالـح, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله: وأقامُوا الصّلاةَ يعنـي الصلوات الـخمس, وأنْفَقُوا مِـمّا رَزَقْناهُمْ سِرّا وَعَلاَنِـيَةً يقول الزكاة.

15478ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد الصبر: الإقامة, قال: وقال الصبر فـي هاتـين, فصبر لله علـى ما أحبّ وإن ثقل علـى الأنفس والأبدان, وصبر عما يكره وإن نازعت إلـيه الأهواء, فمن كان هكذا فهو من الصابرين. وقرأ: سَلامٌ عَلَـيْكُمْ بِـمَا صَبَرْتُـمْ فَنعْمَ عُقْبَى الدّارِ.

وقوله: وَيَدْرَءُونَ بـالـحَسَنَةِ السّيّئَةَ يقول: ويدفعون إساءة من أساء إلـيهم من الناس, بـالإحسان إلـيهم. كما:

15479ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: وَيَدْرَءُونَ بـالـحَسَنَةَ السّيّئَةَ قال: يدفعون الشرّ بـالـخير, لا يكافئون الشرّ بـالشرّ ولكن يدفعونه بـالـخير.

وقوله: أُولَئِكَ لَهُم عُقْبَى الدّارِ يقول تعالـى ذكره: هؤلاء الذين وصفنا صفتهم هم الذين لهم عُقبى الدار, يقول: هم الذين أعقبهم الله دار الـجنان من دارهم التـي لو لـم يكونوا مؤمنـين كانت لهم فـي النار, فأعقبهم الله من تلك هذه. وقد قـيـل: معنى ذلك: أولئك الذين لهم عَقِـيب طاعتهم ربهم فـي الدنـيا دار الـجنان.)

الآية : 23-24

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {جَنّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرّيّاتِهِمْ وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مّن كُلّ بَابٍ * سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَىَ الدّارِ }.

يقول تعالـى: جَنّاتُ عَدْنٍ ترجمة عن عقبى الدار, كما يقال: نعم الرجل عبد الله, فعبد الله هو الرجل الـمقول له: نعم الرجل, وتأويـل الكلام: أولئك لهم عقـيب طاعتهم ربهم الدار التـي هي جنات عدن. وقد بـيّنا معنى قوله: «عدن», وأنه بـمعنى الإقامة التـي لا ظَعْن معها.

وقوله: وَمَنْ صَلَـحَ مِنْ آبـائِهِمْ وأزْوَاجِهِمْ وَذُرّيّاتِهِمْ يقول تعالـى ذكره: جنات عدن يدخـلها هؤلاء الذين وَصَفْتُ صفتهم, وهم الذين يوفون بعهد الله, والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم, والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم, وأقاموا الصلاة, وفعلوا الأفعال التـي ذكرها جلّ ثناؤه فـي هذه الآيات الثلاث. وَمَنْ صَلَـحَ مِنْ آبـائِهِم وأزْوَاجِهِمْ وَهِيَ نِساؤُهُمْ وأهلوهم وذرّياتهم. وصلاحهم إيـمانهم بـالله واتبـاعهم أمره وأمر رسوله علـيه الصلاة والسلام. كما:

15480ـ حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا شبـابة, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: وَمَنْ صَلَـحَ مِنْ آبـائِهِمْ قال: من آمن فـي الدنـيا.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد وثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, مثله.

15481ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, عن مـجاهد, قوله: وَمَنْ صَلَـحَ مِنْ آبـائِهِمْ قال: من آمن من آبـائهم وأزواجهم وذرّياتهم.

وقوله: وَالـمَلائِكَةُ يَدْخُـلُونَ عَلَـيْهم مِنْ كُلّ بـابٍ سَلامٌ عَلَـيْكُمْ بِـمَا صَبَرْتُـمْ يقول: تعالـى ذكره: وتدخـل الـملائكة علـى هؤلاء الذين وصف جلّ ثناؤه صفتهم فـي هذه الآيات الثلاث فـي جنات عَدْن, من كلّ بـاب منها, يقولون لهم: سَلاَمٌ عَلَـيْكُمْ بِـمَا صَبَرْتُـمْ علـى طاعة ربكم فـي الدنـيا, فَنِعْمَ عُقْبَى الدّارِ. وذكر أن لـجنات عدن خمسة آلاف بـاب.

15482ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا علـيّ بن جرير, قال: حدثنا حماد بن سلـمة, عن يعلـى بن عطاء, عن نافع بن عاصم, عن عبد الله بن عمرو, قال: إن فـي الـجنة قصرا يقال له عدن, حوله البروج والـمروج, فـيه خمسة آلاف بـاب, علـى كلّ بـاب خمسة آلاف حِبَرة, لا يدخـله إلاّ نبـيّ أو صدّيق أو شهيد.

15483ـ قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الرحمن بن مَغْراء, عن جويبر, عن الضحاك, فـي قوله: جَنّاتُ عَدْنٍ قال: مدينة الـجنة, فـيها الرسل والأنبـياء والشهداء, وأئمة الهدى, والناس حولهم بعدد الـجنات حولها.

وحذف من قوله: وَالـمَلائِكَةُ يَدْخُـلُونَ عَلَـيْهِمْ مِنْ كُلّ بـابٍ سَلامٌ عَلَـيْكُمْ «يقولون» اكتفـاء بدلالة الكلام علـيه, كما حذف ذلك من قوله: وَلَوْ تَرَى إذِ الـمُـجْرِمُونَ ناكِسُو رُءُوسهِمْ عِنْدَ رَبّهِمْ رَبّنا أبْصَرْنا.

15484ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا سويد, قال: أخبرنا ابن الـمبـارك, عن بقـية بن الولـيد, قال: ثنـي أرطأة بن الـمنذر, قال: سمعت رجلاً من مشيخة الـجند يقال له أبو الـحجاج, يقول: جلست إلـى أبـي أمامة فقال: إن الـمؤمن لـيكون متكئا علـى أريكته إذا دخـل الـجنة, وعنده سِماطان من خدم, وعند طرف السّماطين سور, فـيُقبِل الـمَلَك يستأذن, فـيقول للذي يـلـيه: ملك يستأذن, ويقول الذي يـلـيه: ملك يستأذن, ويقول الذي يـلـيه للذي يـلـيه: ملك يستأذن, حتـى يبلغ الـمؤمن فـيقول: ائذنوا فـيقول: أقربهم إلـى الـمؤمن ائذنوا, ويقول الذي يـلـيه للذي يـلـيه: ائذنوا, فكذلك حتـى يبلغ أقصاهم الذي عند البـاب, فـيفتـح له, فـيدخـل فـيسلـم ثم ينصرف.

15485ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا سويد, قال: أخبرنا ابن الـمبـارك, عن إبراهيـم بن مـحمد, عن سهل بن أبـي صالـح, عن مـحمد بن إبراهيـم, قال: كان النبـيّ صلى الله عليه وسلم يأتـي قبور الشهداء علـى رأس كلّ حول فـيقول: «السّلامُ عَلَـيكُمْ بِـمَا صَبَرْتُـمْ فنِعْمَ عُقْبَى الدّارِ», وأبو بكر وعمر وعثمان.

وأما قوله: سَلامٌ عَلَـيكُمْ بِـمَا صَبَرْتُـمْ فإن أهل التأويـل قالوا فـي ذلك نـحو قولنا فـيه. ذكر من قال ذلك:

15486ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الرزّاق, عن جفعر بن سلـيـمان, عن أبـي عمران الـجُوْنِـيّ أنه تلا هذه الآية: سَلامٌ عَلَـيْكُمْ بِـمَا صَبَرْتُـمْ قال: علـى دينكم.

15487ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: سَلامٌ عَلَـيْكُمْ بِـمَا صَبَرْتُـمْ قال: حين صبروا لله بـما يحبه الله فقدّموه. وقرأ: وَجَزَاهُمْ بِـمَا صَبَرُوا جَنّةً وَحَرِيرا حتـى بلغ: وكانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا وصبروا عما كره الله وحرّم علـيهم, وصبروا علـى ما ثقل علـيهم وأحبه الله, فسلـم علـيهم بذلك. وقرأ: وَالـمَلائِكَةُ يَدْخُـلُونَ عَلَـيْهِمْ مِنْ كُلّ بـابٍ سَلامٌ عَلَـيْكُمْ بِـمَا صَبَرْتُـمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدّارِ.

وأما قوله: فَنِعْمَ عُقْبَى الدّارِ فإن معناه إن شاء الله كما:

15488ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال حدثنا عبد الرزاق, عن جعفر, عن أبـي عمران الـجوْنِـي فـي قولهم فَنِعْمَ عُقْبَى الدّارِ قال: الـجنة من النار.

الآية : 25

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَالّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ اللّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوَءُ الدّارِ }.

يقول تعالـى ذكره: وَ أما الّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللّهِ, ونقضهم ذلك: خلافُهم أمر الله, وعملهم بـمعصيته, مِنْ بَعْدِ مِيثاقِهِ يقول: من بعد ما وثقوا علـى أنفسهم لله أن يعملوا بـما عهد إلـيهم, وَيَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اللّهُ بِهِ أنْ يُوصَلَ يقول: ويقطعون الرحم التـي أمرهم الله بوصلها, وَيُفْسِدُونَ فِـي الأرْضِ فسادهم فـيها: عملهم بـمعاصي الله أُولَئِكَ لَهُمُ اللّعْنَةُ يقول: فهؤلاء لهم

اللعنة, وهي البُعد من رحمته والإقصاء من جنانه, وَلَهُمْ سُوءُ الدّارِ يقول: ولهم ما يسوءهم فـي الدار الآخرة.

15489ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالـح, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قال: أكبر الكبـائر: الإشراك بـالله, لأن الله يقول: وَمَنْ يُشْرِكْ بـاللّهِ فَكأَنـمَا خَرّ مِنَ السّماءِ فَتَـخْطَفُهُ الطّيْرُ, ونقض العهد وقطيعة الرحم, لأن الله تعالـى يقول: أُولَئِكَ لَهُمُ اللّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدّارِ يعنـي: سوء العاقبة.

15490ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, قال: قال ابن جريج, فـي قوله: وَيَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ قال: بلغنا أن النبـيّ صلى الله عليه وسلم قال: «إذَا لَـمْ تَـمْشِ إلـى ذِي رَحِمِك بِرِجْلِكَ وَلَـمْ تُعْطِهِ مِنْ مالِكَ فَقَدْ قَطَعْتَهُ».

15491ـ حدثنـي مـحمد بن الـمثنى, قال: حدثنا مـحمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن عمرو بن مرّة, عن مصعب بن سعد, قال: سألت أبـي عن هذه الآية: قُلْ هَلْ نُنَبّئُكُمْ بـالأَخْسَرِينَ أعْمالاً الّذِينَ ضَلّ سَعْيُهُمْ فِـي الـحَياةِ الدّنْـيا أهم الـحرورية؟ قال: لا, ولكن الـحرورية الّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْد اللّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثاقِهِ وَيَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِـي الأرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدّارِ. فكان سعد يسميهم الفـاسقـين.

حدثنا ابن الـمثنى, قال: حدثنا أبو داود, قال: حدثنا شعبة, عن عمرو بن مرّة, قال: سمعت مصعب بن سعد, قال: كنت أمسك علـى سعد الـمصحف, فأتـى علـى هذه الآية, ثم ذكر نـحو حديث مـحمد بن جعفر.

الآية : 26

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {اللّهُ يَبْسُطُ الرّزْقَ لِمَنْ يَشَآءُ وَيَقَدِرُ وَفَرِحُواْ بِالْحَيَاةِ الدّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاّ مَتَاعٌ }.

يقول تعالـى ذكره: الله يوسع علـى من يشاء من خـلقه فـي رزقه, فـيبسط له منه, لأن منهم من لا يصلـحه إلا ذلك. وَيَقْدِرُ يقول: ويقتر علـى من يشاء منهم فـي رزقه وعيشه, فـيضيقه علـيه, لأنه لا يصلـحه إلا الإقتار. وَفَرِحُوا بـالـحَياةِ الدّنـيْا يقول تعالـى ذكره: وفرح هؤلاء الذين بسط لهم فـي الدنـيا من الرزق علـى كفرهم بـالله ومعصيتهم إياه بـما بسط لهم فـيها, وجهلوا ما عند الله لأهل طاعته والإيـمان به فـي الآخرة من الكرامة والنعيـم. ثم أخبر جلّ ثناؤه عن قدر ذلك فـي الدنـيا فـيـما لأهل الإيـمان به عنده فـي الآخرة وأعلـم عبـاده قلته, فقال: وَما الـحَياةُ الدّنـيْا فِـي الآخِرَةِ إلاّ مَتاعٌ يقول: وما جميع ما أعطى هؤلاء فـي الدنـيا من السعة وبسط لهم فـيها من الرزق ورغد العيش فـيـما عند الله لأهل طاعته فـي الآخرة إلا متاع قلـيـل وشيء حقـير ذاهب. كما:

15492ـ حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا شبـابة, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: إلاّ مَتاعٌ قال: قلـيـل ذاهب.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد. قال: وثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: وَما الـحَياةُ الدّنـيْا فِـي الآخِرَةِ إلاّ مَتاعٌ قال: قلـيـل ذاهب.

15493ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن الأعمش, عن بكير بن الأخنس, عن عبد الرحمن بن سابط فـي قوله: وَفَرِحُوا بـالـحَياةِ الدّنـيْا وَما

الـحَياةُ الدّنـيْا فِـي الآخِرَة إلاّ مَتاعٌ قال: كزاد الراعي يزوّده أهله الكفّ من التـمر, أو الشيء من الدقـيق, أو الشيء يشرب علـيه اللبن.

الآية : 27

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَيَقُولُ الّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مّن رّبّهِ قُلْ إِنّ اللّهَ يُضِلّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيَ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ }.

يقول تعالـى ذكره: ويقول لك يا مـحمد مشركو قومك: هلا أنزل علـيك آية من ربك, إما ملَك يكون معك نذيرا, أو يـلقـى إلـيك كنز, فقل: إن الله يضلّ منكم من يشاء أيها القوم فـيخذله عن تصديقـي والإيـمان بـما جئته به من عند ربـي ولـيس ضلال من يضلّ منكم بأن لـم ينزل علـى آية من ربـي ولا هداية من يهتدى منكم بأنها أنزلت علـيّ, وإنـما ذلك بـيد الله, يوفّق من يشاء منكم للإيـمان ويخذل من يشاء منكم فلا يؤمن. وقد بـيّنت معنى الإنابة فـي غير موضع من كتابنا هذا بشواهده بـما أغنى عن إعادته فـي هذا الـموضع.

15494ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَيهْدِي إلَـيهِ مَنْ أنابَ: أي من تاب وأقبل.

الآية : 28-29

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {الّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنّ الْقُلُوبُ * الّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصّالِحَاتِ طُوبَىَ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ }.

يقول تعالـى ذكره: وَيهْدِي إلَـيْهِ مَنْ أنَابَ بـالتوبة الذين آمنوا. والذين آمنوا فـي موضع نصب ردّ علـى مَن, لأن الذين آمنوا هم من أناب ترجم بها عنها.

وقوله: وَتَطْمَئِنّ قَلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللّهِ يقول: وتسكن قلوبهم وتستأنس بذكر الله. كما:

15495ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَتَطْمَئِنّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللّهِ يقول: سكنت إلـى ذكر الله واستأنست به.

وقوله: ألا بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنّ القُلُوبُ يقول: ألا بذكر الله تسكن وتستأنس قلوب الـمؤمنـين. وقـيـل: إنه عنى بذلك قلوب الـمؤمنـين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. ذكر من قال ذلك:

15496ـ حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا شبـابة, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: ألاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنّ القُلُوبُ لـمـحمد وأصحابه.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل وحدثنا الـمثنى قال: حدثنا إسحاق, قال: ثناعبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: ألا بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنّ القُلُوبُ قال: لـمـحمد وأصحابه.

15497ـ قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا أحمد بن يونس قال: حدثنا سفـيان بن عيـينة فـي قوله: وَتَطْمَئِنّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللّهِ قال: هم أصحاب مـحمد صلى الله عليه وسلم.

وقوله: الّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِـحاتِ الصالـحات من الأعمال, وذلك العمل بـما أمرهم ربهم. طُوَبى لَهُمْ وطُوَبى فـي موضع رفع بلهم. وكان بعض أهل البصرة والكوفة يقول ذلك رفع, كما يقال فـي الكلام: وَيْـلٌ

لعمرو, وإنـما أوثر الرفع فـي طُوبَى لـحسن الإضافة فـيه بغير لام, وذلك أنه يقال فـيه طوبـاك, كما يقال: ويْـلَك ووَيْبك, ولولا حسن الإضافة فـيه بغير لام لكان النصب فـيه أحسن وأفصح, كما النصب فـي قولهم: تَعْسا لزيد وبُعدا له وسحقا أحسن, إذ كانت الإضافة فـيها بغير لام لا تـحسن.

وقد اختلف أهل التأويـل فـي تأويـل قوله طُوبَى لَهُمْ فقال بعضّهم: معناه: نِعْمَ ما لَهم. ذكر من قال ذلك:

15498ـ حدثنـي جعفر بن مـحمد البروريّ من أهل الكوفة, قال: حدثنا أبو زكريا الكلبـيّ, عن عمر بن نافع, قال: سئل عكرمة عن «طوبى لهم», قال: نِعْمَ ما لَهم.

حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا عمرو بن نافع, عن عكرمة, فـي قوله: طُوَبى لَهُمْ قال: نِعْم ما لَهم.

حدثنـي الـحارث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: ثنـي عمرو بن نافع, قال: سمعت عكرمة, فـي قوله: طُوَبى لَهُمْ قال: نِعْم ما لَهم.

وقال آخرون: معناه: غبْطةٌ لهم. ذكر من قال ذلك:

15499ـ حدثنا أبو هشام, قال: حدثنا أبو خالد الأحمر, عن جويبر, عن الضحاك: طُوَبى لَهُمْ قال: غِبْطة لهم.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الرحمن بن مَغْراء, عن جويبر, عن الضحاك, مثله.

قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: أخبرنا هشيـم, عن جُوَيبر, عن الضحاك, مثله.

وقال آخرون: معناه: فَرَح وقرّة عين. ذكر من قال ذلك:

15500ـ حدثنـي علـيّ بن داود الـمثنى بن إبراهيـم, قالا: حدثنا عبد الله, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله: طُوَبَى لَهُمْ يقول: فَرَح وقرّة عين.

وقال آخرون: معناه: حُسْنَى لهم. ذكر من قال ذلك:

15501ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: طُوَبى لَهُمْ يقول: حُسْنَى لهم, وهي كلـمة من كلام العرب.

حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: طُوَبى لَهُمْ هذه كلـمة عربـية, يقول الرجل: طُوَبى لك: أي أصبتَ خيرا.

وقال آخرون: معناه: خير لهم. ذكر من قال ذلك:

15502ـ حدثنا أبو هشام, قال: حدثنا ابن يـمان, قال: حدثنا سفـيان, عن منصور, عن إبراهيـم, قال: خير لهم.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن إبراهيـم, فـي قوله: طُوَبى لَهُمْ قال: الـخير والكرامة التـي أعطاهم الله.

وقال آخرون: طُوَبى لَهُمْ اسم من أسماء الـجنة, ومعنى الكلام: الـجنة لهم. ذكر من قال ذلك:

15503ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يـمان, عن أشعث, عن جعفر, عن سعيد بن جبـير, عن ابن عبـاس: طُوبَى لَهُمْ قال: اسم الـجنة بـالـحبشية.

15504ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب, عن جعفر, عن سعيد بن مشجوع فـي قوله: طُوَبى لَهُمْ قال: «طوبى»: اسم الـجنة بـالهِندية.

حدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا داود بن مهران, قال: حدثنا يعقوب, عن جعفر بن أبي المُغيرة, عن سعيد بن مشجوع, قال: اسم الجنة بالهندية: طُوبَى.

15505ـ حدثنا أبو هشام, قال: حدثنا ابن يمان, قال: حدثنا سفيان, عن السديّ, عن عكرمة: طُوبَى لَهُمْ قال: الجنة.

15506ـ قال: حدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا شبابة, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: طُوبَى لَهُمْ قال: الجنة.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

15507ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مآبٍ قال: لما خلق الله الجنة وفرغ منها قال: الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مآبٍ وذلك حين أعجبته.

حدثنا أحمد, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا شريك, عن ليث, عن مجاهد: طُوبَى لَهُمْ قال الجنة.

وقال آخرون: طُوَبى لَهُمْ: شجرة في الجنة. ذكر من قال ذلك:

15508ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا قرة بن خالد, عن موسى بن سالم, قال: قال ابن عباس: طُوبَى لَهُمْ شجرة في الجنة.

15509ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن الأشعث بن عبد الله, عن شَهْر بن حَوْشب, عن أبي هريرة: طُوبَى لَهُمْ: شجرة في الجنة يقول لها: تفتقي لعبدي عما شاء فتتفتق له عن الخيل بسروجها ولُجُمها, وعن الإبل بأزمّتها, وعم شاء من الكسوة.

15510ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب, عن جعفر, عن شهر بن حوشب, قال: طوبى: شجرة في الجنة, كلّ شجر الجنة منها, أغصانها من وراء سُور الجنة.

حدثني المثنى, قال: حدثنا سويد بن نصر, قال: أخبرنا ابن المبارك, عن معمر, عن الأشعث, بن عبد الله, عن شهر بن حوشب, عن أبي هريرة قال: في الجنة شجرة يقال لها طُوَبى, يقول الله لها: تفتقي فذكر نحو حديث ابن عبد الأعلى, عن ابن ثور.

15511ـ حدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا عبد الجبار, قال: حدثنا مروان, قال: أخبرنا العلاء, عن شمّر بن عطية, في قوله: طُوبَى لَهُمْ قال: هي شجرة في الجنة يقال لها طوبى.

15512ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا سويد, قال: أخبرنا ابن المبارك, عن سفيان, عن منصور, عن حسان أبي الأشرس, عن مُغيث بن سُمَيّ, قال: طُوَبى: شجرة في الجنة, ليس في الجنة دار إلا فيها غصن منها, فيجيء الطائر فيقع فيدعوه, فيأكل من أحد جنبيه قَدِيدا ومن الآخر شِواء, ثم يقول: طِرْ فيطير.

15513ـ قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن بعض أهل الشام, قال: إن ربك أخذ لؤلؤة فوضعها على راحتيه, ثم دَمْلجها بين كفيّه, ثم غرسها وسط أهل الجنة, ثم قال لها: امتدّي حتى تبلغي مرضاتي ففعلت, فلما استوت تفجّرت من أصولها أنهار الجنة, وهي طُوَبى.

15514ـ حدثنا الفضل بن الصباح, قال: حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم الصنعاني, قال: ثني عبد الصمد بن معقل, أنه سمع وهبا يقول: إن في الجنة شجرة يقال لها: طُوَبى, يسير الراكب في ظلها مئة عام لا يقطعها زهرها رياط, وورقها برود, وقضبانها عنبر, وبطحاؤها ياقوت, وترابها كافور, ووحلها مسك, يخرج من أصلها أنهار الخمر واللبن والعسل, وهي مجلس لأهل الجنة. فبينا هم في مجلسهم إذ أتتهم ملائكة من ربهم, يقودون نُجبًا مزمومة بسلاسل من ذهب, وجوهها كالمصابيح من حسنها, وبرها كخزّ المِرْعِزّي من لينه, عليها رحال ألواحها من ياقوت, ودفوفها من ذهب, وثيابها من سندس وإستبرق, فينيخونها ويقولون: إن ربنا أرسلنا إليكم لتزوروه وتسلموا عليه. قال: فيركبونها. قال: فهي أسرع من الطائر, وأوطأ من الفِراش نُجُبا من غير مَهَنة, يسير الرجل إلى جنب أخيه وهو يكلمه ويناجيه, لا تصيب أذن راحلة منها أذن صاحبتها, ولا بَرْك راحلة بَرْك صاحبتها, حتى إن الشجرة لتتنحّى عن طرقهم لئلا تفرّق بين الرجل وأخيه. قال: فيأتون إلى الرحمن الرحيم, فيسفر لهم عن وجهه الكريم حتى ينظروا إليه, فإذا رأوه قالوا: اللهمّ أنت السلام ومنك السلام, وحقّ لك الجلال والإكرام قال: فيقول تبارك وتعالى عند ذلك: أنا السلام, ومنى السلام, وعليكم حَقّت رحمتي ومحبتي, مرحبا بعبادي الذين خَشُوني بغيب أطاعوا أمري قال: فيقولون: ربنا إنا لم نعبدك حقّ عبادتك ولم نقدّرك حقّ قدرك, فأذن لنا بالسجود قدامك قال: فيقول الله: إنها ليست بدار نصَب ولا عبادة, ولكنها دار مُلك ونعيم, وإني قد رَفَعت عنكم نَصَب العبادة, فسلوني ما شئتم, فإن لكلّ رجل منكم أمنيته فيسألونه حتى إن أقصرهم أمنية ليقول: ربّ تنافس أهل الدنيا في دنياهم فتضايقوا فيها, ربّ فآتني كلّ شيء كانوا فيه من يوم خلقتها إلى أن انتهت الدنيا فيقول الله: لقد قَصّرت بك اليوم أمنيتك, ولقد سألت دون منزلتك, هذا لك مني, وسأتحفك بمنزلتي, لأنه ليس في عطائي نَكَد ولا تَصْرِيد. قال: ثم يقول: اعرضوا على عبادي ما لم تبلغ أمانيّهم ولم يخطَر لهم على بال قال: فيَعرضون عليهم حتى يقضوهم أمانيهم التي في أنفسهم, فيكون فيما يعرضون عليهم براذينُ مقرنة, على كلّ أربعة منها سرير من ياقوتة واحدة, على كلّ سرير منها قُبة من ذهب, مُفْرَغة, في كل قبة منها فرش من فُرُش الجنة مظاهرة, في كل قبة منها جاريتان من الحور العين, على كلّ جارية منهنّ ثوبان من ثياب الجنة, ليس في الجنة لون إلا وهو فيهما, ولا ريح طيّبة إلا قد عَبقتا به, ينَفُذ ضوء وجوههما غلَظَ القبة, حتى يظن من يراهما أنهما من دون القبة, يرى مخهما من فوق سُوقهما كالسلك الأبيض من ياقوتة حمراء, يريان له من الفضل على صحابته كفضل الشمس على الحجارة أو أفضل, ويرى هو لهما مثل ذلك. ثم يدخل إليهما فيحييانه ويقبلانه ويعانقانه, ويقولان له: والله ما ظننا أن الله يخلق مثلك ثم يأمر الله الملائكة فيسيرون بهم صفا في الجنة حتى ينتهي كلّ رجل منهم إلى منزلته التي أُعدت له.

15515ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا علي بن جرير, عن حماد, قال: شجرة في الجنة في دار كل مؤمن غصن منها.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن حسّان بن أبي الأشرس, عن مُغيث بن سُمَيّ قال: طوبى: شجرة في الجنة لو أن رجلاً

ركب قلوصا جذعا أو جذعة, ثم دار بها لـم يبلغ الـمكان الذي ارتـحل منه حتـى يـموت هرما. وما من أهل الـجنة منزل إلا فـيه غصن من أغصان تلك الشجرة متدلّ علـيهم, فإذا أرادوا أن يأكلوا من الثمرة تدلـى إلـيهم فـيأكلون منه ما شاءوا, ويجيء الطير فـيأكلون منه قديدا وشواء ما شاءوا, ثم يطير.

وقد رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر بنـحو ما قال من قال هي شجرة. ذكر الرواية بذلك:

15516ـ حدثنـي سلـيـمان بن داود القُومسي, قال: حدثنا أبو توبة الربـيع بن نافع, قال: حدثنا معاوية بن سلام, عن زيد, أنه سمع أبـا سلام, قال: حدثنا عامر بن زيد البكالـي, أنه سمع عتبة بن عبد السلـمي يقول: جاء أعرابـيّ إلـى رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقال: يا رسول الله, إن فـي الـجنة فـاكهة؟ قال: «نَعَمْ, فِـيها شَجَرَةٌ تُدْعَى طُوبَى, هِيَ تُطَابِقُ الفِرْدَوْسَ». قال: أيّ شجر أرضنا تُشْبه؟ قال: «لَـيْسَتْ تُشْبِهُ شَيْئا مِنْ شَجَرِ أَرْضِكَ, وَلَكِنْ أَتَـيْتَ الشّامَ؟» فقال: لا يا رسول الله, فقال: «فإنّها تُشْبِهُ شَجَرَةً تُدْعَى الـجُوزَةَ, تَنْبُتُ علـى ساقٍ وَاحِدَةٍ ثُمّ يَنْتَشِرُ أَعْلاها» قال: ما عظم أصلها؟ قال: «لَوِ ارْتَـحَلتْ جَذَعَةٌ مِنْ إبلِ أَهْلِكَ ما أحاطَتْ بأصلها حتـى تَنْكَسِرَ تَرْقوَتاها هَرَما».

15517ـ حدثنا الـحسن بن شبـيب, قال: حدثنا مـحمد بن زياد الـجريري, عن فرات بن أبـي الفرات, عن معاوية بن قُرة, عن أبـيه, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مآبٍ: شَجَرَةٌ غَرَسَها اللّهُ بـيَدِهِ, وَنَفَخَ فِـيها مِنْ رَوْحِهِ بـالـحُلِـيّ والـحُلَلِ, وَإنّ أَغْصَانَها لَتُرَى مِنْ وَرَاءِ سُورِ الـجَنَةِ».

15518ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرنـي عمرو بن الـحارث, أن دراجا حدثه أن أبـا الهيثم حدثه, عن أبـي سعيد الـخدريّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن رجلا قال له: يا رسول الله ما طوبى؟ قال: «شَجَرَةٌ فِـي الـجَنّةِ مَسِيَرةُ مِئَةٍ سَنَةٍ, ثِـيابُ أَهْلِ الـجَنّةِ تَـخْرُجُ مِنْ أكمامِها».

فعلـى هذا التأويـل الذي ذكرنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرواية به, يجب أن يكون القول فـي رفع قوله: طُوبَى لَهُمْ خلاف القول الذي حكيناه عن أهل العربـية فـيه. وذلك أن الـخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن طُوبى اسم شجرة فـي الـجنة, فإذا كان كذلك فهو اسم لـمعرفة كزيد وعمرو. وإذا كان ذلك كذلك, لـم يكن فـي قوله: وَحُسْنُ مآبٍ إلا الرفع عطفـا به علـى «طوبى».

وأما قوله: وَحُسْنُ مآبٍ فإنه يقول: وحُسن منقلب كما:

15519ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: أخبرنا هشيـم, عن جويبر, عن الضحاك: وَحُسْنُ مآبٍ قال: حسن منقلب.

الآية : 30

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِيَ أُمّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الّذِيَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرّحْمَـنِ قُلْ هُوَ رَبّي لآ إِلَـهَ إِلاّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ }.

يقول تعالـى ذكره: هكذا أرسلناك يا مـحمد فـي جماعة من الناس, يعنـي إلـى جماعة قد خـلت من قبلها جماعات علـى مثل الذي هم علـيه, فمضت

لِتَتْلُوَ عَلَـيْهِمُ الّذِي أوْحَيْنا إلَـيْكَ يقول: لتبلغهم ما أرسلتك به إلـيهم من وحيـي الذي أوحيته إلـيك. وَهُمْ يَكْفُرُونَ بـالرّحْمَنِ يقول: وهم يجحدون وحدانـية الله, ويكذّبون بها. قُلْ هُوَ رَبّـي يقول: إن كفر هؤلاء الذين أرسلتك إلـيهم يا مـحمد بـالرحمن, فقل: أنت الله ربـي لا إلَهَ إلاّ هُوَ عَلَـيْهِ تَوَكّلْتُ وَإلَـيْهِ مَتابِ يقول: وإلـيه مرجعي وأوبتـي. وهو مصدر من قول القائل: تبت متابـا وتوبة.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

15520ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَهُمْ يَكْفُرُونَ بـالرّحْمَنِ ذكر لنا أن نبـيّ الله صلى الله عليه وسلم زمن الـحديبـية حين صالـح قريشا كتب: «هذا ما صالـح علـيه مـحمد رسول الله». فقال مشركو قريش: لئن كنتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قاتلناك لقد ظلـمناك, ولكن اكتب: هذا ما صالـح علـيه مـحمد بن عبد الله. فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: دعنا يا رسول الله نقاتلهم فقال: «لا, ولكنْ اكْتُبُوا كما يُرِيدُونَ إنـيّ مـحَمّد بْنُ عَبْدِ اللّهِ» فلـما كتب الكاتب: «بسم الله الرحمن الرحيـم», قالت قريش: أما الرحمن فلا نعرفه وكان أهل الـجاهلـية يكتبون: «بـاسمك اللهمّ», فقال أصحابه: يا رسول الله دعنا نقاتلهم قال: «لا ولكِنْ اكْتُبُوا كمَا يُرِيدُونَ».

15521ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنى حجاج, عن ابن جريج, عن مـجاهد, قال: قوله: كذلكَ أرْسَلْناكَ فِـي أُمّةٍ قَدْ خَـلَتْ... الآية, قال: هذا لـما كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا فـي الـحديبـية كتب: «بسم الله الرحمن الرحيـم», قالوا: لا تكتب الرحمن, وما ندري ما الرحمن, ولا نكتب إلا بـاسمك اللهمّ قال الله: وَهُمْ يَكْفُرُونَ بـالرّحمَنِ قُلْ هُوَ رَبـي لا إلَهَ إلاّ هُوَ... الآية.

الآية : 31

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَلَوْ أَنّ قُرْآناً سُيّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلّمَ بِهِ الْمَوْتَىَ بَل للّهِ الأَمْرُ جَمِيعاً أَفَلَمْ يَيْأَسِ الّذِينَ آمَنُواْ أَن لّوْ يَشَآءُ اللّهُ لَهَدَى النّاسَ جَمِيعاً وَلاَ يَزَالُ الّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلّ قَرِيباً مّن دَارِهِمْ حَتّىَ يَأْتِيَ وَعْدُ اللّهِ إِنّ اللّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ}.

اختلف أهل التأويـل فـي معنى ذلك, فقال بعضهم: معناه: وهم يكفرون بـالرحمن وَلَوْ أنّ قُرآنا سُيّرَتْ بِهِ الـجبـالُ: أي يكفرون بـالله ولو سير لهم الـجبـال بهذا القرآن. وقالوا: هو من الـمؤخر الذي معناه التقديـم. وجعلوا جواب «لو» مقدّما قبلها, وذلك أن الكلام علـى معنى قـيـلهم: ولو أن هذا القرآن سيرت به الـجبـال أو قُطّعت به الأرض, لكفروا بـالرحمن. ذكر من قال ذلك:

15522ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: وَلَوْ أنّ قُرآنا سُيّرَتْ بِهِ الـجبـالُ أوْ قُطّعَتْ بِهِ الأرضُ أوْ كُلّـمَ بِهِ الـمَوْتَـى قال: هم الـمشركون من قريش, قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: لو وسعت لنا أودية مكة, وسيرت جبـالها, فـاحترثناها, وأحيـيت من مات منا, أو قطّع به الأرض, أو كلـم به الـموتـى فقال الله تعالـى: وَلَوْ أنّ قُرآنا سُيّرَتْ بِهِ الـجبـالُ أوْ قُطّعَتْ بِهِ الأرْضُ أوْ كُلّـمَ بِهِ الـمَوْتَـى بَلْ لِلّهِ الأمْرُ جَميعا.

15523ـ حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا شبـابة, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: وَلَوْ أنّ قُرْآنا سُيّرَتْ بِهِ الـجِبـالُ أوْ قُطّعَتْ بِهِ الأرْضُ أوْ كُلّـمَ بِهِ الـمَوْتَـى قول كفـار قريش لـمـحمد: سير جبـالنا تتسع لنا أرضنا فإنها ضيقة, أو قرّب لنا الشأم فإنا نتـجر إلـيها, أو أخرج لنا آبـاءنا من القبور نكلـمهم فقال الله تعالـى: وَلَوْ أنّ قُرْآنا سُيّرَتْ بِهِ الـجِبـالُ أوْ قُطّعَتْ بِهِ الأرْضُ أوْ كُلّـمَ بِهِ الـمَوْتَـى.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, بنـحوه.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, عن مـجاهد, نـحوه.

15524ـ قال: ابن جريج, وقال عبد الله بن كثـير, قالوا: لو فسحت عنا الـجبـال, أو كلـمت به الـموتـى, فنزل ذلك. قال ابن جريج, وقال ابن عبـاس: قالوا: سير بـالقرآن الـجبـال, قطع بـالقرآن الأرض, أخرج به موتانا.

15525ـ حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا حجاج, عن ابن جريج, قال: قال ابن كثـير: قالوا: لو فسحت عنا الـجبـال, أو أجريت لنا الأنهار, أو أجريت لنا الأنهار, أو كلـمت به الـموتـى, فنزل ذلك. قال ابن جريج, وقال ابن عبـاس: قالوا: سير بـالقرآن الـجبـال, قطع بـالقرآن الأرض, أخرج به موتانا.

15526ـ حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا حجاج, عن ابن جريج, قال: قال ابن كثـير: قالوا: لو فسحت عنا الـجبـال أو أجريت لنا الأنهار أو كلـمت به الـموتـى فنزل: أفَلَـمْ يَـيْأسِ الَذِينَ آمَنُوا.

وقال آخرون: بل معناه: وَلَوْ أنّ قُرآنا سُيّرَتْ بِهِ الـجِبـالُ كلام مبتدأ منقطع عن قوله: وَهُمْ يَكْفُرُونَ بـالرّحْمَنِ. قال: وجواب «لو» مـحذوف استغنـي بـمعرفة السامعين الـمرادَ من الكلام عن ذكر جوابها. قالوا: والعرب تفعل ذلك كثـيرا, ومنه قول امرىء القـيس:

فَلَوْ أنّها نَفْسٌ تَـمُوتُ سَرِيحَةً ولكِنّها نَفْسٌ تَقَطّعُ أنْفُسَا

وهو آخر بـيت فـي القصيدة, فترك الـجواب اكتفـاء بـمعرفة سامعه مراده, وكما قال الآخر:

فَأُقْسِمُ لَوْ شَيْءٌ أتانا رَسُولُهُ سِوَاكَ وَلكِنْ لَـمْ نَـجِدْ لكَ مَدْفَعا

ذكر من قال نـحو معنى ذلك:

15527ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَلَوْ أنّ قُرآنا سُيّرَتْ بِهِ الـجِبـالُ أوْ قُطّعَتْ بِهِ الأرْضُ أوْ كُلّـمَ بِهِ الـمَوْتَـى ذكر لنا أن قُريشا قالوا: إن سرّك يا مـحمد اتبـاعك, أو أن نتبعك, فسير لنا جبـال تهامة, أو زد لنا فـي حرمنا, حتـى نتـخذ قطائع نـخترف فـيها, أو أحْي لنا فلانا وفلانا ناسا ماتوا فـي الـجاهلـية. فأنزل الله تعالـى: وَلَوْ أنّ قُرآنا سُيّرَتْ بِهِ الـجِبـالُ أوْ قُطّعَتْ بِهِ الأرْضُ أوْ كُلّـمَ بِهِ الـمَوْتَـى يقول: لو فعل هذا بقرآن قبل قرآنكم لفعل بقرآنكم.

حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: أن كفّـار قريش قالوا للنبـيّ صلى الله عليه وسلم: أذهب عنا جبـال تهامة حتـى نتـخذها زرعا فتكون لنا أرضين, أو أحي لنا فلانا وفلانا يخبروننا حقّ ما تقول فقال الله: وَلَوْ أنّ قُرآنا سُيّرَتْ بِهِ الـجِبـالُ أوْ قُطّعَتْ بِهِ الأرْضُ

أوْ كُلّـمَ بِهِ الـمَوْتَـى بَلِ لِلّهِ الأمْرُ جَمِيعا يقول: لو كان فعل ذلك بشيء من الكتب فـيـما مضى كان ذلك.

15528ـ حُدثت عن الـحسين بن الفرج, قال: سمعت أبـا معاذ يقول: أخبرنا عبـيد بن سلـيـمان, قال: سمعت الضحاك يقول فـي قوله: وَلَوْ أنّ قُرآنا سُيّرَتْ بِهِ الـجبـالُ الآية... قال: قال كفـار قريش لـمـحمد صلى الله عليه وسلم: سير لنا الـجبـال كما سُخرت لداود, أو قطّع لنا الأرض كما قطّعت لسلـيـمان فـاغتدى بها شهرا وراح بها شهرا, أو كلـم لنا الـموتـى كما كان عيسى يكلـمهم يقول: لـم أنزل بهذا كتابـا, ولكن كان شيئا أعطيته أنبـيائي ورسلـي.

15529ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: وَلَوْ أنّ قُرآنا سُيّرَتْ بِهِ الـجِبـالُ... الآية. قال: قالوا للنبـيّ صلى الله عليه وسلم: إن كنت صادقا فسير عنا هذه الـجبـال واجعلها حروثا كهيئة أرض الشام ومصر والبُلْدان, أو ابعث موتانا فأخبرهم فإنهم قد ماتوا علـى الذي نـحن علـيه فقال الله تعالـى: وَلَوْ أنّ قُرآنا سُيّرَتْ بِهِ الـجِبـالُ أوْ قُطّعَتْ بِهِ الأرْضُ أوْ كُلّـمَ بِهِ الـمَوْتَـى: لـم يصنع ذلك بقرآن قَطّ ولا كتاب, فـيصنع ذلك بهذا القرآن.

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: «أفَلَـمْ يَـيْأَسِ الّذِينَ آمَنُوا أنْ لَوْ يَشاءُ اللّهُ لَهَدَى النّاسَ جَمِيعا».

اختلف أهل الـمعرفة بكلام العرب فـي معنى قوله: أفَلَـمْ يَـيْأَسِ فكان بعض أهل البصرة يزعم أن معناه: ألـم يعلـم ويتبـيّن ويستشهد لقـيـله ذلك ببـيت سحيـم بن وَثِـيـل الرياحيّ:

أقُولُ لَهُمْ بـالشّعْبِ إذْ يأمِرُونَنِـيألَـمْ تَـيْأَسُوا أنّـي ابنُ فـارِسِ زَهْدِم

ويُروى: «يـيسرونـنـي», فمن رواه: «يـيسرونـنـي» فإنه أراد: يقسمونـنـي من الـميسر, كما يقسم الـجَزور. ومن رواه: «يأسرونـنـي», فإنه أراد: الأسر. وقال: عنى بقوله: ألـم تـيأسوا: ألـم تعلـموا. وأنشدوا أيضا فـي ذلك:

ألَـمْ يَـيْأسِ الأقْوَامُ أنّـي أنا ابْنُهُوإنْ كُنتُ عَنْ أرْضِ العَشِيرَةِ نائِيا

وفسروا قوله: «ألـم يـيأس»: ألـم يعلـم ويتبـين. وذُكر عن ابن الكلبـيّ أن ذلك لغة لـحيّ من النـخَع, يقال لهم: وَهْبـيـل, تقول: ألـم تـيأس, كذا بـمعنى: ألـم تعلـمه. وذُكر عن القاسم بن معن أنها لغة هوزان, وأنهم يقولون: يَئِست كذا: علـمت.

وأما بعض الكوفـيـين فكان ينكر ذلك, ويزعم أنه لـم يسمع أحدا من العرب يقول: «يئست» بـمعنى: «علـمت», ويقول هو فـي الـمعنى وإن لـم يكن مسموعا: «يئست» بـمعنى: «علـمت», يتوجه إلـى ذلك أن الله قد أوقع إلـى الـمؤمنـين, أنه لو شاء لهدَى الناس جميعا, فقال: أفلـم يـيأسوا علـما, يقول: يؤيسهم العلـم, فكان فـيه العلـم مضمرا, كما يقال: قد يئست منك أن لا تفلـح علـما, كأنه قـيـل: علـمته علـما, قال: وقول الشاعر:

حتـى إذَا يَئِسَ الرّماةُ وأرْسَلُواغُضْفـا دَوَاجِنَ قافلاً أَعْصَامها

معناه: حتـى إذا يئسوا من كلّ شيء مـما يـمكن إلا الذي ظهر لهم أرسلوا, فهو فـي معنى: حتـى إذا علـموا أن لـيس وجه إلا الذي رأوا وانتهى علـمهم, فكان ما سواه يأسا.

وأما أهل التأويـل فإنهم تأوّلوا ذلك بـمعنى: أفلـم يعلـم ويتبـين. ذكر من قال ذلك منهم:

15530ـ حدثنـي يعقوب, قال: حدثنا هشيـم, عن أبـي إسحاق الكوفـي, عن مولـى يخبر أن علـيّا رضي الله عنه كان يقرأ: «أفلـم يَتَبـيّن الذين آمَنُوا».

15531ـ حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا عبد الوهاب, عن هارون, عن حنظلة, عن شهر بن حوشب, عن ابن عبـاس: أفَلَـمْ يَـيْأسِ يقول: أفلـم يتبـين.

15532ـ حدثنا أحمد بن يوسف, قال: حدثنا القاسم, قال: حدثنا يزيد, عن جرير, بن حازم, عن الزبـير بن الـحارث, أو يعلـى بن حكيـم, عن عكرمة, عن ابن عبـاس, أنه كان يقرؤها: «أفَلَـمْ يَتَبَـيّنِ الّذِينَ آمَنُوا» قال: كتب الكاتب الأخرى هو ناعس.

15533ـ حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا حجاج بن مـحمد, عن ابن جريج, قال فـي القراءة الأولـى: زعم ابن كثـير وغيره: «أفلـم يتبـين».

حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس: أفَلَـمْ يَـيْأسِ الّذِينَ آمَنُوا يقول: ألـم يتبـين.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالـح, قال: ثنـي معاوية بن صالـح, عن علـيّ, عن ابن عبـاس قوله: أفَلَـمْ يَـيْأسِ الّذِينَ آمَنُوا يقول: يعلـم.

15534ـ حدثنا عمران بن موسى, قال: حدثنا عبد الوارث, قال: حدثنا لـيث, عن مـجاهد, فـي قوله: أفَلَـمْ يَـيْأسِ الّذِينَ آمَنُوا قال: أفلـم يتبـين.

15535ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, فـي قوله: أفَلَـمْ يَـيْأسِ الّذِينَ آمَنُوا قال: ألـم يتبـين الذين آمنوا.

حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: أفَلَـمْ يَـيْأسِ الّذِينَ آمَنُوا قال: ألـم يعلـم الذين آمنوا.

15536ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: أفَلَـمْ يَـيْأسِ الّذِينَ آمَنُوا قال: ألـم يعلـم الذين آمنوا.

والصواب من القول فـي ذلك ما قاله أهل التأويـل: إن تأويـل ذلك: أفلـم يتبـين ويعلـم لإجماع أهل التأويـل علـى ذلك والأبـيات التـي أنشدناها فـيه.

فتأويـل الكلام إذن: ولو أن قرآنا سوى هذا القرآن كان سيرت به الـجبـال لسير بهذا القرآن, أو قطّعت به الأرض لقطّعت بهذا, أو كلّـم به الـموتـى لكلّـم بهذا, ولو يفعل بقرآن قبل هذا القرآن لفُعل بهذا. بَلْ لِلّهِ الأمْرُ جَمِيعا يقول: ذلك كله إلـيه وبـيده, يهدى من يشاء إلـى الإيـمان فـيوفقه له ويضلّ من يشاء فـيخذله, أفلـم يتبـين الذين آمنوا بـالله ورسوله إذ طمعوا فـي إجابتـي من سأل نبـيهم من تسيـير الـجبـال عنهم وتقريب أرض الشام علـيهم وإحياء موتاهم, أن لو يشاء الله لهدَى الناس جميعا إلـى الإيـمان به من غير إيجاد آية ولا إحداث شيء مـما سألوا إحداثه. يقول تعالـى ذكره: فما معنى مـحبتهم ذلك مع علـمهم بأن الهداية والإهلاك إلـيّ وبـيدي أنزلت آية أو لـم أنزلها أهدي من أشاء بغير إنزال آية, وأضلّ من أردت مع إنزالها. القول فـي تأويـل قوله تعالـى: «وَلا يَزَالُ الّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِـمَا صَنَعُوا قارِعَةٌ أوْ تَـحُلّ قَرِيبـا مِنْ دَارِهِمْ حتـى يَأْتِـيَ وَعْدُ اللّهِ إنّ اللّهَ لا يُخْـلِفُ الـميعادَ».

يقول تعالـى ذكره: ولا يزال يا مـحمد الذين كفروا من قومك تُصيبهم بـما صنعوا من كفرهم بـالله وتكذيبهم إياك وإخراجهم لك من بـين أظهرهم قارعة, وهي ما يقرعهم من البلاء والعذاب والنقم, بـالقتل أحيانا, وبـالـحروب أحيانا, والقحط أحيانا. أو تـحلّ أنت يا مـحمد, يقول: أو تنزل أنت قريبـا من دارهم بجيشك وأصحابك حتـى يأتـي وعد الله الذي وعدك فـيهم, وذلك ظهورك علـيهم وفتـحك أرضهم وقهرك إياهم بـالسيف. إنّ اللّهَ لا يُخْـلِفُ الـمِيعادَ يقول: إن الله منـجزك يا مـحمد ما وعدك من الظهور علـيهم, لأنه لا يخـلف وعده.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

15537ـ حدثنا أبو داود, قال: حدثنا الـمسعودي, عن قتادة, عن سعيد بن جبـير, عن ابن عبـاس, فـي قوله: وَلا يَزَالُ الّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِـمَا صَنَعُوا قارِعَةٌ قال: سرية. أوْ تَـحُلّ قَرِيبـا مِنْ دَارِهِمْ قال مـحمد: حتـى يأتـي وعد الله, قال: فتـح مكة.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبـي, عن الـمسعودي, عن قتادة, عن سعيد بن جبـير, عن ابن عبـاس بنـحوه, غير أنه لـم يذكر سرية.

حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا أبو قطن, قال: حدثنا الـمسعودي, عن قتادة, عن سعيد بن جبـير, عن ابن عبـاس, أنه تلا هذه الآية: وَلا يَزَالُ الّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِـمَا صَنَعُوا قارِعَةٌ قال: القارعة: السرية. أوْ تَـحُلّ قَرِيبـا مِنْ دَارِهِمْ قال: هو مـحمد صلى الله عليه وسلم. حتـى يأتَـي وَعْدُ اللّهِ قال: فتـح مكة.

15538ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو غسان, قال: حدثنا زهير, أن خصيفـا حدثهم, عن عكرمة, فـي قوله: وَلا يَزَالُ الّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِـمَا صَنَعُوا قارِعَةٌ أوْ تَـحُلّ قَرِيبـا مِنْ دَارِهِمْ قال: نزلت بـالـمدينة فـي سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو تـحلّ أنت يا مـحمد قريبـا من دارهم.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبـي, عن النضر بن عربـي, عن عكرمة: وَلا يَزَالُ الّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِـمَا صَنَعُوا قارِعَةٌ قال: سرية. أوْ تَـحُلّ قَرِيبـا منْ دَارِهِمْ قال: أنت يا مـحمد.

حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: وَلا يَزَالُ الّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِـمَا صَنَعُوا قارِعَةٌ يقول: عذاب من السماء ينزل علـيهم. أوْ تَـحُلّ قَرِيبـا مِنْ دَارِهِمْ يعنـي: نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم وقتاله إياهم.

15539ـ حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا شبـابة, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: تُصِيبُهُمْ بِـمَا صَنَعُوا قارِعَةٌ: تصاب منهم سرية, أو تصاب منهم مصيبة, أو يحلّ مـحمد قريبـا من دارهم. وقوله: حتـى يَأْتِـيَ وَعْدُ اللّهِ قال: الفتـح.

15540ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا الـحجاج, قال: حدثنا حماد بن زيد, عن عبد الله بن أبـي نـجيح: أوْ تَـحُلّ قَرِيبـا مِنْ دَارِهِمْ يعنـي النبـيّ صلى الله عليه وسلم.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, عن مـجاهد, نـحو حديث الـحسن, عن شبـابة.

15541ـ حدثنـي الـحارث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا قـيس, عن خصيف, عن عكرمة, عن ابن عبـاس: قال: قارعة, قال: السرايا.

قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا عبد الغفـار, عن منصور, عن مـجاهد: قارِعَةٌ: مصيبة من مـحمد. أوْ تَـحُلّ قَرِيبـا مِنْ دَارِهِمْ قال: أنت يا مـحمد. حتـى يأتِـيَ وَعْدُ اللّهِ قال: الفتـح.

15542ـ قال: حدثنا إسرائيـل, عن خصيف, عن مـجاهد: قارِعَةٌ قال: كتـيبة.

15543ـ قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا عمرو بن ثابت, عن أبـيه, عن سعيد بن جبـير: تُصِيبُهُمْ بِـمَا صَنَعُوا قارِعَةٌ قال: سرية. أوْ تَـحُلّ قَرِيبـا مِنْ دَارِهِمْ قال: أنت يا مـحمد.

15544ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَلا يَزَالُ الّذِينَ كفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِـمَا صَنعُوا قارِعَةٌ: أي بأعمالهم أعمال السوء. وقوله: أوْ تَـحُلّ قَرِيبـا مِنْ دَارِهِمْ أنت يا مـحمد. حتـى يَأتِـيَ وَعْدُ اللّهِ ووعد الله: فتـح مكة.

حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: قارِعَةٌ قال: وقـيعة. أوْ تَـحُلّ قَرِيبـا مِنْ دَارِهِمْ قال: يعنـي النبـيّ صلى الله عليه وسلم, يقول: أو تـحلّ أنت قريبـا من دارهم.

حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا مـحمد بن طلـحة, عن طلـحة, عن مـجاهد: تُصِيبُهُمْ بِـمَا صَنَعُوا قارِعَةٌ قال: سرية.

حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفـيان, عن لـيث, عن مـجاهد: تُصِيبُهُمْ بِـمَا صَنَعُوا قارِعَةٌ قال: السرايا: كان يبعثهم النبـيّ صلى الله عليه وسلم. أوْ تَـحُلّ قَرِيبـا مِنْ دارِهِمْ أنت يا مـحمد. حتـى يَأتِـيَ وَعْدُ اللّهِ قال: فتـح مكة.

قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا إسرائيـل, عن بعض أصحابه, عن مـجاهد: تُصِيبُهُمْ بِـمَا صَنَعُوا قارِعَةٌ قال: كتـيبة.

15545ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: وَلا يَزالُ الّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِـمَا صَنَعُوا قارِعَةٌ قال: قارعة من العذاب.

وقال آخرون: معنى قوله: أوْ تَـحُلّ قَرِيبـا مِنْ دَارِهِمْ تـحلّ القارعة قريبـا من دارهم. ذكر من قال ذلك:

15546ـ حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة, قال: قال الـحسن: أوْ تَـحُلّ قَرِيبـا مِنْ دَارِهِمْ قال: أو تـحلّ القارعة قريبـا من دارهم.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, عن الـحسن, قال: أوْ تَـحُلّ قَرِيبـا مِنْ دَارِهِمْ قال: أو تـحلّ القارعة.

وقال آخرون فـي قوله: حتـى يَأتِـيَ وَعْدُ اللّهِ قال: يوم القـيامة. ذكر من قال ذلك:

15547ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا معلـى بن أسد, قال: حدثنا إسماعيـل بن حكيـم, عن رجل قد سماه عن الـحسن, فـي قوله: حتـى يَأتِـيَ وَعْدُ اللّهِ قال: يوم القـيامة.

الآية : 32

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَلَقَدِ اسْتُهْزِىءَ بِرُسُلٍ مّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلّذِينَ كَفَرُواْ ثُمّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ }.

يقول تعالـى ذكره لنبـيه مـحمد صلى الله عليه وسلم: يا مـحمد إن يستهزىء هؤلاء الـمشركون من قومك ويطلبوا منك الآيات تكذيبـا منهم ما جئتهم به, فـاصبر علـى أذاهم لك وامض لأمر ربك فـي إعذارهم والإعذار إلـيهم, فلقد استهزأت أمـم من قبلك قد خـلَت فمضت برُسُلـي, فأطلت لهم فـي الـمَهَل ومددت لهم فـي الأجَل, ثم أحللت بهم عذابـي ونقمتـي حين تـمادوا فـي غيهم وضلالهم, فـانظر كيف كان عقابـي إياهم حين عاقبتهم, ألـم أذقهم ألـيـم العذاب وأجعلهم عبرة لأولـي الألـبـاب. والإملاء فـي كلام العرب: الإطالة, يقال منه: أملـيت لفلان: إذا أطلت له فـي الـمهل, ومنه الـمُلاوة من الدهر, ومنه قولهم: تـملّـيت حينا, ولذلك قـيـل للـيـل والنهار: «الـملوان» لطولهما, كما قال ابن مقبل:

ألا يا دِيارَ الـحَيّ بـالسّبُعانِأَلَـحّ عَلَـيْها بـالبِلَـى الـمَلَوَانِ

وقـيـل للـخرق الواسع من الأرض: «ملاً», كما قال الشاعر:

فـاحْضَلّ منها كُلّ بـالٍ وعَيّنِوجَفّ الرّوَايا بـالـمَلا الـمُتَبـاطِنِ

لطول ما بـين طرفـيه وامتداده.

الآية : 33

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىَ كُلّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُواْ للّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمّوهُمْ أَمْ تُنَبّئُونَهُ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي الأرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مّنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيّنَ لِلّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدّواْ عَنِ السّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ }.

يقول تعالـى ذكره: أفـالربّ الذي هو دائم لا يبـيد ولا يهلك قائم بحفظ أرزاق جميع الـخـلـق, متضمن لها, عالـم بهم وبـما يكسبونه من الأعمال, رقـيت علـيهم, لا يعزُب عنه شيء أينـما كانوا كمن هو هالك بـائد لا يسمع ولا يبصر ولا يفهم شيئا, ولا يَدْفع عن نفسه ولا عمن يعبده ضرّا, ولا يجلب إلـيهما نفعا؟ كلاهما سواء. وحُذِف الـجواب فـي ذلك فلـم يَقُل وقد قـيـل أفَمَنْ هُوَ قائمٌ علـى كُلّ نَفْسٍ بِـمَا كَسَبَتْ ككذا وكذا, اكتفـاء بعلـم السامع بـما ذُكِر عما تُرك ذكره. وذلك أنه لـمّا قال جلّ ثناؤه: وَجَعَلُوا لِلّهِ شُرَكَاءَ عُلـم أن معنى الكلام كشركائهم التـي اتـخذوها آلهة, كما قال الشاعر:

تَـخَيّرِي خُيّرْتِ أُمّ عالِبـينَ قَصِيرٍ شَبْرُهُ تِنْبـالِ

أذَاكِ أمْ مُنْـخَرِقُ السّرْبَـالِوَلا يَزَالُ آخِرَ اللّـيالـي

مُتْلِفَ مالٍ ومُفِـيدَ مالِ

ولـم يقل: وقد قال: «شَبْرُه تنبـال», وبـين كذا وكذا, اكتفـاء منه بقول: أَذَاكَ أمْ مُنْـخَرِق السّرْبـالِ, ودلالة الـخبر عن الـمنـخرق السربـال علـى مراده فـي ذلك.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

15548ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: أَفَمَنْ هُوَ قائمٌ علـى كُلّ نَفْسٍ بِـمَا كَسَبَتْ ذلكم ربكم تبـارك وتعالـى, قائم علـى بنـي آدم بأرزاقهم وآجالهم, وحفظ علـيهم والله أعمالهم.

15549ـ حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: أَفَمَنْ هُوَ قائمٌ علـى كُلّ نَفْسٍ بِـمَا كَسَبَتْ.

15550ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: أَفَمَنْ هُوَ قائمٌ علـى كُلّ نَفْسٍ

بِـمَا كَسَبَتْ يعنـي بذلك نفسه, يقول: هو معكم أينـما كنتـم, فلا يعمل عامل إلا وهو حاضر. ويقال: هم الـملائكة الذين وكلوا ببنـي آدم.

15551ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج: أَفَمَنْ هُوَ قائمٌ علـى كُلّ نَفْسٍ بِـمَا كَسَبْتْ علـى رزقهم وعلـى طعامهم, فأنا علـى ذلك قائم وهم عَبـيدي ثم جعلوا لـي شركاء.

15552ـ حُدثت عن الـحسين, قال: سمعت أبـا معاذ يقول: حدثنا عبـيد بن سلـيـمان, قال: سمعت الضحاك يقول فـي قوله: أَفَمَنْ هُوَ قائمٌ علـى كُلّ نَفْسٍ بِـمَا كَسَبَتْ فهو الله قائم علـى كل نفس بَرّ وفـاجر, يرزقهم ويكلؤهم, ثم يُشرك به منهم من أشرك.

وقوله: وَجَعَلَوا لِلّهِ شُرَكاءَ قُلْ سَمّوهُمْ أمْ تُنَبّئُونَهُ بِـمَا لا يَعْلَـمُ فِـي الأرْضِ أمْ بظاهِرٍ مِنَ القَوْلِ يقول تعالـى ذكره: أنا القائم بأرزاق هؤلاء الـمشركين, والـمدبر أمورهم, والـحافظ علـيهم أعمالهم, وجعلوا لـي شركاء من خـلقـي يعبدونها دونـي, قل لهم يا مـحمد: سَمّوا هؤلاء الذين أشركتـموهم فـي عبـادة الله, فإنهم إن قالوا آلهة فقد كذبوا, لأنه لا إله إلا الواحد القهّار لا شريك له. أمْ تُنَبّئُونَهُ بِـمَا لا يَعْلَـمُ فِـي الأرْضِ يقول: أتـخبرونه بأن فـي الأرض إلها, ولا إله غيره فـي الأرض ولا فـي السماء.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

15553ـ حدثنا عن الـحسين, قال: سمعت أبـا معاذ يقول: حدثنا عبـيد, قال: سمعت الضحاك يقول فـي قوله: وَجَعَلُوا لِلّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمّوهُمْ ولو سموهم آلهة لكذبوا وقالوا فـي ذلك غير الـحق لأن الله واحد لـيس له شريك, قال الله: أمْ تُنَبّئُونَهُ بِـمَا لا يَعْلَـمُ فِـي الأرْضِ أمْ بِظاهِرٍ مِنَ القَوْلِ يقول: لا يعلـم الله فـي الأرض إلها غيره.

15554ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالـح, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله: وَجَعَلُوا لِلّهِ شُرَكاءَ قُلْ سَمّوهُمْ والله خـلقهم.

15555ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج: وَجَعَلُوا لِلّهِ شُرَكاءَ قُلْ سَمّوهُمْ ولو سَمّوْهم كذبوا, وقالوا فـي ذلك ما لا يعلـم الله من إله غير الله فذلك قوله: أمْ تُنَبّئُونَهُ بِـمَا لا يَعْلَـمُ فِـي الأرْضِ أمْ بِظاهِرٍ مِنَ القَوْلِ مسموع, وهو فـي الـحقـيقة بـاطل لا صحة له.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. غير أنهم قالوا: أم بظاهر, معناه: أم ببـاطل, فأتوا بـالـمعنى تدلّ علـيه الكلـمة دون البـيان عن حقـيقة تأويـلها. ذكر من قال ذلك:

15556ـ حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا شبـابة, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: بِظاهِرٍ مِنَ القَوْلِ بظنّ.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد مثله.

15557ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, عن قتادة, قوله: أمْ بِظاهِرٍ مِنَ القَوْلِ والظاهر من القول: هو البـاطل.

15558ـ حُدثت عن الـحسين بن الفرج, قال: سمعت أبـا معاذ يقول: حدثنا عبـيد بن سلـيـمان, قال: سمعت الضحاك فـي قوله: أمْ بِظاهِرٍ مِنَ القَوْلِ يقول: أم ببـاطل من القول وكذب, ولو قالوا, قالوا البـاطل والكذب.

وقوله: بَلْ زُيّنَ للّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ يقول تعالـى ذكره: ما لله من شريك فـي السموات ولا فـي الأرض, ولك زُين للـمشركين الذي يدعون من دون إلها مكرُهم, وذلك افتراؤهم وكذبهم علـى الله. وكان مـجاهد يقول: معنى الـمكر ههنا: القولُ, كأنه قال: قولهم بـالشرك بـالله.

15559ـ حدثنا الـمثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: بَلْ زُيّنَ للّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ قال: قولهم.

حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد مثله.

وأما قوله: وَصَدّوا عَنِ السّبِـيـلِ فإن القرّاء اختلفت فـي قراءته, فقرأته عامّة قرّاء الكوفـيـين: وَصَدّوا عَنِ السّبِـيـلِ بضمّ الصاد, بـمعنى: وصدّهم الله عن سبـيـله لكفرهم به, ثم جعلت الصاد مضمومة, إذ لـم يسمّ فـاعله. وأما عامّة قرّاء الـحجاز والبصرة, فقرءوه بفتـح الصاد, علـى معنى أن الـمشركين هي الذين صَدّوا الناس عن سبـيـل الله.

والصواب من القول فـي ذلك عندي أن يُقال: إنهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكلّ واحدة منهما أئمة من القرّاء, متقاربتا الـمعنى وذلك أن الـمشركين بـالله كانوا مصدودين عن الإيـمان به, وهم مع ذلك كانوا يَصُدّون غيرهم, كما وصفهم الله به بقوله: إنّ الّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أمْوَالَهُمْ لِـيَصُدّوا عَنْ سَبِـيـلِ اللّهِ.

وقوله: وَمَنْ يُضْلِل اللّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هادٍ يقول تعالـى ذكره: ومن أضله الله عن إصابة الـحقّ والهدى بخذلانه إياه, فما له أحد يَهْديه لإصابتهما لأن ذلك لا يُنال إلاّ بتوفـيق الله ومعونته, وذلك بـيد الله وإلـيه دون كلّ أحد سواه.

الآية : 34

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {لّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدّنْيَا وَلَعَذَابُ الأُخِرَةِ أَشَقّ وَمَا لَهُم مّنَ اللّهِ مِن وَاقٍ }.

يقول تعالـى ذكره: لهؤلاء الكفّـار الذي وصف صفتهم فـي هذه السورة عذاب فـي الـحياة الدنـيا بـالقتل والإسار والآفـات التـي يصيبهم الله بها. وَلَعَذابُ الآخِرَةِ أشَقّ يقول: ولَتعذيب الله إياهم فـي الدار الآخرة أشدّ من تعذيبه إياهم فـي الدنـيا وأشقّ, إنـما هو «أفعل» من الـمشقة. وقوله: وَما لَهُمْ مِنَ اللّهِ مِنْ وَاقٍ يقول تعالـى ذكره: وما لهؤلاء الكفّـار من أحد يقـيهم من عذاب الله إذا عذّبهم, لا حميـم ولا ولـيّ ولا نصير, لأنه جلّ جلاله لا يعادّه أحد فـيقهره فـيخـلصه من عذابه بـالقهر, ولا يشفع عنده أحد إلاّ بإذنه ولـيس يأذن لأحد فـي الشفـاعة لـمن كفر به فمات علـى كفره قبل التوبة منه.

الآية : 35

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {مّثَلُ الْجَنّةِ الّتِي وُعِدَ الْمُتّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأنْهَارُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وِظِلّهَا تِلْكَ عُقْبَىَ الّذِينَ اتّقَواْ وّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النّارُ }.

اختلف أهل العلـم بكلام العرب فـي رافع «الـمثل», فقال بعض نـحويّى الكُوفـيـين الرافع للـمثل قوله: تَـجْرِي مِنْ تَـحْتها الأنْهارُ فـي الـمعنى, وقال: هو كما تقول حِلْـية فلان أسْمَرُ كذا وكذا, فلـيس الأسمر بـمرفوع بـالـحلـية, إنـما هو ابتداء أي هو أسمر هو كذا. قال: ولو دخـل أنّ فـي مثل

هذا كان صوابـا. قال: ومثله فـي الكلام مثَلك أنك كذا وأنك كذا. وقوله: فَلْـيَنْظُرِ الإنْسانُ إلـى طَعامِهِ أنّا مَنْ وجّهَ: مَثَلُ الـجَنّةِ الّتِـي وُعِدَ الـمُتّقُونَ فِـيهَا ومن قال: أنّا صَبَبْنا الـمَاءَ أظهر الاسم, لأنه مردود علـى الطعام بـالـخفض, ومستأنف, أي: طعامه أنا صببنا ثم فعلنا. وقال: معنى قوله: مَثَلُ الـجَنّةِ: صفـات الـجنة. وقال بعض نـحويّـي البصريـين: معنى ذلك: صفة الـجنة, قال: ومنه قول الله تعالـى: وَلَهُ الـمَثَلُ الأعْلَـى معناه: ولله الصفة العُلـيا. قال: فمعنى الكلام فـي قوله: مَثَلُ الـجَنّةِ التـي وُعِدَ الـمُتّقُونَ تَـجْرِي مِنْ تَـحْتِها الأنهارُ أو فـيها أنهار, كأنه قال: وَصْف الـجنة صفة تـجري من تـحتها الأنهار, أو صفة فـيها أنهار والله أعلـم. قال: ووجه آخر كأنه إذا قـيـل: مثل الـجنة قـيـل: الـجنة التـي وعد الـمتقون. قال: وكذلك قوله: وَإنّهُ بسْمِ اللّهِ الرّحْمَنِ الرّحِيـمِ كأنه قال: بـالله الرحمن الرحيـم, والله أعلـم. قال: وقوله: عَلـى ما فَرّطْتُ فِـي جَنْبِ اللّهِ فـي ذات الله, كأنه عندنا قـيـل: فـي الله. قال: وكذلك قوله: لَـيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ إنـما الـمعنى: لـيس كشيء, ولـيس مثله شيء, لأنه لا مثل له. قال: ولـيس هذا كقولك للرجل: لـيس كمثلك أحد, لأنه يجوز أن يكون له مِثْل, والله لا يجوز ذلك علـيه. قال: ومثله قول لبـيد:

إلـى الـحَوْلِ ثُمّ اسْمُ السّلامِ عَلَـيْكُما

قال: وفسّر لنا أنه أراد: السَلام علـيكما قال أوس بن حَجَر:

وَقْتِلـي كِرَامٍ كمِثْلِ الـجُذُوعِتَغَشّاهُمْ سَبَلٌ مُنْهَمِرْ

قال: والـمعنى عندنا: كالـجذوع, لأنه لـم يزد أن يجعل للـجذوع مثلاً ثم يُشبه القتلـى به. قال: ومثله قول أُميّة:

زُحَلٌ وثَوْرٌ تَـحْتَ رِجْلِ يَـمِينِهِوالنّسْرُ للأُخْرَى وَلَـيْثٌ مُرْصَدُ

قال: فقال تـحت رجل يـمينه, كأنه قال: تـحت رجله أو تـحت رجله الـيـمنى قال: وقول لبـيد:

أضَلّ صِوَارَهُ وتَضَيّفَتْهُنَطوفٌ أمْرُها بِـيَده الشّمالِ

كأنه قال: أمرها بـالشّمال وإلـى الشّمال وقول لبـيد أيضا:

حتـى إذا ألْقَتْ يَدا فـي كافِرٍ

فكأنه قال: حتـى وقعت فـي كافر. وقال آخر منهم: هو الـمكفوف عن خبره, قال: والعرب تفعل ذلك. قال: وله معنى آخر: للذينَ استـجابُوا لِربّهِمُ الـحُسنَى مَثَلُ الـجنة موصول صفة لها علـى الكلام الأوّل.

قال أبو جعفر: وأولـى الأقوال فـي ذلك بـالصواب: أن يقال ذكر الـمثل, فقال مَثَل الـجنة, والـمراد الـجنة, ثم وصفت الـجنة بصفتها, وذلك أن مثلها إنـما هو صفتها ولـيست صفتها شيئا غيرها. وإذا كان ذلك كذلك, ثم ذكر الـمثل, فقـيـل: مثل الـجنة, ومثلها صفتها وصفة الـجنة, فكان وصفها كوصف الـمثل, وكان كأن الكلام جرى بذكر الـجنة, فقـيـل: الـجنة تـجري من تـحتها الأنهار, كما قال الشاعر:

أرَى مَرّ السّنِـينَ أخَذْنَ مِنّـيكمَا أخَذَ السّرارُ مِنَ الهِلالِ

فذكر الـمرّ, ورجع فـي الـخبر إلـى السنـين.

وقوله: أُكُلُها دائمٌ وظِلّها يعنـي: ما يؤكل فـيها. يقول: هو دائم لأهلها, لا ينقطع عنهم, ولا يزول ولا يبـيد, ولكنه ثابت إلـى غير نهاية. وظلها: يقول: وظلها أيضا دائم, لأنه لا شمس فـيها. تِلكَ عُقْبَى الّذِينَ اتّقَوْا يقول: هذه

الـجنة التـي وصف جلّ ثناؤه عاقبة الذين اتقوا الله, فـاجتنبوا معاصيه وأدّوا فرائضه.

وقوله: وَعُقْبَى الكافِرِينَ النّارُ يقول: وعاقبة الكافرين بـالله النار.

الآية : 36

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَالّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللّهَ وَلاَ أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ }.

يقول تعالـى ذكره: والذي أنزلنا إلـيهم الكتاب مـمن آمن بك واتبعك يا مـحمد يَفْرَحُونَ بِـما أُنْزِلَ إلَـيْكَ منه. وَمِنَ الأحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ يقول: ومن أهل الـملل الـمتـحزّبـين عـلـيك, وهم أهل أديان شتـى, من يُنكر بعض ما أنزل إلـيك, فقل لهم: إنّـمَا أُمِرْتُ أيها القول أنْ أعْبُدَ اللّهَ وحده دون ما سواه وَلا أُشْرِكَ بِهِ فأجعل له شريكا فـي عبـادتـي, فأعبد معه الآلهة والأصنام, بل أخـلص له الدين حنـيفـا مسلـما. إلَـيْهِ أدْعُو يقول: إلـى طاعته, وإخلاص العبـادة له أدعو الناس. وَإلَـيْهِ مآبِ يقول: وإلـيه مصيري, وهو مفعل من قول القائل: آب يَئُوب أوْبـا وَمآبـا.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

15560ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَالّذِينَ آتَـيْناهُمُ الكِتابَ يَفْرَحُونَ بِـمَا أُنْزِلَ إلَـيْكَ أولئك أصحاب مـحمد صلى الله عليه وسلم, فرحوا بكتاب الله وبرسوله وصدّقوا به قوله: وَمِنَ الأحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ يعنـي الـيهود والنصارى.

15561ـ حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا شبـابة, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: وَمِنَ الأحْزَابِ مَنْ يُنْكرُ بَعْضَهُ قال: من أهل الكتاب.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد مثله.

15562ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسن, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, عن مـجاهد, قوله: وَالّذِينَ آتَـيْناهُمُ الكِتابَ يَفْرَحُونَ بِـما أُنْزِلَ إلَـيْكَ وَمِنَ الأحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ من أهل الكتاب والأحزاب أهل الكُتب, تفريقهم لـحزبهم. قوله: وَإنْ يَأتِ الأحْزَابُ قال: لتـحزّبهم علـى النبـيّ صلى الله عليه وسلم, قال ابن جريج, وقال عن مـجاهد: يُنْكِرُ بَعضَهُ قال: بعض القرآن.

15563ـ حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحميد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: وَإلَـيْهِ مآبِ: وإلـيه مصير كلّ عبد.

15564ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: وَالّذِينَ آتَـيْناهُمُ الكِتابَ يَفْرَحُونَ بِـمَا أُنْزِلَ إلَـيْكَ قال: هذا من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب فـيفرحون بذلك. وقرأ: وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لا يُؤْمِنُ بِهِ. وفـي قوله: وَمنَ الأحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قال: الأحزاب: الأمـم الـيهود والنصارى والـمـجوس منهم من آمن به, ومنهم من أنكره.

الآية : 37

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً وَلَئِنِ اتّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيّ وَلاَ وَاقٍ }.

يقول تعالـى ذكره: وكما أنزلنا علـيك الكتاب يا مـحمد, فأنكره بعض الأحزاب, كذلك أيضا أنزلنا الـحكم والدين حكما عربـيا وجعل ذلك عربـيا, ووصفه به لأنه أنزل علـى مـحمد صلى الله عليه وسلم وهو عربـيّ, فنسب الدين إلـيه إذ كان علـيه أنزل, فكذّب به الأحزاب. ثم نهاه جلّ ثناؤه عن ترك ما أنزل إلـيه واتبـاع الأحزاب, وتهدده علـى ذلك إن فعله, فقال: ولئن اتبعت يا مـحمد أهواءهم, أهواء هؤلاء الأحزاب ورضاهم ومـحبتهم, وانتقلت من دينك إلـى دينهم, ما لك من يقـيك من عذاب الله إن عذّبك علـى اتبـاعك أهواءهم, وما لك من ناصر ينصرك فـيستنقذك من الله إن هو عاقبك, يقول: فـاحذر أن تتبع أهواءهم.

الآية : 38

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرّيّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاّ بِإِذْنِ اللّهِ لِكُلّ أَجَلٍ كِتَابٌ }.

يقول تعالـى ذكره: وَلَقَدْ أَرْسَلنا يا مـحمد رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ إلـى أمـم قد خـلَت من قبل أمتك فجعلناهم بشرا مثلك, لهم أزواج ينكحون, وذرّية أنسلوهم, ولـم نـجعلهم ملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون, فنـجعل الرسول إلـى قومك من الـملائكة مثلهم, ولكن أرسلنا إلـيهم بشرا مثلهم, كما أرسلنا إلـى مَن قبلهم من سائر الأمـم بشرا مثلهم. وَما كانَ لِرَسُولٍ أنْ يَأتِـيَ بآيَةٍ إلاّ بإذْنِ اللّهِ: يقول تعالـى ذكره: وما يقدر رسول أرسله الله إلـى خـلقه أن يأتـي أمته بآية وعلامة من تسيـير الـجبـال ونقل بلدة من مكان إلـى مكان آخر وإحياء الـموتـى ونـحوها من الآيات إلاّ بإذن الله, يقول: إلاّ بأمر الله الـجبـال بـالسير والأرض بـالانتقال, والـميتَ بأن يحيا. لِكُلّ أجَلٍ كِتابٌ يقول: لكلّ أجَل أمْرٍ قضاه الله كتاب قد كتبه, فهو عنده. وقد قـيـل: معناه: لكل كتاب أنزله الله من السماء أجل. ذكر من قال ذلك:

15565ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا إسحاق بن يوسف, عن جويبر, عن الضحاك, فـي قوله: لِكُلّ أجَلٍ كِتابٌ يقول: لكلّ كتاب ينزل من السماء أجل, فـيـمـحو الله من ذلك ما يشاء ويثبت, وعنده أم الكتاب.

قال أبو جعفر: وهذا علـى هذا القول نظير قول الله: وجاءَتْ سَكْرَةُ الـمَوْتِ بـالـحَقّ, وكان أبو بكر رضي الله عنه يقرأها: «وجاءت سكرة الـحقّ بـالـموت», وذلك أن سكرة الـموت تأتـي بـالـحقّ والـحقّ يأتـي بها, فكذلك الأجل به كتاب وللكتاب أجل.

الآية : 39

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {يَمْحُو اللّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمّ الْكِتَابِ }.

اختلف أهل التأويـل فـي تأويـل ذلك, فقال بعضهم: يـمـحو الله ما يشاء من أمور عبـاده, فـيغيرّه, إلاّ الشقاء والسعادة فإنهما لا يغيران. ذكر من قال ذلك:

15566ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا بحر بن عيسى, عن ابن أبـي لـيـلـى, عن الـمنهال, عن سعيد بن جبـير, عن ابن عبـاس, فـي قوله: يَـمْـحُو اللّهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أمّ الكِتابِ قال: يدبر الله أمر العبـاد فـيـمـحو ما يشاء, إلاّ الشقاءَ والسعادة والـموت.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا ابن أبـي لـيـلـى, عن الـمنهال بن عمرو, عن سعيد بن جبـير, عن ابن عبـاس, فـي قوله: يَـمْـحُو اللّهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ

وَعِنْدَهُ أُمّ الكِتابِ قال: كلّ شيء غير السعادة والشقاء, فإنهما قد فُرِغ منهما.

حدثنـي علـيّ بن سهل, قال: حدثنا يزيد, وحدثنا أحمد, قال حدثنا أبو أحمد, عن سفـيان, عن ابن أبـي لـيـلـى عن الـمنهال, عن سعيد بن جبـير, عن ابن عبـاس يقول:يَـمْـحُو اللّهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمّ الكِتابِ قال: إلاّ الشقاء والسعادة, والـموت والـحياة.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو نعيـم الفضل بن دكين وقبـيصة قالا: حدثنا سفـيان, عن ابن أبـي لـيـلـى, عن الـمنهال بن عمرو, عن سعيد بن جبـير, عن ابن عبـاس, مثله.

حدثنا عمرو بن علـيّ, قال: حدثنا وكيع, قال: حدثنا ابن أبـي لـيـلـى, عن الـمنهال بن عمرو, عن سعيد بن جبـير, عن ابن عبـاس, قوله: يَـمْـحُو اللّهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمّ الكِتابِ قال: قال ابن عبـاس: إلاّ الـحياة والـموت, والشقاء والسعادة.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: أخبرنا هشيـم, عن ابن أبـي لـيـلـى, عن الـمنهال بن عمرو, عن سعيد بن جبـير, عن ابن عبـاس, فـي قوله: يَـمْـحُو اللّهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمّ الكِتابِ قال: يقدر الله أمر السنة فـي لـيـلة القدر, إلاّ الشقاء والسعادة والـموت والـحياة.

15567ـ حدثنا عمرو بن علـيّ, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا سفـيان, عن منصور, عن مـجاهد, فـي قوله: يَـمْـحُو اللّهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ قال: إلاّ الـحياة والـموت والسعادة والشقاوة فإنهما لا يتغيران.

حدثنا عمرو قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا معاذ بن عقبة, عن منصور, عن مـجاهد, مثله.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفـيان, عن منصور, عن مـجاهد, مثله.

15568ـ قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفـيان, عن منصور, قال: قلت لـمـجاهد: إن كنتَ كتبتنـي سعيدا فأثبتنـي, وإن كنتَ كتبتنـي شقـيّا فـامـحنـي قال: الشقاء والسعادة قد فُرغ منهما.

15569ـ حدثنا أحمد, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفـيان, عن منصور, عن مـجاهد قال: حدثنا سعيد بن سلـيـمان, قال: حدثنا شريك, عن منصور, عن مـجاهد: يَـمْـحُو اللّهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ قال: ينزل الله كلّ شيء فـي السنة فـي لـيـلة القدر, فـيـمـحو ما يشاء من الآجال والأرزاق والـمقادير, إلاّ الشقاء والسعادة, فإنهما ثابتان.

15570ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, قال: سألت مـجاهدا فقلت أرأيت دعاء أحدنا يقول: اللهمّ إن كان اسمي فـي السعداء فأثبته فـيهم, وإن كان فـي الأشقـياء فـامـحُه واجعله فـي السعداء؟ فقال: حسن. ثم أتـيته بعد ذلك بحول أو أكثر من ذلك, فسألته عن ذلك, فقال: إنّا أنْزَلْناهُ فِـي لَـيْـلَةٍ مُبـارَكَةٍ إنّا كُنّا مُنْذِرِينَ فِـيها يُفْرَقُ كُلّ أمْرٍ حَكِيـمٍ قال: يُقْضَى فـي لـيـلة القدر ما يكون فـي السنة من رزق أو مصيبة, ثم يقدّم ما يشاء ويؤخّر ما يشاء. فأما كتاب الشقاء والسعادة فهو ثابت لا يغير.

وقال آخرون: معنى ذلك: أن الله يـمـحو ما يشاء ويُثبت من كتاب سوى أمّ الكتاب الذي لا يغير منه شيء. ذكر من قال ذلك:

15571ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا الـحجاج, قال: حدثنا حماد, عن سلـيـمان التـيـمي, عن عكرمة, عن ابن عبـاس أنه قال فـي هذه الآية: يَـمْـحُو اللّهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمّ الكِتابِ قال: كتابـان: كتاب يـمـحو منه ما يشاء ويثبت, وعنده أمّ الكتاب.

15572ـ حدثنا عمرو بن علـيّ, قال: حدثنا سهل بن يوسف, قال: حدثنا سلـيـمان التـيـمي, عن عكرمة, فـي قوله: يَـمْـحُو اللّهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمّ الكِتابِ قال: الكتاب كتابـان, كتاب يـمـحو الله منه ما يشاء ويثبت, وعنده أمّ الكتاب.

قال: حدثنا أبو عامر, قال: حدثنا حماد بن سلـمة, عن سلـيـمان التـيـميّ, عن عكرمة, عن ابن عبـاس بـمثله.

حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا الـمعتـمر بن سلـيـمان, عن أبـيه, عن عكرمة, قال: الكتاب كتابـان يَـمْـحُو اللّهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمّ الكِتابِ.

وقال آخرون: بل معنى ذلك أنه يـمـحو كلّ ما يشاء, ويثبت كلّ ما أراد. ذكر من قال ذلك:

15573ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا عثّام, عن الأعمش, عن شقـيق أنه كان يقول: اللهمّ إن كنت كتبتنا أشقـياء, فـامـحنا واكتبنا سعداء, وإن كنتَ كتبتنا سعداء فأثبتنا, فإنك تـمـحو ما تشاء وتثبت وعندك أمّ الكتاب.

15574ـ حدثنا عمرو, قال: حدثنا وكيع, قال: حدثنا الأعمش, عن أبـي وائل, قال: كان مـما يكثر أن يدعو بهؤلاء الكلـمات: اللهمّ إن كنت كتبتنا أشقـياء فـامـحنا واكتبنا سعداء, وإن كنت كتبتنا سعداء فأثبتنا, فإنك تـمـحو ما تشاء وتثبت وعندك أمّ الكتاب.

15575ـ قال: حدثنا معاذ بن هشام, قال: حدثنا أبـي, عن أبـي حكيـمة, عن أبـي عثمان النهديّ, أن عمر بن الـخطاب قال وهو يطوف بـالبـيت ويبكي: اللهمّ إن كنتَ كتبتَ علـيّ شِقوة أو ذنبـا فـامـحه, فإنك تـمـحو ما تشاء وتثبت. وعندك أمّ الكتاب, فـاجعله سعادة ومغفرة.

قال: حدثنا معتـمر, عن أبـيه, عن أبـي حكيـمة, عن أبـي عثمان, قال: وأحسبنـي قد سمعته من أبـي عثمان, مثله.

قال: حدثنا أبو عامر, قال: حدثنا قرة بن خالد, عن عِصْمة أبـي حكيـمة, عن أبـي عثمان النهديّ, عن عمر رضي الله عنه, مثله.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا الـحجاج, قال: حدثنا حماد, قال: حدثنا أبو حكيـمة, قال: سمعت أبـا عثمان النهدي, قال: سمعت عمر بن الـخطّاب رضي الله عنه يقول وهو يطوف بـالكعبة: اللهمّ إن كنتَ كتبتنـي فـي أهل السعادة فأثبتنـي فـيها, وإن كنت كتبت علـيّ الذنب والشقوة فـامـحنـي وأثبتنـي فـي أهل السعادة, فإنك تـمـحو ما تشاء وتثبت, وعندك أمّ الكتاب.

15576ـ قال: حدثنا الـحجاج بن الـمنهال, قال: حدثنا حماد, عن خالد الـحذّاء, عن أبـي قِلابة, عن ابن مسعود, أنه كان يقول: اللهمّ إن كنت كتبتنـي فـي أهل الشقاء فـامـحنـي وأثبتنـي فـي أهل السعادة.

15577ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: يَـمْـحُو اللّهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمّ الكِتابِ يقول: وهو الرجل يعمل الزمان بطاعة الله, ثم يعود لـمعصية الله فـيـموت علـى ضلاله, فهو الذي يـمـحو. والذي يثبت: الرجل

يعمل بـمعصية الله, وقد كان سبق له خير حتـى يـموت, وهو فـي طاعة الله, فهو الذي يثبت.

15578ـ حدثنا أحمد, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا شريك, عن هلال بن حميد, عن عبد الله بن عُكَيْـم, عن عبد الله, أنه كان يقول: اللهمّ إن كنتَ كتبتنـي فـي السعداء فأثبتنـي فـي السعداء, فإنك تـمـحو ما تشاء وتثبت, وعندك أم الكِتابِ.

15579ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا الـحجاج, قال: حدثنا حماد, عن أبـي حمزة, عن إبراهيـم, أن كعبـا قال لعمر رضي الله عنه: يا أمير الـمؤمنـين, لولا آية فـي كتاب الله لأنبأتك ما هو كائن إلـى يوم القـيامة, قال: وما هي؟ قال: قول الله: يَـمْـحُو اللّهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُم الكِتابِ.

15580ـ حُدثت من الـحسين, قال: سمعت أبـا معاذ يقول: حدثنا عبـيد, قال: سمعت الضحاك يقول فـي قوله: لِكُلّ أجَلِ كِتاب... الآية, يقول: يَـمْـحُو اللّهُ ما يَشاءُ يقول: أنسخ ما شئتُ, وأصنع من الأفعال ما شئت, إن شئت زدت فـيها, وإن شئتُ نقصتُ.

15581ـ حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا عفـان, قال: حدثنا همام, قال: حدثنا الكلبـي, قال: يَـمْـحُو اللّهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ قال: يـمـحو من الرزق ويزيد فـيه, ويـمـحي من الأجل ويزيد فـيه. قلت: من حدّثك؟ قال: أبو صالـح, عن جابر بن عبد الله بن رئاب الأنصاري, عن النبـيّ صلى الله عليه وسلم. فقدم الكلبـيّ بعد, فسئُل عن هذه الآية: يَـمْـحُو اللّهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ قال: يكتب القول كله, حتـى إذا كان يوم الـخميس طرح منه كلّ شيء لـيس فـيه ثواب ولا علـيه عقاب, مثل قولك: أكلت, شربت, دخـلت, خرجت, ونـحو ذلك من الكلام, وهو صادق, ويُثبت ما كان فـيه الثواب وعلـيه العقاب.

15582ـ حدثنا الـحسن, قال: حدثنا عبد الوهاب, قال: سمعت الكلبـي, عن أبـي صالـح نـحوه, ولـم يجاوز أبـا صالـح. وقال آخرون: بل معنى ذلك: بل معنى ذلك: أن الله ينسخ ما يشاء من أحكام كتابه, ويثبت ما يشاء منها فلا ينسخه. ذكر من قال ذلك:

15583ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالـح, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس: يَـمْـحُو اللّهُ ما يَشاءُ قال: من القرآن. يقول: يبدّل الله ما يشاء فـينسخه, ويُثبت ما يشاء فلا يبدّله. وَعِنْدَهُ أُمّ الكِتابِ يقول: وجملة ذلك عنده فـي أمّ الكتاب: الناسخ والـمنسوخ, وما يُبدل, وما يثبت, كل ذلك فـي كتاب.

15584ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: يَـمْـحُو اللّهُ ما يَشاءُ ويُثْبِتُ هي مثل قوله: ما نَنْسَخْ منْ آيَةٍ أوْ نُنْسِها نَأتِ بِخَيْرٍ مِنْها أوْ مِثْلِها, وقوله: وَعِنْدَهُ أُمّ الكِتابِ: أي جملة الكتاب وأصله.

15585ـ حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: يَـمْـحُو اللّهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ ما يشاء, وهو الـحكيـم. وَعِنْدَهُ أُمّ الكِتابِ وأصله.

15586ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: يَـمْـحُو اللّهُ ما يَشاءُ بما ينزل علـى الأنبـياء, وَيُثْبِتُ ما يشاء مـما ينزل علـى الأنبـياء. قال: وَعِنْدَهُ أُمّ الكِتابِ لا يغير ولا يبدّل.

15587ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, قال: قال ابن جريج: يَـمْـحُو اللّهُ ما يَشاءُ قال: ينسخ. قال: وَعِنْدَهُ أُمّ الكِتابِ قال: الذكر.

وقال آخرون: معنى ذلك أنه يـمـحو من قد حان أجله, ويثبت من لـم يجىءْ أجله إلـى أجله. ذكر من قال ذلك:

15588ـ حدثنا مـحمد بن بشار, قال: حدثنا ابن أبـي عديّ, عن عوف, عن الـحسن, فـي قوله: يَـمْـحُو اللّهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمّ الكِتابِ يقول: يـمـحو من جاء أجله فذهب, والـمثبت الذي هو حيّ يجري إلـى أجله.

حدثنا عمرو بن علـيّ, قال: حدثنا يحيى, قال: حدثنا عوف, قال: سمعت الـحسن: يَـمْـحُو اللّهُ ما يَشاءُ قال: من جاء أجله. وَيُثْبتُ قال: من لـم يجىء أجله إلـى أجله.

حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا هوذة, قال: حدثنا عوف, عن الـحسن, نـحو حديث ابن بشّار.

قال: حدثنا عبد الوهاب بن عطاء, قال: أخبرنا سعيد, عن قتادة, عن الـحسن, فـي قوله: لِكُلّ أجَلٍ كِتابٌ قال: آجال بنـي آدم فـي كتاب. يَـمْـحُو اللّهُ ما يَشاءُ من أجله وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمّ الكِتابِ.

15589ـ قال: حدثنا شبـابة, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قول الله: يَـمْـحُو اللّهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ قالت قريش حين أُنزل: وَما كانَ لِرَسُولٍ أنْ يَأتِـيَ بآيَةٍ إلاّ بإذْنِ اللّهِ ما نراك يا مـحمد تـملك من شيء, ولقد فرغ من الأمر. فأنزلت هذه الآية تـخويفـا ووعيدا لهم: إنا إن شئنا أحدثنا له من أمرنا ما شئنا, ونـحدث فـي كلّ رمضان, فنـمـحو ونُثبت ما نشاء من أرزاق الناس ومصائبهم, وما نعطيهم, وما نقسم لهم.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد نـحوه.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, عن مـجاهد, نـحوه.

وقال آخرون: معنى ذلك: ويغفر ما يشاء من ذنوب عبـاده, ويترك ما يشاء فلا يغفر. ذكر من قال ذلك:

15590ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عمرو, عن عطاء, عن سعيد, فـي قوله يَـمْـحُو اللّهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ قال: يثبت فـي البطن الشقاء والسعادة وكلّ شيء, فـيغفر منه ما يشاء ويؤخر ما يشاء.

وأولـى الأقوال التـي ذكرت فـي ذلك بتأويـل الآية, وأشبهها بـالصواب, القول الذي ذكرناه عن الـحسن ومـجاهد وذلك أن الله تعالـى ذكره توعد الـمشركين الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات بـالعقوبة وتهدّدهم بها وقال لهم: وَما كانَ لرَسُولٍ أنْ يَأتِـيَ بآيَةٍ إلاّ بإذْنِ اللّهِ لكُلّ أجَلٍ كتابٌ يعلـمهم بذلك أن لقضائه فـيهم أجلاً مثبتا فـي كتاب هم مؤخرون إلـى وقت مـجيء ذلك الأجل, ثم قال لهم: فإذا جاء ذلك الأجل يجيء الله بـما شاء مـمن قد دنا أجله وانقطع رزقه أو حان هلاكه أو اتضاعه, من رفعة أو هلاك مال, فـيقضي ذلك فـي خـلقه, فذلك مـحوه. ويُثبت ما شاء مـمن بقـي أجله ورزقه وأكْله, فـيتركه علـى ما هو علـيه فلا يـمـحوه. وبهذا الـمعنى جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ما:

15591ـ حدثنـي مـحمد بن سهل بن عسكر, قال: حدثنا ابن أبـي مريـم, قال: حدثنا اللـيث بن سعد, عن زيادة بن مـحمد, عن مـحمد بن كعب القرظي, عن فضالة بن عبـيد, عن أبـي الدرداء, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّ اللّهَ يَفْتَـحُ الذّكْرَ فِـي ثَلاثِ ساعاتٍ يَبْقـينَ منَ اللّـيْـلِ, فِـي السّاعَةِ الأُولـى منْهُنّ يَنْظُرُ فِـي الكتابِ الّذِي لا يَنْظُرُ فـيهِ أحَدٌ غيرُهُ, فَـيَـمْـحُو ما يَشاءُ ويُثْبتُ» ثم ذكر ما فـي الساعتـين الآخرتـين.

حدثنا موسى بن سهل الرملـي, قال: حدثنا آدم, قال: حدثنا اللـيث, قال: حدثنا زيادة بن مـحمد, عن مـحمد بن كعب القرظي, عن فضالة بن عبـيد, عن أبـي الدرداء, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّ اللّهَ يَنْزِلُ فِـي ثَلاثِ ساعاتٍ يَبْقـيْنَ منَ اللّـيْـلِ, يَفْتَـحُ الذّكْرَ فِـي السّاعَةِ الأُولـى الّذِي لَـمْ يَرَهُ أحَدٌ غيرُهُ, يَـمْـحُو ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ ما يَشاءُ».

15592ـ حدثنـي مـحمد بن سهل بن عسكر, قال: حدثنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا ابن جريج, عن عطاء, عن ابن عبـاس, قال: إن لله لوحا مـحفوظا مسيرة خمس مئة عام, من ذرّة بـيضاء لها دفتان من ياقوت, والدفتان لوحان لله, كل يوم ثلاث مئة وستون لـحظة, يـمـحو ما يشاء ويثبت وعنده أمّ الكتاب.

15593ـ حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, قال: حدثنا الـمعتـمر بن سلـيـمان, عن أبـيه, قال: ثنـي رجل, عن أبـيه, عن قـيس بن عبـاد, أنه قال: العاشر من رجب هو يوم يـمـحو الله فـيه ما يشاء.

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: «وَعِنْدَهُ أُمّ الكتابِ».

اختلف أهل التأويـل فـي تأويـل قوله: وَعِنْدَهُ أُمّ الكِتابِ فقال بعضهم: معناه: وعنده الـحلال والـحرام. ذكر من قال ذلك:

15594ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا مسلـم بن إبراهيـم, قال: حدثنا مـحمد بن عقبة, قال: حدثنا مالك بن دينار, قال: سألت الـحسن: قلت: أُمّ الكِتابِ؟ قال: الـحلال والـحرام, قال: قلت: فما الـحمد لله رب العالـمين؟ قال: هذه أمّ القرآن.

وقال آخرون: معناه: وعنده جملة الكتاب وأصله. ذكر من قال ذلك:

15595ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَعِنْدَهُ أُمّ الكِتابِ قال: جملة الكتاب وأصله.

حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة, مثله.

15596ـ حُدثت عن الـحسين, قال: سمعت أبـا معاذ يقول: حدثنا عبـيد, قال: سمعت الضحاك يقول فـي قوله: وَعِنْدَهُ أُمّ الكِتابِ قال: كتاب عند ربّ العالـمين.

15597ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا إسحاق بن يوسف, عن جويبر, عن الضحاك: وَعِنْدَهُ أُمّ الكِتابِ قال: جملة الكتاب وعلـمه يعنـي بذلك ما ينسخ منه وما يثبت.

15598ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو صالـح, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس: وَعِنْدَهُ أُمّ الكِتابِ يقول: وجملة ذلك عنده فـي أمّ الكتاب: الناسخ والـمنسوخ, وما يبدل, وما يثبت, كلّ ذلك فـي كتاب.

وقال آخرون فـي ذلك, ما:

15599ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا معتمر بن سليمان, عن أبيه, عن شيبان, عن ابن عباس, أنه سأل كعبا عن أمّ الكتاب, قال: علم الله ما هو خالق وما خلقه عاملون, فقال لعلمه: كن كتابا فكان كتابا.

وقال آخرون: هو الذّكْرُ. ذكر من قال ذلك:

15600ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج قال أبو جعفر: لا أدري فيه ابن جريج أم لا قال: قال ابن عباس: وَعِنْدَهُ أُمّ الكِتابِ قال: الذكر.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: وعنده أصل الكتاب وجملته وذلك أنه تعالى ذكره أخبر أنه يمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء, ثم عقب ذلك بقوله: وَعِنْدَهُ أُمّ الكِتابِ فكان بيّنا أن معناه: وعنده أصل المثبَت منه والممحو, وجملته في كتاب لديه.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: وَيُثْبِتُ فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والكوفة: «ويُثَبّتُ» بتشديد الباء بمعنى: ويتركه ويقره على حاله, فلا يمحوه. وقرأه بعض المكيين وبعض البصريين وبعض الكوفيين: ويُثْبِتُ بالتخفيف, بمعنى: يكتب, وقد بيّنا قبل أن معنى ذلك عندنا: إقراره مكتوبا وترك محوه على ما قد بيّنا, فإذا كان ذلك كذلك فالتثبيت به أولى, والتشديد أصوب من التخفيف, وإن كان التخفيف قد يحتمل توجيهه في المعنى إلى التشديد والتشديد إلى التخفيف, لتقارب معنييهما.

وأما المحْو, فإن للعرب فيه لغتين: فأما مضر فإنها تقول: محوت الكتاب أمحوه محوا, وبه التنزيل, ومحوته أمحاه محوا. وذُكر عن بعض قبائل ربيعة: أنها تقول: محيت أمْحَى.

الآية : 40

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِن مّا نُرِيَنّكَ بَعْضَ الّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفّيَنّكَ فَإِنّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وإما نرينك يا محمد في حياتك بعض الذي نعد هؤلاء المشركين بالله من العقاب على كفرهم, أو نتوفيّنك قبل أن نريك ذلك, فإنما عليك أن تنتهي إلى طاعة ربك فيما أمرك به من تبليغهم رسالته, لا طلب صلاحهم ولا فسادهم, وعلينا محاسبتهم فمجازاتهم بأعمالهم, إن خيرا فخير وإن شرّا فشرّ.

الآية : 41

القول في تأويل قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنّا نَأْتِي الأرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللّهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ }.

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك, فقال بعضهم: معناه: أو لم ير هؤلاء المشركون من أهل مكة الذين يسألون محمدا الآيات, أنا نأتي الأرض فنفتحها له أرضا بعد أرض حوالي أرضهم, أفلا يخافون أن نفتح له أرضهم كما فتحنا له غيرها. ذكر من قال ذلك:

15601ـ حدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا محمد بن الصباح, قال: حدثنا هشيم, عن حصين, عن عكرمة, عن ابن عباس, في قوله: أنّا نَأْتِي الأرْضَ نَنْقُصُها منْ أطْرَافها قال: أو لم يروا أنا نفتح لمحمد الأرض بعد الأرض.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس قوله: أو لَمْ يَرَوْا أنّا نَأتِي الأرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أطْرَافِها يعني بذلك: ما فتح الله على محمد, يقول: فذلك نقصانها.

15602ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سلمة بن نبيط, عن الضحاك, قال: ما تغلبت عليه من أرض العدوّ.

15603ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, قال: كان الحسن يقول في قوله: أو لَمْ يَرَوْا أنّا نَأتِي الأرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أطْرَافِها فهو ظهور المسلمين على المشركين.

15604ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ, قال: حدثنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: أو لَمْ يَرَوْا أنّا نَأتِي الأرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أطْرَافِها يعني أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان ينتقص له ما حوله من الأرضين, ينظرون إلى ذلك فلا يعتبرون, قال الله في سورة الأنبياء: نَأتِي الأرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أطْرَافِها أفَهُمُ الغالِبُونَ بل نبيّ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه هم الغالبون.

وقال آخرون: بل معناه: أو لم يروا أنا نأتي الأرض فنخرّبها, أو لا يخافون أن نفعل بهم وبأرضهم مثل ذلك فنهلكهم ونخرب أرضهم. ذكر من قال ذلك:

15605ـ حدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا عليّ بن عاصم, عن حصين بن عبد الرحمن, عن عكرمة, عن ابن عباس, في قوله: أنّا نَأتِي الأرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أطْرَافِها قال: أو لَمْ يَرَوْا إلى القرية تخرب حتى يكون العمران في ناحية.

15606ـ قال: حدثنا حجاج بن محمد, عن ابن جريج, عن الأعرج, أنه سمع مجاهدا يقول: نَأتِي الأرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أطْرَافِها قال: خرابها.

15607ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن الأعرج, عن مجاهد, مثله. قال: وقال ابن جريج: خرابها وهلاك الناس.

15608ـ حدثنا أحمد, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا إسرائيل, عن أبي جعفر الفراء, عن عكرمة, قوله: أو لَمْ يَرَوْا أنّا نَأتِي الأرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أطْرَافِها قال: نخرّب من أطرافها.

وقال آخرون: بل معناه: ننقص من بركتها وثمرتها وأهلها بالموت. ذكر من قال ذلك:

15609ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: ننْقُصُها منْ أطْرَافها يقول: نقصان أهلها وبركتها.

15610ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن ليث, عن مجاهد, في قوله: نَنْقُصها منْ أطْرَافها قال: في الأنفس وفي الثمرات, وفي خراب الأرض.

15611ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن طلحة القناد, عمن سمع الشعبي, قال: لو كانت الأرض تنقص لضاق عليك حُشّك, ولكن تنقص الأنفس والثمرات.

وقال آخرون: معناه: أنا نأتي الأرض ننقصها من أهلها, فنتطرّفهم بأخذهم بالموت. ذكر من قال ذلك:

15612ـ حدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا شبابة, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: نَنْقُصُها منْ أطْرافها قال: موت أهلها.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يحيى, عن سفيان, عن منصور, عن مجاهد: أَلَمْ يَرَوْا أنّا نَأتِي الأرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أطْرَافِها قال: الموت.

15613ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا مسلم بن إبراهيم, قال: حدثنا هارون النحوي, قال: حدثنا الزبير بن الحرث عن عكرمة, في قوله: نَنْقُصُها مِنْ أطْرَافِها قال: هو الموت. ثم قال: لو كانت الأرض تنقص لم نجد مكانا نجلس فيه.

15614ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: نَأتِي الأرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أطْرَافِها قال: كان عكرمة يقول: هو قبض الناس.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: سئل عكرمة عن نقص الأرض, قال: قبض الناس.

15615ـ حدثني الحارث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا جرير بن حازم, عن يعلى بن حكيم, عن عكرمة, في قوله: أو لَمْ يَرَوْا أنّا نَأتِي الأرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أطْرَافِها قال: لو كان كما يقولون لما وجد أحدكم جبّا يخرأ فيه.

15616ـ حدثنا الفضل بن الصباح, قال: حدثنا إسماعيل بن علية, عن أبي رجاء, قال: سئل عكرمة وأنا أسمع عن هذه الآية: أو لَمْ يَرَوْا أنّا نَأتِي الأرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أطْرَافِها قال: الموت.

وقال آخرون: ننقصها من أطرافها بذهاب فقهائها وخيارها. ذكر من قال ذلك:

15617ـ حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا طلحة بن عمرو, عن عطاء, عن ابن عباس, قال: ذهاب علمائها وفقهائها وخيار أهلها.

قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا عبد الوهاب, عن مجاهد, قال: موت العلماء.

وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب, قول من قال: أو لَمْ يَرَوْا أنّا نَأتِي الأرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أطْرَافِها بظهور المسلمين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم عليها وقهرهم أهلها, أفلا يعتبرون بذلك فيخافون ظهورهم على أرضهم وقهرهم إياهم؟ وذلك أن الله توعد الذين سألوا رسوله الآيات من مُشركي قومه بقوله: وإمّا نُرِيَنّكَ بَعْضَ الّذِيَ نَعِدُهُمْ أوْ نَتَوَفّيَنّكَ فإنّما عَلَيْكَ البَلاغُ وَعَلَيْنا الحسابُ. ثم وبخهم تعالى ذكره بسوء اعتبارهم ما يعاينون من فعل الله بضوبائهم من الكفار, وهم مع ذلك يسألون الآيات, فقال: أو لَمْ يَرَوْا أنّا نَأتِي الأرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أطْرَافِها بقهر أهلها, والغلبة عليها من أطرافها وجوانبها, وهم لا يعتبرون بما يرون من ذلك.

وأما قوله: واللّهُ يَحْكُمُ لا مُعَقّبَ لِحُكْمِهِ يقول: والله هو الذي يحكم فينفذ حكمه, ويقضي فيمضي قضاؤه, وإذا جاء هؤلاء المشركين بالله من أهل مكة حكم الله وقضاؤه لم يستطيعوا ردّه. ويعني بقوله: لا مُعَقّبَ لِحُكْمِهِ: لا رادّ لحكمه, والمعقّب في كلام العرب: هو الذي يَكُرّ على

الشيء, وقوله: وَهُوَ سَرِيعُ الـحِسابِ يقول: والله سريع الـحساب يحصي أعمال هؤلاء الـمشركين لا يخفـي علـيه شيء ومن وراء جزائهم علـيها.

الآية : 42

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَقَدْ مَكَرَ الّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلّهِ الْمَكْرُ جَمِيعاً يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدّارِ }.

يقول تعالـى ذكره: قد مكر الذين من قبل هؤلاء الـمشركين من قريش من الأمـم التـي سلفت بأنبـياء الله ورسله فللّه الـمَكْرُ جَمِيعا يقول: فللّه أسبـاب الـمكر جميعا, وبـيده وإلـيه, لا يضرّ مكر من مكر منهم أحدا إلاّ من أراد ضرّه به, يقول: فلـم يضرّ الـماكرون بـمكرهم إلاّ من شاء الله أن يضرّه ذلك, وإنـما ضرّوا به أنفسهم لأنهم أسخطوا ربهم بذلك علـى أنفسهم حتـى أهلكهم, ونـجى رسله: يقول: فكذلك هؤلاء الـمشركون من قريش يـمكرون بك يا مـحمد, والله منـجيك من مكرهم, ومُلـحق ضرّ مكرهم بهم دونك. وقوله: يَعْلَـمُ ما تَكْسِبُ كُلّ نَفْسٍ يقول: يعلـم ربك يا مـحمد ما يعمل هؤلاء الـمشركون من قومك وما يَسْعونَ فـيه من الـمكر بك, ويعلـم جميع أعمال الـخـلق كلهم, لا يخفـى علـيه شيء منها. وَسَيَعْلَـمُ الكُفّـارُ لـمَنْ عُقْبَى الدّارِ يقول: وسيعلـمون إذا قدموا علـى ربهم يوم القـيامة لـمن عاقبة الدار الآخرة حين يدخـلون النار, ويدخـل الـمؤمنون بـالله ورسوله الـجنة.

واختلفت القرّاء فـي قراءة ذلك, فقرأته قرّاء الـمدينة وبعض أهل البصرة: «وَسَيَعْلَـمُ الكافِرُ» علـى التوحيد. وأما قرّاء الكوفة فإنهم قرءوه: وَسَيَعْلَـمُ الكُفّـارُ علـى الـجمع.

والصواب من القراءة فـي ذلك القراءة علـى الـجمع: وسَيَعْلَـمُ الكُفّـارُ لأن الـخبر جرى قبل ذلك عن جماعتهم, وأتبع بعده الـخبر عنهم, وذلك قوله: وإمّا نُرِيَنّكَ بَعْضَ الّذِي نَعِدُهُمْ أوْ نَتَوَفّـيَنّكَ وبعده قوله: وَيَقولُ الّذِينَ كَفَروا لَسْتَ مُرْسَلاً. وقد ذكر أنها فـي قراءة ابن مسعود: «وَسَيَعْلَـمَ الكافِرُون», وفـي قراءة أبـيّ: «وَسَيَعْلَـمُ الّذِينَ كَفَرُوا» وذلك كله دلـيـل علـى صحة ما اخترنا من القراءة فـي ذلك.

الآية : 43

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَيَقُولُ الّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَىَ بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ }.

يقول تعالـى ذكره وَيَقُولُ الّذِينَ كَفَرُوا بـالله من قومك يا مـحمد لَسْتَ مُرْسَلاً تكذيبـا منهم لك, وجحودا لنبوّتك. فَقُلْ لهم إذا قالوا ذلك: كَفَـى بـاللّهِ يقول: قل حسبـي الله شَهِيدًا, يعنـي شاهدا, بَـيْنِـي وَبَـيْنَكُمْ علـيّ وعلـيكم بصدقـي وكذبكم, وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْـم الكِتابِ فمن إذا قرىء به كذلك فـي موضع خفض عطفـا به علـى اسم الله, وكذلك قرأ قرأة الأمصار بـمعنى: والذين عندهم علـم الكتاب الكتب التـي نزلت قبل القرآن كالتوراة والإنـجيـل. وعلـى هذه القراءة فسّر ذلك الـمفسرون. ذكر الرواية بذلك:

15618ـ حدثنـي علـي بن سعيد الكندي, قال: حدثنا أبو مـحياة يحيى بن يعلـى, عن عبد الـملك بن عمير, عن ابن أخي عبد الله بن سلام, قال: قال عبد الله بن سلام: نزلت فـيّ: كَفَـى بـاللّهِ شَهِيدًا بَـيْنِـي وَبَـيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْـمُ الكِتابِ.

حدثنا الـحسين بن علـيّ الصدائي, قال: حدثنا أبو داود الطيالسي, قال: حدثنا شعيب بن صفوان, قال: حدثنا عبد الـملك بن عمير, أن مـحمد بن يوسف بن عبد الله بن سلام, قال: قال عبد الله بن سلام: أنزل فـيّ: قُلْ كَفَـى بـاللّهِ شَهِيدًا بَـيْنِـي وَبَـيْنَكُمْ وَمِنْ عِنْدَهُ عِلْـمُ الكِتابِ.

15619ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: قُلْ كَفَـى بـاللّهِ شَهِيدًا بَـيْنِـي وَبَـيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْـمُ الكِتابِ فـالذين عندهم علـم الكتاب: هم أهل الكتاب من الـيهود والنصارى.

15620ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا الأشجعي, عن سفـيان, عن لـيث, عن مـجاهد: وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْـمُ الكِتابِ قال: هو عبد الله بن سلام.

15621ـ حدثنـي يعقوب بن إبراهيـم, قال: حدثنا هشيـم, قال: أخبرنا إسماعيـل بن أبـي خالد, عن أبـي صالـح, فـي قوله: وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْـمُ الكِتابِ قال: رجل من الإنس, ولـم يسمه.

حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا شبـابة, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْـمُ الكِتابِ عبد الله بن سلام.

15622ـ قال: حدثنا يحيى بن عبـاد, قال: حدثنا شعبة, عن الـحكم, عن مـجاهد: وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْـمُ الكِتابِ.

15623ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَيَقُولُ الّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قال: قول مشركي قريش: قُلْ كَفَـى بـاللّهِ شَهِيدًا بَـيْنِـي وَبَـيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْـمُ الكِتابِ أناس من أهل الكتاب كانوا يشهدون بـالـحقّ ويقرّون به, ويعلـمون أن مـحمدا رسول الله, كما يحدّث أن منهم عبد الله بن سلام.

15624ـ حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن قتادة: وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْـمُ الكِتابِ قال: كان منهم عبد الله بن سلام, وسلـمان الفـارسيّ, وتـميـم الداريّ.

15625ـ حدثنا الـحسن, قال: حدثنا عبد الوهاب, عن سعيد, عن قتادة: وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْـمُ الكِتابِ قال هو عبد الله بن سلام.

وقد ذُكر عن جماعة من الـمتقدمين أنهم كانوا يقرءونه: «وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِـمَ الكِتابُ» بـمعنى: من عند الله علـم الكتاب. ذكر من ذُكر ذلك عنه:

15626ـ حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا عبد الوهاب بن عطاء, عن هارون, عن جعفر بن أبـي وحشية, عن سعيد بن جبـير, عن ابن عبـاس: «وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِـمَ الكِتابُ» يقول: من عند الله عُلِـم الكتاب.

15627ـ حدثنـي مـحمد بن الـمثنى, قال: حدثنا مـحمد بن جعفر, عن شعبة, عن الـحكم, عن مـجاهد: «وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِـمَ الكِتابُ» قال: من عند الله.

قال: حدثنا ابن أبـي عديّ, عن شعبة, عن الـحكم, عن مـجاهد: «وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِـمَ الكِتابُ» قال: من عند الله علـم الكتاب.

15628ـ وقد حدثنا هذا الـحديث الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا شبـابة, قال: حدثنا شعبة, عن الـحكم, عن مـجاهد: «وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِـمَ الكِتابُ» قال: هو الله, هكذا قرأ الـحسن: «وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِـمَ الكِتابُ».

قال: حدثنا شعبة, عن منصور بن زاذان, عن الـحسن, مثله.

قال: حدثنا علـيّ, يعنـي ابن الـجعد, قال: حدثنا شعبة, عن منصور بن زاذان, عن الـحسن: «وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِـمَ الكِتابُ» قال: الله, قال شعبة: فذكرت ذلك للـحكم, فقال: قال مـجاهد, مثله.

حدثنا ابن الـمثنى, قال: حدثنا مـحمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, قال: سمعت منصور بن زاذان يحدّث عن الـحسن, أنه قال فـي هذه الآية: «وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِـمَ الكِتابُ» قال: من عند الله.

قال: حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا هوذة, قال: حدثنا عوف, عن الـحسن: «وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِـمَ الكِتابُ» قال: من عند الله علـم الكتاب.

حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن الـحسن: «وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِـمَ الكِتابُ» قال: من عند الله علـم الكتاب, هكذا قال ابن عبد الأعلـى.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: كان الـحسن يقرؤها: «قُلْ كَفَـى بـاللّهِ شَهِيدًا بَـيْنِـي وَبَـيْنَكُمْ وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِـمَ الكتابُ» يقول: من عند الله علـم الكتاب, وجملته.

هكذا حدثنا به بشر: علـم الكتاب, وأنا أحسبه وَهَم فـيه, وأنه: «وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِـمَ الكِتابُ» لأن قوله وجملته اسم لا يعطف بـاسم علـى فعل ماض.

15629ـ حدثنا الـحسن, قال: حدثنا عبد الوهاب, عن هارُون: «وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِـمَ الكِتابُ» يقول: من عند الله علـم الكتاب.

15630ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا الـحجاج بن الـمنهال, قال: حدثنا أبو عوانة, عن أبـي بشر, قال: قلت لسعيد بن جبـير: «وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِـمَ الكِتابُ» أهو عبد الله بن سلام؟ قال: هذه السورة مكية, فكيف يكون عبدَ الله بن سلام؟ قال: وكان يقرؤها: «وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِـمَ الكِتابُ» يقول: من عند الله.

حدثنا الـحسن, قال: حدثنا سعيد بن منصور, قال: حدثنا أبو عوانة, عن أبـي بشر, قال: سألت سعيد بن جبـير, عن قول الله: «وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِـمَ الكِتابُ» أهو عبد الله بن سلام؟ قال: فكيف وهذه السورة مكية. وكان سعيد يقرؤها: «وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِـمَ الكِتابُ».

15631ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي عبـاد, عن عوف, عن الـحسن وجويبر, عن الضحاك بن مزاحم, قالا: «وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِـمَ الكِتابُ» قال: من عند الله.

وقد رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر بتصحيح هذه القراءة وهذا التأويـل, غير أن فـي إسناده نظرا, وذلك ما:

15632ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي عبـاد بن العوّام, عن هارون الأعور, عن الزهريّ, عن سالـم بن عبد الله, عن أبـيه, عن النبـيّ صلى الله عليه وسلم أنه قرأ: «وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِـمَ الكِتابُ» عند الله علـم الكتاب.

وهذا خبر لـيس له أصل عند الثقات من أصحاب الزهريّ.

فإذا كان ذلك كذلك وكانت قرّاء الأمصار من أهل الـحجاز والشام والعراق علـى القراءة الأخرى, وهي: وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْـمُ الكِتابِ كان التأويـل الذي علـى الـمعنى الذي علـيه قرّاء الأمصار أولـى بـالصواب مـمن خالفه, إذ كانت القراءة بـما هم علـيه مـجمعون أحقّ بـالصواب.

سورة إبراهيم

سُورَة إبْرَاهِيـم مَكِيّة
وَآيَاتهَا ثْنتانِ وَخمُسونَ

بِسْمِ اللّهِ الرّحْمَنِ الرّحِيـمِ

الآية : 1

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْـكَ لِتُخْـرِجَ النّـاسَ مِـنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النّورِ بِإِذْنِ رَبّهِمْ إِلَىَ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ }.

قال أبو جعفر الطبري: قد تقدم منا البيان عن معنى قوله: الر فـيـما مضى بـما أغنى عن إعادته فـي هذا الـموضع.

وأما قوله: كِتابٌ أنْزَلْناهُ إلَـيْكَ فإن معناه: هذا كتاب أنزلناه إلـيك يا مـحمد يعنـي القرآن. لِتُـخْرِجَ النّاسَ مِنَ الظّلُـماتِ إلـى النّورِ يقول: لتهديهم به من ظلـمات الضلالة والكفر إلـى نور الإيـمان وضـيائه, وتبصّـر بـه أهـل الـجهل والعمّى سبل الرشاد والهُدى.

وقوله: بإذْنِ رَبّهِمْ يعنـي: بتوفـيق ربهم لهم بذلك ولطفه بهم. إلـى صراطِ العَزِيزِ الـحَمِيدِ يعنـي: إلـى طريق الله الـمستقـيـم, وهو دينه الـذي ارتضـاه وشرعه لـخـلقه. والـحميد: فعيـل, صُرف من مفعول إلـى فعيــل, ومعنـاه: الـمـحمود بآلائه, وأضاف تعالـى ذكـره إخـراج النـاس مـن الظلــمات إلــى النور بإذن ربهم لهم بذلك إلـى نبــيه صـلى اللـه عليـه وسـلم, وهـو الهـادي خــلقه والــموفّق مــن أحــبّ منهـم للإيــمان, إذ كـان منـه دعـاؤهم إلــيه, وتعريفهم ما لهم فـيه وعلـيهم, فبـين بذلك صحة قـول أهـل الإثبــات الـذين أضافوا أفعال العبـاد إلــيهم كسبــا, وإلــى اللـه جـلّ ثنـاؤه إنشـاءً وتدبــيرا, وفساد قول أهل القدر الذين أنكروا أن يكون لله فـي ذلك صنع.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

15633ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, فــي قوله: لِتُـخْرِجَ النّاسَ مِنَ الظّلُـماتِ إلـى النّورِ: أي من الضلالة إلـى الهُدى.

الآية : 2

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {اللّهِ الّذِي لَهُ مَـا فِـي السّـمَاوَاتِ وَمَـا فِـي الأرْضِ وَوَيْلٌ لّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ }.

اختَلفت القرّاء فـي قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء الـمدينة والشام: اللّهُ الّذِي لَهُ ما فِـي السّمَوَاتِ برفع اسم الله علـى الابتداء, وتصيـير قوله: الّذِي لَهُ ما فِـي السّمَوَاتِ خبره. وقرأته عامّة قرّاء أهل العراق والكوفة والبصرة: اللّهِ الّذِي بخفض اسم الله علـى إتبـاع ذلك العَزِيزِ الـحَمِيدِ وهما خفض.

وقد اختلف أهل العربـية فـي تأويـله إذا قرىء كذلك, فذكر عن أبـي عمرو بن العلاء أنه كان يقرؤه بـالـخفض ويقول: معنـاه: بـإذن ربهـم إلــى صـراط العزيز الـحميد, الذي له ما فـي السموات, ويقـول: هـو مـن الــمؤخر الـذي معناه التقديـم, ويـمثله بقول القائـل: مـررت بــالظريف عبـد اللـه, والكلام الذي يوضع مكان الاسم: النعت, ثم يجعل الاسم مكان النعت, فـيتبع إعرابه إعراب النعت الذي وضع موضع الاسم كما قال بعض الشعراء:

لَوْ كُنْتَ ذَا نَبْلٍ وذَا شَرِيبِما خِفْتَ شَدّاتِ الـخَبِـيثِ الذّيبِ

وأما الكسائيّ فإنه كان يقول فـيـما ذكر عنه من خفض أراد أن يجعله كلاما واحدا وأتبع الـخفض الـخفْضَ, وبـالـخفض كان يقرأه.

والصواب من القول فـي ذلك عندي, أنهم قراءتان مشهورتان قد قرأ بكلّ واحدة منهما أئمة من القرّاء معناهما واحد, فبأيتهما قـرأ القـارىء فمصـيب. وقد يجوز أن يكون الـذي قـرأه بـ الرفع, أراد معنـى مـن خفـض فـ ي إتبـاع الكلام بعضه بعضا, ولكنه رفع لانفصاله من الآية التـي قبلـه, كمـا قـال جـلّ ثناؤه: إنّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الـمُؤْمِنِـينَ أَنْفُسَهُمْ وأَمْوَالَهُمْ... إلـى آخر الآية, ثم قال: التّائِبُونَ العابِدُونَ. ومعنى قوله: اللّهُ الّذِي لَـهُ مـا فِـي السّـمَوَاتِ وَمـا فِـي الأرْضِ الله الذي يـملك جميع ما فـي السموات ومـا فــي الأرض يقـول لنبـيه مـحمد صلى الله عليه وسلم: أنزلنا إلـيك هـذا الكتـاب لتـدعو عبــادي إلـى عبـادة من هذه صفته, ويدعوا عبـادة من لا يـملك لهم ولا لنفسـه ضـرّا ولا نفعا من الآلهة والأوثان. ثم توعد جلّ ثنـاؤه مـن كفـر بـه ولــم يستــجب لدعاء رسـوله إلــى مـا دعـاه إلــيه مـن إخلاص التوحيـد لـه, فقـال: وَوَيْــلٌ للكافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ يقول: الوادي الذي يسيـل من صديد أهل جهنــم, لـمن جحد وحدانـيته وعبد معه غيره, من عذاب الله الشديد.

الآية : 3

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {الّذِينَ يَسْتَحِبّونَ الْحَيَاةَ الدّنْيَا عَلَى الاَخِـرَةِ وَيَصُدّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً أُوْلَـئِكَ فِي ضَلاَلٍ بَعِيدٍ }.

يعنـي جلّ ثناؤه بقوله: الّذِينَ يَسْتَـحِبّونَ الـحَياةَ الدّنْـيا علـى الاَخرَةِ الذين يختارون الـحياة الدنـيا ومتاعهم ومعاصيَ اللـه فــيها علــى طاعـة اللـه ومـا يقربهم إلـى رضاه من الأعمال النافعة فـ ي الاَخـرة. وَيَصُـدّونَ عَ نْ سَبِـيــلِ اللّهِ يقول: ويـمنعون من أراد الإيـمان بـالله واتبـاع رسوله علـى مـا جـاء بـه من عند الله من الإيــمان بـه واتبــاعه. وَيَبْغُونَهـا عِوَجـا يقـول: ويـلتــمسون سبـيـل الله, وهـي دينـه الـذي ابتعـث بـه رسـوله. عوجـا: تـحريفـا وتبـديلاً بـالكذب والزور. «والعِوَج» بكسر العين وفتـح الواو فـي الدين والأرض وكلّ ما لـم يكن قائما, فأما فـي كل ما كان قائما كالـحائط والرمـح والسـنّ فـإنه يقال بفتـح العين والواو جميعـا «عَـوَج» يقـول اللـه عـزّ ذكـره: أُولَئِـكَ فِــي ضَلالٍ بَعِيدٍ يعنــي: هـؤلاء الكـافرين الـذي يستــحبون الــحياة الدنــيا علــى الاَخرة, يقول: هم فـي ذهاب عن الـحقّ بعيد, وأخذ علـى غيـر هـدى, وجَـوْر عن قصد السبـيـل.

وقد اختلف أهل العربـية فـي وجه دخول «علـى» فـي قوله: علـى الاَخِرَةِ فكان بعض نـحويـيّ البصرة يقول: أوصـل الفَعَـل ب «علــى», كمـا قـيــل: ضربوه فـي السيف, يريد بـالسيف, وذلك أن هذه الـحروف يوصل بهـا كلهـا وتـحذف, نـحو قول العرب: نزلت زيدا, ومررت زيـدا, يريـدون: مـررت بـه, ونزلت علـيه. وقال بعضهم: إنـما أدخـل ذلك, لأن الفعـل يـؤدّي عـن معنـاه من الأفعال, ففــي قـوله: يَسْتَــحبّونَ الــحَياةَ الدّنــيْا علــى الاَخِـرَةِ ولـذلك أدخـلت «علـى». وقد بـيّنت هذا ونظائره فـي غير موضـع مـن الكتـاب بــما أغنى عن الإعادة.

الآية : 4

القول فـي تأويـل قوله تعالـي: {وَمَآ أَرْسَـلْنَا مِـن رّسُـولٍ إِلاّ بِلِسَـانِ قَـوْمِهِ لِيُبَيّنَ لَهُمْ فَيُضِلّ اللّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }.

يقول تعالـى ذكره: وما أرسلنا إلـى أمة من الأمـم يا مـحمد مـن قبلـك ومن قبل قومك رسولاً إلا بلسان الأمة التـي أرسلناه إلـيها ولغتهـم, لـيُبَــيّنَ لهم يقول: لـيفهمهم ما أرسله الله به إلـيهم من أمـره ونهيـه, لــيثبت حجـة

الله علـيهم, ثم التوفـيق والـخذلان بـيد الله, فـيخذل عـن قبـول م ا أتـاه بـه رسـوله مـن عنـده مـن شـاء منهـم, ويوفّـق لقبـوله مـن شـاء ولـذلك رفـع «فـيُضلّ», لأنه أريد به الابتداء لا العطف علـى ما قبلـه, كمـا قـيـل: لنُبَـيّنَ لَكُمْ ونُقِرّ فـي الأرْحَامِ ما نَشاءُ وهـو العزيـز الـذي لا يـمتنع مـما أراده مـن ضلال أو هداية من أراد ذلك به, والـحكيـم فـي توفـيقه للإيـمان من وفقه له وهدايته له من هداه إلـيه, وفـي إضلاله من أضلّ عنه, وفـي غيـر ذلـك مـن تدبـيره.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

15634ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَما أرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إلاّ بِلِسان قَوْمِهِ: أي بلغة قومه ما كانت, قال الله عزّ وجلّ: لـيُبَـيّنَ لَهُمْ الذي أرسل إلـيهم لـيتـخذ بـذلك الـحجة, قـال اللـه عـزّ وجلّ: فَـيُضِلّ اللّهُ مَنْ يَشاءُ ويَهْدِي مَنْ يَشاءُ وَهُوَ العَزِيزُ الـحَكِيـمُ.

الآية : 5

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىَ بِآيَاتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظّلُمَاتِ إِلَى النّورِ وَذَكّرْهُـمْ بِأَيّـامِ اللّـهِ إِنّ فِـي ذَلِـكَ لاَيَـاتٍ لّكُـلّ صَـبّارٍ شَكُورٍ }.

يقول تعالـى ذكره: ولقد أرسلنا موسـى بأدلتنـا وحججنـا مـن قبلـك يـا مـحمد, كما أرسلناك إلـى قومك بـمثلها من الأدلة والـحجج. كما:

15635ـ حدثنا مـحمد بـن عمـرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى, عن ابن أبـي نـجيح «ح» وحدثنـي الـحارث, قـال: حـدثنا الـحسن الأشيب, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبـ ي نـجيح, عـن مـجاهد «ح» وحـدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا شبـابة, قـال: حـدثنا ورقـاء, عـن ابـن أبـي نـجيح, عـن مـجاهد, فـي قـول اللـه: وَلَقَـدْ أرْسَـلْنا مُوسَـى بآياتِنـا قـال: بـالبـينات.

15636ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: وَلَقَـدْ أرْسَـلْنا مُوسَـى بآياتِنـا قـال: التسـع الآيـات: الطوفـان وما معه.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا الـحسين, قـال: ثنـي حجاج, ع ن ابـ ن جريـج, عـن مـجاهد,: أرْسَـلْنا مُوسَـى بآياتِنـا قـال: التسـع البـينات.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, عن مـجاهد, مثله.

وقوله: أنْ أخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظّلُـماتِ إلـى النّورِ كما أنزلنا إلـيك يا مـحمد هذا الكتاب, لتـخرج الناس من الظلـمات إلـى النـور بـاذْنِ رَبّهِـمْ, ويعنـي بقوله: أنْ أخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظّلُـماتِ إلـى النّورِ: أي ادعهم من الضلالة إلـى الهُدى, ومن الكفر إلـى الإيـمان. كما:

15637ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس قـوله: وَلَقَـدْ أرْسَـلْنا مُوسَـى بآياتِنـا أنْ أخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظّلُـماتِ إلـى النّورِ يقول: من الضلالة إلـى الهُدى.

15638ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا إسـحاق, قـال: حـدثنا هشـام, عـن عمرو, عن سعيد, عن قتادة, مثله.

وقوله: وَذَكِّرْهُمْ بأيّامِ اللّهِ يقول عزّ وجلّ: وعظهم بـما سلف من نعمي علـيهم فـي الأيام التـي خـلت. فـاجتزيء بذكر الأيـام مـن ذكـر النعـم التــي عناها, لأنها أيام كانت معلومة عندهم, أنعم الله علـيهم فــيها نعمـا جلـيــلة, أنقذهم فـيها من آل فرعون بعد ما كانوا فـيـما كـانوا مـن العـذاب الــمهين, وغرق عدوّهم فرعون وقـومه, وأورثهـم أرضهم وديـارهم وأمـوالهم. وكان بعض أهل العربـية يقول: معناه: خوّفهم بـما نزل بعاد وثمود وأشبـاههم مـن العذاب, وبــالعفو عـن الآخريـن. قـال: وهـو فــي الــمعنى كقولـك: خـذهم بـالشدّة واللـين. وقال آخرون منهم: قد وجدنا لتسمية النعم بــالأيام شـاهدا فـي كلامهم. ثم استشهد لذلك بقول عمرو بن كلثوم:

وأيّامٍ لَنا غُرَ طِوَالٍعَصَيْنا الـمَلْكَ فِـيها أنْ نَدِينا

وقال: فقد يكون إنـما جعلها غرّا طوالاً لإنعامهم علـى الناس فـيها. وقال: فهذا شاهد لـمن قال: وَذَكِّرْهمْ بأيّـام اللّـهِ بنعـم اللـه. ثـم قـال: وقـد يكـون تسميتها غرّا, لعلوّهم علـى الـملك وامتناعهم منه, فأيامهم غرّ لهـم وطـوال علـى أعدائهم.

قال أبو جعفر: ولـيس للذي قال هذا القول, من أن فـي هذا البـيت دلـيلاً علـى أن الأيام معناها النعم وجهٌ, لأن عمرو بن كلثوم إنـما وصف مـا وصـف من الأيام بأنها غرّ, لعزّ عشيرته فـيها, وامتناعهم علـى الــملك مـن الإذعـان له بـالطاعة, وذلك كقول الناس: ما كان لفلان قطّ يوم أبـيض, يعنون بذلك: أنه لـم يكن له يوم مذكور بخير. وأما وصفه إياها بــالطول, فإنهـا لا توصـف بـالطول إلا فـي حال شدّة, كما قال النابغة:

كِلِينـي لِهَمَ يا أُمَيْـمَةَ ناصِبِولَـيْـلِ أُقاسِيهِ بَطِيءِ الكَوَاكِبِ

فإنـما وصفها عمرو بـالطول لشدّة مكروهها علـى أعداء قـومه, ولا وجـه لذلك غير ما قلت.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

15639ـ حدثنـي يحيى بـن طلــحة الــيربوعي, قـال: حـدثنا فضيــل بـن عياض, عن لـيث, عن مـجاهد: وَذَكِّرْهُمْ بأيّامِ اللّهِ قال: بأنعم الله.

حدثنـي إسحاق بن إبراهيـم بن حبـيب بن الشهيد. قال: حدثنا يحيـى بـن يـمان, عن سفـيان, عن عبــيد الــمكّتب عـن مــجاهد: وَذَكِّرْهُـمْ بأيّـامِ اللّـهِ قال: بنعم الله.

حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حـدثنا سفــيان, عـن عبـيد الـمكتب, عن مـجاهد, مثله.

حدثنا أحمد, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حـدثنا عبـثر, عـن حصـين, عـن مـجاهد, مثله.

حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى «ح» وحدثنـي الـحرث, قال: حدثنا الـحسين, قال: حدثنا ورقاء جميعـا, عـن ابـن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: بأيّامِ اللّهِ قال: بنعم الله.

حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا شبـابة, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, مثله.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, عن مـجاهد, مثله.

15640ـ حدثنـي الـمثنى, قال: أخبرنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شـبل, عـن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: وَذَكِّرْهُمْ بأيّامِ اللّهِ قال: بـالنعم التـي أنعـم بهـا

علـيهم: أنـجاهم من آل فرعون, وفلق لهـم البحـر, وظلّـل علــيهم الغمـام, وأنزل علـيهم الـمنّ والسلوى.

15641ـ حدثنا أحمد, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا حبـيب بن حسان, عن سعيد بن جبـير: وَذَكِّرْهُمْ بأيّامِ اللّهِ قال: بنعم الله.

15642ـ حدثنا بشر, قال: حـدثنا يزيـد, قـال: حـدثنا سـعيد, عـن قتـادة: وَذَكِّرْهُمْ بأيّامِ اللّهِ يقول: ذكرهم بنعم الله علـيهم.

حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: وَذَكِّرْهُمْ بأيامِ الله قال: بنعم الله.

15643ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد فــي قول الله: وَذَكِّرْهُمْ بأيّامِ اللّهِ قال: أيامه التـي انتقم فـيها مـن أهـل معاصـيه من الأمـم خوْفهم بها, وحذّرهم إياها, وذكّرهم أن يصـيبهم مـا أصـاب الـذين من قبلهم.

15644ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا الـحِمّانـي, قال: حـدثنا مـحمد بـن أبـان, عن أبـي إسحاق, عن سعد بن جبـير, عن ابن عبـاس. عن أُبَــيّ, عـن النبـيّ صلى الله عليه وسلم: وَذَكِّرْهُمْ بأيّامِ اللّهِ قال: «نِعَم اللّه».

15645ـ حدثنا الـحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, عـن الثـوري, عن عبـيد الله أو غيره, عن مـجاهد: وَذَكِّرْهُمْ بأيّامِ اللّهِ قـال: بنعـم اللـه. إنّ فِـي ذلكَ لآياتٍ لِكُلّ صَبّـارٍ شَكُورٍ يقول: إن فـي الأيام التــي سـلفت بنعمـي علـيهم, يعنـي علـى قوم موسى لآيات, يعنـي: لعـبرا ومـواعظَ لكـل صبّــار شكور: يقول: لكلّ ذي صبر علـى طاعة الله وشكر له علـى مـا أنعـم علــيه من نعمه.

15646ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا إسـحاق, قـال: حـدثنا هشـام, عـن عمرو, عن سعيد, عن قتادة, فـي قول الله عـزّ وجـلّ: إنّ فِــي ذلـكَ لآيـاتٍ لِكُلّ صَبّـارٍ شَكُورٍ قال: نَعْم العبد, عبد إذا ابتلـى صبر وإذا أُعطى شكر.

الآية : 6

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَإِذْ قَالَ مُوسَىَ لِقَوْمِهِ اذْكُـرُواْ نِعْمَـةَ اللّـهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَـذَابِ وَيُـذَبّحُونَ أَبْنَـآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلآءٌ مّن رّبّكُمْ عَظِيمٌ }.

يقول تعالـى ذكره لنبـيه مـحمد صلى الله عليه وسلم: واذكر يا مـحمد إذ قال موسى بن عمران لقومه من بنـي إسرائيـل: اذْكُرُوا نِعْمَـةَ اللّـهِ عَلَــيْكُمْ التـي أنعم بها علـيكم إذْ أنـجاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يقول: حين أنـجاكم من أهل دين فرعون وطاعته. يَسُومُونَكُمْ سُوءَ العَذَابِ: أي يذيقونكم شديد العـذاب. ويُذَبّحُونَ أبْناءَكُمْ وأدخـلت الواو فـي هذا الـموضع لأنه أريد بقوله: وَيُـذَبّحُونَ أبْناءَكُمْ الـخبر عن أنّ آل فرعون كـانوا يعـذّبون بنــي إسرائيــل بـأنواع مـن العذاب غير التذبـيح وبـالتذبـيح. وأما فـي موضع آخر من القـرآن, فـأنه جـاء بغير الـواو: يَسُـومُونُكُمْ سُـوءَ العَـذَابِ يُـذَبّحُونَ أبْنـاءَكُمْ فــي موضـع وفــي موضع: يُقَتّلُونَ أبْناءَكُمْ, ولـم تدخـل الواو فـي الــمواضع التــي لــم تدخــل فـيها لأنه أريد بقوله: يُذَبّحُونَ وبقوله: يُقَتلُونَ تبـيـينه صفــات العـذاب الـذي كانوا يسومونهم, وكذلك العمل فـي كـل جملـة أريـد تفصيــلها فبغيـر الـواو تفصيـلها, وإذا أريد العطف علـيها بغيرها وغير تفصيـلها فـالواو.

15647ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله بن الزبير, عن ابن عيينة, في قوله: وَإِذْ قالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ: أيادي الله عندكم وأيامه.

وقوله: وَيَسْتَحْيُونَ نِساءَكُمْ يقول: ويبقون نساءكم فيتركون قتلهنّ وذلك استحياؤهم كان إياهنّ. وقد بيّنا ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع, ومعناه: يتركونهم, والحياة: هي الترك. ومنه الخبر الذي رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «اقْتُلُوا شُيُوخَ الْمُشْرِكِينَ وَاسْتَحْيُوا شَرْخَهُمْ» بمعنى: استبقوهم فلا تقتلوهم. وفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبّكُمْ عَظِيمٌ يقول تعالى: وفيما يصنع بكم آل فرعون من أنواع العذاب بلاء لكم من ربكم عظيم: أي ابتلاء واختبار لكم من ربكم عظيم. وقد يكون البلاء في هذا الموضع نعماء, وقد يكون معناه: من البلاء الذي قد يصيب الناس في الشدائد وغيرها.

الآية : 7

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذْ تَأَذّنَ رَبّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأزِيدَنّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ }.

يقول جلّ ثناؤه: واذكروا أيضا حين آذنكم ربكم. وتأذّن: تفعّل من أذن, والعرب ربما وضعت «تفعّل» موضع «أفعل», كما قالوا: أوعدته وتوعدته بمعنى واحد, وآذن: أعلم, كما قال الحارث بن حِلّزة:

آذَنَتْنا بِبَيْنِها أسمْاءُ رُبّ ثاوٍ يُمَلّ مِنْهُ الثّوَاءُ

يعني بقوله: آذنتنا: أعلمتنا.

وذُكر عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقرأ وَإِذْ تَأذّنَ رَبّكُمْ «وإذ قال ربكم».

15648ـ حدثني بذلك الحارث, قال: ثني عبد العزيز, قال: حدثنا سفيان, عن الأعمش عنه حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وبه, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَإِذْ تَأذّنَ رَبّكُمْ: وإذ قال ربكم ذلك التأذّن.

وقوله: لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنّكُمْ يقول: لئن شكرتم ربكم بطاعتكم إياه فيما أمركم ونهاكم لأزيدنكم في أياديه عندكم ونعمه عليكم على ما قد أعطاكم من النجاة من آل فرعون والخلاص من عذابهم. وقيل في ذلك قول غيره, وهو ما:

15649ـ حدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا الحسن بن الحسن, قال: أخبرنا ابن المبارك, قال: سمعت عليّ بن صالح, يقول في قول الله عزّ وجلّ: لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنّكم قال: أي من طاعتي.

حدثنا المثنى, قال: حدثنا يزيد, قال: أخبرنا ابن المبارك قال: سمعت عليّ بن صالح, فذكر نحوه.

15650ـ حدثني أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفيان: لئنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنّكُمْ قال: من طاعتي.

15651ـ حدثني الحارث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا مالك بن مغول, عن أبان بن أبي عياش, عن الحسن, في قوله: لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنّكُمْ قال: من طاعتي.

ولا وجه لهذا القول يفهم, لأنه لم يجر للطاعة في هذا الموضع ذكر, فيقال: إن شكرتموني عليها زدتكم منها, وإنما جرى ذكر الخبر عن إنعام الله على قوم موسى بقوله: وَإِذْ قالَ مُوسَى لقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّهِ

عَلَـيْكُمْ ثم أخبرهم أن الله أعلــمهم إن شـكروه علــى هـذه النعمـة زادهـم, فـالواجب فـي الـمفهوم أن يكون معنى الكلام: زادهم من نعمه, لا مـما لـم يجر له ذكر من الطاعة, إلا أن يكـون أريـد بـه: لئـن شكرتــم فأطعتـمونــي بـالشكر لأزيدنكم من أسبـاب الشكر ما يعينكم علـيه, فـيكون ذلك وجها.

وقوله: وَلَئِنْ كَفَرْتُـمْ إنّ عَذَابِـي لَشَدِيدٌ يقول: ولئن كفرتـم أيها القوم نعمة الله, فجحدتـموها, بترك شكره علـيها, وخلافـه فــي أمـره ونهيـه وركـوبكم معاصيَه إنّ عَذَابِـي لَشَدِيدٌ: أعذّبكم كما أعـذّب مـن كفـر بــي مـن خـلقــي. وكان بعض البصريـين يقول فـي معنى قوله: وَإذْ تَـأذّنَ رَبّكُـمْ وتـأذّن ربكـم. ويقول: «إذ» من حروف الزوائد. وقد دللنا علــى فسـاد ذلـك فـيــما مضـى قبل.

الآية : 8

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَقَـالَ مُوسَـىَ إِن تَكْفُـرُواْ أَنتُـمْ وَمَـن فِـي الأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنّ اللّهَ لَغَنِيّ حَمِيدٌ }.

يقول تعالـى ذكره: وَقالَ مُوسَى لقومه: إنْ تَكْفُرُوا أيها القوم, فتـجحدوا نعمة الله التـي أنعمها علـيكم أنتـم, ويفعل فـي ذلك مثـل فعلكـم مَـنْ فِــي الأرْضِ جَمِيعا فإنّ اللّهَ لَغَنِـيّ عنكم وعنهم من جميع خـلقه, لا حاجة بـه إلــى شكركم إياه علـى نعمه عند جميعكم, حَمِيدٌ ذو حمد إلـى خـلقه بـما أنعم بـه علـيهم. كما:

15652ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حـدثنا عبـد اللـه بـن هاشم, قال: أخبرنا سيف, عن أبـي رَوق عن أبــي أيـوب, عـن علــيّ: فـإنّ اللّهَ لَغَنِـيّ قال: غنـيّ عن خـلقه, حَمِيدٌ قال: مستـحمِد إلـيهم.

الآية : 9

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الّذِينَ مِـن قَبْلِكُـمْ قَـوْمِ نُـوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لاَ يَعْلَمُهُـمْ إِلاّ اللّـهُ جَـآءَتْهُمْ رُسُـلُهُمْ بِالْبَيّنَـاتِ فَرَدّوَاْ أَيْدِيَهُمْ فِيَ أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوَاْ إِنّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنّا لَفِي شَـكّ مّمّـا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ }.

يقول تعالـى ذكره مخبرا عن قـيـل موسى لقومه: يا قوم أَلَـمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ يقول: خبر الذين من قبلكم من الأمـم التـي مضت قبلكــم, قَوْمِ نُوحٍ وعادٍ وَثُمودَ وقوم عاد فبـين بهم عن «الذين», وعـاد معطـوف بهـا علـى قوم نوح. وَالّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ يعنـي: من بعد قـوم نـوح وعـاد وثمـود. لا يَعْلَـمُهُمْ إلاّ اللّهُ يقول: لا يحصي عددهم ولا يعلـم مبلغهم إلا الله. كما:

15653ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حـدثنا سفــيان, عن أبـي إسحاق, عن عمرو بن ابن ميـمون: وَعادٍ وَثمُودَ وَالّذِينَ مِنْ بَعْــدِهِمْ لا يَعْلَـمُهُمْ إلاّ اللّهُ قال: كذب النسابون.

15654ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا إسرائيـل, عن أبـي إسحاق, عن عمرو بن ميــمون, عـن عبـد اللـه بـن مسـعود بــمثل ذلك.

15655ـ حدثنا الــحسن بـن مــحمد, قـال: حـدثنا شبــابة, قـال: أخبرنـا إسرائيـل, عن أبـي إسحاق, عن عمرو بن ميـمون, قال: حدثنا ابن مسعود, أنه كان يقرؤها: «وعادا وثَمُودَ وَالّـذِينَ مِ نْ بَعْـدَهِمْ لا يَعْلَــمُهُم إلاّ اللّـهُ» ثـم يقول: كذب النسابون.

حدثني ابن المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عيسى بن جعفر, عن سفيان, عن أبي إسحاق, عن عمرو بن ميمون, عن عبد الله, مثله.

وقوله: جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بالبَيّناتِ يقول: جاءت هؤلاء الأمم رسلهم الذين أرسلهم الله إليهم بدعائهم إلى إخلاص العبادة له بالبينات, يعني بالحجج الواضحات والدلالات البينات الظاهرات على حقيقة ما دعوهم إليه من معجزات.

وقوله: فَرَدّوا أيْدِيَهُمْ فِي أفْوَاهِهِمْ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك, فقال بعضهم: معنى ذلك: فعضوا على أصابعهم تغيظا عليهم في دعائهم إياهم ما دعوهم إليه. ذكر من قال ذلك:

15656ـ حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى, قالا: حدثنا عبد الرحمن, قال حدثنا سفيان, عن أبي إسحاق, عن أبي الأحوص, عن عبد الله: فَرَدّوا أيْدِيَهُمْ في أفْوَاهِهِمْ قال: عضوا عليها تغيظا.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا الثوريّ, عن أبي إسحاق, عن أبي الأحوص, عن عبد الله, في قوله: فَرَدّوا أيْدِيَهُمْ فِي أفْوَاهِهِمْ قال: غيظا هكذا. وعض يده.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو نعيم, قال: حدثنا سفيان, عن أبي إسحاق, عن أبي الأحوص, عن عبد الله: فَرَدّوا أيْدِيَهُمْ فِي أفْوَاهِهِمْ قال: عضوها,

حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن رجاء البصري, قال: حدثنا إسرائيل, عن أبي إسحاق, عن أبي الأحوص, عن عبد الله في قول الله عزّ وجلّ: فَرَدّوا أيْدِيَهُمْ فِي أفْوَاهِهِمْ قال: عضوا على أصابعهم.

حدثني المثنى, قال: حدثنا الحماني, قال: حدثنا شريك, عن أبي إسحاق, عن أبي الأحوص, عن عبد الله: فَرَدّوا أيْدِيَهُمْ فِي أفْوَاهِهِمْ قال: عضوا على أطراف أصابعهم.

حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن أبي إسحاق, عن هبيرة عن عبد الله أنه قال في هذه الآية: فَرَدّوا أيْدِيَهُمْ فِي أفْوَاهِهِمْ قال: أن يجعل إصبعه في فيه.

حدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا أبو قطن, قال: حدثنا شعبة, عن أبي إسحاق, عن هبيرة, عن عبد الله في قول الله عزّ وجلّ: فَرَدّوا أيْدِيَهُمْ فِي أفْوَاهِهِمْ ووضع شعبة أطراف أنامله اليسرى على فيه.

حدثنا الحسن, قال: حدثنا يحيى بن عبّاد, قال: حدثنا شعبة, قال: أخبرنا أبو إسحاق, عن هبيرة, قال: قال عبد الله: فَرَدّوا أيْدِيَهُمْ فِي أفْوَاهِهِمْ قال: هكذا, وأدخل أصابعه في فيه.

حدثنا الحسن, قال: حدثنا عفان, قال: حدثنا شعبة, قال أبو إسحاق: أنبأنا عن هبيرة, عن عبد الله أنه قال في هذه الآية: فَرَدّوا أيْدِيَهُمْ فِي أفْواهِهِمْ قال أبو عليّ: وأرانا عفان, وأدخل أطراف أصابع كفه مبسوطة في فيه, وذكر أن شعبة أراه كذلك.

حدثنا أحمد, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفيان وإسرائيل, عن أبي إسحاق, عن أبي الأحوص, عن عبد الله: فَرَدّوا أيْدِيَهُمْ فِي أفْوَاهِهِمْ قال: عضوا على أناملهم. وقال سفيان: عضوا غيضا.

15657ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فَرَدّوا أيْدِيَهُمْ في أفْوَاهِهِمْ فقرأ: عَضّوا عَلَيْكُمْ الأنامِلَ مِنَ الغَيْظِ

قال: ومعنى: رَدّوا أيْدِيَهُمْ فِـي أفْـوَاهِهِمْ فقـرأ: عَضّـوا عَلَـيْكُمْ الأنامِـلَ مِـنَ الغَيْظِ قال: ومعنى: رَدّوا أيْدِيَهُمْ فِـي أفْوَاهِهِمْ قـال: أدخـلوا أصـابعهم فـي أفواههم, وقال: إذا اغتاظ الإنسان عضّ يده.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أنهـم لـما سـمعوا كتـاب اللـه عجبـوا منـه, ووضعوا أيديهم علـى أفواههم. ذكر من قال ذلك:

15658ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس: فَرَدّوا أيْدِيَهُمْ فِـي أفْوَاهِهِمْ قـال: لـما سمعوا كتاب الله عجبوا ورجعوا بأيديهم إلـى أفواههم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك أنهم كذّبوهم بأفواههم. ذكر من قال ذلك:

15659ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى, عن ابن أبـي نـجيح, عـن مـجاهد «ح» وحدثنـي الـحارث, قـال: حدثنا الـحسن, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عـن مـجاهد, فـي قول الله: فَرَدّوا أيْدِيَهُمْ فِـي أفْوَاهِهِمْ قال: ردّوا علـيهم قولهم وكذبوهم.

حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا شبـابة, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, مثله.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, عن مـجاهد, مثله.

الآية : 10

تأويل قولة تعالى {قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِـي اللّـهِ شَـكٌّ فَـاطِرِ السّـمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخّرَكُمْ إِلَىَ أَجَلٍ مّسَـمًّـى قَالُوَاْ إِنْ أَنتُمْ إِلاّ بَشَرٌ مّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدّونَا عَمّا كَانَ يَعْبُدُ آبَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مّبِينٍ }.

يقول تعالـى ذكره: قالت رسل الأمـم التـي أتتها رسلها: أفَــي اللـه أنـه الـمستـحقّ علـيكم أيها النـاس الألوهـة والعبــادة دون جميـع خــلقه, شـكّ؟ وقوله: فـاطِرِ السّمَوَاتِ والأرْضِ يقول: خـالق السـموات والأرض. يَـدْعُوكُمْ لِـيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ يقول: يدعوكم إلـى توحيده وطاعته. لِـيَغْفِرَ لَكُمْ مِـنْ ذُنُوبِكُمْ يقول: فـيستر علـيكم بعض ذنوبكم بـالعفو عنها, فلا يعاقبكم علـيها. وَيُؤَخّرَكُمْ يقول: وينسىء فـي آجالكم, فلا يعاقبكم فــي العاجـل فــيهلككم, ولكن يؤخركم إلـى الوقت الذي كتب فـي أمّ الكتاب أنه يقبضكم فـيه, وهــو الأجل الذي سمى لكم. فقالت الأمـم لهم: إنْ أنْتُـمْ أيها القوم إلاّ بَشَرٌ مِثْلُنــا فـي الصـورة والهيئـة, ولستــم ملائكـة, وإنــما تريـدون بقـولكم هـذا الـذي تقولون لنا أنْ تَصُدُونا عَمّا كانَ يَعْبُدُ آبـاؤُنا يقول: إنــما تريـدون أن تصـرفونا بقولك 4ع 0عبـادة ما ك.4يذبده من الأو 5ن آبــاؤنا: فَأْتُونـا بسُـلْطانٍ مُبِــينٍ يقول: فأتو.ا بح. ذءى م ا تقولـون تبــين لنـا حقــيقته ثصـحته, فنعلــم أنكـم فـيـما تقولون مـحقّون.

الآية : 11

القول فـي تأويـل قوله تعالـى:

{قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نّحْنُ إِلاّ بَشَرٌ مّثْلُكُمْ وَلَـكِنّ اللّهَ يَمُنّ عَلَىَ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نّأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلاّ بِإِذْنِ اللّـهِ وَعلَـى اللّـهِ فَلْيَتَوَكّـلِ الْمُؤْمِنُونَ }.

يقول تعالـى ذكره: قال الأمـم التـي أتتهم الرسل لرسـلهم إنْ نَــحْنُ إلاّ بَشَرَ مِثْلُكُمْ صدقتـم فـي قولكم إنْ أنْتُـمْ إلاّ بَشَرٌ مِثْلُنا فما نـحن إلا بشر من بنـي آدم إنس مثلكم, وَلكِنّ اللّهَ يَــمُنّ عَلــى مَـنْ يَشـاءُ مِـنْ عِبــادِهِ يقـول:

ولكـن اللـه يتفضّـل علــى مـن يشـاء مـن خــلقه, فــيهديه ويـوفّقه للــحقّ, ويفضله علـى كثـير من خـلقه. وَما كانَ لَنا أنْ نَأْتِـيَكُمْ بِسُـلْطانٍ يقـول: ومـا كان لنا أن نأتـيكم بحجة وبرهان علـى ما ندعوكم إلـيه إلاّ بـإذْنِ اللّـهِ يقـول: إلا بأمر الله لنا بذلك. وَعلـى الله فَلْـيَتَوَكّلِ الـمُؤْمِنُونَ يقول: وبــالله فلــيثق به من آمن به وأطاعه فإنا به نثق وعلـيه نتوكل.

15660ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عـن ابـن جريج, عن مـجاهد, قوله: فَأْتُونا بِسُلْطانٍ مُبِـينٍ قـال: السـلطان الـمبــين: البرهان والبـينة. وقوله: ما لَـمْ يُنَزّلْ بِهِ سُلْطاناً قال: بـينة وبرهانا.

الآية : 12

القول فـي تأويـل قوله تعالـى:

{وَمَا لَنَآ أَلاّ نَتَوَكّلَ عَلَى اللّهِ وَقَدْ هَـدَانَا سُـبُلَنَا وَلَنَصْـبِرَنّ عَلَـىَ مَـآ آذَيْتُمُونَـا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكّلِ الْمُتَوَكّلُونَ }.

(شا يقول تعالـى ذكره مخبرا عن قـيــل الرسـل لأمــمها: وَمـا لَنـا أنْ لا نَتَوَكّلَ علـى اللّهِ فنثق بـه وبكفــايته ودفــاعه إيـاكم عنـا, وَقَـدْ هَـدَانا سُـبُلَنا يقول: وقد بصرنا طريق النـجاة من عـذابه, فبــين لنـا. وَلَنَصْـبِرَنّ علــى مـا آذَيْتُـمُونا فـي الله وعلـى ما نلقـي منكـم مـن الــمكروه فــيه بسـبب دعائنـا إلـيكم إلــى مـا نـدعوكم إلــيه مـن الـبراءة مـن الأوثـان والأصـنام وإخلاص العبـادة له. وَعَلَـى اللّهِ فَلْـيَتَوَكّلِ الـمُتَوَكّلُونَ يقول: وعلـى الله فلـيتوكل من كان به واثقا من خـلقه, فأما من كان به كافرا فإن ولـيه الشيطان.

القول فـي تأويـل قوله تعالـى:

{وَقَالَ الّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنّـكُمْ مّـنْ أَرْضِـنَآ أَوْ لَتَعُـودُنّ فِـي مِلّتِنَـا فَأَوْحَىَ إِلَيْهِمْ رَبّهُمْ لَنُهْلِكَنّ الظّالِمِينَ * وَلَنُسْكِنَنّـكُمُ الأرْضَ مِن بَعْـدِهِمْ ذَلِـكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ }.

(شا يقول عزّ ذكره: وقال الذين كفروا بـالله لرسلهم الذين أرسلوا إلـيهم حيـن دعـوهم إلــي توحيـد اللـه وإخلاص العبــادة لـه وفـراق عبــادة الآلهـة والأوثان: لَنُـخْرِجَنّكُمْ مِنْ أرْضِنا يعنون: من بلادنا, فنطردكم عنها. أوْ لَتَعُودُنّ فــي ملّتِنـا يعنـون: إلا أن تعـودوا فــي ديننـا الـذي نــحن علــيه مـن عبــادة الأصنام. وأدخـلت فـي قوله: لَتَعُودُنّ لام, وهو فـي معنى شرط, كأنه جواب للـيـمين.

وإنـما معنى الكلام: لنـحرجنّكم من أرضـنا أو تعـودنّ فــي ملتنـا, ومعنـى «أو» ههنا معنى «إلا» أو معنى «حتـى» كما يقال فــي الكلام: لأضـربنك أو تقرّ لـي, فمن العرب من يجعل ما بعد «أو» فـي مثل هذا الــموضع عطفــا علـى ما قبله, إن كان ما قبله جزما جزموه, وإن كان نصبـا نصبوه, وإن كان فـيه لام جعلوا فـيه لاما, إذ كانت «أو» حرف نَسق. ومنهم من ينصب «مـا» بعد «أو» بكل حال, لـيعلـم بنصبه أنه عن الأوّل منقطع عما قبلـه, كمـا قـال امرؤ القـيس:

بَكَى صَاحِبـي لَـمّا رأى الدّرْبَ دُونَهُوأيْقَنَ أنّا لاحِقانِ بقَـيْصَرَا
فَقُلْتُ لَهُ: لا تَبْكِ عَيْنُكَ إنّـمانـحاوِلُ مُلْكا أو نَـمُوتَ فَنُعْذَرَا

فنصـب «نــموتَ فنعـذرا» وقـد رفـع «نــحاولُ», لأنـه أراد معنـى: إلا أن نـموت, أو حتـى نـموت, ومنه قول الآخر:

لا أسْتَطِيعُ نُزُوعا عَنْ مَوَدّتِهاأو يَصْنَعُ الـحُبّ بـي غيرَ الّذِي صَنَعا

وقوله: فَأَوحَى إلَـيْهِمْ رَبّهُـمْ لَنُهْلِكَـنّ الظّالِـمِينَ الـذين ظلــموا أنفسـهم, فأوجبوا لها عقاب الله بكُفرهم وقد يجوز أن يكـون قـيــل لهـم: الظالــمون لعبـادتهم, مَنْ لا تـجوز عبـادته من الأوثان والآلهة, فـيكون بوضعهم العبــادة فـي غير موضعها إذ كان ظلـما سُموا بذلك ظالـمين.

وقوله: وَلَنُسْكِنَنّكُمُ الأرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ هذا وعد من الله مَن وَعَد من أنبـيائه النصر علـى الكفرة به مـن قـومه, يقـول: لــما تــمادت أمــم الرسـل فــي الكفر, وتوعّدوا رسلهم بـالوقوع بهم, أوحى الله إلـيهم بإهلاك من كفـر بهـم من أمـمهم ووعدهم النصر. وكلّ ذلك كان من الله وعيدا وتهديدا لــمشركي قوم نبـينا مـحمد صلى الله عليه وسـلم علــى كفرهـم بـه وجراءتهـم علــى نبـيه, وتثبـيتا لـمـحمد صلى الله عليه وسلم وأمرا له بـالصبر علـى ما لقــي من الـمكروه فـيه من مشركي قومه, كما صبر من كان قبله من أولـي العز من رسله, ومعرّفَهُ أن عاقبة أمر من كفر به الهلاك وعاقبته النصـر علــيهم, سُنّةَ اللّهِ فـي الّذِينَ خَـلَوْا مِنْ قَبْلُ.

15661ـ حدثنا بشر, قال: حـدثنا يزيـدُ, قـال: حـدثنا سـعيد, عـن قتـادة: وَلَنُسْكِنَنّكُمْ الأرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ قال: وعدهم النصر فـي الدنـيا, والــجنة فــي الآخرة.

وقوله: ذلكَ لِـمَنْ خافَ مَقامي وَخافَ وَعِيدِ يقول جلّ ثناؤه: هكذا فِعْلــى لــمن خـاف مقـامه بــين يـديّ, وخـاف وعيـدي فـاتقانــي بطـاعته وتـجنب سخطي, أنصره علـى من أراد به سوءا وبغـاه مكروهـا مـن أعـدائي, أهلـك عدوّه وأخزيه وأورثه أرضه ودياره. وقال: لِـمَنْ خافَ مَقامي ومعناه ما قلت من أنه لـمن خاف مقامه بـين يديّ بحيث أقـيـمه هنالك للـحساب, كمَا قال: وَتَـجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أنّكُمْ تُكَذّبُونَ معناه: وتـجعلون رزقـي إياكم أنكم تكـذبون, وذلك أن العرب تضيف أفعالها إلـى أنفسها, وإلـى ما أوقعت علـيه, فتقـول: قد سررت برؤيتك وبرؤيتـي إياك, فكذلك ذلك.)

القول فـي تأويـل قوله تعالـى:{وَاسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلّ جَبّارٍ عَنِيدٍ }.

يقول تعالـى ذكره: واستفتـحت الرسل علـى قومها: أي استنصرت الله علـيها. وَخابَ كُلّ جَبّـارٍ عَنـيدٍ يقول: هلك كل متكبر جـائر حائـد عـن الإقـرار بتوحيد الله وإخلاص العبـادة له. والعنـيد والعاند والعنود بـمعنى واحد, ومــن الـجبـار تقول: هو جبـار بـيّن الـجَبَرية والـجَبَروتـية والـجَبْرُوّة والـجَبَرُوت.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

15662ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابـن أبــي نــجيح, عـن مــجاهد: وَاسْتَفْتَــحُوا قـال: الرسـل كلهـا, يقـول: استنصروا علـى أعدائهم ومعانديهم: أي علــى مـن عانـد عـن اتبــاع الــحقّ وتـجنبه.

حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا شبـابة, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, مثله.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابـن أبــي نـجيح, عن مـجاهد, «ح» وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ابن أبـي نـجيح, عـن مــجاهد, فــي قـوله: وَاسْتَفْتَــحُوا قـال: الرسل كلها استنصروا. وَخابَ كُلّ جَبّـارٍ عَنِـيدٍ قال: معاند للـحقّ مـجانبه.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

وقال ابن جريج: استفتحوا على قومهم.

15663ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: وَاسْتَفْتَحُوا وَخابَ كُلّ جَبّارٍ عَنِيدٍ قال: كانت الرسل والمؤمنون يستضعفهم قومهم, ويَقْهَرونهم, ويكذّبونهم, ويدعونهم إلى أن يعودوا في ملّتِهم, فأبى الله عزّ وجلّ لرسله وللمؤمنين أن يعودوا في ملّة الكفر, وأمرهم أن يتوكّلوا على الله, وأمرهم أن يستفتحوا على الجبابرة, ووعدهم أن يسكنهم الأرض من بعدهم, فأنجز الله لهم ما وعدهم, واستفتحوا كما أمرهم أن يستفتحوا. وَخابَ كُلّ جَبارٍ عَنِيدٍ.

15664ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا الحجاج بن المنهال, قال: حدثنا أبو عوانة, عن المغيرة, عن إبراهيم, في قوله: وَخابَ كُلّ جَبّارٍ عَنِيدٍ قال: هو الناكب عن الحقّ أي الحائد عن اتباع طريق الحقّ.

حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا مطرف, عن بشر, عن هشيم, عن مغيرة, عن سماك, عن إبراهيم: وَخابَ كُلّ جَبّارٍ عَنِيدٍ قال: الناكب عن الحقّ.

15665ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيدُ, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَاسْتَفْتَحُوا يقول: استنصرت الرسل على قومها, قوله: وَخابَ كُلّ جَبّارٍ عَنِيدٍ والجبار العنيد: الذي أبى أن يقول: لا إله إلا الله.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: وَاسْتَفْتَحُوا قال: استنصرت الرسل على قومها. وَخابَ كُلّ جَبّارٍ عَنِيدٍ يقول: بعيد عن الحقّ مُعرض عنه.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, مثله, وزاد فيه: معرض عنه, أبى أن يقول: لا إله إلا الله.

15666ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَخابَ كُلّ جَبّارٍ عَنِيدٍ قال: العنيد عن الحقّ الذي يعند عن الطريق, قال: والعرب تقول: شرّ الإبل العنيد الذي يخرج عن الطريق.

15667ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَاسْتَفْتَحُوا وَخابَ كُلّ جَبّارٍ عَنِيدٍ قال: الجبار: هو المتجبر.

وكان ابن زيد يقول في معنى قوله: وَاسْتَفْتَحُوا خلاف قول هؤلاء, ويقول: إنما استفتحت الأمم, فأجيبت.

15668ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَاسْتَفْتَحُوا قال: استفتاحهم بالبلاء, قالوا: اللهمّ إن كان هذا الذي أتى به محمد هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء كما أمطرتها على قوم لوط, أو ائتنا بعذاب أليم قال: كان استفتاحهم بالبلاء كما استفتح قوم هود. ائْتِنا بِمَا تَعِدُنا إنْ كُنْتَ مِنَ الصّادِقِينَ قال: فالاستفتاح: العذاب. قال: قيل لهم: إن لهذا أجلاً, حين سألوا الله أن ينزل عليهم, فقال: بل نؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار, فقالوا: لا نريد أن نؤخر إلى يوم القيامة رَبّنا عَجّلْ لنَا قِطّنَا عذابنا قَبْلَ يَوْمِ الحِسَابِ.

وقرأ: وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بـالعَذَابِ وَلَوْلا أجَلٌ مُسَمّى لَـجاءَهُمُ العَذَابُ حتــى بلـغ: وَمِنْ تَـحْتِ أرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا ما كُنْتُـمْ تَعْمَلُونَ.

الآية : 13-14

القول فـي تأويـل قوله تعالـى:

{وَمَا لَنَآ أَلاّ نَتَوَكّلَ عَلَى اللّهِ وَقَدْ هَـدَانَا سُـبُلَنَا وَلَنَصْـبِرَنّ عَلَـىَ مَـآ آذَيْتُمُونَـا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكّلِ الْمُتَوَكّلُونَ }.

(شا يقول تعالـى ذكره مخبرا عن قـيــل الرسـل لأمــمها: وَمـا لَنـا أنْ لا نَتَوَكّلَ علـى اللّهِ فنثق بـه وبكفــايته ودفــاعه إيـاكم عنـا, وَقَـدْ هَـدَانا سُـبُلَنا يقول: وقد بصرنا طريق النـجاة من عـذابه, فبــين لنـا. وَلَنَصْـبِرَنّ علــى مـا آذَيْتُـمُونا فـي الله وعلـى ما نلقـي منكـم مـن الــمكروه فــيه بسـبب دعائنـا إلـيكم إلــى مـا نـدعوكم إلــيه مـن الـبراءة مـن الأوثـان والأصـنام وإخلاص العبـادة له. وَعَلَـى اللّهِ فَلْـيَتَوَكّلِ الـمُتَوَكّلُونَ يقول: وعلـى الله فلـيتوكل من كان به واثقا من خـلقه, فأما من كان به كافرا فإن ولـيه الشيطان.

القول فـي تأويـل قوله تعالـى:

{وَقَالَ الّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنّـكُمْ مّـنْ أَرْضِـنَآ أَوْ لَتَعُـودُنّ فِـي مِلّتِنَـا فَأَوْحَىَ إِلَيْهِمْ رَبّهُمْ لَنُهْلِكَنّ الظّالِمِينَ * وَلَنُسْكِنَنّـكُمُ الأرْضَ مِن بَعْـدِهِمْ ذَلِـكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ }.

(شا يقول عزّ ذكره: وقال الذين كفروا بـالله لرسلهم الذين أرسلوا إلـيهم حيـن دعـوهم إلــى توحيـد اللـه وإخلاص العبــادة لـه وفـراق عبــادة الآلهـة والأوثان: لَنُـخْرِجَنّكُمْ مِنْ أرْضِنا يعنون: من بلادنا, فنطردكم عنها. أوْ لَتَعُودُنّ فــي ملّتِنـا يعنـون: إلا أن تعـودوا فــي ديننـا الـذي نــحن علــيه مـن عبــادة الأصنام. وأدخـلت فـي قوله: لَتَعُودُنّ لام, وهو فـي معنى شرط, كأنه جواب للـيـمين.

وإنـما معنى الكلام: لنـحرجنّكم من أرضـنا أو تعـودنّ فــي ملتنـا, ومعنـى «أو» ههنا معنى «إلا» أو معنى «حتـى» كما يقال فــي الكلام: لأضـربنك أو تقرّ لـي, فمن العرب من يجعل ما بعد «أو» فـي مثل هذا الــموضع عطفــا علـى ما قبله, إن كان ما قبله جزما جزموه, وإن كان نصبـا نصبوه, وإن كان فـيه لام جعلوا فـيه لاما, إذ كانت «أو» حرف نَسق. ومنهم من ينصب «مـا» بعد «أو» بكل حال, لـيعلـم بنصبه أنه عن الأوّل منقطع عما قبلـه, كمـا قـال امرؤ القـيس:

بَكَى صَاحِبـي لَـمّا رأى الدّرْبَ دُونَهُوأيْقَنَ أنّا لاحِقانِ بقَـيْصَرَا
فَقُلْتُ لَهُ: لا تَبْكِ عَيْنُكَ إنّـمانـحاوِلُ مُلْكا أو نَـمُوتَ فَنُعْذَرَا

فنصـب «نــموتَ فنعـذرا» وقـد رفـع «نــحاولُ», لأنـه أراد معنـى: إلا أن نـموت, أو حتـى نـموت, ومنه قول الآخر:

لا أسْتَطِيعُ نُزُوعا عَنْ مَوَدّتِهاأو يَصْنَعُ الـحُبّ بـي غيرَ الّذِي صَنَعا

وقوله: فَأَوحَى إلَـيْهِمْ رَبّهُـمْ لَنُهْلِكَـنّ الظّالِــمِينَ الـذين ظلــموا أنفسـهم, فأوجبوا لها عقاب الله بكُفرهم وقد يجوز أن يكـون قـيــل لهـم: الظالــمون لعبـادتهم, مَنْ لا تـجوز عبـادته من الأوثان والآلهة, فـيكون بوضعهم العبــادة فـي غير موضعها إذ كان ظلـما سُموا بذلك ظالـمين.

وقوله: وَلَنُسْكِنَنّكُمُ الأرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ هذا وعد من الله مَن وَعَد من أنبـيائه النصر علـى الكفرة به مـن قـومه, يقـول: لــما تــمادت أمــم الرسـل فــي الكفر, وتوعّدوا رسلهم بـالوقوع بهم, أوحى الله إلـيهم بإهلاك من كفـر بهـم

من أمـمهم ووعدهم النصر. وكلّ ذلك كان من الله وعيدا وتهديدا لــمشركي قوم نبـينا مـحمد صلى الله عليه وسـلم علــى كفرهـم بـه وجراءتهـم علــى نبـيه, وتثبـيتا لـمـحمد صلى الله عليه وسلم وأمرا له بـالصبر علـى ما لقـــي من الـمكروه فـيه من مشركي قومه, كما صبر من كان قبله من أولـي العز من رسله, ومعرّفَهُ أن عاقبة أمر من كفر به الهلاك وعاقبته النصـر علــيهم, سُنّةَ اللّهِ فـي الّذِينَ خَـلَوْا مِنْ قَبْلُ.

15661ـ حدثنا بشر, قال: حـدثنا يزيـدُ, قـال: حـدثنا سـعيد, عـن قتـادة: وَلَنُسْكِنَنّكُمْ الأرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ قال: وعدهم النصر فـي الدنـيا, والــجنة فـــي الآخرة.

وقوله: ذلكَ لِـمَنْ خافَ مَقامي وَخافَ وَعِيدِ يقول جلّ ثناؤه: هكذا فِعْلــى لــمن خـاف مقـامه بــين يـديّ, وخـاف وعيـدي فـاتقانــي بطـاعته وتـجنب سخطي, أنصره علـى من أراد به سوءا وبغـاه مكروهـا مـن أعـدائي, أُهلـك عدوّه وأخزيه وأورثه أرضه ودياره. وقال: لِـمَنْ خافَ مَقامي ومعناه ما قلت من أنه لـمن خاف مقامه بـين يديّ بحيث أقـيـمه هنالك للـحساب, كمَا قال: وَتَـجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أنّكُمْ تُكَذّبُونَ معناه: وتـجعلون رزقـي إياكم أنكم تكـذبون, وذلك أن العرب تضيف أفعالها إلـى أنفسها, وإلـى ما أوقعت علـيه, فتقـول: قد سررت برؤيتك وبرؤيتـي إياك, فكذلك ذلك.)

القول فـي تأويـل قوله تعالـى:{وَاسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلّ جَبّارٍ عَنِيدٍ }.

يقول تعالـى ذكره: واستفتـحت الرسل علـى قومها: أي استنصرت الله علـيها. وَخابَ كُلّ جَبّـارٍ عَنـيدٍ يقول: هلك كل متكبر جـائر حائـد عـن الإقـرار بتوحيد الله وإخلاص العبـادة له. والعنـيد والعاند والعنود بـمعنى واحد, ومــن الـجبـار تقول: هو جبـار بـيّن الـجَبَرية والـجَبَروتـية والـجَبْرُوّة والـجَبَرُوت.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

15662ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, ق ال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابـن أبـــي نــجيح, عـن مــجاهد: وَاسْتَفْتَــحُوا قـال: الرسـل كلهـا, يقـول: استنصروا علـى أعدائهم ومعانديهم: أي علــى مـن عانـد عـن اتبــاع الــحقّ وتـجنبه.

حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا شبـابة, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, مثله.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابـن أبـــي نـجيح, عن مـجاهد, «ح» وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ابن أبـي نـجيح, عـن مــجاهد, فـــي قـوله: وَاسْتَفْتَــحُوا قـال: الرسل كلها استنصروا. وَخابَ كُلّ جَبّـارٍ عَنِـيدٍ قال: معاند للـحقّ مـجانبه.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, عن مـجاهد, مثله.

وقال ابن جريج: استفتـحوا علـى قومهم.

15663ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, ق ال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى, حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـــي, قـال: ثنـــي عمـي, قـال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبــاس: وَاسْتَفْتَــحُوا وَخـابَ كُـلّ جَبّــارٍ عَنِــيدٍ قال: كانت الرسل والـمؤمنون يستضعفهم قومهم, ويَقْهَرونهم, ويكذّبونهم, ويدعونهم إلـى أن يعودوا فـي ملّتِهم, فأبى الله عزّ وجلّ لرسله وللـمؤمنـين

أن يعـودوا فــي ملّـة الكفـر, وأمرهـم أن يتوكّلـوا علــى اللـه, وأمرهـم أن يستفتـحوا علـى الـجبـابرة, ووعدهم أن يسكنهم الأرض من بعدهم, فأنــجز الله لهم ما وعدهم, واستفتـحوا كما أمرهم أن يستفتـحوا. وَخابَ كُـلّ جَبــارٍ عَنِـيدٍ.

15664ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا الـحجاج بن الـمنهال, قال: حدثنا أبو عوانة, عن الـمغيرة, عن إبراهيـم, فـي قوله: وَخابَ كُلّ جَبّــارٍ عَنِــيدٍ قـال: هو الناكب عن الـحقّ أي الـحائد عن اتبـاع طريق الـحقّ.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا مطرف, عن بشر, عن هشيـم, عن مغيرة, عن سماك, عن إبراهيـم: وَخابَ كُلّ جَبّــارٍ عَنِــيدٍ قـال: الناكب عن الـحقّ.

15665ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيدُ, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَاسْتَفْتَـحُوا يقول: استنصرت الرسل علـى قومها, قوله: وَخـابَ كُـلّ جَبّــارٍ عَنِـيدٍ والـجبـار العنـيد: الذي أبى أن يقول: لا إله إلا الله.

حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: وَاسْتَفْتَـحُوا قال: استنصرت الرسل علــى قومها. وَخـابَ كُـلّ جَبّــارٍ عَنِـيدٍ يقول: بعيد عن الـحقّ مُعرض عنه.

حدثنا الـحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, مثله, وزاد فـيه: معرض عنه, أبى أن يقول: لا إله إلا الله.

15666ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فــي قوله: وَخابَ كُلّ جَبّـارٍ عَنِـيدٍ قال: العنـيد عن الـحقّ الذي يعند عن الطريــق, قال: والعرب تقول: شرّ الإبل العنـيد الذي يخرج عن الطريق.

15667ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فــي قوله: وَاسْتَفْتَـحُوا وَخابَ كُلّ جَبّـارٍ عَنِـيدٍ قال: الـجبـار: هو الـمتـجبر.

وكان ابن زيد يقول فـي معنى قوله: وَاسْتَفْتَـحُوا خلاف قول هؤلاء, ويقول: إنـما استفتـحت الأمـم, فأجيبت.

15668ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فــي قوله: وَاسْتَفْتَـحُوا قال: استفتاحهم بـالبلاء, قالوا: اللهـمّ إن كـان هـذا الـذي أتـى به مـحمد هو الـحق من عندك فـأمطر علــينا حجـارة مـن السـماء كمـا أمطرتها علـى قوم لوط, أو ائتنا بعذاب ألـيـم قال: كان اسـتفتاحهم بــالبلاء كمـا استفتــح قــوم هــود. ائْتِنـا بِــمَا تَعِـدُنا إنْ كُنْـتَ مِـنَ الصّادِقِــينَ قـال: فـالاستفتاح: العذاب. قـال: قـيــل لهـم: إن لهـذا أجلاً, حين سـألوا اللـه أن ينزل علـيهم, فقال: بل نؤخرهم لـيوم تشخص فـيه الأبصار, فقالوا: لا نريــد أن نؤخر إلـى يوم القـيامة رَبّنا عَجّلْ لنَـا قِطّنَـا عـذابنا قَبْـلَ يَـوْمِ الـحِسَابِ. وقرأ: وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بـالعَذَابِ وَلَوْلا أجَلٌ مُسَمّى لَـجاءَهُمُ العَذَابُ حتــى بلـغ: وَمِنْ تَـحْتِ أرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا ما كُنْتُـمْ تَعْمَلُونَ.

الآية : 15

القول فـي تأويـل قوله تعالـى:

{وَمَا لَنَآ أَلاّ نَتَوَكّلَ عَلَى اللّهِ وَقَدْ هَـدَانَا سُـبُلَنَا وَلَنَصْـبِرَنّ عَلَـىَ مَـآ آذَيْتُمُونَـا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكّلِ الْمُتَوَكّلُونَ }.

(شا يقول تعالـى ذكره مخبرا عن قـيــل الرسـل لأمــمها: وَمـا لَنـا أنْ لا نَتَوَكّلَ علـى اللّهِ فنثق بـه وبكفــايته ودفــاعه إيـاكم عنـا, وَقَـدْ هَـدَانا سُـبُلَنا يقول: وقد بصرنا طريق النـجاة من عـذابه, فبــين لنـا. وَلَنَصْـبِرَنّ علــى مـا

آذَيْتُمُونا في الله وعلى ما نلقي منكم من المكروه فيه بسبب دعائنا إليكم إلى ما ندعوكم إليه من البراءة من الأوثان والأصنام وإخلاص العبادة له. وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ يقول: وعلى الله فليتوكل من كان به واثقا من خلقه, فأما من كان به كافرا فإن وليه الشيطان.

القول في تأويل قوله تعالى:

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ * وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ }.

(شا يقول عزّ ذكره: وقال الذين كفروا بالله لرسلهم الذين أرسلوا إليهم حين دعوهم إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له وفراق عبادة الآلهة والأوثان: لَنُخْرِجَنّكُمْ مِنْ أرْضِنا يعنون: من بلادنا, فنطردكم عنها. أوْ لَتَعُودُنّ في ملّتِنا يعنون: إلا أن تعودوا في ديننا الذي نحن عليه من عبادة الأصنام. وأدخلت في قوله: لَتَعُودُنّ لام, وهو في معنى شرط, كأنه جواب لليمين.

وإنما معنى الكلام: لنحرجنّكم من أرضنا أو تعودنّ في ملتنا, ومعنى «أو» ههنا معنى «إلا» أو معنى «حتى» كما يقال في الكلام: لأضربنك أو تقرّ لي, فمن العرب من يجعل ما بعد «أو» في مثل هذا الموضع عطفا على ما قبله, إن كان ما قبله جزما جزموه, وإن كان نصبا نصبوه, وإن كان فيه لام جعلوا فيه لاما, إذ كانت «أو» حرف نَسق. ومنهم من ينصب «ما» بعد «أو» بكل حال, ليعلم بنصبه أنه عن الأوّل منقطع عما قبله, كما قال امرؤ القيس:

بَكَى صَاحِبي لَمّا رأى الدّرْبَ دُونَهُوأيْقَنَ أنّا لاحِقانِ بقَيْصَرَا
فَقُلْتُ لَهُ: لا تَبْكِ عَيْنُكَ إنّمانحاوِلُ مُلْكا أو نَمُوتَ فَنُعْذَرَا

فنصب «نموتَ فنعذرا» وقد رفع «نحاولُ», لأنه أراد معنى: إلا أن نموت, أو حتى نموت, ومنه قول الآخر:

لا أسْتَطِيعُ نُزُوعا عَنْ مَوَدّتِهاأو يَصْنَعُ الحُبّ بي غيرَ الّذِي صَنَعا

وقوله: فَأوحَى إلَيْهِمْ رَبّهُمْ لَنُهْلِكَنّ الظّالِمِينَ الذين ظلموا أنفسهم, فأوجبوا لها عقاب الله بكُفرهم وقد يجوز أن يكون قيل لهم: الظالمون لعبادتهم, مَنْ لا تجوز عبادته من الأوثان والآلهة, فيكون بوضعهم العبادة في غير موضعها إذ كان ظلما سُموا بذلك ظالمين.

وقوله: وَلَنُسْكِنَنّكُمُ الأرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ هذا وعد من الله مَن وَعَد من أنبيائه النصر على الكفرة به من قومه, يقول: لما تمادت أمم الرسل في الكفر, وتوعّدوا رسلهم بالوقوع بهم, أوحى الله إليهم بإهلاك من كفر بهم من أممهم ووعدهم النصر. وكلّ ذلك كان من الله وعيدا وتهديدا لمشركي قوم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على كفرهم به وجراءتهم على نبيه, وتثبيتا لمحمد صلى الله عليه وسلم وأمرا له بالصبر على ما لقي من المكروه فيه من مشركي قومه, كما صبر من كان قبله من أولي العز من رسله, ومعرّفَهُ أن عاقبة أمر من كفر به الهلاك وعاقبته النصر عليهم, سُنّةَ اللّهِ في الّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ.

15661ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيدُ, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: وَلَنُسْكِنَنّكُمْ الأرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ قال: وعدهم النصر في الدنيا, والجنة في الآخرة.

وقوله: ذلكَ لِـمَنْ خافَ مَقامي وَخافَ وَعِيدِ يقول جلّ ثناؤه: هكذا فِعْلـى لـمن خـاف مقـامه بـين يـديّ, وخـاف وعيـدي فـاتقانـي بطـاعته وتـجنب سخطي, أنصره علـى من أراد به سوءا وبغـاه مكروهـا مـن أعـدائي, أهلـك عدوّه وأخزيه وأورثه أرضه ودياره. وقال: لِـمَنْ خافَ مَقامي ومعناه ما قلت من أنه لـمن خاف مقامه بـين يديّ بحيث أقـيـمه هنالك للـحساب, كمَا قال: وَتَـجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أنّكُمْ تُكَذّبُونَ معناه: وتـجعلون رزقـي إياكم أنكم تكـذبون, وذلك أن العرب تضيف أفعالها إلـى أنفسها, وإلـى ما أوقعت علـيه, فتقـول: قد سررت برؤيتك وبرؤيتـي إياك, فكذلك ذلك.)

القول فـي تأويـل قوله تعالـى:{وَاسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلّ جَبّارٍ عَنِيدٍ }.
يقول تعالـى ذكره: واستفتـحت الرسل علـى قومها: أي استنصرت الله علـيها. وَخابَ كُلّ جَبّـارٍ عَنـيدٍ يقول: هلك كل متكبر جـائر حائـد عـن الإقـرار بتوحيد الله وإخلاص العبـادة له. والعنـيد والعاند والعنود بـمعنى واحد, ومـن الـجبـار تقول: هو جبـار بـيّن الـجَبَرية والـجَبَروتـية والـجَبْرُوّة والـجَبَرُوت.
وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:
15662ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابـن أبـي نـجيح, عـن مـجاهد: وَاسْتَفْتَـحُوا قـال: الرسـل كلهـا, يقـول: استنصروا علـى أعدائهم ومعانديهم: أي علـى مـن عانـد عـن اتبـاع الـحقّ وتـجنبه.
حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا شبـابة, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, مثله.
حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابـن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, «ح» وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ابن أبـي نـجيح, عـن مـجاهد, فـي قـوله: وَاسْتَفْتَـحُوا قـال: الرسل كلها استنصروا. وَخابَ كُلّ جَبّـارٍ عَنِـيدٍ قال: معاند للـحقّ مـجانبه.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, عن مـجاهد, مثله.
وقال ابن جريج: استفتـحوا علـى قومهم.
15663ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى, حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قـال: ثنـي عمـي, قـال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس: وَاسْتَفْتَـحُوا وَخـابَ كُـلّ جَبّـارٍ عَنِـيدٍ قال: كانت الرسل والـمؤمنون يستضعفهم قومهم, ويَقْهَرونهم, ويكذّبونهم, ويدعونهم إلـى أن يعودوا فـي ملّتِهم, فأبى الله عزّ وجلّ لرسله وللـمؤمنـين أن يعـودوا فـي ملّـة الكفـر, وأمرهـم أن يتوكّلـوا علـى اللـه, وأمرهـم أن يستفتـحوا علـى الـجبـابرة, ووعدهم أن يسكنهم الأرض من بعدهم, فأنـجز الله لهم ما وعدهم, واستفتـحوا كما أمرهم أن يستفتـحوا. وَخابَ كُـلّ جَبـارٍ عَنِـيدٍ.
15664ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا الـحجاج بن الـمنهال, قال: حدثنا أبو عوانة, عن الـمغيرة, عن إبراهيـم, فـي قوله: وَخابَ كُلّ جَبّـارٍ عَنِـيدٍ قـال: هو الناكب عن الـحقّ أي الـحائد عن اتبـاع طريق الـحقّ.

حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا مطرف, عن بشر, عن هشيم, عن مغيرة, عن سماك, عن إبراهيم: وَخابَ كُلّ جَبّارٍ عَنِيدٍ قال: الناكب عن الحقّ.

15665ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيدُ, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَاسْتَفْتَحُوا يقول: استنصرت الرسل على قومها, قوله: وَخابَ كُلّ جَبّارٍ عَنِيدٍ والجبار العنيد: الذي أبى أن يقول: لا إله إلا الله.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: وَاسْتَفْتَحُوا قال: استنصرت الرسل على قومها. وَخابَ كُلّ جَبّارٍ عَنِيدٍ يقول: بعيد عن الحقّ مُعرض عنه.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, مثله, وزاد فيه: معرض عنه, أبى أن يقول: لا إله إلا الله.

15666ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَخابَ كُلّ جَبّارٍ عَنِيدٍ قال: العنيد عن الحقّ الذي يعند عن الطريق, قال: والعرب تقول: شرّ الإبل العنيد الذي يخرج عن الطريق.

15667ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَاسْتَفْتَحُوا وَخابَ كُلّ جَبّارٍ عَنِيدٍ قال: الجبار: هو المتجبر.

وكان ابن زيد يقول في معنى قوله: وَاسْتَفْتَحُوا خلاف قول هؤلاء, ويقول: إنما استفتحت الأمم, فأجيبت.

15668ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَاسْتَفْتَحُوا قال: استفتاحهم بالبلاء, قالوا: اللهمّ إن كان هذا الذي أتى به محمد هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء كما أمطرتها على قوم لوط, أو ائتنا بعذاب أليم قال: كان استفتاحهم بالبلاء كما استفتح قوم هود. ائْتِنا بِمَا تَعِدُنا إنْ كُنْتَ مِنَ الصّادِقِينَ قال: فالاستفتاح: العذاب. قال: قيل لهم: إن لهذا أجلاً, حين سألوا الله أن ينزل عليهم, فقال: بل نؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار, فقالوا: لا نريد أن نؤخر إلى يوم القيامة رَبّنا عَجّلْ لنَا قِطّنَا عذابنا قَبْلَ يَوْمِ الحِسَابِ. وقرأ: وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بالعَذَابِ وَلَوْلا أجَلٌ مُسَمّى لَجاءَهُمُ العَذَابُ حتى بلغ: وَمِنْ تَحْتِ أرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ.

الآية : 16-17

القول في تأويل قوله تعالى:{مّن وَرَآئِهِ جَهَنّمُ وَيُسْقَىَ مِن مّآءٍ صَدِيدٍ * يَتَجَرّعُهُ وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيّتٍ وَمِن وَرَآئِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ }.

يقول عزّ ذكره: مِنْ وَرَائِهِ من أمام كلّ جبار جَهَنّمُ يردونها. ووراء في هذا الموضع: يعني أمام, كما يقال: إن الموت من ورائك: أي قدامك, وكما قال الشاعر:

أتُوعِدُني وَرَاءَ بَنِي رِياحٍكَذَبْتَ لَتَقْصُرّنّ يَداكَ دُونِي

يعني وراء بني رياح: قدّام بني رياح وأمامهم.

وكان بعض نحويّ أهل البصرة يقول: إنما يعني بقوله: مِنْ وَرَائِهِ أي من أمامه, لأنه وراء ما هو فيه, كما يقول لك: وكلّ هذا من ورائك: أي سيأتي عليك, وهو من وراء ما أنت فيه قد كان قبل ذلك وهو من ورائه. وقال: وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يأخُذُ كُلّ سَفِينَةٍ غَصْبا من هذا المعنى: أي كان وراءَ ما هم في أمامَهم. وكان بعض نحويّي أهل الكوفة يقول: أكثر ما يجوز هذا في

الأوقـات, لأن الـوقت يــمرّ علــيك فــيصير خــلفك إذا جُزتـه, وكـذلك كـان وراءهم ملك, لأنهم يجوزونه فـيصير وراءهم. وكان بعضـهم يقـول: هـو مـن حروف الأضداد, يعنـي وراء يكون قداما وخـلفـا.

وقوله: وَيُسْقَـى مِنْ ماءٍ صَدِيدٍ يقول: ويُسقـى من ماء, ثم بـين ذلك الـماء جلّ ثناؤه وما هو, فقـال: هـو صـديد ولـذلك ردّ الصـديد فــي إعرابـه علــى الـماء, لأنه بـيان عنه, والصديد: هو القـيح والدم. وكذلك تأوّله أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

15669ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسـى وحدثنــي الــحارث, قـال: حـدثنا الــحسن قـال: حـدثنا ورقـاء «ح» وحدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا شبـابة, قال: حدثنا ورقـاء, عــن ابــن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, فـي قوله: مِنْ ماءٍ صَدِيدٍ قال: قـيح ودم.

حدثنا الـمثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حـدثنا شـبل, عــن ابــن أبــي نـجيح, عن مـجاهد, مثله.

15670ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَيُسْقَـى مِنْ ماءٍ صَدِيدٍ والصديد: ما يسيـل من دمه ولـحمه وجلده.

حدثنا الـحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, فـي قوله: وَيُسْقَـى مِنْ ماءٍ صَدِيدٍ قال: مـا يسيــل مــن بــين لــحمه وجلده.

15671ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حـدثنا هشـام, عمـن ذكره, عن الضحاك: وَيُسْقَـى مِنْ ماءٍ صَدِيدٍ قال: يعنـي بـالصديد: مـا يخـرج من جوف الكافر قد خالط القـيْحَ والدم.

وقوله: يَتَـجَرّعُهُ يتـحسّاه, وَلا يَكادُ يُسِيغُهُ يقول: ولا يكاد يزدرده من شدّة كراهته, وهو يسيغه من شدّة العطش. والعرب تـجعل «لا يكـاد» فـيــما قـد فُعِل, وفـيـما لـم يفعل. فأما ما قد فعل فمنه هذا, لأن الله جـلّ ثنـاؤه جعـل لهم ذلك شرابـا وأما ما لـم يُفْعل وقد دخـلت فـيه «كـاد» فقـوله: حتــى إذَا أخرْجَ يَدَهُ لَـمْ يَكَدْ يَرَاها فهو لا يراها.

وبنـحو ما قلنا من أن معنى قوله: وَلا يَكادُ يُسِيغُهُ وهو يسيغه, جاء الــخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ذكر الرواية بذلك:

15672ـ حدثنـي مـحمد بـن الــمثنى, قـال: حـدثنا إبراهيــم أبـو إسـحاق الطالَقانـيّ, قال: حدثنا ابن الـمبـارك, عن صفوان بن عمرو, عن عبـيد اللـه بن بسر, عن أبـي أمامـة, عــن النبــيّ صـلى اللـه عليـه وسـلم فــي قـوله: وَيُسْقَـى مِنْ ماءٍ صَدِيدٍ يَتَـجَرّعُهُ: «فإذَا شَرِبَهُ قَطّعَ أمْعاءَهُ حتــى يَخْـرُجَ مِـنْ دُبُرِهِ» يقول الله عزّ وجلّ: وَسَقُوا ماءً حَمِيـما فَقَطّعَ أمْعاءَهُمْ, ويقــول: وَإنْ يَسْتَغِيثُوا يُغاثُوا بِـمَاءٍ كالـمُهْلِ يَشْوِي الوُجُوهَ بِئْسَ الشّرَابُ.

حدثنا ابن الـمثنى, قال: حدثنا معمـر, عـن ابـن الـمبــارك, قـال: حـدثنا صفوان بن عمرو, عن عبـيد الله بن بُسْر, عن أبـي أمامة, عن النبــيّ صـلى الله عليه وسلم, فـي قوله: وَيُسْقَـى مِنْ ماءِ صَدِيدٍ فذكر مثلـه, إلا أنـه قـال سُقُوا ماءَ حَمِيـما.

حدثنــي مــحمد بـن خــلف العَسْقلانـي, قـال: حـدثنا حَيْـوة بـن شُـرَيْحِ الـحِمْصِيّ, قال: حدثنا بقـية, عن صفوان ابن عمرو, قـال: ثنــي عبــيد اللـه بن بسر, عن أبـي أمامة, عن النبـيّ صلى الله عليه وسلم مثله سواء.

وقوله: وَيأْتِيهِ الـمَوْتُ مِنْ كُلّ مَكانٍ وَما هُـوَ بِـمَيّت فـإنه يقـول: ويأتـيه الـموت من بـين يديه ومن خـلفه, وعن يـمينه وشماله, ومن كلّ موضع مـن أعضاء جسـده. وَمـا هُـوَ بِـمَيّتٍ لأنـه لا تـخرج نَفْسـه فـيـموت فـيستريح, ولايحيا لتعلق نفسه بـالـحناجر, فلا ترجع إلـى مكانها. كما:

15673ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عـن ابـن جريج, عن ماهد, فـي قوله: يَتَـجَرّعُهُ وَلا يَكادُ يُسيغُهُ وَيَأْتِـيهِ الـمَوْتُ مِنْ كُـلّ مَكانٍ وَما هُوَ بِـمَيّتٍ قال: تعلـق نفسـه عنـد حنـجرته, فلا تـخرج مـن فـيه فـيـموت ولا ترجع إلـى مكانها من جوفه فـيجد لذلك راحة فتنفعه الـحياة.

15674ـ حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا يزيد بن هارون, قال: حدثنا العوّام بن حوشب, عن إبراهيـم التـيـميّ قوله: وَيأْتِـيهِ الـمَوْتُ مِنْ كُلّ مَكانٍ قال: من تـحت كلّ شعرة فـي جسـده. وقـوله: وَمِـنْ وَرَائِـهِ عَـذَابٌ غَلـيظٌ يقول: ومن وراء ما هو فـيه من العذاب, يعنـي أمامَه وقدامَه عذاب غلـيظ.

الآية : 18

القول فـي تأويـل قوله تعالـى:

{مّثَلُ الّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدّتْ بِهِ الرّيحُ فِـي يَـوْمٍ عَاصِـفٍ لاّ يَقْدِرُونَ مِمّا كَسَبُواْ عَلَىَ شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضّلاَلُ الْبَعِيدُ }.

(شا اختلف أهل العربـية فـي رافع مَثَلُ, فقـال بعـض نـحويّـي البصـرة: إنـما هو كأنه قال: ومـما نقصّ علـيك مَثَلُ الّذِينَ كَفَرُوا, ثم أقبل يفسـر كمـا قال: مَثَلُ الـجَنّة, وهذا كثـير. وقال بعض نـحوّيـي الكوفـيـين: إنـما الـمَثَل للأعمال, ولكن العرب تُقَدّم الأسماء لأنهـا أعـرف, ثـم تأتـي بـالـخبر الـذي تـخبر عنه مع صاحبه. معنى الكلام: مثل أعمال الذين كفـروا بربهـم كرَمـاد, كما قـيـل: وَيَـوْمَ القِـيامَةِ تَـرى الّـذِين كَـذَبُوا علـى اللّـهِ وُجُـوهُهُمْ مُسْـوَدّةٌ ومعنى الكلام: ترى ويوم القـيامة وجـوه الـذين كـذبوا علـى اللـه مسـودّة. قال: ولو خفض الأعمال جاز, كما قال: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشّـهْرِ الـحَرَامِ قِتـالٍ فِـيهِ... الآية. وقوله: مَثَلُ الـجَنّةِ التـي وُعِـدَ الـمُتّقُونَ تَـجْرِفي مِـنْ تَـحْتِهَا الأنهارُ قال: فتـجري هو فـي موضع الـخبر, كأنه قال: أن تـجريَ, وأن يكـون كذا وكذا, فلو أدخـل «أن» جاز, قال: ومنه قول الشاعر:

ذَرِينـي إنّ أمْرَكِ لَنْ يُطاعاوَما أَلْفَـيْتِنـي حِلْـمِي مُضَاعَا

قال: فـالـحلـم منصور ب «ألفـيت» علـى التكرير, قال: ولـو رفعـه كـان صوابـا. قال: وهذا مثَل ضربه الله لأعمال الكفّـار, فقال: مثل أعمال الـذين كفروا يوم القـيامة التـي كانوا يعملونها فـي الدنـيا يزعمـون أنهـم يريـدون الله بها, مثل رماد عصفت الريح علـيه فـي يوم ريح عاصف, فنسفته وذهبت به, فكذلك أعمال أهل الكفر به يوم القـيامة, لا يجـدون منهـا شـيئا ينفعهـم عند الله فـينـجيهم من عذابه, لأنهم لـم يكونوا يعملونها لله خالصا, بل كـانوا يشركون فـيها الأوثان والأصنام, يقول الله عزّ وجلّ: ذلكَ هُوَ الضّـلالُ البَعِيـدُ يعنـي أعمالهم التـي كانوا يعملونها فـي الدنـيا التـي يشركون فـيها مـع اللـه شركاء, هي أعمال عُملت علـى غيـر هـدى واسـتقامة, بـل علـى جَـوْر عـن الهدى بعيد, وأخـذ علـى غيـر اسـتقامة شـديد. وقـيـل: فِـي يَـوْمٍ عاصِـفٍ فوُصف بـالعُصوف, وهو من صفة الريح, لأن الريح تكون فـيه كما يقال: يوم بـارد, ويوم حارّ, لأن البرد والـحرارة يكونان فـيه وكما قال الشاعر:

ثديك سنة وجه غير مقرفةملساء لـيس بها خال ولا ندب

وقوله: ذلكَ هُوَ الضّلالُ البَعيدُ: أي الـخطأ البـين البعيد عن طريق الـحقّ.

القول في تأويل قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنّ اللّهَ خَلَقَ السّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحقّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللّهِ بِعَزِيزٍ }.

يقول عزّ ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ألم تر يا محمد بعين قلبك, فتعلم أن الله أنشأ السموات والأرض بالحقّ منفردا بانشائها بغير ظهير ولا معين. إنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيأتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ يقول: إن الذي تفرّد بخلق ذلك وإنشائه من غير معين ولا شريك, إن هو شاء أن يُذْهَبكم فيفنيَكم أذهبكم وأفناكم, ويأت بخلق آخر سواكم مكانكم, فيجدّد خلقهم. وَما ذلكَ على اللّهِ بِعَزِيزٍ يقول: وما إذهابكم وإفناؤهم وإنشاء خلق آخر سواكم مكانكم على الله بممتنع ولا متعذّر, لأنه القادر على ما يشاء.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: أَلَمْ تَرَ أنّ اللّهَ خَلَقَ فقرأ ذلك عامّة قرّاء أهل المدينة والبصرة وبعض الكوفيين: «خَلَق» على «فعَل». وقرأته عامّة قرّاء أهل الكوفة «خالق» على «فاعل», وهما قراءتان مستفيضتان قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القرّاء متقاربتا المعنى, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

الآية : 19-20

القول في تأويل قوله تعالى:

{مّثَلُ الّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدّتْ بِهِ الرّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاّ يَقْدِرُونَ مِمّا كَسَبُواْ عَلَىَ شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضّلاَلُ الْبَعِيدُ }.

(شا اختلف أهل العربية في رافع مَثَلُ, فقال بعض نحويّي البصرة: إنما هو كأنه قال: ومما نقصّ عليك مَثَلُ الّذِينَ كَفَرُوا, ثم أقبل يفسر كما قال: مَثَلُ الجَنّة, وهذا كثير. وقال بعض نحوّيي الكوفيين: إنما المَثَل للأعمال, ولكن العرب تُقَدّم الأسماء لأنها أعرف, ثم تأتي بالخبر الذي تخبر عنه مع صاحبه. معنى الكلام: مثل أعمال الذين كفروا بربهم كرَماد, كما قيل: وَيَوْمَ القِيامَةِ تَرى الّذِين كَذَبُوا على اللّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدّةٌ ومعنى الكلام: ترى ويوم القيامة وجوه الذين كذبوا على الله مسودّة. قال: ولو خفض الأعمال جاز, كما قال: يَسْألُونَكَ عَنِ الشّهْرِ الحَرَامِ قِتالٍ فِيهِ... الآية. وقوله: مَثَلُ الجَنّةِ التي وُعِدَ المُتّقُونَ تَجْرِفي مِنْ تَحْتِها الأنهارُ قال: فتجري هو في موضع الخبر, كأنه قال: أن تجريَ, وأن يكون كذا وكذا, فلو أدخل «أن» جاز, قال: ومنه قول الشاعر:

ذَرِيني إنّ أمْرَكِ لَنْ يُطاعاوَما أُلْفَيْتِني حِلْمِي مُضَاعَا

قال: فالحلم منصور ب «ألفيت» على التكرير, قال: ولو رفعه كان صوابا. قال: وهذا مثَل ضربه الله لأعمال الكفّار, فقال: مثل أعمال الذين كفروا يوم القيامة التي كانوا يعملونها في الدنيا يزعمون أنهم يريدون الله بها, مثل رماد عصفت الريح عليه في يوم ريح عاصف, فنسفته وذهبت به, فكذلك أعمال أهل الكفر به يوم القيامة, لا يجدون منها شيئا ينفعهم عند الله فينجيهم من عذابه, لأنهم لم يكونوا يعملونها لله خالصا, بل كانوا يشركون فيها الأوثان والأصنام, يقول الله عزّ وجلّ: ذلكَ هُوَ الضّلالُ البَعِيدُ يعني أعمالهم التي كانوا يعملونها في الدنيا التي يشركون فيها مع الله شركاء, هي أعمال عُملت على غير هدى واستقامة, بل على جَوْر عن الهدى بعيد, وأخذ على غير استقامة شديد. وقيل: فِي يَوْمٍ عاصِفٍ

فوُصف بـالعُصوف, وهو من صفة الريح, لأن الريح تكون فـيه كما يقال: يوم بـارد, ويوم حارّ, لأن البرد والـحرارة يكونان فـيه وكما قال الشاعر:

ثديك سنة وجه غير مقرفةملساء لـيس بها خال ولا ندب

وقوله: ذلكَ هُوَ الضّلالُ البَعيدُ: أي الـخطأ البـين البعيد عن طريق الـحقّ.

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {أَلَمْ تَرَ أَنّ اللّهَ خَلَقَ السّـمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحقّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللّهِ بِعَزِيزٍ }.

يقول عزّ ذكره لنبـيه مـحمد صلى الله عليه وسلم: ألـم تر يا مـحمد بعين قلبك, فتعلـم أن الله أنشأ السموات والأرض بـالـحقّ منفردا بـانشائها بغيـر ظهير ولا معين. إنْ يَشَأْ يُـذْهِبْكُمْ وَيـأتِ بِخَـلْقٍ جَدِيـدٍ يقـول: إن الـذي تفـرّد بخـلق ذلـك وإنشـائه مـن غيـر معيـن ولا شـريك, إن هـو شـاء أن يُـذْهَبكم فـيفنـيَكم أذهبكـم وأفنـاكم, ويـأت بخـلق آخـر سـواكم مكـانكم, فـيجدّد خـلقهم. وَما ذلكَ علـى اللّـهِ بِعَزِيـزٍ يقـول: ومـا إذهـابكم وإفنـاؤهم وإنشـاء خـلق آخر سواكم مكانكم علـى الله بـمـمتنع ولا متعذّر, لأنه القادر علـى مـا يشاء.

واختلفت القرّاء فـي قراءة قوله: أَلَـمْ تَرَ أنّ اللّهَ خَـلَقَ فقـرأ ذلـك عامّـة قرّاء أهل الـمدينة والبصـرة وبعـض الكوفـيـين: «خَـلَق» علـى «فعَـل». وقرأته عامّة قـرّاء أهـل الكوفـة «خـالق» علـى «فـاعل», وهمـا قراءتـان مستفـيضتان قد قرأ بكل واحدة منهمـا أئمـة مـن القـرّاء متقاربتـا الـمعنى, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

الآية : 21

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَبَرَزُواْ للّهِ جَمِيعاً فَقَالَ الضّـعَفَاءُ لِلّـذِينَ اسْتَكْبَرُوَاْ إِنّا كُنّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُمْ مّغْنُونَ عَنّا مِنْ عَذَابِ اللّهِ مِن شَيْءٍ قَالُواْ لَوْ هَدَانَا اللّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مّحِيصٍ }.

يعنـي تعالـى ذكره بقوله: وَبَرَزُواْ لِلّهِ جَمِيعا وظهر هؤلاء الذين كفروا به يوم القـيامة من قبورهم فصـاروا بـالبزار مـن الأرض جميعـا, يعنـي كلهـم. فَقالَ الضّعَفـاءُ للّذِينَ اسْتَكْبَرُوا يقول: فقال التبـاع منهـم للـمتبوعين, وهـم الذين كانوا يستكبرون فـي الدنـيا عـن إخلاص العبـادة للـه واتبـاع الرسـل الذين أرسلوا إلـيهم: إنّا كُنّا لَكُـمْ تَبَعـا فـي الدنـيا, والتّبَـع: جمـع تـابع, كمـا الغَيَبُ جمع غائب. وإنـما عَنَوا بقولهم: إنّا كُنّا لَكُـمْ تَبَعَـا أنهـم كـانوا أتبـاعهم فـي الدنـيا يأتـمرون لـما يـأمرونهم بـه مـن عبـادة الأوثـان والكفـر بـالله, وينتهون عما نهوهم عنه من اتبـاع رسـل اللـه. فَهَـلْ أَنْتُـمْ مُغْنُـونَ عَنّـا مِـنْ عَذَابِ اللّهِ مِنْ شَيْءٍ يعنون: فهل أنتـم دافعون عنا الـيوم من عذاب الله من شيء. وكان ابن جريج يقول نـحو ذلك.

15675ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عـن ابـن جريج, قوله: وَقالَ الضّعَفـاءُ قال: الأتبـاع للّذِينَ اسْتَكْبَرُوا قال: للقادة.

وقوله: لَوْ هَدَانا اللّهُ لَهَدَيْناكُمْ يقول عزّ ذكره: قـالت القـادة علـى الكفـر بـالله لتبـاعها: لَوْ هَدَانا اللّهُ يعنون: لو بـين لنا شيئا ندفع به عذابه عنا الـيوم, لَهَدْيَنَاكُمْ لبـيّنا ذلك لكم حتـى تدفعوا العذاب عن أنفسكم, ولكنـا قـد جزعنـا من العذاب فلـم ينفعنا جزعنا منـه وصـبرنا علـيها. سَـوَاءٌ عَلَـيْنا أجَزِعْنـا أمْ صَبَرْنا ما لَنا مِنْ مَـحِيصٍ يعنون: ما لهم من مزاغ يزوغـون عنـه, يقـال منـه: حاص عن كذا إذا زاغ عنه يحِيص حَيْصا وحُيُوصا وحَيَصانا.

15676ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا سويد بن نصر, قال: أخبرنا ابن المبارك, عن الحكم, عن عمر بن أبي ليلى أحد بني عامر, قال: سمعت محمد بن كعب القُرَظِيّ يقول: بلغني أو ذُكر لي أن أهل النار قال بعضهم لبعض: يا هؤلاء, إنه قد نزل بكم من العذاب والبلاء ما قد تَرَوْن, فهلمّ فلنصبر, فلعلّ الصبر ينفعنا كما صبر أهل الدنيا على طاعة الله فنفعهم الصبر إذ صبروا قال: فيجمعون رأيهم على الصبر, قال: فصبروا فطال صبرهم, ثم جزعوا فنادوا: سَوَاءٌ عَلَيْنا أَجَزِعْنا أَمْ صَبَرْنا ما لَنا مِنْ مَحِيص أي مَنْجي.

15677ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: سَوَاءٌ عَلَيْنا أَجَزِعْنا أَمْ صَبرْنا ما لَنا مِنْ مَحِيصٍ قال: إن أهل النار قال بعضهم لبعض: تعالَوا, فإنما أدرك أهل الجنة الجنَة ببكائهم وتضرّعهم إلى الله, فتعالَوا نبكي ونتضرّع إلى الله قال: فبكَوا, فلما رأوا ذلك لا ينفعهم قالوا: تعالوا, فما أدرك أهل الجنة الجنَة إلا بالصبر, تعالَوا نصبر فصَبروا صبرا لم يُر مثله, فلم ينفعهم ذلك فعند ذلك قالوا سَوَاءٌ عَلَيْنا أَجَزِعْنا أَمْ صَبرْنا ما لَنا مِنْ مَحِيصٍ.

الآية : 22

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقَالَ الشّيْطَانُ لَمّا قُضِيَ الأمْرُ إِنّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقّ وَوَعَدتّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مّن سُلْطَانٍ إِلاّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُوَاْ أَنفُسَكُمْ مّآ أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُمْ بِمُصْرِخِيّ إِنّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنّ الظّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: وقال إبليس لما قُضِي الأمر, يعني لما أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار واستقرّ بكلّ فريق منهم قرارهم: إن الله وعدكم أيها الأتباع النار, ووعدتكم النّصْرة فأخلفتكم وعدي, ووفى الله لكم بوعده. وَما كانَ لي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ يقول: وما كان لي عليكم فيما وعدتكم من النصرة من حجة تثبت لي عليكم بصدق قولي إلاّ أنْ دَعَوْتُكُمْ وهذا الاستثناء المنقطع عن الأوّل كما تقول: ما ضربته إلا أنه أحمق, ومعناه: ولكن دعوتكم فاسْتَجَبْتُمْ لي يقول: إلا أن دعوتكم إلى طاعتي ومعصية الله, فاستجبتم لدعائي. فَلا تَلُومُونِي على إجابتكم إياي وَلُومُوا أنْفُسَكُمْ عليها. ما أنا بِمُصْرِخِكُمْ يقول: ما أنا بمغيثكم وَما أنْتُمْ بِمُصْرِخِيّ ولا أنتم بمغيثيّ من عذاب الله فمنجّي منه. إنّي كَفَرْتُ بِمَا أشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ يقول: إني جحدت أن أكون شريكا لله فيما أشركتموني فيه من عبادتكم من قبلُ في الدنيا. إنّ الظّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ يقول: إنّ الكافرين بالله لهم عذاب أليم من الله مُوجع, يقال: أصرخت الرجل: إذا أغثته إصراخا, وقد صَرَخ الصارخ يَصْرُخ, ويَصْرَخ قليلة وهو الصّريخ والصّراخ.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

15678ـ حدثني محمد بن المثنى, قال: حدثنا عبد الأعلى, قال: حدثنا داود, عن عامر في هذه الآية: ما أنا بمُصْرِخِكُمْ وَما أنْتُمْ بِمِصْرِخِيّ إنّي كَفَرْتُ بِمَا أشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ قال: خطيبان يقومان يوم القيامة: إبليس, وعيسى ابن مريم فأما إبليس فيقوم في حزبه فيقول هذا القول وأما عيسى عليه السلام فيقول: ما قُلْتُ لَهُمْ إلاّ ما أمَرْتَنِي بِهِ أن

اعْبُدُوا اللّهَ رَبّـي وَرَبّكُمْ وكُنْتُ عَلَـيْهِمْ شَهيدا ما دُمْتُ فِـيهِمْ, فَلَـمّا تَوَفّـيْتَنِــي كنْتَ أنْتَ الرّقِـيبَ عَلَـيْهِمْ وأنْتَ عَلـى كُلّ شَيْءٍ شَهِيدٌ.

حدثنـي يعقـوب بـن إبراهيــم, قـال: حـدثنا ابـن علــية, عـن داود, عـن الشعبـي, قال: يقوم خطيبـان يوم القـيامة: أحدهما عيسى, والآخر إبلــيس فأما إبلـيس فـيقوم فـي حزبه فـيقول: إنّ اللّهَ وَعَدكُمْ وَعْدَ الــحَقّ فتلا داود حتـى بلغ: بِـمَا أشْرَكْتُـمُونِ مِنْ قَبْـلُ فلا أدري أتــمّ الآية أم لا؟ وأمـا عيسـى علـيه السلام فـيقال له: أأنْتَ قُلْتَ للنّاسِ اتّـخِذُونِـي وأمّـيَ إلَهْيـنِ مِـنْ دُونِ اللّهِ فتلا حتـى بلغ: إنّكَ أنْتَ العَزِيزُ الـحَكِيـمُ.

حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا علـيّ بن عاصم, عن داود بن أبـي هند, عن عامر, قال: يقول خطيبـان يوم القـيامة علـى رءوس الناس, يقول الله عزّ وجلّ: يا عيسى ابن مريـم أأنْتَ قُلْتَ للنّاسِ اتّـخِذُونِـي وأمّـيَ إلهَيْـنِ مِنْ دُونِ اللّهِ... إلـى قوله: هَـذّا يَـوْمُ يَنْفَـعُ الصّادِقِــينَ صِـدْقُهُمْ قال: ويقـوم إبلـيس فـيقول: وَما كانَ لـيَ عَلَـيْكُمْ مِـنْ سُـلْطانٍ إلاّ أنْ دَعَـوْتُكُم الــمثنى, فـاسْتَـجَبْتُـمْ لِـي, فَلا تَلُومُونـي وَلُومُوا أنْفُسَكُمْ ما أنا بِــمُصْرِخِكُمْ ومـا أنْتُــمْ بِـمُصْرِخِيّ ما أنا بـمغيثكم وما أنتـم بـمغيثـيّ.

حدثنا الـحسين, قال: حدثنا سعيد بن منصور, قال: ثنـي خالد, عن داود, عن الشعبــي, فــي قـوله: مـا أنـا بِــمُصْرِخِكُمْ وَمـا أنْتُــمْ بِــمُصْرِخِيّ قـال: خطيبـان يقومان يوم القـيامة فأما إبلـيس فـيقول هذا وما عيسـى فــيقول: ما قُلْتُ لَهُمْ إلاّ ما أمَرْتَنِـي بِهِ.

15679ـ حدثنا الـمثنى, قـال: حـدثنا سـويد بـن نصـر, قـال: أخبرنـا ابـن الـمبـارك, عن رشدين بن سعد, قال: أخبرنـي عبـد الرحمـن بـن زيـاد, عـن دُخَين الـحَجْرِي, عن عقبة بن عامر, عن رسول الله صلى الله عليـه وسـلم, ذكر الـحديث قال: «يقول عيسَى: ذلِكُمُ النّبِـيّ الأمّيّ فَـيَأْتُونَنِـي, فَـيأذَنُ اللّهُ لـي أنْ أقُومَ فَـيَثُورُ مِنْ مَـجْلِسِي مِنْ أطْيَبِ رِيحٍ شَمّها أحَدٌ حتـى آتِـىَ رَبّـي, فَـيُشَفعّنِـي, وَيَجْعَلَ لِـي نُورا إلـى نُورٍ مِنْ شَعْرِ رأسِي إلـى ظُفْرِ قَدَمي, ثُـمّ يَقولُ الكافِرُونَ: قَدْ وَجَدَ الـمُؤْمِنُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَهُـمْ فَقُـمْ أنْـتَ فَــاشْفَع لَنـا, فإنّكَ أنْتَ أضْلَلْتَنا, فَـيَقُومُ فَـيَثُورُ مِنْ مَـجْلِسِهِ أنْتَنُ رِيحٍ شَمّها أحَدٌ, ثُمّ يَعْظُـمُ نَـحِيبُهُمْ, وَيَقُولُ عِنْدَ ذلكَ: إنّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الـحَقّ وَوَعَدْتُكُمْ فأخْـلَفْتُكمْ... الآية».

15680ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبـي, عن سفـيان, عـن رجـل, عـن الـحسن, فـي قوله: وَما كانَ لــيَ عَلَــيْكُمْ مِـنْ سُـلْطانٍ قـال: إذا كـان يـوم القـيامة, قام إبلـيس خطيبـا علـى منبر من نار, فقال: إنّ اللّهَ وَعَـدَكُمْ وَعْـدَ الـحَقّ وَوَعَدْتُكُمْ فأخْـلَفْتُكُمْ... إلـى قوله: وَما أنْتُـمْ بِـمُصْرِخِيّ قال: بناصـريّ إنّـي كَفَرْتُ بِـمَا أشْرَكْتُـمُونِ مِنْ قَبْلُ قال: بطاعتكم إياي فـي الدنـيا.

15681ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا سويد, قال: أخبرنـا ابـن الـمبــارك عمن ذكره, قال: سمعت مـحمد بن كعب القرظي, قـال فــي قـوله: وَقـالَ الشّيْطانُ لَـمّا قُضِيَ الأمْـرُ إنّ اللّـهَ وَعَـدَكُمْ وَعْـدَ الـحَقّ قـال: قـام إبلــيس يخطبهم فقال: إنّ اللّهَ وَعْدَكُمْ وَعْدَ الـحَقّ... إلـى قوله: مـا أنـا بِــمْصْرِخِكُمْ يقول: بـمغن عنكم شيئا, وَما أنْتُـمْ بِـمُصْرِخِيّ إنّـي كَفَرْتُ بِــمَا أشْرَكْتُــمُونَ مِنْ قَبْلُ قال: فلـما سمعوا مقالته مقتوا أنفسهم, قال: فنودوا: لَـمَقْتُ اللّــهِ أكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أنْفُسَكُمْ... الآية.

15682ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: ما أنا بِـمُصْرِخِكُمْ وَما أَنْتُـمْ بِـمُصْرِخِيّ ما أنا بـمغيثكم وما أنتـم بـمغيثـيّ.
وقوله: إنّـي كَفَرْتُ بِـمَا أَشْرَكْتُـمُونِ مِنْ قَبْلُ يقول: عصيت الله قبلكم.
15683ـ حدثنـي مـحمدبن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قـال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قـوله: مـا أنـا بِـمُصْرِخِكُمْ وَمـا أَنْتُـمْ بِـمُصْرِخِيّ إنّـي كَفَرْتُ بِـمَا أَشْرَكْتُـمُونِ مِنْ قَبْلُ قال: هذا قول إبلـيس يـوم القـيامة, يقـول: مـا أنتـم بنـافعيّ ومـا أنـا بنـافعكم, إنـي كفـرت بِـمَا أشركتـمونِ من قبل قال: شرِكته: عبـادته.
15684ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحرث, قال: حدثنا الـحسين قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, فـي قوله: بِـمُصْرِخِيّ قال: بـمغيثـيّ.
حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا شبـابة, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, مثله.
حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابـن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, مثله.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, عن مـجاهد, مثله.
15685ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن أبـي جعفر الرازي, عن الربـيع بن أنس, قال: ما أنا بـمنـجيكم وما أنتـم بـمنـجيّ.
15686ـ حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, قـال: خطيب السوء إبلـيس الصـادق, أفرأيتـم صـادقا لـم ينفعـه صـدقه إنّ اللّـهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الـحَقّ وَوَعَدْتُكُمْ فأَخْـلَفْتُكُمْ وَما كانَ لـيَ عَلَـيْكُمْ مِـنْ سُـلْطانٍ أقهركم به, إلاّ أنْ دَعَوْتُكُمْ فـاسْتَـجَبْتُـمْ لـي قال: اطعتـمونـي, فَلاَ تَلُومُونِـي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ حين أطعتـمونـي, مـا أنـا بِـمُصْرِخِكُمْ مـا أنـا بناصـركم ولا مغيثكم, وَما أَنْتُـمْ بِـمُصْرِخِيّ: وما أنتـم بناصريّ ولا مغيثـيّ لـما بـي, إنّـي كَفَرْتُ بِـمَا أَشْرَكْتُـمُونِ مِنْ قَبْلُ إنّ الظّالِـمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِـيمٌ.
15687ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا سويد, قال: حـدثنا ابـن الـمبـارك, عن الـحكم, عن عمرو بن أبـي لـيـلـى أحد بنـي عامر, قال: سمعت مـحمد بن كعب القرظيّ يقول: وَقالَ الشّيْطانُ لَـمّا قُضِيَ الأَمْرُ قـال: قـام أبلـيس عند ذلك, يعنـي حين قال أهل جهنـم: سَوَاءٌ عَلَـيْنا أَجَزِعْنا أَمْ صَبَرْنا مالَنا مِنْ مَـحِيصٍ, فخطبـم فقال: إنّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الـحَقّ, وَوَعَدْتُكُمْ فأَخْـلَفْتُكُمْ... إلـى قوله: ما أنا بِـمُصْرِخِكُمْ يقول: بـمغن عنكم شيئا, وَما أَنْتُـمْ بِـمُصْرِخيّ إنّـي كَفَـرْتُ بِـمَا أَشْرَكْتُـمُونِ مِنْ قَبْـلُ قـال: فلـما سـمعوا مقـالته مقتـوا أنفسهم, قال: فنودوا: لَـمَقْتُ اللّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ.

الآية : 23-25

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَأُدْخِـلَ الّـذِينَ آمَنُـواْ وَعَمِلُـواْ الصّـالِحَاتِ جَنّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَـا بِـإِذْنِ رَبّهِـمْ تَحِيّتُهُـمْ فِيهَـا سَـلاَمٌ * أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيّبَةً كَشَـجَرَةٍ طَيّبَـةٍ أَصْـلُهَا ثَـابِتٌ وَفَرْعُهَـا فِي السّمَآءِ * تُؤْتِيَ أُكُلَهَا كُلّ حِينٍ بِـإِذْنِ رَبّهَـا وَيَضْـرِبُ اللّـهُ الأَمْثَـالَ لِلنّـاسِ لَعَلّهُمْ يَتَذَكّرُونَ }.
يقول عزّ ذكره: وأدخـل الذين صدقوا الله ورسوله فأقرّوا بوحدانـية الله وبرسالة رسله وأن ما جاءت به من عند الله حقّ, وَعَمِلُوا الصّالِـحاتِ يقـول:

وعملوا بطاعة الله فـانتهوا إلـى أمر اللـه ونهيـه, جَنّـاتٍ تَـجْرِي مِـنْ تَـحْتِها الأنهارُ بساتـين تـجري من تـحتها الأنهـار, خالـدِينَ فِـيها بـاذْنِ رَبّهِـمْ يقـول: أدخـلوها بأمر الله لهم بـالدخول. تَـحِيّتُهُمْ فِـيها سَلامٌ وذلك إن شاء الله كما:

15688ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عـن ابـن جريج, قال: قوله: تَـحَيّتُهُمْ فِـيها سَلامٌ قال: الـملائكة يسلـمون علـيهم فـي الـجنة.

وقوله: ألَـمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِـمَةً طَيّبَةً كَشَجَرةٍ طَيّبَةٍ يقول تعالـى ذكره لنبـيه مـحمد صلى اللـه عليـه وسـلم: ألـم تـر يـا مـحمد بعيـن قلبـك فتعلـم كيف مثّل الله مثلاً وشبّه شبها كلـمة طيبة, ويعنـي بـالطيبة: الإيـمان به جلّ ثناؤه: كشـجرة طيبـة الثمـرة, وتـرك ذكـر الثمـرة اسـتغناء بـمعرفة السامعين عن ذكرها بذكر الشجرة. وقوله: أصْلُها ثابِتٌ وَفَرْعُها فِـي السّماءِ يقول عزّ ذكره: أصل هذه الشجرة ثابت فـي الأرض, وفرعهـا, وهـو أعلاهـا فـي السماء: يقول: مرتفع علوا نـحو السماء. وقوله: تُؤْتِـي أُكُلَهـا كُـلّ حِيـنٍ بـاذْنِ رَبّها يقول: تطعم ما يؤكل منها من ثمرها, كُلّ حِينٍ بِإذْنِ رَبّها وَيَضْـرِبُ الأمْثَالَ للنّاسِ يقول: ويـمثّل الله الأمثال للناس ويشبه لهـم الأشـياء, لَعَلّهُـمْ يَتَـذّكّرُونَ يقـول: لـيتذكروا حجـة اللـه علـيهم, فـيعتبروا بهـا ويتعظـوا, فـينزجروا عما هم علـيه من الكفر به إلـى الإيـمان.

وقد اختلف أهل التأويـل فـي الـمعنىّ بـالكلـمة الطيبـة, فقـال بعضـهم: عُنـي بها: إيـمان الـمؤمن. ذكر من قال ذلك:

15689ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حـدثنا عبـد اللـه بـن صالـح, قـال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله: كَلِـمَةً طَيّبَـةً شـهادة أن لا إلـه إلا الله, كَشَجَرَةٍ طَيّبَةٍ وهو الـمؤمن, أصْلُها ثابتٌ يقول: لا إله إلا الله ثابت فـي قلب الـمؤمن, وَفَرْعُها فِـي السّـماءِ يقـول: يرفـع بهـا عمـل الـمؤمن إلـى السماء.

15690ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله بن أبـي جعفر, عن أبـيه, عن الربـيع بن أنس: كَلِـمَةً طَيّبَةً قـال: هـذا مثـل الإيـمان, فـالإيـمان: الشـجرة الطيبـة, وأصـله الثـابت الـذي لا يـزول: الإخلاص للـه, وفرعه فـي السماء, فرعه: خشية الله.

15691ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عـن ابـن جريج, قال: قال مـجاهد: ألَـمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِـمَةً طَيّبَـةً كَشَـجَرَةٍ طَيّبَةٍ قال: كنـخـلة.

قال ابن جريج: وقال آخرون: الكلـمة الطيبة أصلها ثابت فـي ذات أصـل فـي القلب وَفَرْعُها فِـي السّماءِ تعرج فلا تـحجب حتـى تنتهي إلـى الله.

وقال آخرون: بل عُنـي بها الـمؤمن نفسه. ذكر من قال ذلك:

15692ـ حدثنـي مـحمد بن سعيد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس قـوله: ألَـمْ تَـرَ كَيْـفَ ضَـرَبَ اللّـهُ مَثَلاً كَلِـمَةً طَيّبَةً كَشَجرَةٍ طَيّبَةٍ أصْلُها ثابَتٌ وَفَرْعُها فِـي السّماءِ تُؤْتِـي أُكُلَهَـا كُـلّ حِينٍ بـاذْنِ رَبّها, يعنـي بـالشجرة الطيبة: الـمؤمن, ويعنـي بـالأصل الثـابت: فـي الأرض, وبـالفرع فـي السـماء: يكـون الـمؤمن يعمـل فـي الأرض, ويتكلـم فـيبلغ عمله وقوله السماء وهو فـي الأرض.

15693ـ حدثنا أحمد بن منصور, قال: حدثنا أبو أحمد الزبـيري, قال: حدثنا مـحمد بن شريك, عن عمرو بن دينار, عن عكرمة, عـن ابـن عبـاس, قـال:

كان قوم من أهل مكة أسلموا, وكانوا يستخفون بالإسلام, فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم, فأصيب بعضهم وقُتل بعض, فقال المسلمون: كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكرهوا فاستغفروا لهم فنزلت: إنّ الّذِينَ تَوَفّاهُمُ المَلائكَةُ ظالِمي أنْفُسِهِمْ... إلى آخر الآية قال: وكتب إلى من بقي بمكة من المسلمين هذه الآية لا عذر لهم, قال: فخرجوا فلحقهم المشركون, فأعطوهم الفتنة, فنزلت هذه الآية: وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنّا باللّهِ فإذَا أُوذِيَ فِي اللّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النّاسِ كَعَذَابِ اللّهِ... إلى آخر الآية, فكتب المسلمون إليهم بذلك, فخرجوا وأيسوا من كلّ خير, ثم نزلت فيهم: ثُمّ إنّ رَبّكَ للّذِينَ هاجَرُوا منْ بَعْدِ ما فُتِنُوا ثُمّ جاهَدُوا وَصَبَرُوا إنّ رَبّكَ مِنْ بَعْدِها لَغَفُورٌ رَحِيمٌ فكتبوا إليهم بذلك: إن الله قد جعل لكم مخرجا. فخرجوا, فأدركهم المشركون فقاتلوهم, ثم نجا من نجا وقُتل من قُتل.

15694ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: نزلت هذه الآية في عمّار بن ياسر وعياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد: ثُمّ إنّ رَبّكَ للّذِينَ هاجَرُوا منْ بَعْدِ ما فُتِنُوا ثُمّ جاهَدُوا وَصَبَرُوا.

وقال آخرون: بل نزلت هذه الآية في شأن ابن أبي سرح. ذكر من قال ذلك:

15695ـ حدثني ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, عن الحسين, عن يزيد, عن عكرمة والحسن البصري, قالا في سورة النحل: مَنْ كَفَرَ باللّهِ مِنْ بَعْدِ إيمَانِهِ إلاّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئنّ بالإيمَانِ ولكنْ مَنْ شَرَحَ بالكُفْرِ صَدْرا فَعَلَيْهُمْ غَضَبٌ منَ اللّهِ ولَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ثم نسخ واستثنى من ذلك, فقال: ثُمّ إنّ رَبّكَ للّذِينَ هاجَرُوا منْ بَعْدِ ما فُتِنُوا ثُمّ جاهَدُوا وَصَبَرُوا إنّ رَبّكَ مِنْ بَعْدِها لَغَفُورٌ رَحِيمٌ وهو عبد الله بن أبي سرح الذي كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم, فأزلّه الشيطان, فلحق بالكفار, فأمر به النبيّ صلى الله عليه وسلم أن يُقتل يوم فتح مكة, فاستجار له أبو عمرو, فأجاره النبيّ صلى الله عليه وسلم.

اختلف أهل العربية في رافع مَثَلُ, فقال بعض نحويّي البصرة: إنما هو كأنه قال: وما نقصّ عليك مَثَلُ الّذِينَ كَفَرُوا, ثم أقبل يفسر كما قال: مَثَلُ الجَنّة, وهذا كثير. وقال بعض نحوّيي الكوفيين: إنما المَثَل للأعمال, ولكن العرب تُقَدّم الأسماء لأنها أعرف, ثم تأتي بالخبر الذي تخبر عنه مع صاحبه. معنى الكلام: مثل أعمال الذين كفروا بربهم كرَماد, كما قيل: وَيَوْمَ القِيامَةِ تَرى الّذِين كَذَبُوا على اللّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدّةٌ ومعنى الكلام: ترى ويوم القيامة وجوه الذين كذبوا على الله مسودّة. قال: ولو خفض الأعمال جاز, كما قال: يَسْألُونَكَ عَنِ الشّهْرِ الحَرَامِ قِتالٍ فِيهِ... الآية. وقوله: مَثَلُ الجَنّةِ التي وُعِدَ المُتّقُونَ تَجْرِفي مِنْ تَحْتِها الأنهارُ قال: فتجري هو في موضع الخبر, كأنه قال: أن تجريَ, وأن يكون كذا وكذا, فلو أدخل «أن» جاز, قال: ومنه قول الشاعر:

ذَرِيني إنّ أمْرَكِ لَنْ يُطاعاوَما ألْفَيْتِني حِلْمِي مُضَاعَا

قال: فالحلم منصور ب «ألفيت» على التكرير, قال: ولو رفعه كان صوابا. قال: وهذا مثَل ضربه الله لأعمال الكفّار, فقال: مثل أعمال الذين كفروا يوم القيامة التي كانوا يعملونها في الدنيا يزعمون أنهم يريدون الله بها, مثل رماد عصفت الريح عليه في يوم ريح عاصف, فنسفته وذهبت به, فكذلك أعمال أهل الكفر به يوم القيامة, لا يجدون منها شيئا ينفعهم

عند الله فـينـجيهم من عذابه, لأنهم لـم يكونوا يعملونها لله خالصا, بل كـانوا يشركون فـيها الأوثان والأصنام, يقول الله عزّ وجلّ: ذلكَ هُوَ الضّـلالُ البَعِيـدُ يعنـي أعمالهم التـي كانوا يعملونها فـي الدنـيا التـي يشركون فـيها مـع اللـه شركاء, هي أعمال عُملت علـى غيـر هـدى واسـتقامة, بـل علـ ى جَـوْر ع ن الهدى بعيد, وأخـذ علــى غيـر اسـتقامة شـديد. وقـيــل: فِــي يَـوْمٍ عاصِـفٍ فوُصف بـالعُصوف, وهو من صفة الريح, لأن الريح تكون فـيه كما يقال: يوم بـارد, ويوم حارّ, لأن البرد والـحرارة يكونان فـيه وكما قال الشاعر:

ثديك سنة وجه غير مقرفةملساء لـيس بها خال ولا ندب

الآية : 26

القول فـي تأويـل قوله تعالـى:

{وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثّتْ مِن فَوْقِ الأرْضِ مَا لَهَا مِـن قَـرَارٍ}.

يقول تعالـى ذكره: ومثل الشرك بـالله, وهي الكلـمة الـخبـيثة, كشجرة خبـيثة.

اختلف أهل التأويـل فـيها أيّ شجرة هي؟ فقال أكثرهم: هي الـحنظل. ذكر من قال ذلك:

15696ـ حدثنا مـحمد بن الـمثنى, قال: حـدثنا مــحمد بـن جعفـر, قـال: حدثنا شعبة, عن معاوية بن قرة, قال: سمعت أنس بن مالك, قال فـي هـذا الــحرف: وَمَثَـلُ كَلِــمَةٍ خَبِــيثَةٍ كَشَـجَرةٍ خَبِــيثَةٍ قـال: الشـريان فقلـت: مـا الشريان؟ قال رجل عنده: الـحنظل. فأقرّ به معاوية.

حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا شبـابة, قـال: أخبرنـا شـعبة, عـن معاوية بن قرة, قال: سـمعت أنـس بـن مالـك يقـول: وَمَثَـلُ كَلِــمَةٍ خَبِــيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِـيثَةٍ قال: الـحنظل.

حدثنا الـحسن, قال: حدثنا عمرو بن الهيثم, قال: حدثنا شعبة, عن معاوية بن قرة, عن أنس بن مالك, قال: الشريان: يعنـي الـحنظل.

حدثنا أحمد بن منصور, قال: حدثنا نعيـم بن حماد, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن ابن جريج, عن الأعمش, عن حبـان بن شعبة, عن أنس بــن مالــك, فـي قوله: كَشَجَرَة خَبِـيثَةٍ قال: الشريان, قلت لأنـس: مـا الشـريان؟ قـال: الـحنظل.

حدثنـي يعقوب, قال: حدثنا ابن علـية, قال: حدثنا شعيب, قال: خرجت مع أبـي العالـية, نريد أنس بن مالـك, فأتــيناه, فقـال: وَمَثَـلُ كَلِــمَةٍ خَبِــيثَةٍ كَشَجَرةٍ خَبِـيثَةٍ تلكم الـحنظل.

حدثنا الــحسن, قـال: حـدثنا إسماعيــل بـن إبراهيــم, عـن شـعيب بـن الـحَبْحاب, عن أنس, مثله.

حدثنا الـمثنى قال: حدثنا آدم العسقلانـيّ, قال: حدثنا شعبة, قال: حدثنا أبو إياس, عن أنس بن مالك, قال: الشجرة الـخبـيثة: الشريان, فقلت: وما الشريان؟ قال: الـحنظل.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا الـحجاج, قال: حدثنا حماد, عن شعيب, عن أنس, قال: تلكم الـحنظل.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا الـحجاج, قال: حدثنا مهدي بن ميـمون, عن شعيب, قال: قال أنس: وَمَثَـلُ كَلَــمَةٍ خَبِــيثَةٍ كَشَـجَرَةٍ خَبِثَـةٍ... الآيـة, قـال: تلكم الـحنظل, ألـم تروا إلـى الرياح كيف تصفّقها يـمينا وشمالاً؟.

15697ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ: الحنظلة.

وقال آخرون: هذه الشجرة لم تخلق على الأرض. ذكر من قال ذلك:

15698ـ حدثنا الحسن بن محمد الزعفراني, قال: حدثنا أبو كدينة, قال: حدثنا قابوس, عن أبيه, عن ابن عباس: وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثّتْ مِنْ فَوْقِ الأرْضِ ما لَهَا مِنْ قَرَارٍ قال: هذا مثل ضربه الله, ولم تُخلق هذه الشجرة على وجه الأرض.

وقد رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتصحيح قول من قال: هي الحنظلة خبرٌ, فإن صحّ فلا قول يجوز أن يقال غيره, وإلا فإنها شجرة بالصفة التي وصفها الله بها. ذكر الخبر الذي ذكرناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

15699ـ حدثنا سوار بن عبد الله, قال: حدثنا أبي, قال: حدثنا حماد بن سلمة, عن شعيب بن الحبحاب, عن أنس بن مالك, أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثّتْ مِنْ فَوْقِ الأرْضِ ما لَهَا مِنْ قَرَارٍ هي الحنظلة». قال شعيب: وأخبرت بذلك أبا العالية, فقال: كذلك كانوا يقولون.

وقوله: اجْتُثّتْ مِنْ فَوْقِ الأرْضِ يقول: استؤصلت, يقال منه: اجتثثت الشيء أجتثه اجتثاثا: إذا استأصلته.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

15700ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: اجْتُثّتْ مِنْ فَوْقِ الأرْضِ قال: استؤصلت من فوق الأرض. ما لَهَا مِنْ قَرَارٍ يقول: ما لهذه الشجرة من قرار ولا أصل في الأرض تنبت عليه وتقوم.

وإنما ضربت هذه الشجرة التي وصفها الله بهذه الصفة لكفر الكافر وشركه به مثلاً, يقول: ليس لكفر الكافر وعمله الذي هو معصية الله في الأرض ثبات, ولا له في السماء مصعد, لأنه لا يصعد إلى الله منه شيء.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

15701ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثّتْ مِنْ فَوْقِ الأرْضِ ما لَهَا مِنْ قَرَارٍ ضرب الله مثل الشجرة الخبيثة كمثل الكافر, يقول: إن الشجرة الخبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار: يقول: الكافر لا يقبل عمله ولا يصعد إلى الله, فليس له أصل ثابت في الأرض ولا فرع في السماء, يقول: ليس له عمل صالح في الدنيا ولا في الآخرة.

15702ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثّتْ مِنْ فَوْقِ الأرْضِ ما لَهَا مِنْ قَرارٍ قال قتادة: إن رجلاً لقي رجلاً من أهل العلم, فقال: ما تقول في الكلمة الخبيثة؟ فقال: ما أعلم لها في الأرض مستقرّا ولا في السماء مصعدا إلا أن تلزم عنق صاحبها, حتى يوافي بها يوم القيامة.

15703ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, عن أبي العالية: أن رجلاً خالجت الريح رداءه فلعنها, فقال رسول الله صلى

الله عليه وسلم: «لا تَلْعَنْها فإنّها مَأْمُورَةٌ, وَإنّهُ مَنْ لَعَنَ شَيْئا لَـيْسَ لَـهُ بأهْـلٍ رَجَعَتِ اللّعْنَةُ علـى صَاحِبها».

15704ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن أبـي جعفر, عن الربـيع بن أنس: وَمَثَلُ كَلِـمَةٍ خَبِـيثَةٍ كَشَـجَرَةٍ خَبِـيثَةٍ قـال: هـذا الكافر لـيس له عمل فـي الأرض وذكرٌ فـي السماء. اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأرْضِ ما لَهَا مِنْ قَرَارٍ قـال: لا يصـعد عملـه إلـى السـماء ولا يقـوم علـى الأرض. فقـيـل: فأين تكون أعمالهم؟ قال: يحملون أوزارهم علـى ظهورهم.

15705ـ حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا فضيـل بن مرزوق, عن عطية العوفـي: وَمَثَلُ كَلِـمَةٍ خَبِـيثَةٍ كَشَـجَرَةٍ خَبِـيثَةٍ اجْتُثّـتْ مِنْ فَوْقِ الأرْضِ قال: مثل الكافر لا يصعد له قول طيب ولا عمل صالـح.

15706ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حـدثنا عبـد اللـه بـن صالـح, قـال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قال: وَمَثَلُ كَلِـمَةٍ خَبِـيثَةٍ وهـي الشـرك, كَشَجَرَةٍ خَبِـيثَةٍ يعنـي الكافر. قال: اجْتُثّتْ مِنْ فَوْقِ الأرْضِ ما لَهَـا مِـنْ قَـرارٍ يقول: الشرك لـيس له أصل يأخذ بـه الكـافر ولا برهـان, ولا يقبـل اللـه مـع الشرك عملاً.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله بن أبـي جعفر, عن أبـيه, عن الربـيع: وَمَثَلُ كَلِـمَةٍ خَبِـيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِـيثَةٍ قال: مثل الشـجرة الـخبـيثة مثل الكافر, لـيس لقوله ولا لعمله أصل ولا فرع, ولا قوله ولا عمله يستقرّ علـى الأرض ولا يصعد إلـى السماء.

15707ـ حُدثت عن الـحسين, قال: سمعت أبـا معاذ, يقول: أخبرنا عبـيد بن سلـيـمان, قال: سمعت الضحاك يقول: ضرب الله مثل الكـافر كشـجرة خبـيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها مـن قـرار, يقـول: لـيس لهـا أصـل ولا فرع, ولـيست لها ثمرة, ولـيس فـيها منفعة, كذلك الكافر لـيس يعمل خيـرا ولا يقوله, ولـم يجعل الله فـيه بركة ولا منفعة.

الآية : 27

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {يُثَبّتُ اللّهُ الّذِينَ آمَنُواْ بِـالْقَوْلِ الثّـابِتِ فِـي الْحَيَاةِ الدّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلّ اللّهُ الظّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَآءُ }.

يعنـي تعالـى ذكره بقوله: يُثَبّتُ اللّهُ الّـذِينَ آمَنُـوا يحقـق اللـه أعمـالهم وإيـمانهم بـالقَوْلِ الثّابِتِ يقول: بـالقول الـحقّ, وهو فـيـما قـيـل: شهادة أن لا إله إلا الله وأن مـحمدً رسول الله.

وأما قوله: فِـي الـحَياةِ الدّنـيْا فإن أهل التأويـل اختلفوا فـيه, فقال بعضهم: عنـي بذلك أن الله يثبتهم فـي قبورهم قبل قـيام الساعة. ذكر من قال ذلك:

15708ـ حدثنـي أبو السائب سلـم بن جنادة, قال: حدثنا أبو معاوية, عن الأعمش, عن سعد بن عبـيدة, عن البراء بن عازب, فـي قـوله: يُثَبّـتُ اللّـهُ الذِينَ آمَنُوا بـالقَوْلِ الثّابِتِ فِـي الـحَياةِ الدّنـيْا قـال: التثبـيت فـي الـحياة الدنـيا إذا أتاه الـملكان فـي القبر, فقـالا لـه: مـن ربـك؟ فقـال: ربـي اللـه, فقالا له: ما دينك؟ قال: دينـي الإسـلام, فقـالا لـه: مـن نبـيك؟ قـال نبـيـي مـحمد صلى الله عليه وسلم. فذلك التثبـيت فـي الـحياة الدنـيا.

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا جابر بن نوح, عن الأعمـش, عـن سـعد بـن عبـيدة, عن البراء بن عازب, بنـحو منه فـي الـمعنى.

15709ـ حدثنـي عبد الله بن إسحاق الناقد الواسطي, قال: حـدثنا وهـب بن جرير, قال: حدثنا شعبة, عن علقمة بن مرثد, عن سعد بن عبـيدة, عـن

البراء, قال: ذكر النبـيّ صلى الله عليه وسلم الـمؤمن والكافر, فقـال: «إنّ الـمُؤْمِنَ إذا سُئِلَ فِـي قَبْرِهِ قال: رَبّـيَ اللّهُ, فـذلك قـوله: يُثَبّـتُ اللّـهُ الّـذِينَ آمَنُوا بـالقَوْلِ الثّابِتِ فِـي الـحَياةِ الدّنـيْا وَفِـي الآخِرَةِ».

حدثنا مـحمد بن الـمثنى, قال: حدثنا هشام بن عبد الـملك, قـال: حـدثنا شعبة, قال: أخبرنـي علقمة بن مرثد قـال: سـمعت سـعد بـن عبـيدة, عـن البراء بن عازب, أن رسول الله صلى الله عليه وسـلم قـال: «إنّ الـمُسْلِـمَ إِذَا سُئِلَ فِـي القَبْرِ يَشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلاّ اللّهُ, وأنّ مُـحَمّدا رَسُـولُ اللّـهِ» قـال: «فذلك قَوْلُهُ يُثَبّتُ الله الّذِينَ آمَنُوا بـالقَوْلِ الثّابِتِ فِـي الـحَياةِ الدّنـيْا وفِـي الآخرَةِ».

15710ـ حدثنـي الـحسن بن سلـمة بن أبـي كبشـة, ومـحمد بـن معمـر البحرانـي, واللفظ لـحديث ابن أبـي كبشة, قالا: حدثنا أبو عامر عبد الـملك بن عمرو, قال: حدثنا عبـاد بن راشد, عن داود بن أبـي هند, عن أبـي نضرة, عن أبـي سعيد, قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسـلم فـي جنـازة, فقال: «يا أيّها النّاسُ إنّ هَذِهِ الأُمّةَ تُبْتَلَـي فِـي قُبُورِهـا, فـإِذَا الإنْسـانُ دُفـنَ وتَفَرّقَ عَنْهُ أصحَابُهُ, جاءَهُ مَلَكٌ بـيَدِهِ مِطْرَاقٌ فأَقْعَدَهُ, فَقالَ: مـا تَقـولُ فِـي هذَا الرّجُلِ؟ فإنْ كانَ مُؤمِنا قالَ: أشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاّ اللّهُ وَحْـدَهُ لا شَـرِيكَ لَـهُ وأنّ مُـحَمّدا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَـيَقُولُ لَهُ: صَدَقْتَ فـيُفْتَـحُ لَـهُ بـابٌ إلـى النّـارِ, فَـيُقالُ: هذَا مَنْزِلُكَ لَوْ كَفَرْتَ بِرَبّكَ فَأمّا إذْ آمَنْتَ بِهِ, فإنّ اللّهَ أبْدَلَكَ بِـهِ هَـذَا. ثُمّ يُفْتَـحُ لَهُ بـابٌ إلـى الـجَنّةِ, فَـيُرِيدُ أنْ يَنْهَـضَ لَـهُ, فَـيُقالُ لَـهُ: اسْـكُنْ ثُـمّ يُفْسَحُ لَهُ فِـي قَبْرِهِ. وأمّا الكافِرُ أوِ الـمُنافِقُ, فَـيُقالُ لَـهُ مـا تَقُـولُ فِـي هـذَا الرّجُلِ؟ فَـيَقُولُ: ما أدْرِي, فَـيُقالُ لَهُ: لادَرَيْتَ وَلا تَلَـيْتَ وَلا اهْتَدَيْتَ ثُمّ يُفْتَـحُ لَهُ بـابٌ إلـى الـجَنّةِ, فَـيُقالُ لَهُ: هذَا كانَ مَنْزِلَكَ لَوْ آمَنْتَ بِرَبّكَ فأمّا إذْ كَفَرْتَ فـإنّ اللّـهَ أبْـدَلَكَ هَـذَا. ثُـمّ يُفْتَـحُ لَـهُ بـابٌ إلـى النّـارِ, ثُـمّ يَقْمَعُـهُ الـمَلَكُ بـالـمِطْرَاقِ قَمْعَةً يَسْمَعُهُ خَـلْقُ اللّهِ كُلّهُمْ إلاّ الثّقَلَـيْنِ». قال بعض أصـحابه: يا رسول الله ما منا أحد يقوم علـى رسه ملـك بـيده مطـراق إلا هيـل عنـد ذلك؟ فقال رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: «يُثَبّـتُ اللّـهُ الّـذِيَنَ آمَنُـوا بـالقَوْلِ الثّابِتِ فِـي الـحَياةِ الدّنـيْا وَفِـي الآخِرَةِ وَيُضِلّ اللّهُ الظّالِـمِينَ وَيَفْعَـلُ اللّهُ ما يَشاءُ».

15711ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا أبو بكر بن عياش, عن الأعمش, عن الـمنهال, عن زاذان, عن البراء: أن رسول الله صلى الله عليه وسـلم قـال, وذكـر قبـض روح الـمؤمن: «فَتُعـادُ رُوحُـهُ فِـي جَسَـدِهِ وَيَأتِـيهِ مَلَكـانِ فَـيُجْلِسانِهِ فِـي قَبْرِهِ, فَـيَقُولانِ مَنْ رَبّكَ؟ فَـيَقُولُ: رَبّـيَ اللّه, فَـيَقُولانِ: مـا دِينُكَ؟ فَـيَقُولُ دِينِـيَ الإسْلامُ, فَـيَقُولانِ لَهُ: ما هذَا الرّجُلُ الّذِي بُعِثَ فـيكُمْ؟ فَـيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللّهِ, فَـيَقُولانِ: مـا يُـدْرِيكَ؟ فَـيَقُولُ: قَـرأتُ كتـابَ اللّـهِ فَآمَنْتُ بِـهِ, وَصَـدّقْتُ. فَـيُنادِي مُنـادٍ مِـنَ السّـماءِ: أنْ صَـدَقَ عَبْـدِي» قـال: «فذلكَ قَوْلُ اللّهِ عَزّ وَجَلّ يُثَبّتُ اللّهُ الّذِينَ آمَنُوا بـالقَوْلِ الثّابِتِ فِـي الـحَياةِ الدّنـيْا وفِـي الآخِرَةِ».

حدثنـي أبو السائب, قال: حدثنا أبو معاوية, قـال: حـدثنا الأعمـش, عـن الـمنهال, عن زاذان, عن البراء, عن النبـيّ صلى الله عليه وسلم, بنـحوه.

حدثنا ابن حميد وابن وكيع, قالا: حدثنا جرير, عن الأعمش, عن الـمنهال, عن زاذان, عن البراء, عن النبـيّ صلى الله عليه وسلم, بنـحوه.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن نـمير, قال: حدثنا الأعمش, قال: حـدثنا الـمنهال بن عمرو, عن زاذان, عن البراء, عن النبـيّ صلى الله عليه وسـلم, بنـحوه.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا الـحكم بن بشير, قال: حدثنا عمرو بن قـيس, عن يونس بن خَبّـاب, عن الـمنهال, عن زاذان, عـن الـبراء بـن ع ازب, عـن النبـيّ صلى الله عليه وسلم, نـحوه.

حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر وحدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا سـعيد بـن منصـور, قـال: حـدثنا مهـدي بـن ميـمون جميعا, عن يونس بن خبـاب, عـن الــمنهال بـن عمـرو, عـن زاذان, عن البراء بن عازب, قال: قال رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم, وذكـر قبض روح الـمؤمن, قال: «فَـيَأْتِـيهِ آتٍ فِـي قَبْرِهِ فَـيَقُولُ: مَنْ رَبّكَ وَما دِينُكَ وَمَنْ نَبِـيّكَ؟ فَـيَقُولُ: رَبّـيَ اللّهُ وَدِينِـي الإِسْـلامُ وَنَبِـيّــي مُــحَمّدٌ صَلــى اللّـهُ علـيهِ وسلّـمَ. فَـيَنْتهِرُهُ, فَـيَقُولُ: مَنْ رَبّكَ, وَما دِينُكَ؟ فَهِيَ آخِرُ فِتْنَـةٍ تُعْـرَضُ علـى الـمُؤْمِنِ, فـذَلكَ حِيـنَ يَقُـولُ اللّـهُ عَـزّ وَجَـلّ: يُثَبّـتُ اللّـهُ الّـذِينَ آمَنُـوا بـالقَوْلِ الثّابِتِ فِـي الـحَياةِ الدّنـيْا وفِـي الآخِرَةِ, فَـيَقُولُ: رَبّـيَ اللّـهُ, وَدِينِــي الإِسْلامُ, وَنَبِـيّـي مُـحَمّدٌ صَلــى اللّـهُ علــيهِ وسلّــمَ. فَــيُقالُ لَـهُ: صَـدَقْتَ». واللفظ لـحديث ابن عبد الأعلـى.

15712ـ حدثنا مـحمد بن خـلف العسقلانـي, قال: حدثنا آدم, قال: حدثنا حماد بن سلـمة, عن مـحمد بن عمرو, عن أبـي سلــمة, عـن أبــي هريـرة, قال: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: يُثَبّتُ الّذِينَ آمَنُوا بــالقَوْلِ الثّـابِتِ فِـي الـحَياةِ الدّنـيْا وفِـي الآخِرَةِ قالَ: «ذَاكَ إذَا قِـيـلَ فِـي القَبْـرِ: مَـنْ رَبّـكَ؟ وَما دِينُكَ؟ فَـيَقُولُ: رَبّـيَ اللّهُ, وَدِينِـي الإِسْلامُ, وَنَبِـيّــي مُــحَمّدٌ صَلــى اللّـهُ عَلَـيهِ وسلّـمَ, جاءَ بـالبَـيّنَاتِ مِنْ عِنْدِ اللّهِ, فَـآمَنْتُ بِـهِ وَصَـدّقْتُ فَــيُقالُ لَـهُ: صَدَقْتَ علـى هَذَا عِشْتَ وَعَلَـيْهِ مِتّ, وَعَلَـيْهِ تُبْعَثُ».

15713ـ حدثنا مـجاهد بن موسى, والـحسن بن مـحمد, قالا: حدثنا يزيد, قال: أخبرنا مـحمد بن عمرو, عن أبـي سلـمة, عن أبـي هريـرة, قـال: «إنّ الـمَيّتَ لَـيَسْمَعُ خَفْقَ نِعالِهِمْ حِينَ يُوَلّونَ عَنهُ مُدْبِرِين فإذَا كانَ مُؤْمِنـا, كـانَتِ الصّلاةُ عنْدَ رأسهِ والزّكاةُ عَنْ يَـمِينـيهِ, وكانَ الصّيامُ عَنْ يَسارِهِ, وكانَ فعْـلُ الــخَيْرَاتِ مـنَ الصّـدَقَةِ والصّـلَةِ والــمَعْرُوفِ والإحْسـانِ إلــى النّـاسِ عِنْـدَ رِجْلَـيْهِ, فَـيُؤْتَـى مِنْ عِنْدِ رأسِهِ, فَتَقُولُ الصّلاةُ: ما قِبَلِـي مَدْخَـلٌ فَـيُؤْتَـى عَنْ يَـمِينِهِ, فَتَقُولُ الزّكاةُ: ما قِبَلِـي مَدْخَـلٌ فَـيُؤْتَـى عَنْ يَسارِهِ, فَـيَقُولُ الصّيامُ: م ا قِبَلِــي مَدْخَــلٌ فَـيُؤْتَــى مِـنْ عِنْـدِ رِجْلَــيْهِ, فَــيَقُولُ فِعْـلُ الــخَيْرَاتِ مِـنَ الصّدَقَةِ والصّلَةِ والـمَعْرُوفِ والإحْسانِ إلـى النّاسِ: ما قِبَلِـي مَدْخَـلٌ فَــيُقالُ لَهُ: اجْلِسْ فَـيَجْلِسُ, قَدْ مُثّلِتْ لَهُ الشّـمْسُ قَـدْ دَنَـتْ للغـروبِ, فَــيُقالُ لَـهُ: أخْبِرْنا عَم ا نَسْـأَلُكَ فَــيَقُولُ: دَعُونِــي حتــى أُصلــيَ فَــيَقُولُ: إنّـكَ سَـتَفْعَلُ فَأخْبِرْنا عمّا نَسْأَلُكَ عَنْهُ. فَـيَقُولُ: وَعَمّ تَسألُونَ؟ فَـيُقالُ: أرأيْتَ هـذَا الرّجُـلَ الّذِي كانَ فِـيكُمْ؟ ماذَا تَقُولُ فِـيهِ وَماذَا تَشْهَدُ بِـهِ عَلَــيْهِ؟ فَــيَقُولُ: أمــحَمّدٌ؟ فَـيُقالُ لَهُ: نَعَمْ. فَـيَقُولُ: أشْهَدُ أنّهُ رَسُولُ اللّهِ, وأنّهُ جاءَ بـالبَـيّناتِ مِـنْ عِنْـدِ اللّهِ, فَصَدّقْناهُ فَـيُقالُ لَهُ: علـى ذلكَ حَيِــيتَ وَعلــى ذلـك مِـتّ وَعلــى ذلـكَ تُبْعَثُ إنْ شاءَ اللّهُ. ثُمّ يُفْسَحُ لَهُ فِـي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعا, وَيُنَوّرُ لَهُ فِــيهِ, ثُــمّ يُفْتَـحُ لَهُ بـابٌ إلـى الــجَنّةِ, فَــيُقالُ لَـهُ: انْظُـرْ إلَــى مـا أعَـدّ اللّـهُ لَـكَ فِــيها فَـيزْدَادُ غِبْطَةً وَسُرُورًا. ثُمّ يُفْتَـحُ لَهُ بــابٌ إلــى النّـارِ, فَــيُقالُ لَـهُ: انْظُـرْ مـا

صَرَفَ اللّهُ عَنْكَ لَوْ عَصَيْتَهُ فَـيزْدَادُ غِبْطَـةً وَسُـرُورا. ثُـمّ يَجْعَـلُ نَسَـمُهُ فِـي النّسَمِ الطّيّبِ, وَهِيَ طَيْرٌ خُضْرٌ تُعَلّقُ بِشَـجَرِ الـجَنّةِ ويُعـادُ جَسَـدُهُ إلـى مـا بُدِىءَ مِنْهُ مِنَ التّرَابِ, وَذلك قَوْلُ اللّهُ تَعالـى: يُثَبّتُ اللّهُ الّذِينَ آمَنُوا بـالقَوْلِ الثابِتِ ف 2 الـحَياةِ الدّنْـيا وفِـي الآخِرَةِ».

15714ـ حدثنا الـحسن بن مـحمد, قـال: حـدثنا أبـو قطـن, قـال: حـدثنا الـمسعودي, عن عبد اللـه بـن مخـارق, عـن أبـيه عـن عبـد اللـه, قـال: إن الـمؤمن إذا مات أجلس فـي قبره, فـيقال لـه: مـن ربـك, ومـا دينـك, ومـن نبـيك؟ فـيثبته الله, فـيقول: ربـي الله, ودينـي الإسلام, ونبـي مـحمد. قـال: فقرأ عبد الله: يُثَبّتُ اللّهُ الّذِينَ آمَنُوا بـالقَوْلِ الثّابِتِ فـي الـحَياةِ الدّنْـيا وفِـي الآخِرَةِ.

15715ـ حدثنا الـحسن, قال: حدثنا أبو خالد القرشي, عن سفـيان, عـن أبـيه وحدثنا أحمد, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفـيان, عن أبـيه, عـن خيثمة, عن البراء, فـي قوله: يُثَبّـتُ اللّـهُ الّـذِينَ آمَنُـوا بـ القَوْلِ الثّـابتِ فِـي الـحَياةِ الدّنْـيا قال: عذاب القبر.

15716ـ حدثنا الـحسن, قال: حدثنا عفـان, قال: حدثنا شعبة, عن علقمة بن مرثد, عن سعد بن عبـيدة, عن البراء, عن النبـيّ صلى الله عليه وسـلم, فـي قول الله تعالـى: يُثَبّتُ اللّـهُ الّـذِينَ آمَنُـوا بـالقَوْلِ الثـابتِ فِـي الـحَياةِ الدّنـيا وفِـي الآخِرَةِ قال شعبة: شيئا لـم أحفظه, قال: «فـي القَبْرِ».

15717ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: يُثَبّتُ اللّهُ الّـذِينَ آمَنُـوا بـالقَوْلِ الثّابِتِ... إلـى قـوله: وَيُضِـلّ اللّـهُ الظّالِـمِينَ قـال: إن الـمؤمن إذا حضـره الـموت شهدته الـملائكة فسلـموا علـيه وبشّروه بـالـجنة, فـإذا مـات مشـوا فـي جنازته, ثم صَلّوا علـيه مع الناس, فإذا دفن فـي قبره, فـيقال لـه: مـن ربك؟ فـيقول: ربـي الله, ويقال له: من رسـولك؟ فـيقول مـحمد, فـيقال له: ما شهادتك؟ فـيقول: أشهد أن لا إله إلاّ الله, وأن مـحمدا رسـول اللـه. فـيوسع له فـي قبره مدّ بصره.

15718ـ حدثنا الـحسن, قال: حدثنا حجاج, قال: قال ابن جريج, سـمعت ابن طاوس يخبر عن أبـيه, قال: لا أعلـمه إلاّ قال: هي فـي فتنة القـبر فـي قوله: يُثَبّتُ اللّهُ الّذِينَ آمَنُوا بـالقَوْلِ الثّابِتِ.

15719ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير عن العلاء بن الـمسيب, عـن أبـيه, أنه كان يقول فـي هذه الآية: يُثَبّتُ اللّهُ الّذِينَ آمَنُوا بـالقَوْلِ الثّابِتِ فِـي الـحَياةِ الدّنْـيا وفِـي الآخِرَةِ: هي فـي صاحب القبر.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا عمرو بن عون, قـال: أخبرنـا هشيـم, عـن العوّام, عن الـمسيب بن رافع: يُثَبّتُ اللّهُ الّـذِينَ آمَنُـوا بـالقَوْلِ الثّـابِتِ فِـي الـحَياةِ الدّنْـيا وفِـي الآخِرَةِ قال: نزلت فـي صاحب القبر.

حدثنا أحمد, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا عبـاد بن العوّام, عن العلاء بن الـمسيب, عن أبـيه الـمسيب بن رافع نـحوه.

15720ـ حدثنـي الـمثنى, قال: أخبرنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الرحمن بن سعد, قال: أخبرنا أبو جعفر الرازي, عن الربـيع, فـي قول الله تعالـى: يُثَبّتُ اللّهُ الّذِينَ آمَنُوا بـالقَوْلِ الثّابِتِ فِـي الـحَياةِ الدّنْـيا وفِـي الآخِـرَةِ قـال: بلغنـا أن هذه الأمة تُسْأل فـي قبورها, فـيثبّت الله الـمؤمن فـي قبره حين يُسْأل.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو ربيعة فهد, قال: حدثنا أبو عوانة, عن الأعمش, عن المنهال بن عمرو, عن زاذان, عن البراء بن عازب, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم, وذكر قبض روح المؤمن, قال: «فَتَرْجِعُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ, وَيَبْعَثُ اللّهُ إلَيْهِ مَلَكَيْنِ شَدِيدَي الاِنْتِهارِ, فَيُجْلِسانِهِ وَيَنْتَهِرَانِهِ, يَقُولانِ: مَنْ رَبّكَ؟ قال: فَيَقُولُ: اللّهُ, وَما دِينُكَ؟ قال: الإسْلامُ, قال: فَيَقُولانِ لَهُ: ما هذَا الرّجُلُ أو النّبِيّ الّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ مُحَمّدٌ رَسُولُ اللّهِ, قالَ: فَيَقُولانِ لَهُ: وَما يُدْرِيكَ؟ قال: فَيَقُولُ: قَرأتُ كتابَ اللّهِ فآمَنْتُ بِهِ وَصَدّقْتُ, فَذلكَ قَوْلُ اللّهِ يُثَبّتُ اللّهُ الّذِينَ آمَنُوا بالقَوْلِ الثّابِتِ فِي الحَياةِ الدّنْيا وفِي الآخِرَةِ».

15721ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: يُثَبّتُ اللّهُ الّذِينَ آمَنُوا بالقَوْلِ الثّابِتِ فِي الحَياةِ الدّنْيا وفِي الآخِرَةِ قال: نزلت في الميت الذي يُسئل في قبره عن النبيّ صلى الله عليه وسلم.

15722ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: في قول الله: يُثَبّتُ اللّهُ الّذِينَ آمَنُوا بالقَوْلِ الثّابِتِ فِي الحَياةِ الدّنْيا وفِي الآخِرَةِ قال: بلغنا أن هذه الأمة تُسئل في قبورها, فيثبت الله المؤمن حيث يُسئل.

15723ـ حدثنا أحمد, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا شريك, عن إبراهيم بن مهاجر, عن مجاهد: يُثَبّتُ اللّهُ الّذِينَ آمَنُوا بالقَوْلِ الثّابِتِ فِي الحَياةِ الدّنْيا قال: هذا في القبر مخاطبته وفِي الآخِرَةِ مثل ذلك.

وقال آخرون: معنى ذلك: يثبت الله الذين آمنوا بالإيمان في الحياة الدنيا, وهو القول الثابت, وفي الآخرة: المسألة في القبر. ذكر من قال ذلك:

15724ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن ابن طاوس, عن أبيه: يُثَبّتُ اللّهُ الّذِينَ آمَنُوا بالقَوْلِ الثّابِتِ فِي الحَياةِ الدّنْيا قال: لا إله إلاّ الله. وفِي الآخِرةِ المسألة في القبر.

15725ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: يُثَبّتُ اللّهُ الّذِينَ آمَنُوا بالقَوْلِ الثّابِتِ فِي الحَياةِ الدّنْيا أما الحياة الدنيا, فيثبتهم بالخير والعمل الصالح. وقوله: فِي الآخِرَةِ أي في القبر.

والصواب من القول في ذلك ما ثبت به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك, وهو أن معناه: يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا, وذلك تثبيته إياهم في الحياة الدنيا بالإيمان بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم, وفي الآخرة بمثل الذِي ثبتهم به في الحياة الدنيا, وذلك في قبورهم حين يُسألون عن الذي هم عليه م ن التوحيد والإيمان برسوله صلى الله عليه وسلم.

وأما قوله: وَيُضِلّ اللّهُ الظّالِمِينَ فإنه يعني أن الله لا يوفق المنافق والكافر في الحياة الدنيا وفي الآخرة عند المسألة في القبر لما هدي له من الإيمان المؤمن بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

15726ـ حدثنا محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قال: أما الكافر فتنزل الملائكة إذا حضره الموت, فيبسطون أيديهم والبسط: هو الضرب يضربون وجوههم

وأدبـارهم عند الـموت. فإذا أدخـل قبره أقعد, فقـيـل لـه: مـن ربـك؟ فلـم يرجع إلـيهم شيئا, وأنساه الله ذكر ذلك, وإذا قـيـل لـه: مـن الرسـول الـذي بعث إلـيك؟ لـم يهتد له ولـم يرجع إلـيه شيئا. يقول: وَيُضِلّ اللّهُ الظّالِـمِينَ.

15727ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا فهد بن عوف أبو ربـيعة, قال: حدثنا أبو عوانة, عن الأعمش, عـن الـمنهال بـن عمـرو, عـن زاذان, عـن الـبراء, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم, وذكر الكافر حين تُقبض روحـه, قال: «فَتُعادُ رُوحُهُ فِـي جَسَـدِهِ», قـالَ: «فَـيَأتِـيهِ مَلَكـانِ شَـدِيدَا الاِنْتِهـارِ, فَـيُجْلِسانِهِ فَـيَنْتَهِرَانِهِ, فَـيَقُولانِ لَـهُ: مَـنْ رَبّـكَ؟ فَـيَقُولُ: لا أدْرِي, قـالَ: فـيَقُولانِ لَهُ: ما دينك؟ فـيقول: لا أدري, قال: فـيقال له: ما هذَا النَّبِـيّ الّذِي بُعِثَ فِـيكُمْ؟ قـال: فَـيَقُولُ: سَـمِعْتُ النّـاسَ يَقُولُـونَ ذلـكَ, لا أدْرِي, قـالَ: فَـيَقُولانِ: لا دَرَيْتَ قالَ: وذلكَ قولُ اللّهِ وَيُضِلّ اللّهُ الظّالِـمِينَ, وَيَفْعَـلُ اللّـهُ ما يَشاءُ».

وقوله: وَيَفْعَلُ الله ما يَشاءُ يعنـي تعالـى ذكره بـذلك: وبـيد اللـه الهدايـة والإضلال, فلا تنكروا أيها الناس قُـدرته ولا اهتـداء مـن كـان منكـم ضـالاّ ولا ضَلاَل من كان منكم مهتديا, فإن بـيده تصريف خـلقه وتقلـيب قلوبهم, يفعل فـيها ما يشاء.

الآية : 28-29

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الّـذِينَ بَـدّلُواْ نِعْمَـةَ اللّـهِ كُفْـراً وَأَحَلّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ * جَهَنّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ }

.

يقول تعالـى ذكره: ألـم تنظر يا مـحمد إلـى الّذِينَ بَدّلُوا نِعْمَةَ اللّهِ كُفْرًا يقول: غيروا ما أنعم اللـه بـه علـيهم مـن نعمـه, فجعلوهـا كُفـرا بـه. وكـان تبديـلهم نعمة الله كفرا فـي نبـيّ الله مـحمد صلى اللـه عليـه وسـلم, أنعـم الله به علـى قريش, فأخرجه منهم وابتعثه فـيهم رسولاً, رحمـة لهـم ونعمـة منه علـيهم, فكفروا به, وكذّبوه, فبدّلوا نعمة الله بـه كفـرا. وقـوله: وأحَلّـوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ يقول: وأنزلوا قومهم من مُشركي قريش دار البوار, وهـي دار الهلاك, يقال منه: بـار الشيء يَبُورُ بَوْرا: إذا هلك وبطل ومنـه قـول ابـن الزّبعري, وقد قـيـل إنه لأبـي سفـيان بن الـحرث بن عبد الـمطلب:

يا رَسُولَ الـمَلِـيكِ إنّ لِسانِـيرَاتِقٌ ما فَتَقْتُ إذْ أنا بُورُ

ثم ترجم عن دار البوار وما هي, فقـيـل: جَهَنّـمَ يَصْلَوْنَهاوَبِئْسَ القَرَارِ يقول: وبئس الـمستقرّ هي جهنـم لـمن صلاها. وقـيـل: إن الـذين بـدّلوا نعمـة اللـه كفرا: بنو أمية, وبنو مخزوم. ذكر من قال ذلك:

15728ـ حدثنا ابن بشار وأحمد بن إسحاق, قالا: حـدثنا أبـو أحمـد, قـال: حدثنا سفـيان, عـن علـيّ بـن زيـد, عـن يوسـف بـن سـعد, عـن عمـر بـن الـخطاب, فـي قوله: أَلَـمْ تَرَ إلـى الّذِينَ بَدّلُوا نِعْمَةَ اللّهِ كُفْرًا وَأحَلّوا قَـوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ جَهَنّـمَ قال: هما الأفجران من قريش: بنو الـمغيرة, وبنو أمية فأما بنو الـمغيرة فكُفـيتُـمُوهم يوم بدر, وأما بنو أمية فمتّعوا إلـى حين.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو نعيـم الفضل بن دكين, قال: أخبرنا حمزة الزيات, عن عمرو بن مرّة, قال: قال ابن عبـاس لعمر رضي الله عنهما: يـا أمير الـمؤمنـين, هذه الآية: الّذِينَ بَدّلُوا نِعْمَـةَ اللّـهِ كُفْـرًا وأحَلّـوا قَـوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ؟ قال: هم الأفجـران مـن قريـش أخوالـي وأعمامـك, فأمـا أخوالـي فـاستأصلهم الله يوم بدر, وأما أعمامك فأملـى الله لهم إلـى حين.

15729ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن أبي إسحاق, عن عمرو ذي مرّ, عن عليّ: وأَحَلّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ قال: الأفجران من قريش.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا شعبة, عن أبي إسحاق, عن عمرو ذي مرّ, عن عليّ, مثله.

15730ـ حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفيان وشريك, عن أبي إسحاق, عن عمرو ذي مرّ, عن عليّ, قوله: أَلَمْ تَرَ إلى الّذِينَ بَدّلُوا نعْمَةَ اللّهِ كُفْرًا وأَحَلّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ قال: بنو المغيرة وبنو أمية فأما بنو المغيرة فقطع الله دابرهم يوم بدر وأما بنو أمية فمُتّعوا إلى حين.

حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن أبي إسحاق, قال: سمعت عمرا ذا مرّ, قال: سمعت عليّا يقول في هذه الآية: أَلَمْ تَرَ إلى الّذِينَ بَدّلُوا نعْمَةَ اللّهِ كُفْرًا وأَحَلّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ قال: الأفجران من بني أسد وبني مخزوم.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا شعبة, عن القاسم بن أبي بزّة, عن أبي الطفيل, عن عليّ, قال: هم كفار قريش. يعني في قوله: وأَحَلّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ جَهَنّمَ.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن القاسم بن أبي بزّة, عن أبي الطفيل أنه سمع عليّ بن أبي طالب, وسأله ابن الكوّاء عن هذه الآية: أَلَمْ تَرَ إلى الّذِينَ بَدّلُوا نِعْمَةَ اللّهِ كُفْرًا وأَحَلّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ قال: هم كفار قريش يوم بدر.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو النضر هاشم بن القاسم, عن شعبة, عن القاسم بن أبي بزّة, قال: سمعت أبا الطفيل, قال: سمعت عليّا, فذكر نحوه.

حدثنا أبو السائب, قال: حدثنا أبو معاوية, عن إسماعيل بن سميع, عن مسلم البطين, عن أبي أرطأة, عن عليّ في قوله: أَلَمْ تَرَ إلى الّذِينَ بَدّلُوا نِعْمَةَ اللّهِ كُفْرًا قال: هم كفّار قريش. هكذا قال أبو السائب مسلم البطين عن أبي أرطأة.

حدثنا الحسن بن محمد الزعفراني, قال: حدثنا أبو معاوية الضرير, قال: حدثنا إسماعيل بن سميع, عن مسلم بن أرطأة, عن عليّ, في قوله تعالى: الّذِينَ بَدّلُوا نِعْمَةَ اللّهِ كُفْرًا قال: كفار قريش.

حدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا يعقوب بن إسحاق, قال: حدثنا شعبة, عن القاسم بن أبي بزة, عن أبي الطفيل, عن عليّ, قال في قول الله: أَلَمْ تَرَ إلى الّذِينَ بَدّلُوا نِعْمَةَ اللّهِ كُفْرًا وأَحَلّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ قال: هم كفار قريش.

حدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا شبابة, قال: حدثنا شعبة, عن القاسم بن أبي بَزة, قال: سمعت أبا الطفيل يحدّث, قال: سمعت عليّا يقول في هذه الآية: أَلَمْ تَرَ إلى الّذِينَ بَدّلُوا نِعْمَةَ اللّهِ كُفْرًا وأَحَلّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ قال: كفار قريش يوم بدر.

15731ـ حدثنا الحسن, قال: حدثنا الفضل بن دكين, قال: حدثنا بسام الصّيرفيّ, قال: حدثنا أبو الطفيل عامر بن واثلة, ذكر أن عليّا قام على المنبر فقال: سلوني قبل أن لا تسألوني, ولن تسألوا بعدي مثلي فقام

ابن الكوّاء فقال: من الّذِينَ بَدّلُوا نِعْمَةَ اللّهِ كُفْرًا وأحَلّـوا قَـوْمَهُمْ دَارَ البَـوَارِ؟ قال: منافقو قريش.

حدثنا الـحسن, قال: حدثنا مـحمد بن عبـيد, قال: حدثنا بسام, عن رجل قد سماه الطنافسيّ, قال: جاء رجل إلـى علـيّ, فقال: يا أمير الـمؤمنـــين: من الّذِينَ بَدّلُوا نِعْمَةَ اللّهِ كُفْرًاوأحَلّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ؟ قال: فـي قريش.

حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا بسام الصيرفـيّ, عن أبـي الطفـيـل, عن علـيّ أنه سئل عن هذه الآية: الّذِينَ بَدّلُوا نِعْمَـةَ اللّـهِ كُفْرًا قال: منافقو قريش.

15732ـ حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا عفـان, قال: حدثنا حمـاد, قال: حدثنا عمرو بن دينار, أن ابن عبـاس قال فـي قوله: وأحَلّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ قال: هم الـمشركون من أهل بدر.

15733ـ حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا عبد الـجبـار, قـال: حـدثنا سفـيان, عن عمرو, قال: سمعت عطاء يقول: سمعت ابـن عبــاس يقـول: هم والله أهل مكة الّذِينَ بَدّلُوا نِعْمَةَ اللّهِ كُفْرًا وأحَلّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: حـدثنا صالــح بـن عمـر, عـن مطرف بـن طريـف, عـن أبــي إسـحاق قـال: سـمعت عمـرا ذا مـرّ يقـول: سمعت علـيّا يقول علـى الـمنبر, وتلا هذه الآية: ألَــمْ تَـرَ إلــى الّـذِينَ بَـدّلُوا نِعْمَةَ اللّهِ كُفْرًا وأحَلّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ. قال: هما الأفجران من قريش فأما أحدهما فقطع الله دابرهم يوم بدر وأما الآخر فمُتّعوا إلـى حين.

15734ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, ق ال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حـدثنا الــحسن قـال: حـدثنا ورقـاء وحـدثنا الـحسن, قال: حدثنا شبـابة, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبــي نــجيح, عن مـجاهد قوله: بَدّلُوا نِعْمَةَ اللّهِ كُفْرًا قال: كفـار قريش.

حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا عبد الوهاب, عن مـجاهد, قال: كفـار قريش.

حدثنا الـمثنى, قال: حدثنا أبو حُذيفة, قال: حـدثنا شـبل, عـن ابـن أبــي نـجيح, عن مـجاهد: بَدّلُوا نِعْمَةَ اللّهِ كُفْرًا كفـار قريش.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, عن مـجاهد, مثله.

حدثنا الـحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا ابن عيـينة, عن عمرو بن دينار, عن عطاء, قال: سمعت ابـن عبــاس يقـول: هـم والله الّذِينَ بَدّلُوا نِعْمَةَ اللّهِ كُفْرًا وأحَلّوا قَـوْمَهُم دَارَ البَـوَارِ قريـش. أو قـال: أهـل مكة.

15735ـ حدثنا ابن وكيع وابن بشار, قالا: حدثنا غُنْدر, عن شعبة, عن أبـي بشر, عن سعيد بن جبـير فـي هذه الآية: الّذِينَ بَدّلُوا نِعْمَةَ اللّهِ كُفْـرًا وأحَلّـوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ قال: قتلـى يوم بدر.

15736ـ حدثنا ابن الـمثنى, قال: ثنـي عبد الصمد, قال: حدثنا شعبة, عن أبـي بشر, عن سعيد بن جبـير: الّذِينَ بَدّلُوا نِعْمَةَ اللّهِ كُفْرًا وأحَلّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ قال: هم كفـار قريش.

15737ـ حدثنا مـحمد بـن بشـار ومــحمد بـن الــمثنى, قـالا: حـدثنا عبـد الرحمن, قال: حدثنا هشيـم, عن حُصَين, عن أبـي مالك وسـعيد بـن جبــير, قالا: هم قتلـى بدر من الـمشركين.

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن عيينة, عن عمرو, عن عطاء, عن ابن عباس في: الَّذِينَ بَدّلُوا نِعْمَةَ اللّهِ كُفْرًا وأحَلّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ قال: هم والله أهل مكة. قال: أبو كريب: قال سفيان: يعني كفارهم.

حدثني المثنى, قال: حدثنا الحجاج, قال: حدثنا حماد, عن عمرو بن دينار, عن ابن عباس, في قوله: وأحَلّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ قال: هم المشركون من أهل بدر.

حدثني المثنى, قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: أخبرنا هشيم, عن إسماعيل بن أبي خالد, عن أبي إسحاق, عن بعض أصحاب عليّ, عن عليّ, في قوله: أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ بَدّلُوا نعْمَةَ اللّهِ كُفْرًا قال: هم الأفجران من قريش من بني مخزوم وبني أمية أما بنو مخزوم فإن الله قطع دابرهم يوم بدر وأما بنو أمية فمُتّعوا إلى حين.

15738ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا معلى بن أسد, قال: أخبرنا خالد, عن حصين, عن أبي مالك, في قول الله: أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ بَدّلُوا نعْمَةَ اللّهِ كُفْرًا قال: هم القادة من المشركين يوم بدر.

حدثني المثنى, قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: أخبرنا هشيم, عن حصين, عن أبي مالك وسعيد بن جبير, قالا: هم كفار قريش من قُتل ببدر.

15739ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: أخبرنا هشيم, عن جويبر, عن الضحاك, قال: هم كفار قريش, من قُتل ببدر.

حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك, يقول في قوله: أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ بَدّلُوا نعْمَةَ اللّهِ كُفْرًا... الآية, قال: هم مشركو أهل مكة.

15740ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة بن الفضل, قال: أخبرني محمد بن إسحاق, عن بعض أصحابه, عن عطاء بن يسار, قال: نزلت هذه الآية في الذين قُتلوا من قريش: أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ بَدّلُوا نعْمَةَ اللّهِ كُفْرًا وأحَلّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ... الآية.

15741ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد بن زريع, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ بَدّلُوا نعْمَةَ اللّهِ كُفْرًا وأحَلّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ كنا نحدّث أنهم أهل مكة: أبو جهل وأصحابه الذين قتلهم الله يوم بدر, قال الله: جَهَنّمَ يَصْلَوْنَها وَبِئْس القَرَارُ.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: وأحَلّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ قال: هم قادة المشركين يوم بدر, أحلوا قومهم دار البوار جَهَنّمَ يَصْلَوْنَها.

15742ـ حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: الَّذِينَ بَدّلُوا نعْمَةَ اللّهِ كُفْرًا وأحَلّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ قال: هؤلاء المشركون من أهل بدر.

وقال آخرون في ذلك, بما:

15743ـ حدثني به محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي عن ابن عباس, قوله: أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ بَدّلُوا نعْمَةَ اللّهِ كُفْرًا وأحَلّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ جَهَنّمَ يَصْلَوْنَها فهو جبلة بن الأيهم, والذين اتبعوه من العرب فلحقوا بالروم.

وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: وأحَلّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

15744ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: أخبرنا هشيم, عن جويبر, عن الضحاك: وأحَلّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ قال: أحلوا من أطاعهم من قومهم.

15745ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن ابن عباس: دَارَ البَوَارِ قال: الهلاك. قال ابن جريج, قال مجاهد: وأحَلّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ قال: أصحاب بدر.

15746ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: دَارَ البَوَارِ النار. قال: وقد بَيّن الله ذلك وأخبرك به, فقال: جَهَنّمَ يَصْلَوْنَها وَبِئْسَ القَرَارُ.

15747ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: دَارَ البَوَارِ جَهَنّمَ يَصْلَوْنَها هي دارهم في الآخرة.

الآية : 30

القول في تأويل قوله تعالى:{وَجَعَلُواْ للّهِ أَندَاداً لّيُضِلّواْ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتّعُواْ فَإِنّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النّارِ }.

يقول تعالى ذكره: وجعل هؤلاء الذين بدّلوا نعمة الله كفرا لربهم أندادا, وهي جماع نِدّ, وقد بيّنت معنى الندّ فيما مضى بشواهده بما أغنى عن إعادته, وإنما أراد أنهم جعلوا لله شركاء كما:

15748ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: قوله: وَجَعَلُوا لِلّهِ أنْدَادًا والأنداد: الشركاء.

وقوله: لِيُضِلّوا عَنْ سَبِيلِهِ اختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامّة قرّاء الكوفيين: لِيُضِلّوا بمعنى: كي يضلوا الناس عن سبيل الله بما فعلوا من ذلك. وقرأته عامة قرّاء أهل البصرة: «لَيَضِلّوا» بمعنى: كي يضلّ جاعلو الأنداد لله عن سبيل الله. وقوله: قُلْ تَمَتّعُوا يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهم: تمتعوا في الحياة الدنيا وعيدا من الله لهم لا إباحَة لهم التمتع بها ولا أمرا على وجه العبادة, ولكن توبيخا وتهددا ووعيدا, وقد بَيّن ذلك بقوله: فإنّ مَصِيرَكُمْ إلى النّارِ يقول: استمتعوا في الحياة الدنيا, فإنها سريعة الزوال عنكم, وإلى النار تصيرون عن قريب, فتعلمون هنالك غبّ تمتعكم في الدنيا بمعاصي الله وكفركم فيها به.

الآية : 31

القول في تأويل قوله تعالى: {قُل لّعِبَادِيَ الّذِينَ آمَنُواْ يُقِيمُواْ الصّلاَةَ وَيُنْفِقُواْ مِمّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلانِيَةً مّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خِلاَلٌ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قُلْ يا محمد لِعبادِيَ الّذِينَ آمَنُوا بك وصدّقوا أن ما جئتهم به من عندي يُقيمُوا الصّلاةَ يقول: قل لهم: فليقيموا الصلوات الخمس المفروضة عليهم بحدودها, ولينفقوا مما رزقناهم فخوّلناهم من فضلنا سرّا وعلانية, فليؤدّوا ما أوجبت عليهم من الحقوق فيها سرّا وإعلانا. مِنْ قَبْلِ أنْ يَأتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ يقول: لا يقبل فيه فدية وعوض من نفس وجب عليها عقاب الله بما كان منها من معصية ربها في الدنيا, فيقبل منها الفدية, وتترك فلا تعاقب.

فسمى الله جلّ ثناؤه الفدية عوضا, إذ كان أخذ عوض من معتاض منه. وقوله: وَلا خِلالٌ يقول: وليس هناك مُخالّة خليل, فيصفح عمن استوجب العقوبة عن العقاب لمخالته, بل هنالك العدل والقسط, فالخلال مصدر من قول القائل: خاللت فلانا فأنا أخالّه مُخَالّة وخِلالاً ومنه قول امرىء القيس:

صرفْتُ الهَوَى عَنْهُنّ مِنْ خَشْيَةِ الرّدَىوَلَسْتُ بِمَقْلِيّ الخِلالِ ولا قالي

وجزم

قوله: يُقِيمُوا الصّلاةَ بتأويل الجزاء ومعناه الأمر, يراد: قل لهم ليقيموا الصلاة.

15749ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس: قُلْ لِعِبادِيَ الّذِينَ أمَنُوا يُقِيمُوا الصّلاةَ يعني الصلوات الخمس. وَيُنْفِقُوا مِمّا رَزَقْناهُمْ سِرّا وَعَلانِيَةً: يقول: زكاة أموالهم.

15750ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا هشام, عن عمرو, عن سعيد, عن قتادة, في قوله: مِنْ قَبْلِ أنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خِلالٌ قال قتادة: إن الله تبارك وتعالى قد علم أن في الدنيا بيوعا وخلالاً يتخالّون بها في الدنيا, فينظر رجل من يخالل وعلام يصاحب, فإن كان لله فليداوم, وإن كان لغير الله فإنها ستنقطع.

الآية : 32

القول في تأويل قوله تعالى: {اللّهُ الّذِي خَلَقَ السّمَاوَاتِ وَالأرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثّمَرَاتِ رِزْقاً لّكُمْ وَسَخّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخّرَ لَكُمُ الأنْهَارَ }.

يقول تعالى ذكره: الله الذي أنشأ السموات والأرض من غير شيء أيها الناس, وأنزل من السماء غيثا أحيا به الشجر والزرع, فأثمرت رزقا لكم تأكلونه, وسَخّرَ لَكُمُ الفُلْكَ وهي السفن لِتَجْرِيَ فِي البَحْرِ بِأمْرِهِ لكم تركبونها, وتحملون فيها أمتعتكم من بلد إلى بلد وسَخّرَ لَكُمُ الأنهَارَ ماؤُها شراب لكم, يقول تعالى ذكره: الذي يستحقّ عليكم العبادة وإخلاص الطاعة له, مَنْ هذه صفته, لا من لا يقدر على ضرّ ولا نفع لنفسه ولا لغيره من أوثانكم أيها المشركون وآلهتكم.

15751ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن قال حدثنا ورقاء وحدثنا الحسن بن محمد, يعني الزعفرانيّ, قال: حدثنا شبابة, قال: حدثنا ورقاء وحدثني المثنى, قال: أخبرنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله وحدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: وَسَخّرَ لَكُمُ الأنهارَ قال: بكلّ بلدة.

الآية : 33

القول في تأويل قوله تعالى:

{وَسَخّر لَكُمُ الشّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَينَ وَسَخّرَ لَكُمُ الّلّيْلَ وَالنّهَارَ }.

يقول تعالى ذكره: اللّهُ الذِي خلقَ السموَاتِ وَالأرْضَ وفعل الأفعال التي وصف. وَسَخّرَ لَكُمُ الشّمْسَ والقَمَرَ يتعاقبان عليكم أيها الناس بالليل والنهار لصلاح أنفسكم ومعاشكم. دَائِبَيْنِ في اختلافهما عليكم. وقيل: معناه: أنهما دائبان في طاعة الله.

15752ـ حدثنا خلف بن واصل, عن رجل, عن مقاتل بن حيان, عن عكرمة, عن ابن عباس, في قوله: وَسَخَّرَ لَكُمُ الشّمْسَ والقَمَرَ دَائِبَيْنِ قال: دؤُوبهما في طاعة الله.

وقوله: وَسَخّرَ لَكُمُ اللّيْلَ والنّهارَ يختلفان عليكم باعتقاب, إذا ذهب هذا جاء هذا بمنافعكم وصلاح أسبابكم, فهذا لكم لتصرّفكم فيه لمعاشكم, وهذا لكم للسكن تسكنون فيه, ورحمة منه بكم.

الآية : 34

القول في تأويل قوله تعالى:

{وَآتَاكُم مّن كُلّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفّارٌ }

يقول تعالى ذكْره: وأعطاكم مع إنعامه عليكم بما أنعم به عليكم من تسخير هذه الأشياء التي سخرها لكم والرزق الذي رزقكم من نبات الأرض وغروسها من كلّ شيء سألتموه ورغبتم إليه شيئا. وحذف الشيء الثاني اكتفاءً ب «ما» التي أضيفت إليها «كلّ» وإنما جاز حذفه, لأن «مِن» تُبعّض ما بعدها, فكفت بدلالتها على التبعيض من المفعول, فلذلك جاز حذفه, ومثله قوله تعالى: وأُوتِيَتْ مِنْ كُلّ شَيْءٍ يعني به: وأوتيت من كلّ شيء في زمانها شيئا. وقد قيل: إن ذلك إنما قيل على التكثير, نحو قول القائل: فلان يعلم كلّ شيء, وأتاه كل الناس, وهو يعني بعضهم, وكذلك قوله: فَتَحْنا عَلَيْهِمْ أبْوَابَ كُلّ شَيْءٍ. وقيل أيضا: إنه ليس شيء إلاّ وقد سأله بعض الناس, فقيل: وآتاكُمْ مِنْ كُلّ ما سألْتُمُوهُ أي قد آتى بعضكم منه شيئا, وآتى آخر شيئا مما قد سأله. وهذا قول بعض نحويّى أهل البصرة.

وكان بعض نحويّي أهل الكوفة يقول: معناه: وأتاكم من كلّ ما سألتموه لو سألتموه, كأنه قيل: وآتاكم من كلّ سؤلكم وقال: ألا ترى أنك تقول للرجل لم يسألك شيئا: والله لأعطينك سُؤْلك ما بلغت مسألتك وإن لم يسأل؟

فأما أهل التأويل, فإنهم اختلفوا في تأويل ذلك, فقال بعضهم: معناه: وآتاكم من كلّ ما رغبتم إليه فيه. ذكر من قال ذلك: 15753ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء وحدثني الحسن بن محمد, قال: حدثنا شبابة, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح عن مجاهد: مِنْ كُلّ ما سألْتُمُوهُ ورغبتم إليه فيه.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حُذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وحدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وحدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

15754ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن الحسن: وآتاكُمْ مِنْ كُلّ ما سألْتُمُوهُ قال: من كلّ الذي سألتموه.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وآتاكم من كل الذي سألتموه والذي لم تسألوه. ذكر من قال ذلك:

15755ـ حدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا خلف, يعني ابن هشام, قال: حدثنا محبوب, عن داود بن أبي هند, عن رُكانة بن هاشم: مِنْ كُلّ ما سألْتُمُوه وقال: ما سألتموه وما لم تسألوه.

وقرأ ذلك آخرون: «وآتاكُمْ مِلْ كُلَ ما سألْتُمُوهُ» بتنوين «كلّ» وترك إضافتها إلى «ما» بمعنى: وآتاكم من كلّ شيء لم تسألوه ولم تطلبوه منه. وذلك أن العباد لم يسألوه الشمس والقمر والليل والنهار, وخلق ذلك لهم من غير أن يسألوه. ذكر من قال ذلك:

15756ـ حدثني أبو حُصَين, عبد الله بن أحمد بن يونُس, قال: حدثنا بَزِيع, عن الضحاك بن مُزاحم في هذه الآية: «وآتاكُمْ مِنْ كُلَ ما سألْتُمُوهُ» قال: ما لم تسألوه.

15757ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا عبيد, عن الضحاك أنه كان يقرأ: «مِنْ كُلَ ما سألْتُمُوهُ» ويفسره: أعطاكم أشياء ما سألتموها ولم تلتمسوها, ولكن أعطيتكم برحمتي وسعتي. قال الضحاك: فكم من شيء أعطانا الله ما سألنا ولا طلبناه.

حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: «وآتاكُمْ مِنْ كُلَ ما سَألْتُمُوهُ» يقول: أعطاكم أشياء ما طلبتموها ولا سألتموها, صدق الله كم من شيء أعطاناه الله ما سألناه إياه ولا خطر لنا على بال.

15758ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: «وآتاكُمْ مِنْ كُلَ ما سألْتُمُوهُ» قال: لم تسألوه من كلّ الذي آتاكم.

والصواب من القول في ذلك عندنا, القراءة التي عليها قرّاء الأمصار, وذلك إضافة «كل» إلى «ما» بمعنى: وآتاكم من سؤلكم شيئا, على ما قد بيّنا قبل, لإجماع الحجة من القرّاء عليها ورفضهم القراءة الأخرى.

القول في تأويل قوله تعالى: وَإنْ تَعُدّوا نِعْمَةَ اللّهِ لا تُحْصُوها إنّ الإنْسانَ لَظَلُومٌ كَفّارٌ.

يقول تعالى ذكره: وإن تعدّوا أيها الناس نعمة الله التي أنعمها عليكم لا تطيقوا إحصاء عددها والقيام بشكرها إلاّ بعون الله لكم عليها. إنّ الإنْسانَ لَظَلُومٌ كَفّارٌ يقول: إن الإنسان الذي يبدّل نعمة الله كفرا لظَلُومٌ: يقول: لشاكر غير من أنعم عليه, فهو بذلك من فعله واضع الشكر في غير موضعه وذلك أن الله هو الذي أنعم عليه بما أنعم واستحقّ عليه إخلاص العبادة له, فعبد غيره وجعل له أندادا ليضلّ عن سبيله, وذلك هو ظلمه. وقوله: كَفّارٌ يقول: هو جحود نعمة الله التي أنعم بها عليه لصرفه العبادة إلى غير من أنعم عليه, وتركه طاعة من أنعم عليه.

15759ـ حدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا يزيد بن هارون, قال: حدثنا مِسْعَر, عن سعد بن إبراهيم, عن طلق بن حبيب, قال: إن حقّ الله أثقل من أن تقوم به العباد, وإن نعم الله أكثر من أن تحصيهَا العباد ولكن أصبِحوا تَوّابين وأمسُوا توّابين.

الآية : 35-36

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا الْبَلَدَ آمِنـاً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيّ أَن نّعْبُدَ الأصْنَامَ * رَبَّ إِنّهُـنّ أَضْـلَلْنَ كَثِيـراً مّـنَ النّـاسِ فَمَـن تَبِعَنِي فَإِنّهُ مِنّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنّكَ غَفُورٌ رّحِيمٌ }.

يقول تعالـى ذكره: و اذكر يا مـحمد إذْ قالَ إبْرَاهِيـمُ رَبّ اجْعَلْ هَذَا البَلَدَ آمِنا يعنـي الـحَرم, بلدا آمنا أهله وسكانه. وَاجْنُبْنِـي وَبَنِــيّ أنْ نَعْبُـدَ الأصْـنامَ يقال منه: جَنَبْته الشرّ فأنا أَجْنُبُـه جَنْبــا وجَنّبتـه الشـرّ, فأنـا أُجَنّبُـهُ تـجنـيبــا, وأجنبته ذلك فأنا أُجْنِبُه إجنابـا. ومِن «جَنَبْتُ» قول الشاعر:

وتَنْفُضُ مَهْدَهُ شفَقًا عَلَـيْهِوتَـجْنُبُهُ قَلائِصَنا الصّعابَـا

ومعنى ذلك: أبعدْنـي وبنـيّ من عبــادة الأصـنام, والأصـنام: جمـع صنــم, والصنـم: هو التـمثال الـمصوّر, كما قال رُؤبة بن العجّاج فـي صفة امرأة:

وَهْنانَةٌ كالزّونِ يُجْلَـى صَنَـمُهْتَضْحَكُ عن أشْنَبَ عَذْبٍ مَلْثَمُهْ

وكذلك كان مـجاهد يقول:

15760ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو حُذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: وَإذْ قالَ إبْرَاهِيـمُ رَبّ اجْعَلَ هذَا البَلَدَ آمِنا وَاجْنُبْنِــي وَبَنِـيّ أنْ نَعْبُدَ الأصْنامَ قالَ: فـاستــجاب اللـه لإبراهيــم دعـوته فــي ولـده, قال: فلـم يعبد أحد من ولده صنـما بعد دعوته. والصنـم: التـمثال الــمصوّر, ما لـم يكن صنـما فهو وثَن. قال: واستـجاب الله له, وجعـل هـذا البلـد آمنـا, ورزق أهله من الثمرات, وجعله إماما, وجعل من ذرّيته مـن يقـيــم الصـلاةَ, وتقبّل دعاءه, فأراه مناسِكَه, وتاب علـيه.

15761ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن مغيرة, قال: كان إبراهيـم التـيـميّ يقصّ ويقول فــي قَصَصـه: مـن يـأمن مـن البلاء بعـد خـلـيــل اللـه إبراهيـم, حين يقول: ربّ اجْنُبْنِـي وَبَنِـيّ أنْ نَعْبُدَ الأصْنامَ؟ وقـوله: رَبّ إنّهُـنّ أضْلَلْنَ كَثِـيرًا مِنَ النّاسِ يقول: يا ربّ إن الأصنام أضللن: يقول: أزلن كثــيرا من الناس عن طريق الهُدى وسبـيـل الـحقّ حتـى عبدوهنّ, وكفروا بك.

15762ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيدُ, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إنّهُنّ أضْلَلْنَ كَثِـيرًا مِنَ النّاسِ يعنـي الأوثان.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا هشام, عن عمرو, عن سعيد, عن قتادة: إنّهُنّ أضْلَلْنَ كَثِـيرًا مِنَ النّاسِ قال: الأصنام.

وقوله: فَمَنْ تَبِعَنِـي فإنّهُ مِنّـي يقول: فمن تبعنـي علـى ما أنـا علــيه مـن الإيـمان بك وإخلاص العبـادة لك وفراق عبـادة الأوثـان, فـإنه منــي: يقـول: فإنه مستنّ بسنّتِـي, وعامل بـمثل عملـي. وَمَنْ عَصَانِـي فإنّكَ غَفُـورٌ رَحِيــمٌ يقول: ومن خالف أمري فلـم يقبل منـي ما دعوته إلـيه, وأشـرك بـك, فـإنه غفور لذنوب الـمذنبـين الـخَطائين بفضلك, رحيـم بعبـادك تعفو عمــن تشـاء منهم. كما:

15763ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة قوله: فَمَنْ تَبِعَنِـي فإنّهُ مِنـي وَمَنْ عَصَانِـي فإنّكَ غَفُورٌ رَحِيــمٌ اسـمعوا إلــى قـول خـلـيـل الله إبراهيـم, لا والله ما كانوا طَعّانــين ولا لَعّانــين وكـان يقـال: إنّ من أشرّ عبـاد الله كلّ طعان لعان, قال نبـيّ الله ابن مريــم علــيه السـلام: إنْ تُعَذّبْهُمْ فَإنّهُمْ عِبـادُكَ وَإنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فإنّكَ أنْتَ العَزِيزُ الـحَكِيـمُ.

15764ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أصبغ بن الفرج, قال: أخبرنـي ابــن وهب, قال: حدثنا عمـرو بـن الــحارث أن بكـر بـن سَـوادة, حـدّثه عـن عبـد الرحمن بن جُبـير, عن عبد الله بن عمرو بن العـاص, أن رسـول اللـه صـلى

الله عليه وسلم تلا قول إبراهيم: رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فإنّهُ مِنّي وَمَنْ عَصَانِي فإنّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ, وقال عيسى: إنْ تُعَذِّبْهُمْ فإنّهُمْ عِبادُكَ وَإنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فإنّكَ أنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ فرفع يديه ثم قال: اللَّهُمّ أُمّتِي, اللَّهُمّ أُمّتِي وبكى. فقال الله تعالى: يا جبرئيل اذهب إلى محمد وربك أعلم فاسأله ما يُبكيه؟ فأتاه جبرئيل فسأله, فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال. قال: فقال الله: يا جبرئيل اذهب إلى محمد وقل له: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءُك.

الآية : 37

القول في تأويل قوله تعالى: {رَّبَّنَآ إِنِّيَ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِيَ إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ }.

وقال إبراهيم خليل الرحمن هذا القول حين أسكن إسماعيل وأمه هاجَرَ فيما ذُكِر مكة. كما:

15765ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم والحسن بن محمد قالا: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم, عن أيوب, كما قال: نبئت عن سعيد بن جبير, أنه حدث عن ابن عباس, قال: إنّ أوّل من سَعى بين الصّفا والمروة لأمّ إسماعيل وإن أوّل ما أحدث نساء العرب جرّ الذيول لمن أمّ إسماعيل. قال: لما فرّت من سارة, أرْخَتْ من ذيلها لتعفي أثرها, فجاء بها إبراهيم ومعها إسماعيل حتى انتهى بهما إلى موضع البيت, فوضعهما ثم رجع, فاتبعته, فقالت: إلى أيّ شيء تكلنا؟ إلى طعام تكلنا؟ إلى شراب تكلنا؟ فجعل لا يردّ عليها شيئا, فقالت: آلله أمرك بهذا؟ قال نعم, قالت: إذن لا يضيعنا. قال: فرجعت ومضى حتى إذا استوى على ثنية كَدَاء, أقبل على الوادي فدعا, فقال: رَبِّ إنّي أسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيّتِي بَوادٍ غيرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ المُحَرّمِ رَبّنا لِيُقِيمُوا الصّلاةَ فاجْعَلْ أفْئِدَةً منَ النّاسِ تَهْوِي إلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ منَ الثّمَرَاتِ لَعَلّهُمْ يَشْكُرُونَ قال: ومع الإنسانة شَنّة فيها ماء, فنفِد الماء فعطشت وانقطع لبنها, فعطش الصبيّ, فنظرت أيّ الجبال أدنى من الأرض, فصعِدَت بالصفا, فتسمعت هل تسمع صوتا أو ترى أنيسا فلم تسمع, فانحدرت, فلما أتت على الوادي سعت وما تريد السعي, كالإنسان المجهود الذي يسعى وما يريد السعي, فنظرت أيّ الجبال أدنى من الأرض, فصَعِدت المروة فتسمعت هل تسمع صوتا, أو ترى أنيسا فسمعت صوتا, فقالت كالإنسان الذي يكذّب سمعه: صه حتى استيقنت, فقالت: قد أسمعتني صوتك فأغثني, فقد هلكتُ وهلك من معي فجاء المَلك فجاء بها حتى انتهى بها إلى موضع زمزم, فضرب بقدمه ففارت عينا, فعجلت الإنسانة فجعلت في شَنّتها, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رَحِمَ اللّهُ أمّ إسْماعيلَ لَوْلا أنّها عَجِلَتْ لَكانَتْ زَمْزَمُ عَيْنا مَعِينا». وقال لها الملك: لا تخافي الظمأ على أهل هذا البلد, فإنما هي عين لشرب ضِيفان الله. وقال: إن أبا هذا الغلام سيجيء, فيبنيان لله بيتا هذا موضعه. قال: ومرّت رفقة من جُرهم تريد الشام, فرأوا الطير على الجبل, فقالوا: إن هذا الطير لعائف على ماء, فهل علمتم بهذا الوادي من ماء؟ فقالوا: لا. فأشرفوا فإذا هم بالإنسانة, فأتوها فطلبوا إليها أن ينزلوا معها, فأذنت لهم. قال: وأتى عليها ما يأتي على هؤلاء الناس من الموت, فماتت, وتزوّج إسماعيل امرأة منهم, فجاء إبراهيم فسأل عن

منزل إسماعيل حتى دُلّ عليه, فلم يجده, ووجد امرأة له فظة غليظة, فقال لها: إذا جاء زوجك فقولي له: جاء ههنا شيخ من صفته كذا وكذا, وإنه يقول لك: إني لا أرضى لك عتَبَة بابك فحوّلها وانطلق فلما جاء إسماعيل أخبرته, فقال: ذاك أبي وأنت عتبة بابي, فطلقَها وتزوّج امرأة أخرى منهم. وجاء إبراهيم حتى انتهى إلى منزل إسماعيل, فلم يجده, ووجد امرأة له سهلة طليقة, فقال لها: أين انطلق زوجك؟ فقالت: انطلق إلى الصيد, قال: فما طعامكم؟ قالت: اللحم والماء, قال: اللهمّ بارك لهم في لحمهم ومائهم اللهمّ بارك لهم في لحمهم ومائهم ثلاثا. وقال لها: إذا جاء زوجك فأخبريه, قولي: جاء ههنا شيخ من صفته كذا وكذا, وإنه يقول لك: قد رضيت لك عتبة بابك, فأثْبِتْها فلما جاء إسماعيل أخبرته. قال: ثم جاء الثالثة, فرفعا القواعد من البيت.

حدثنا الحسن بن محمد, قال: ثني يحيى بن عباد, قال: حدثنا حماد بن سلمة, عن عطاء بن السائب, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, قال: جاء نبيّ الله إبراهيم بإسماعيل وهاجر, فوضعهما بمكة في موضع زمزم فلما مضى نادته هاجر: يا إبراهيم إنما أسألك ثلاث مرات: من أمرك أن تضعني بأرض ليس فيها ضَرْع ولا زرع ولا أنيس ولا زاد ولا ماء؟ قال: ربي أمرني, قالت: فإنه لن يضيّعنا. قال: فلما قفا إبراهيم قال: رَبّنا إنّكَ تَعْلَمُ ما نُخْفِي وَما نُعْلِنُ يعني من الحزن وَما يَخْفَى على اللّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الأرْضِ وَلا فِي السّماءِ. فلما ظمىء إسماعيل جعل يَدْحَض الأرض بعقبه, فذهبت هاجر حتى علت الصفا, والوادي يومئذٍ لاخ يعني عميق فصعدت الصفا, فأشرفت لتنظر هل ترى شيئا فلم تر شيئا, فانحدرت فبلغت الوادي, فسعت فيه حتى خرجت منه, فأتت المروة, فصعدت فاستشرفت هل تر شيئا, فلم تر شيئا. ففعلت ذلك سبع مرّات, ثم جاءت من المروة إلى إسماعيل, وهو يَدْحَض الأرض بقَعْبه, وقد نبعت العين وهي زمزم. فجعلت تفحص الأرض بيدها عن الماء, فكلما اجتمع ماء أخذته بقدحها, وأفرغته في سقائها. قال: فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «يَرْحَمُها اللّهُ لَوْ تَرَكَتْها لَكانَتْ عَيْنا سائِحَةً تَجْرِي إلى يَوْمِ القِيامَةِ». قال: وكانت جُرهُمُ يومئذٍ بواد قريب من مكة قال: ولزمت الطير الوادي حين رأت الماء فلما رأت جرهم الطير لزمت الوادي, قالوا: ما لزمته إلاّ وفيه ماء, فجاءوا إلى هاجَر, فقالوا: إن شئت كنا معك وآنسناك وآلماء ماؤك, قالت: نعم. فكانوا معها حتى شبّ إسماعيل, وماتت هاجر فتزوّج إسماعيل امرأة منهم قال: فاستأذن إبراهيم سارة أن يأتي, هاجر, فأذنت له وشرطت عليه أن لا ينزل, فقدم إبراهيم وقد ماتت هاجر, فذهب إلى بيت إسماعيل, فقال لامرأته: أين صاحبك؟ قالت: ليس ههنا ذهب يتصيد, وكان إسماعيل يخرج من الحرم فيتصيد ثم يرجع, فقال إبراهيم: هل عندك ضيافة, هل عندك طعام أو شراب؟ قالت: ليس عندي, وما عندي أحد. فقال إبراهيم: إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام وقولي له: فليغير عتبة بابه وذهب إبراهيم, وجاء إسماعيل, فوجد ريح أبيه, فقال لامرأته: هل جاءك أحد؟ فقالت: جاءني شيخٌ كذا وكذا, كالمستخفة بشأنه, قال: فما قال لكِ؟ قالت: قال لي: أقرئي زوجك السلام وقولي له: فليغير عتبة بابه, فطلقها وتزوّج أخرى. فلبث إبراهيم ما شاء الله أن يلبث, ثم استأذن سارة أن يزور إسماعيل, فأذنت له, وشرطت عليه أن

لا ينزل, فجاء إبراهيم حتى انتهى إلى باب إسماعيل, فقال لامرأته: أين صاحبك؟ قالت: ذهب يصيد, وهو يجيء الآن إن شاء الله, فانزل يرحمك الله قال لها: هل عندك ضيافة؟ قالت: نعم, قال: هل عندك خبز أو برّ أو تمر أو شعير؟ قالت: لا. فجاءت باللبن واللحم, فدعا لهما بالبركة, فلو جاءت يومئذٍ بخبز أو برّ أو شعير أو تمر لكانت أكثر أرض الله برّا وشعيرا وتمرا, فقالت له: انزل حتى أغسل رأسك فلم ينزل, فجاءته بالمقام فوضعته عن شقه الأيمن, فوضع قدمه عليه, فبقي أثر قدمه عليه, فغسلت شقّ رأسه الأيمن, ثم حوّلت المقام إلى شقه الأيسر فغسلت شقه الأيسر, فقال لها: إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام, وقولي له: قد استقامت عتبة بابك فلما جاء إسماعيل وجد ريح أبيه, فقال لامرأته: هل جاءك أحد؟ فقالت: نعم, شيخ أحسن الناس وجها وأطيبه ريحا, فقال لي كذا وكذا, وقلت له كذا وكذا, وغسلتُ رأسه, وهذا موضع قدمه على المقام. قال: وما قال لك؟ قالت: قال لي: إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام وقولي له: قد استقامت عتبة بابك, قال: ذاك إبراهيم, فلبث ما شاء الله أن يلبث, وأمره الله ببناء البيت, فبناه هو وإسماعيل فلما بنياه قيل: أذّن في الناس بالحجّ فجعل لا يمرّ بقوم إلاّ قال: أيها الناس إنه قد بني لكم بيت فحجوه, فجعل لا يسمعه أحد, صخرة ولا شجرة ولا شيء, إلاّ قال: لبيك اللهمّ لبيك. قال: وكان بين قوله: رَبّنَا إنّي أسْكَنْتُ مِنْ ذُرّيّتِي بِوَادٍ غيرِ ذِي زَرْعٍ عِنْد بَيْتِكَ الـمُحَرّمِ وبين قوله: الحَمْدُ لِلّهِ الّذِي وَهَبَ لي علـى الكِبَرِ إسْمَاعِيلَ وإسْحاقَ كذا وكذا عاما, لم يحفظ عطاء.

15766ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: رَبّنا إنّي أسْكَنْتُ مِنْ ذُرّيّتِي بوَادٍ غيرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الـمُحَرّمِ وإنه بيت طهّره الله من السّوء, وجعله قبلة, وجعله حَرَمه, اختاره نبيّ الله إبراهيم لولده.

15767ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: غيرِ ذِي زَرْعٍ قال: مكة لم يكن بها زرع يومئذٍ.

15768ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: أخبرني ابن كثير, قال القاسم في حديثه: قال: أخبرني عمرو بن كثير «قال أبو جعفر»: فغيرته أنا فجعلته: قال أخبرني ابن كثير, وأسقطت عمرا, لأني لا أعرف إنسانا يقال له عمرو بن كثير حدّث عنه ابن جريج, وقد حدّث به معمر عن كثير بن كثير بن المطلب بن أبي وداعة, وأخشى أن يكون حديث ابن جريج أيضا عن كثير بن كثير, قال: كنت أنا وعثمان بن أبي سليمان في أناس مع سعيد بن جبير ليلاً, فقال سعيد بن جبير للقوم: سلوني قبل ألاّ تسألوني فسأله القوم فأكثروا, وكان فيما سُئل عنه أن قيل له: أحقّ ما سمعنا في المقام؟ فقال سعيد: ماذا سمعتم؟ قالوا: سمعنا أن إبراهيم رسول الله حين جاء من الشام, كان حلف لامرأته أن لا ينزل مكة حتى يرجع, فقرب له المقام, فنزل عليه. فقال سعيد: ليس كذاك: حدثنا ابن عباس, ولكنه حدثنا حين كان بين أمّ إسماعيل وسارة ما كان أقبل بإسماعيل, ثم ذكر مثل حديث أيوب غير أنه زاد في حديثه, قال: قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم: «وَلِذلكَ طافَ النّاسُ بينَ الصّفا والـمَرْوَةِ». ثم حدث وقال: قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم: «طَلَبُوا النّزُولَ مَعَها وَقَدْ أحَبّتْ أُمّ إسْماعيلَ الأنْسَ, فنَزَلُوا

وَبَعَثُوا إلـى أهْلِهِمْ فَقَدِمُوا, وَطَعامُهُمُ الصّيْدُ, يَخْرُجُـونَ مِـنَ الـحَرَمِ ويَخْـرُجُ إِسْماعيـلُ مَعَهُمْ يَتَصَيّدُ فَلَـمّا بَلَغَ أنْكَحُوهُ, وَقَدْ تُوُفّـيَتْ أُمّهُ قَبْلَ ذلكَ». قـالَ: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَـمّا دَعا لَهُما أنْ يُبـارِكَ لَهُـمْ فِـي اللّـحْمِ والـماءِ, قال لَهَا: هَلْ منْ حَبّ أوْ غيرِهِ مـنَ الطّعـامِ؟ قـالَتْ: لا, وَلَـوْ وَجَدَ يَوْمَئذٍ لَهَا حَبّـا لَدَعا لَهَا بـالبَرَكَةِ فـيهِ». قال ابن عبـاس: ثم لبث ما شـاء الله أن يـلبث, ثم جاء فوجد إسماعيـل قاعدا تـحت دَوْحـة إلــى ناحيـة الـبئر يبرى نبلاً له, فسلـم علـيه ونزل إلـيه, فقعد معـه وقـال: يـا إسماعيــل, إن الله قد أمرنـي بأمر. قال إسماعيـل: فأطع ربك فـيـما أمرك قـال إبراهيــم: أمرنـي أن أبنـي له بـيتا. قال إسماعيـل: ابـنِ قـال ابـن عبــاس: فأشـار لـه إبراهيـم إلـى أكمة بـين يـديه مرتفعـة علــى مـا حولهـا يأتــيها السيــل مـن نواحيها, ولا يركبها. قال: فقاما يحفران عن القواعد يرفعانها ويقـولان: رَبّنـا تَقَبّـلْ مِنّـا إنّـكَ أنْـتَ السّـمِيعُ العَلِـيــمُ ربنـا تقبـل منـا إنـك سـميع الـدعاء. وإسماعيـل يحمل الـحجارة علـى رقبته, والشيخ إبراهيـم يبنـي. فلـما ارتفع البنـيان وشقّ علـى الشيخ تناوله, قرّب إلـيه إسماعيـل هذا الــحجَر, فجعـل يقوم علــيه ويبنــي, ويحـوله فــي نـواحي البــيت حتــى انتهـى. يقـول ابـن عبـاس: فذلك مقام إبراهيـم وقـيامه علـيه.

15769ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبــي, عـن شـريك, عـن عطـاء بـن السائب, عن سعيد بن جبـير, عن ابن عبـاس: رَبّنا إنّـي أسْكَنْتُ مِنْ ذُرّيّتِــي بِوَادٍ غيرِ ذِي زَرْعٍ قال: أسكن إسماعيـل وأمه مكة.

15770ـ حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا شريك, عن عطاء بن السائب, عن سعيد بن جبـير: إنّــي أسْـكَنْتُ مِـنْ ذُريّتِــي بِـوَادٍ غيرِ ذِي زَرْعٍ قال: حين وضع إسماعيـل.

قال أبو جعفر: فتأويـل الكلام إذن: ربنا إنـي أسكنت بعض ولدي بواد غيـر ذي زرع. وفـي قوله صلى الله عليه وسلم دلـيـل علـى أنه لــم يكـن هنالـك يومئذٍ ماء, لأنه لو كان هنالك ماء لـم يصفه بأنه غير ذي زرع عند بـيتك الـذي حرّمته علـى جميع خـلقك أن يستـحلوه.

وكان تـحريـمه إياه فـيـما ذُكر كما:

15771ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: ذُكر لنا أن عمر بن الـخطاب قال فـي خطبته: إن هذا البـيت أوّل مــن ولــيه أناس مِن طسْم, فعصوا ربهم واستـحلوا حرمته, واستـخفوا بحقه, فأهلكهم الله. ثم ولـيهم أناس من جُرهمَ فعصوا ربهم واستــحلوا حرمتـه واستــخفوا بحقـه, فـأهلكهم اللـه. ثـم ولـيتــموه معاشـر قريـش, فلا تعصـوا ربـه, ولا تستـحلوا حرمته, ولا تستـخفوا بحقه فوالله لصلاة فـيه أحبّ إلــيّ مـن مئـة صلاة بغيره, واعلـموا أن الـمعاصي فـيه علـى نـحو من ذلك.

وقال: إنّـي أسْكَنْتُ مِنْ ذُرّيّتِـي بوَادٍ غيرِ ذِي زَرْعٍ ولـم يأت بـما وقع علــيه الفعل, وذلك أن حظّ الكلام أن يقال: إنـي أسـكنت مـن ذريتــي جماعـة, أو رجلاً, أو قوما, وذلك غير جائز مع «من» لـدلالتها علــى الــمراد مـن الكلام, والعرب تفعل ذلك معها كثـيرا, فتقـول: قتلنـا مـن بنــي فلان, وطعمنـا مـن الكلإ, وشربنا من الـماء ومنه قول الله تعالـى: أنْ أفِـيضُوا عَلَـيْنا مـنَ الــماءِ أوْ مِـما رَزَقَكُمُ اللّهُ.

فإن قال قائل: وكيف قال إبراهيـم حين أسكن ابنه مكة إنّـي أسْكَنْتُ مِنْ ذُرّيّتِـي بِوَادٍ غيرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَـيْتِك الـمُـحَرّمِ وقد رويتَ فــي الأخبــار التــي

ذكرتها أن إبراهيم بنى البيت بعد ذلك بمدة؟ قيل: قد قيل في ذلك أقوال قد ذكرتها في سورة البقرة, منها أن معناه: عند بيتك المحرّم الذي كان قبل أن ترفعه من الأرض حين رفعته أيام الطوفان, ومنها: عند بيتك المحرّم الذي قد مضى في سابق علمك أنه يحدث في هذا البلد. وقوله المُحَرّمِ على ما قاله قتادة معناه: المحرّم من استحلال حرمات الله فيه, والاستخفاف بحقه. وقوله: رَبّنا لِيُقِيمُوا الصلاةَ يقول: فعلت ذلك يا ربنا كي تؤدّي فرائضك من الصلاة التي أوجبتها عليهم في بيتك المحرّم. وقوله: فاجْعَلْ أفْئِدَةً مِنَ النّاسِ تَهْوِي إلَيْهِمْ يخبر بذلك تعالى ذكره عن خليله إبراهيم أنه سأله في دعائه أن يجعل قلوب بعض خلقه تنزع إلى مساكن ذريته الذين أسكنهم بواد غير ذي زرع عند بيته المحرّم. وذلك منه دعاء لهم بأن يرزقهم حجّ بيته الحرام كما:

15772ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام بن سلم, عن عمرو بن أبي قيس, عن عطاء, عن سعيد بن جبير: أفْئِدَةً مِنَ النّاسِ تَهْوِي إلَيْهِمْ ولو قال: «أفئدة الناس تهوي إليهم» لحجت اليهود والنصارى والمجوس, ولكنه قال: أفْئِدَةً مِنَ النّاسِ تَهْوِي إلَيْهِمْ فهم المسلمون.

15773ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن منصور, عن مجاهد: فاجْعَلْ أفْئِدَةً مِنَ النّاسِ تَهْوِي إلَيْهِمْ قال: لو كانت «أفئدة الناس» لازدحمت عليه فارس والروم, ولكنه «أفئدة من الناس».

حدثنا ابن حميد وابن وكيع, قالا: حدثنا جرير, عن منصور, عن مجاهد: فاجْعَلْ أفْئِدَةً مِنَ النّاسِ تَهْوِي إلَيْهِمْ قال: لو قال: «أفئدة الناس تهوي إليهم», لازدحمت عليهم فارس والروم.

حدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا عليّ, يعني بن الجعد, قال: أخبرنا جرير, عن منصور, عن مجاهد, مثله.

15774ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن الحكم, قال: سألت عكرمة عن هذه الآية: فاجْعَلْ أفْئِدَةً مِنَ النّاسِ تَهْوِي إلَيْهِمْ فقال: قلوبهم تهوي إلى البيت.

15775ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن شعبة, عن الحكم, عن عكرمة وعطاء وطاوس: فاجْعَلْ أفْئِدَةً مِنَ النّاسِ تَهْوِي إلَيْهِمْ البيت تهوي إليه قلوبهم يأتونه.

حدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا يحيى بن عباد, قال: حدثنا سعيد, عن الحكم, قال: سألت عطاء وطاوسا وعكرمة, عن قوله: فاجْعَلْ أفْئِدَةً مِنَ النّاسِ تَهْوِي إلَيْهِمْ قالوا: الحجّ.

حدثنا الحسن, قال: حدثنا شبابة وعليّ بن الجعد, قالا: أخبرنا سعيد, عن الحكم, عن عطاء وطاوس وعكرمة في قوله: فاجْعَلْ أفْئِدَةً مِنَ النّاسِ تَهْوِي إلَيْهِمْ قال: هواهم إلى مكة أن يحجوا.

حدثني المثنى, قال: حدثنا آدم, قال: حدثنا شعبة, عن الحكم, قال: سألت طاوسا وعكرمة وعطاء ابن أبي رباح, عن قوله: فاجْعَلْ أفْئِدَةً مِنَ النّاسِ تَهْوِي إلَيْهِمْ فقالوا: اجعل هواهم الحجّ.

15776ـ حدثنا الحسن, قال: حدثنا يحيى بن عباد, قال: حدثنا حماد بن سلمة, عن عطاء بن السائب, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, قال:

لو كان إبراهيم قال: «فاجعل أفئدة الناس تهوي إليهم» لحجه اليهود والنصارى والناس كلهم, ولكنه قال: أَفْئِدَةً مِنَ النّاسِ تَهْوِي إلَيْهِمْ.

15777ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النّاسِ تَهْوِي إلَيْهِمْ قال: تنزع إليهم.

حدثنا الحسن, قال: حدثنا عبد الوهاب بن عطاء, عن سعيد, عن قتادة, مثله.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, مثله.

وقال آخرون: إنما دعا لهم أن يهووا السكنى بمكة. ذكر من قال ذلك:

15778ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: فاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النّاسِ تَهْوِي إلَيْهِمْ قال: إن إبراهيم خليل الرحمن سأل الله أن يجعل أناسا من الناس يهوَوْن سكنى أو سَكْن مكة.

وقوله: وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثّمَرَاتِ يقول تعالى ذكره: وارزقهم من ثمرات النبات والأشجار ما رزقت سكان الأرياف والقرى التي هي ذوات المياه والأنهار, وإن كنت أسكنتهم واديا غير ذي زرع ولا ماء. فرزقهم جلّ ثناؤه ذلك, كما:

15779ـ حدثنا المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا هشام, قال: قرأت على محمد بن مسلم الطائفي أن إبراهيم لما دعا للحرم: وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثمرات نقل الله الطائف من فَلِسطين.

وقوله: لَعَلّهُمْ يَشْكُرُونَ يقول: ليشكروك على ما رزقتهم وتنعم به عليهم.

الآية : 38

القول في تأويل قوله تعالى: {رَبّنَآ إِنّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىَ عَلَى اللّهِ مِن شَيْءٍ فَي الأَرْضِ وَلاَ فِي السّمَآءِ }.

وهذا خبر من الله تعالى ذكره عَن استشهاد خليله إبراهيم إياه على ما نوى وقصد بدعائه وقيله رَبّ اجْعَلْ هَذَا البَلَدَ آمِنا وَاجْنُبْني وَبَنيّ أنْ نَعْبُدَ الأصْنامُ... الآية, وأنه إنما قصد بذلك رضا الله عنه في محبته أن يكون ولده من أهل الطاعة لله, وإخلاص العبادة له على مثل الذي هو له, فقال: ربنا إنك تعلم ما تخفي قلوبنا عند مسألتنا ما نسألك, وفي غير ذلك من أحوالنا, وما نعلن من دعائنا, فنجهر به وغير ذلك من أعمالنا, وما يخفى عليك يا ربنا من شيء يكون في الأرض ولا في السماء لأن ذلك كله ظاهر لك متجلّ باد, لأنك مدبره وخالقه, فكيف يخفى عليك.

الآية : 39

القول في تأويل قوله تعالى: {الْحَمْدُ للّهِ الّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنّ رَبّي لَسَمِيعُ الدّعَآءِ }.

يقول: الحمد لله الذي رزقني على كبر من السنّ ولدا إسماعيل وإسحاق. إنّ رَبّي لَسَمِيعُ الدّعاءِ يقول: إن ربي لسميع دعائي الذي أدعوه به, وقولي: اجْعَلْ هَذَا البَلَدَ آمِنا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيّ أنْ نَعْبُدَ الأصْنامَ وغير ذلك من دعائي ودعاء غيري, وجميع ما نطق به ناطق لا يخفى عليه منه شيء.

15780ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن فضيل, عن ضرار بن مرّة, قال: سمعت شيخا يحدّث سعيد بن جبير, قال: بُشر إبراهيم بعد سبع عشرة ومئة سنة.

الآية : 40

القول في تأويل قوله تعالى:{رَبّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصّلاَةِ وَمِن ذُرّيَتِي رَبّنَا وَتَقَبّلْ دُعَآءِ }.

يقول: ربّ اجعلني مؤدّيا ما ألزمتني من فريضتك التي فرضتها عليّ من الصلاة. وَمِنْ ذُرّيّتِي يقول: واجعل أيضا من ذريتي مقيمي الصلاة لك. رَبّنا وتَقَبّلْ دُعاءِ يقول: ربنا وتقبل عملي الذي أعمله لك وعبادتي إياك. وهذا نظير الخبر الذي رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إنّ الدّعاءَ هُوَ العبادَةُ» ثم قرأ: وَقالَ رَبّكُمُ ادْعُونِي أسْتَجِبْ لَكُمْ إنّ الّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنّمَ دَاخِرِينَ.

الآية : 41

القول في تأويل قوله تعالى: {رَبّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ }.

وهذا دعاء من إبراهيم صلوات الله عليه لوالديه بالمغفرة, واستغفار منه لهما. وقد أخبر الله عزّ ذكره أنه لم يكن اسْتِغْفارُ إبْرَاهِيمَ لأبِيهِ إلاّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَها إيّاهُ فَلَمّا تَبَيّنَ لَهُ أنّهُ عَدُوّ اللّهِ تَبَرّأ مِنْهُ إنّ إبْرَاهِيمَ لأوّاهٌ حَلِيمٌ.

وقد بيّنا وقت تبرّئه منه فيما مضى, بما أغنى عن إعادته.

وقوله: وللْمُؤْمِنِينَ يقول: وللمؤمنين بك ممن تبعني على الدين الذي أنا عليه, فأطاعك في أمرك ونهيك. وقوله: يَوْمَ يَقُومُ الحِسابُ يعني: يقوم الناس للحساب فاكتفى بذكر الحساب من ذكر الناس, إذ كان مفهوما معناه.

الآية : 42-43

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلاَ تَحْسَبَنّ اللّهَ غَافِلاً عَمّا يَعْمَلُ الظّالِمُونَ إنّمَا يُؤَخّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأبْصَارُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لاَ يَرْتَدّ إلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأفْئِدَتُهُمْ هَوَآءٌ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وَلاَ تَحْسَبنّ اللّهَ يا محمد غَافِلاً ساهيا عَمّا يَعْمَلُ هؤلاء المشركون من قومك, بل هو عالم بهم وبأعمالهم محصيها عليهم, ليجزيهم جزاءهم في الحين الذي قد سبق في علمه أنه يجزيهم فيه.

15781ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا عليّ بن ثابت, عن جعفر بن برَقان, عن ميمون بن مِهران في قوله: وَلا تَحْسَبنّ اللّهَ غافِلاً عَمّا يَعْمَلُ الظّالِمُونَ قال: هي وعيد للظالم وتعزية للمظلوم.

القول في تأويل قوله تعالى: إنّمَا يُؤَخّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخصُ فِيهِ الأبصار مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدّ إلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وأفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ.

يقول تعالى ذكره: إنما يؤخر ربك يا محمد هؤلاء الظالمين الذين يكذّبونك ويجحَدون نبوّتك, ليوم تشخص فيه الأبصار. يقول: إنما يؤخّر عقابَهم وإنزال العذاب بهم, إلى يوم تشخَص فيه أبصار الخلق وذلك يوم القيامة, كما:

15782ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: لِيَوْم تَشْخَصُ فِيهِ الأبْصَارُ شخصت فيه والله أبصارهم, فلا ترتدّ إليهم.

وأما قوله: مُهْطِعِينَ فإن أهل التأويل اختلفوا في معناه فقال بعضهم: معناه: مسرعين. ذكر من قال ذلك:

15783ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا هاشم بن القاسم, عن أبي سعيد المؤدّب, عن سالم, عن سعيد بن جبير: مُهْطِعِينَ قال: النّسَلان, وهو الخبب أو ما دون الخبب, شكّ أبو سعيد يخبون وهم ينظرون.

15784ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: مُهْطِعِينَ قال: مسرعين.

15785ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: مُهْطِعِينَ يقول: منطلقين عامدين إلى الداعي.

وقال آخرون: معنى ذلك: مديمي النظر. ذكر من قال ذلك:

15786ـ حدثنا محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: مُهْطِعِينَ يعني بالإهطاع: النظر من غير أن يطرف.

15787ـ حدثنا ابن وكيع, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن سعيد بن مسروق, عن أبي الضحى: مُهْطِعِينَ قال: الإهطاع: التحميجالدائم الذي لا يَطْرِف.

15788ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: أخبرنا هشيم, عن مغيرة, عن أبي الخير بن تميم بن حَذْلَم, عن أبيه, في قوله: مُهْطِعِينَ قال: الإهطاع: التحميج.

15789ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا المحاربي, عن جويبر, عن الضحاك: مُهْطِعِينَ قال: شدّة النظر الذي لا يطرف.

حدثني المثنى, قال: أخبرنا عمرو, قال: أخبرنا هُشَيم, عن جويبر, عن الضحاك, في قوله: مُهْطِعِينَ قال: شدة النظر في غير طَرْف.

حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: مُهْطِعِينَ الإهطاع: شدة النظر في غير طَرْف.

15790ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا شبابة, قال: حدثنا ورقاء وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء وحدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حُذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: مُهْطِعِينَ قال: مُديمي النظر.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

وقال آخرون: معنى ذلك: لا يرفع رأسه. ذكر من قال ذلك:

15791ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: مُهْطِعِينَ قال: المهطع الذي لا يرفع رأسه.

والإهطاع في كلام العرب بمعنى الإسراع أشهر منه بمعنى إدامة النظر, ومن الإهطاع بمعنى الإسراع, قول الشاعر:

وبِمُهْطِعٍ سُرُحٍ كأنّ زِمامَهُفي رأسِ جذْعٍ مِنْ أوَالَ مُشَذّبِ

وقول الآخر:

بـمُسْتَهْطِعٍ رَسْلٍ كأنّ جَدِيـلَهُبقَـيْدُومِ رَعْنٍ مِنْ صَوَامٍ مُـمَنّعِ
وقوله: مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ يعنـي رافعي رءوسهم. وإقناع الرأس: رفعه ومنه قول الشماخ:
يُبـاكِرْنَ العِضَاهَ بـمُقْنَعاتٍنَوَاجِذُهُنّ كالـحَدَإِ الوَقـيعِ
يعنـي: أنهنّ يبـاكرن العضاه برءوسهن مرفوعات إلـيها لتتناول منها, ومنه أيضا قول الراجز:
أَنْغَضَ نـحْوِي رأسَهْ وأقْنَعاكأنـمَا أبْصَرَ شَيْئا أطْمَعا
وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:
15792ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ قـال: الإقنـاع: رفع رءوسهم.
15793ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا شبـابة, قال: حـدثنا ورقـاء, وقال الـحسن, قال: حدثنا ورقاء وحدثنـي الـمثنى, قال: حـدثنا أبـو حُذيفـة, قال: حدثنا شبل, عـن ابـن أبــي نــجيح, عـن مــجاهد, فــي قـوله: مُقْنِعِـي رُءُوسِهِمْ قال: رافعيها.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, عن مـجاهد, مثله.
15794ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا أبو بكر, عن أبـي سعد, قـال: قـال الـحسن: وجوه الناس يوم القـيامة إلـى السماء لا ينظر أحد إلـى أحد.
15795ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا سويد, قال: أخبرنا ابـن الـمبــارك, عن عثمان بن الأسود, أنه سمع مـجاهدا يقول فـي قـوله: مُهْطعيـنَ مُقْنِعِـي رُءُوسِهِمْ قال: رافع رأسه هكذا, لاَ يَرْتَدّ إلَـيهِمْ طَرْفُهُمْ.
15796ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: أخبرنا هشيـم, عن جويبر, عن الضحاك, فـي قوله: مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ قال: رافعي رءوسهم.
15797ـ حدثنا بشر, قال: حـدثنا يزيـد, قـال: حـدثنا سـعيد, عـن قتـادة: مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ قال: الإقناعُ رفع رءوسهم.
حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: مُقْنِعِي رُءُوسِـهِمْ قـال: الــمقنع الـذي يرفـع رأسـه شاخصـا بصـره لا يطرف.
حُدثت عن الـحسين, قال: سمعت أبـا معاذ يقـول: أخبرنـا عبــيد, قـال: سمعت الضحاك يقول, فـي قوله: مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ قال: رافعيها.
15798ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فــي قوله: مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ قال: الـمقنع الذي يرفع رأسه.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا الـمـحاربـي, عن جويبر, عن الضحاك: مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ قال: رافعي رءوسهم.
15799ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا هاشم بن القاسم, عن أبــي سـعيد, عن سالـم, عن سعيد: مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ قال: رافعي رءوسهم.
وقوله: لا يَرْتَدّ إلَـيْهِمْ طَرْفُهُمْ يقول: لا ترجع إلـيهم لشدّة النظر أبصارهم. كما:

15800ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس قوله: لا يَرْتَدّ إلَيْهمْ طَرْفُهُمْ وأفْئدَتُهُمْ هَوَاءٌ قال: شاخصة أبصارهم.

وقوله: وأفْئدَتُهُمْ هَوَاءٌ اختلف أهل التأويل في تأويله, فقال بعضهم: معناه: متخرّقة لا تعي من الخير شيئا. ذكر من قال ذلك:

15801ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن أبي إسحاق, عن مرّة, في قوله: وأفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ قال: متخرقة لا تعي شيئا.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا مالك بن مغول, عن أبي إسحاق, عن مرّة, بمثل ذلك.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا إسرائيل, عن أبي إسحاق, عن مرّة, مثله.

حدثنا محمد بن عمارة, قال: حدثنا سهل بن عامر, قال: حدثنا مالك وإسرائيل, عن أبي إسحاق, عن مرّة, مثله.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن أبي إسحاق, عن مرّة: وأفْئدَتُهُمْ هَوَاءٌ قال: متخرقة لا تعي شيئا من الخير.

حدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا يحيى بن عباد, قال: حدثنا مالك, يعني ابن مغول, قال: سمعت أبا إسحاق, عن مرّة إلاّ أنه قال: لا تعي شيئا. ولم يقل من الخير.

حدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا شبابة, قال: أخبرنا إسرائيل, عن أبي إسحاق, عن مرّة, مثله.

حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا مالك بن مغول, وإسرائيل عن أبي إسحاق, عن مرّة: وأفْئدَتُهُمْ هَوَاءٌ قال أحدهما: خربة, وقال الآخر: متخرقة لا تعي شيئا.

15802ـ حدثني محمد بن سعد قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: وأفْئدَتُهُمْ هَوَاءٌ قال: ليس فيها شيء من الخير فهي كالخربة.

15803ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, قال: ليس من الخير شيء في أفئدتهم, كقولك للبيت الذي ليس فيه شيء إنما هو هواء.

15804ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: ابن زيد في قوله: وأفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ قال: الأفئدة: القلوب هواء كما قال الله, ليس فيها عقل ولا منفعة.

15805ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن أبي بكرة, عن أبي صالح: وأفْئدَتُهُمْ هَوَاءٌ قال: ليس فيها شيء من الخير.

وقال آخرون: إنها لا تستقرّ في مكان تردّد في أجوافهم. ذكر من قال ذلك:

15806ـ حدثنا ابن وكيع وأحمد بن إسحاق, قالا: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا شريك, عن سالم, عن سعيد: وأفْئدَتُهُمْ هَوَاءٌ قال: تمور في أجوافهم, ليس لها مكان تستقرّ فيه.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا هاشم بن القاسم, عن أبي سعيد, عن سالم, عن سعيد بنحوه.

وقال آخرون: معنى ذلك: أنها خرجت من أماكنها فنَشِبَت بـالـحلوق. ذكر من قال ذلك:

15807ـ حدثنا ابن وكيع وأحمد بن إسحاق, قالا: حدثنا أبو أحمد الزبـيري, عن إسرائيـل, عن سعيد, عن مسروق عـن أبــي الضـحى: وأفْئـدَتُهُمْ هَـوَاءٌ قال: قد بلغت حناجرهم.

15808ـ حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مــحمد بـن ثـور, عـن معمر, عن قتادة, فـي قوله: وأفْئدَتُهُمْ هَوَاءٌ قال: هـواء لــيس فــيها شـيء, خرجت من صدورهم فنشبت فـي حلوقهم.

15809ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وأفْئدَتُهُمْ هَوَاءٌ انتزعت حتـى صارت فـي حنـاجرهم لا تــخرج مـن أفـواههم, ولا تعود إلـى أمكنتها.

وأولـى هذه الأقوال عندي بـالصواب فـي تأويـل ذلك قول من قال: معناه: أنها خالـية لـيس فـيها شـيء مـن الــخير, ولا تعقـل شـيئا وذلـك أن العـرب تسمي كلّ أجوف خاو: هواء ومنه قول حسّان بن ثابت:

ألا أبْلِغْ أبـا سُفْـيانَ عَنّـيفأنْتَ مُـجَوّفٌ نَـخِبٌ هَوَاءُ

ومنه قول الآخر:

وَلا تَكُ مِنْ أخْدانِ كُلّ يَراعةٍهَوَاءٍ كَسَقْبِ البـانِ جُوفٍ مَكاسِرُهْ

الآية : 44

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَأَنذِرِ النّاسَ يَـوْمَ يَـأْتِيهِمُ الْعَـذَابُ فَيَقُـولُ الّذِينَ ظَلَمُواْ رَبّنَآ أَخّرْنَآ إِلَـىَ أَجَـلٍ قَرِيـبٍ نّجِـبْ دَعْوَتَـكَ وَنَتّبِـعِ الرّسُـلَ أَوَلَـمْ تَكُونُواْ أَقْسَمْتُمْ مّن قَبْلُ مَا لَكُمْ مّن زَوَالٍ }.

يقول تعالـى ذكره: وأنذر يا مـحمد النّاس الذين أرسلتك إلـيهم داعيا إلـى الإسلام ما هو نازل بهم, يوم يأتـيهم عذاب الله فـي القـيامة. فَـيَقُولُ الّــذِينَ ظَلَـمُوا يقول: فـيقول الـذين كفـروا بربهـم, فظلــموا بـذلك أنفسـهم: رَبّنـا أخّرْنا: أي أخّر عنا عذابك, وأمهلنا إلــى أجَـلٍ قَرِيـبٍ نُــجِبْ دَعْوَتَـكَ الــحقّ, فنؤمن بك, ولا نشرك بك شيئا وَنَتّبِعِ الرّسُلَ يقولون: ونصدّق رسلك فنتبعهم علـى ما دعوتنا إلـيه من طاعتك واتبـاع أمرك.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

15810ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عـن ابـن جريـج, عـن مــجاهد, قـوله: وأنْـذِرِ النّـاسَ يَـوْمَ يَأتِـيهِمُ العَـذَابُ قـال: يـوم القـيامة فَـيَقُولُ الّذِينَ ظَلَـمُوا رَبّنا أخّرْنا إلـى أجَلٍ قَرِيبٍ قال: مـدّة يعملـون فـيها من الدنـيا.

15811ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: وأنْذِرِ النّاسَ يَوْمَ يَأتـيهِمُ العَذابُ يقول: أنذرهم فـي الدنـيا قبل أن يأتـيهم العذاب.

وقوله: فَـيَقُولُ الّذِينَ ظَلَـمُوا رفع عطفـا علـى قوله: يَأتــيهِمُ فــي قـوله: يأتـيهمُ العَذَابُ ولـيس بجواب للأمر, ولو كان جوابـا لقوله: وأنْذِرِ النّاسَ جاز فـيه الرفع والنصب. أما النصب فكما قال الشاعر:

يا نَاقَ سيرِي عَنَقا فَسِيحَاإلـى سُلَـيْـمانَ فَنَسْتَرِيحا

والرفع علـى الاستئناف. وذُكر عن العلاء بن سيابة أنه كـان ينكـر النصـب فـي جواب الأمر بـالفــاء, قـال الفـراء: وكـان العلاء هـو الـذي علّــم معـاذا وأصحابه.

القول في تأويل قوله تعالى: أو لَمْ تَكُونُوا أقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ ما لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ. وهذا تقريع من الله تعالى ذكره للمشركين من قريش بعد أن دخلوا النار بإنكارهم في الدنيا البعث بعد الموت. يقول لهم إذ سألوه رفع العذاب عنهم وتأخيرهم لينيبوا ويتوبوا: أو لَمْ تَكُونُوا في الدنيا أقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ ما لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ يقول: ما لكم من انتقال من الدنيا إلى الآخرة, وأنكم إنما تموتون, ثم لا تبعثون؟ كما:

15812ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, قال: أو لَمْ تَكُونُوا أقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ كقوله: وأقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أيمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللّهُ مَنْ يَمُوتُ بلي. ثم قال: ما لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ قال: الانتقال من الدنيا إلى الآخرة.

15813ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء وحدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا شبابة, قال: حدثنا ورقاء وحدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا سلمة وحدثني المثنى, قال: أخبرنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: ما لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ قال: لا تموتون لقريش.

15814ـ حدثني القاسم, قال: حدثنا سويد, قال: أخبرنا ابن المبارك, عن الحكم, عن عمرو بن أبي ليلى أحد بني عامر, قال: سمعت محمد بن كعب القرظي يقول: بلغني, أو ذُكر لي, أن أهل النار ينادون: رَبّنا أخّرْنا إلى أجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتّبِعِ الرّسُلَ فردّ عليهم: أو لَمْ تَكُونُوا أقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ ما لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ وَسَكَنْتُمْ فِي مَساكِنِ الّذِينَ ظَلَمُوا أنْفُسَهُمْ... إلى قوله: لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبالُ.

الآية : 45

القول في تأويل قوله تعالى: {وَسَكَنتُمْ فِي مَسَكِنِ الّذِينَ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ }.

يقول تعالى ذكره: وسكنتم في الدنيا في مساكن الذين كفروا بالله, فظلموا بذلك أنفسهم من الأمم التي كانت قبلكم. وتَبَيّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ يقول: وعلمتم كيف أهلكناهم حين عتوا على ربهم وتمادوا في طغيانهم وكفرهم. وَضَرَبْنا لَكُمُ الأمْثالَ يقول: ومثّلنا لكم فيما كنتم عليه من الشرك بالله مقيمين الأشباه, فلم تنيبوا ولم تتوبوا من كفركم, فالآن تسألون التأخير للتوبة حين نزل بكم ما قد نزل بكم من العذاب, إن ذلك لغير كائن.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

15815ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَسَكَنْتُمْ فِي مَساكِنِ الّذِينَ ظَلَمُوا أنْفُسَهُمْ يقول: سكن الناس في مساكن قوم نوح وعاد وثمود, وقرون بين ذلك كثيرة ممن هلك من الأمم. وتَبَيّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنا بِهِمْ وَضَرَبْنا لَكُمُ الأمْثالَ قد والله بعث رسله, وأنزل كتبه, ضرب لكم الأمثال, فلا يصم فيها إلاّ أصمّ, ولا يخيب فيها إلاّ الخائب, فاعقلوا عن الله أمره.

15816ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَسَكَنْتُمْ فِي مَساكِنِ الّذِينَ ظَلَمُوا أنْفُسَهُمْ وَتَبَيّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنا

بِهِمْ قال: سكنوا في قراهم مدين والحجر والقرى التي عذّب الله أهلها, وتبين لكم كيف فعل الله بهم, وضرب لهم الأمثال.

15817ـ حدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا شبابة, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: الأمْثالَ قال: الأشباه.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

الآية : 46

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ }.

يقول تعالى ذكره: قد مكر هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم, فسكنتم من بعدهم في مساكنهم, مَكْرَهم. وكان مكرهم الذي مكروا ما:

15818ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا يحيى, قال: حدثنا سفيان, قال: حدثنا أبو إسحاق, عن عبد الرحمن بن أبان قال: سمعت عليّا يقرأ: «وَإنْ كانَ مَكْرُهُمْ لتَزُولُ مِنْهُ الجِبالُ» قال: كان ملك فَرِه أخذ فروخ النسور, فعلفها اللحم حتى شبّت واستعلجت واستغلظت, فقعد هو وصاحبه في التابوت وربطوا التابوت بأرجل النسور, وعلقوا اللحم فوق التابوت, فكانت كلما نظرت إلى اللحم صعدت وصعدت, فقال لصاحبه: ما ترى؟ قال: أرى الجبال مثل الدخان, قال: ما ترى؟ قال: ما أرى شيئا, قال: ويحك صوّب صوّب قال: فذلك قوله: «وَإنْ كانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الجِبالُ».

15819ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن أبي إسحاق, عن عبد الرحمن بن واصل, عن عليّ بن أبي طالب, مثل حديث يحيى بن سعيد, وزاد فيه: وكان عبد الله بن مسعود يقرؤها: «وَإنْ كانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الجِبالُ».

حدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا محمد بن أبي عديّ, عن شعبة, عن أبي إسحاق, قال: حدثنا عبد الرحمن بن واصل أن عليّا قال في هذه الآية: «وَإنْ كانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الجِبالُ» قال: أخذ ذلك الذي حاجّ إبراهيم في ربه نسرين صغيرين فرّباهما, ثم استغلظا واستعلجا وشبّا قال: فأوثق رجل كلّ واحد منهما بوتد إلى تابوت, وجوّعهما, وقعد هو ورجل آخر في التابوت, قال: ورفع في التابوت عصا على رأسه اللحم, قال: فطارا, وجعل يقول لصاحبه: انظر ماذا ترى؟ قال: أرى كذا وكذا, حتى قال: أرى الدنيا كأنها ذباب, فقال: صوّب العصا فصوّبها فهبطا. قال: فهو قول الله تعالى: «وَإنْ كانَ مَكْرُهُمْ لتَزُولُ مِنْهُ الجِبالُ» قال أبو إسحاق: وكذلك في قراءة عبد الله: «وَإنْ كانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الجبالُ».

15820ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: «وَإنْ كانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الجِبالُ» مكر فارس. وزعم أن بختنصر خرج بنسور, وجعل له تابوتا يدخله, وجعل رماحا في أطرافها واللحم فوقها أراه قال: فعلت تذهب نحو اللحم حتى انقطع بصره من الأرض وأهلها, فنودي: أيها الطاغية أين تريد؟ ففرِق, ثم سمع الصوت فوقه, فصوّب الرماح, فتصوّبت النسور, ففزعت الجبال من

هدّتها, وكادت الجبال أن تزول منه من حسّ ذلك, فذلك قوله: وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الجِبالُ.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: قال ابن جريج, قال مجاهد: «وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَادَ مَكْرُهُمْ» كذا قرأها مجاهد: «كادَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبالُ» وقال: إن بعض من مضى جوّع نسورا, ثم جعل عليها تابوتا فدخله, ثم جعل رماحا في أطرافها لحم, فجعلت ترى اللحم فتذهب, حتى انتهى بصره, فنودي: أيها الطاغية أين تريد؟ فصوّب الرّماح, فتصوّبت النسور, ففزعت الجبال, وظنّت أن الساعة قد قامت, فكادت أن تزول, فذلك قوله تعالى: «وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الجِبالُ».

قال ابن جريج: أخبرني عمرو بن دينار, عن عكرمة, عن عمر بن الخطاب, أنه كان يقرأ: وَإِنْ كادَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْه الجِبالُ.

15821ـ حدثني هذا الحديث أحمد بن يوسف, قال: حدثنا القاسم بن سلام, قال: حدثنا حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, أنه كان يقرأ على نحو: «لَتَزُولُ» بفتح اللام الأولى ورفع الثانية.

15822ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن أبي إسحاق, عن عبد الرحمن بن دانيل قال: سمعت عليّا يقول: «وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الجِبالُ».

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن إسرائيل, عن أبي إسحاق, عن عبد الرحمن بن دانيل, قال: سمعت عليّا يقول: «وإنْ كانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولَ مِنْهُ الجِبالُ» قال: ثم أنشأ عليّ يحدّث فقال: نزلت في جبّار من الجبابرة قال: لا أنتهي حتى أعلم ما في السماء, ثم اتخذ نسورا فجعل يطعمها اللحم حتى غلظت واستعلجت واشتدّت, وذكر مثل حديث شعبة.

15823ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو داود الحضرمي, عن يعقوب, عن حفص بن حميد أو جعفر, عن سعيد بن جبير: «وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الجِبالُ» قال: نمرود صاحب النسور, أمر بتابوت فجعل وجعل معه رجلاً, ثم أمر بالنسور فاحتمل, فلما صعد قال لصاحبه: أيّ شيء ترى؟ قال: أرى الماء وجزيرة يعني الدنيا ثم صعد فقال لصاحبه: أيّ شيء ترى؟ قال: ما نزداد من السماء إلاّ بُعدا, قال: اهبط وقال غيره: نودي أيها الطاغية أين تريد؟ قال: فسمعت الجبال حفيف النسور, فكانت ترى أنها أمر من السماء, فكادت تزول, فهو قوله: «وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الجِبالُ».

15824ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن أبي جعفر, عن الربيع بن أنس, أن أنسا كان يقرأ: «وَإِنْ كادَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الجِبالُ».

وقال آخرون: كان مكرهم شركهم بالله وافتراءهم عليه. ذكر من قال ذلك:

15825ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس: وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبالُ يقول: شركهم, كقوله: تَكادُ السّمَوَاتُ يَتَفَطّرْنَ مِنْهُ.

15826ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا المحاربي, عن جويبر, عن الضحاك: «وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الجِبالُ» قال: هو كقوله: وَقالُوا اتّخَذَ الرّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئا إدّا تَكاد السّمَوَاتُ يَتَفَطّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقّ الأرْضُ وتَخِرّ الجبالُ هَدًّا.

حدثني المثنى, قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: أخبرنا هشيم, عن جويبر, عن الضحاك, في قوله: وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ ثم ذكر مثله.

15827ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, أن الحسن كان يقول: كان أهون على الله وأصغر من أن تزول منه الجبال, يصفهم بذلك. قال قتادة: وفي مصحف عبد الله بن مسعود: «وإِنْ كادَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الجِبالُ», وكان قتادة يقول عند ذلك: تَكادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وتَنْشَقّ الأَرْضُ وتَخِرّ الجِبالُ هَدّا: أي لكلامهم ذلك.

15828ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: «وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الجبالُ» قال ذلك حين دعوا لله ولدا. وقال في آية أخرى: تَكادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقّ الأرْضُ وتَخِرّ الجِبالُ هَدّا أنْ دَعَوْا للرّحْمَنِ وَلَدًا.

حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبالُ في حرف ابن مسعود: «وإِنْ كادَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الجِبالُ» هو مثل قوله: تَكادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وتَنْشَقّ الأرْضُ وتَخِرّ الجِبالُ هَدّا.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبالُ فقرأ ذلك عامّة قرّاء الحجاز والمدينة والعراق ما خلا الكسائي: وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبالُ بكسر اللام الأولى وفتح الثانية, بمعنى: وما كان مكرهم لتزول منه الجبال. وقرأه الكسائي: «وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لتَزُولُ مِنْهُ الجِبالُ» بفتح اللام الأولى ورفع الثانية على تأويل قراءة من قرأ ذلك: «وَإِنْ كادَ مَكْرُهُمْ لتَزُولُ مِنْهُ الجِبالُ» من المتقدمين الذين ذكرت أقوالهم, بمعنى: اشتدّ مكرهم حتى زالت منه الجبال, أو كادت تزول منه. وكان الكسائيّ يحدّث عن حمزة, عن شبل عن مجاهد, أنه كان يقرأ ذلك على مثل قراءته: «وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لتَزُولُ مِنْهُ الجبالُ» برفع تزول.

15829ـ حدثني بذلك الحرث عن القاسم عنه.

والصواب من القراءة عندنا, قراءة من قرأه: وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبالُ بكسر اللام الأولى وفتح الثانية, بمعنى: وما كان مكرههم لتزول منه الجبال.

وإنما قلنا ذلك هو الصواب, لأن اللام الأولى إذا فُتحت, فمعنى الكلام: وقد كان مكرهم تزول منه الجبال, ولو كانت زالت لم تكن ثابتة, وفي ثبوتها على حالتها ما يبين عن أنها لم تزُل. وأخرى إجماع الحجة من القرّاء على ذلك, وفي ذلك كفاية عن الاستشهاد على صحتها وفساد غيرها بغيره.

فإن ظنّ ظانّ أن ذلك ليس بإجماع من الحجة إذ كان من الصحابة والتابعين من قرأ ذلك كذلك, فإن الأمر بخلاف ما ظنّ في ذلك, وذلك أن الذين قرءوا ذلك بفتح اللام الأولى ورفع الثانية قرءوا: «وَإِنْ كادَ مَكْرُهُمْ» بالدال, وهي إذا قرئت كذلك, فالصحيح من القراءة مع: وَإِنْ كادَ فتح اللام الأولى ورفع الثانية على ما قرءوا, وغير جائز عندنا القراءة كذلك, لأن مصاحفنا بخلاف ذلك, وإنما خطّ مصاحفنا وإن كان بالنون لا بالدال. وإذا كانت كذلك, فغير جائز لأحد تغيير رسم مصاحف المسلمين, وإذا لم يجز

ذلك لـم يكن الصحاح من القراءة إلاّ ما علــيه قـرّاء الأمصـار دون مـن شـذّ بقراءته عنهم.

وبنـحو الذي قلنـا فــي معنـى: وَإنْ كـانَ مَكْرُهُـمْ قـال جماعـة مـن أهـل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

15830ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: وَقَدْ مَكَـرُوا مَكرهُـم وَعِنْـدَ اللّـهِ مَكْرُهُمْ وَإنْ كانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الـجِبـالُ يقول: مـا كـان مكرهـم لـتزول منه الـجبـال.

15831ـ حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مــحمد بـن ثـور, عـن معمر, قال: قال الـحسن, فـي قوله: وَإنْ كانَ مَكْرُهُمْ لتَزُولَ مِنْـهُ الـجِبــالُ ما كان مكرهم لتزول منه الـجبـال.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا عمرو بن عون, قـال: أخبرنـا هشيــم, عـن عوف, عن الـحسن, قال: ما كان مكرهم لتزول منه الـجبـال.

حدثنـي الـحرث, قال: حدثنا القاسم, قال: حدثنا حجاج, عن هارون, عن يونس وعمرو, عن الـحسن: وَإنْ كانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ منْهُ الـجِبـالُ قالا: وكان الـحسن يقول: وإن كان مكرهم لأوهن وأضعف من أن تزول منه الـجبـال.

15832ـ قال: قال هارون: وأخبرنـي يونس, عن الـحسن قال: أربع فـي القرآن: وَإنْ كانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الـجِبــالُ: مـا كـان مكرهـم لـتزول منـه الـجبـال. وقوله: لاتّـخَذْناهُ مِنْ لَدُنّا إنْ كُنّا فـاعِلِـينَ: ما كنا فـاعلـين. وقـوله: إنْ كانَ للرّحْمَنِ وَلَدٌ فأنا أوّلُ العابِدِينَ: ما كان للرحمـن ولـد. وقـوله: وَلَقَـدْ مَكّنّاهُمْ فِـيـما إنْ مَكّنّاكُمْ: ما مكناكم فـيه.

15833ـ قال: هارون: وحدثنـي بهنّ عمرو بن أسبـاط, عن الـحسن, وزاد فـيهنّ واحدة: فإنْ كُنْتَ فِـي شَكّ: ما كنت فـي شكّ مِـمّا أنْزَلْنا إلَـيْكَ.

فـالأولـى من القول بـالصواب فـي تأويـل الآيـة, إذ كـانت القـراءة التــي ذكرت هي الصواب لـما بـيّنا من الدلالة فـي قوله: وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْـدَ الله مَكْرُهُمْ وَإنْ كانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الـجِبـالُ وقد أشـرك الـذين ظلــموا أنفسهم بربهم وافـتروا علــيه فريتهـم علــيه, وعنـد اللـه علــم شـركهم بـه وافترائهم علـيه, وهو معاقبهم علـى ذلك عقوبتهم التـي هم أهلها, ومـا كـان شركهم وفريتهم علــى اللـه لـتزول منـه الـجبــال, بـل مـا ضـرّوا بـذلك إلاّ أنفسهم, ولا عادت بغية مكروهة إلاّ علـيهم.

15834ـ حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا وكيـع بـن الــجرّاح, قـال: حدثنا الأعمش, عن شِمر, عن علـيّ, قال: الغدر مكر, والـمكر كفر.

الآية : 47

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {فَلاَ تَحْسَبَنّ اللّـهَ مُخْلِـفَ وَعْـدِهِ رُسُـلَهُ إنّ اللّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ }.

يقول تعالـى ذكره لنبـيه مـحمد صلى الله عليه وسلم: فَلا تَـحْسَبنّ اللّهَ مُخْـلِفَ وَعْدِهِ الذي وعدهم من كذّبهم, وجحد ما أتَوْهم به م ن عنـده. وإنــما قاله تعالـى ذكره لنبــيه تثبــيتا وتشـديدا لعزيــمته, ومعرّفـه أنـه منـزل مـن سخطه بـمن كذّبه وجحد نبوّته, وردّ علـيه ما أتاه به من عنـد اللـه, مثـال مـا أنزل بـمن سلكوا سبـيـلهم من الأمـم الذين كانوا قبلهم علـى مثل منهـاجهم من تكذيب رسلهم وجحود نبوّتهم وردّ ما جاءوهم به من عند الله علـيهم.

وقوله: إنّ اللّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقامٍ يعني بقوله: إنّ اللّهَ عَزِيزٌ: لا يمانع منه شيء أراد عقوبته, قادر على كلّ من طلبه, لا يفوتُه بالهَرَب منه. ذُو انْتِقامٍ ممن كفر برسله وكذّبهم, وجحد نبوتهم, وأشرك به واتخذ معه إلها غيره. وأضيف قوله: مُخْلِفَ إلى الوعد, وهو مصدر لأنه وقع موقع الاسم, ونصب قوله: رُسُلَهُ بالمعنى وذلك أن المعنى: فلا تحسبنّ الله مخلف رسله وعده. فالوعد وإن كان مخفوضا بإضافة «مخلف» إليه, ففي معنى النصب, وذلك أن الإخلاف يقع على منصوبين مختلفين, كقول القائل: كسوت عبدَ الله ثوبا, وأدخلته دارا. وإذا كان الفعل كذلك يقع على منصوبين مختلفين, جاز تقديم أيّهما قُدّم, وخفضُ ما وَلِيَ الفعل الذي هو في صورة الأسماء ونصب الثاني, فيقال: أنا مدخلُ عبدِ الله الدار, وأنا مدخلُ الدّارِ عبدَ الله, إن قدّمت الداء إلى المُدْخل وأخرت عبدَ الله خفضت الدار, إذ أضيف مُدْخل إليها, ونُصِب عبد الله وإن قُدّم عبدُ الله إليه, وأخّرت الدار, خفض عبد الله بإضافة مُدْخلٍ إليه, ونصب الدار وإنما فعل ذلك كذلك, لأن الفعل أعني مدخل يعمل في كلّ واحد منهما نصبا نحو عمله في الآخر ومنه قول الشاعر:

تَرَى الثّوْرَ فيها مُدْخِلَ الظّلّ رأسَهُوسائرُهُ بادٍ إلى الشّمْسِ أجْمَعُ

أضاف مُدْخل إلى الظلّ, ونصب الرأس وإنما معنى الكلام: مدخل رأسَه الظلّ. ومنه قول الآخر:

فَرِشْني بِخَيْرٍ لا أكُونَ وَمِدْحَتِيكناحِتِ يَوْمٍ صَخْرَةً بعَسِيلِ

والعسيل: الريشة جُمع بها الطيب, وإنّما معنى الكلام: كناحِتِ صخرةٍ يوما بعسيل, وكذلك قول الآخر:

رُبّ ابْنِ عَمَ لِسُلَيْمَى مُشْمَعِلْطَبّاخِ ساعاتِ الكَرَى زَادَ الكَسِلْ

وإنما معنى الكلام: طباخ زادِ الكَسل ساعاتِ الكَرَى.

فأما من قرأ ذلك: فَلا تَحْسَبنّ اللّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسلهُ فقد بيّنا وجه بُعْدِه من الصحة في كلام العرب في سورة الأنعام, عند قوله: وكَذَلِكَ زَيّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ المُشْرِكِينَ قَتْلَ أوْلادِهِمْ شركاؤهم, بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

الآية : 48

القول في تأويل قوله تعالى: {يَوْمَ تُبَدّلُ الأرْضُ غَيْرَ الأرْضِ وَالسّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ للّهِ الْوَاحِدِ الْقَهّارِ }.

يقول تعالى ذكره: إن الله ذو انتقام يَوْمَ تُبَدّلُ الأرْضِ والسّمَوَاتُ من مشركي قومك يا محمد من قريش, وسائر من كفر بـ الله وجحده نبوّتك ونبوّة رسله من قبلك. ف «يوم» من صلة «الانتقام».

واختلف في معنى قوله: يَوْمَ تُبَدّلُ الأرْضُ غيرَ الأرْضِ فقال بعضهم: معنى ذلك: يوم تبدّل الأرض التي عليها الناس اليوم في دار الدنيا غير هذه الأرض, فتصير أرضا بيضاء كالفضة. ذكر من قال ذلك:

15835ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن أبي إسحاق, قال: سمعت عمرو بن ميمون يحدّث, عن عبد الله أنه قال في هذه الآية: يَوْمَ تُبَدّلُ الأرْضُ غيرَ الأرْضِ والسّمَوَاتُ قال: أرض كالفضة نقية لم يَسِل فيها دم, ولم يُعْمَل فيها خطيئة, يسمعهم الداعي, وينفُذُهم البصر, حُفاة عُراة قياما أحسب قال: كما خُلِقوا, حتى يلجمهم العرق قياما وَحْدَه.

15836ـ قال: شعبة: ثم سمعته يقول: سمعت عمرو بن ميــمون, ولــم يذكر عبد الله ثم عاودته فـيه, قال: حدثنـيه هبـيرة, عن عبد الله.

حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا يحيى بن عبـاد, قال: أخبرنا شعبة, قال: أخبرنا أبو إسحاق, قال: سمعت عمرو بـن ميــمون وربــما قـال: قـال عبد الله: وربـما لـم يقل, فقلت له: عن عبد الله؟ قـال: سـمعت عمـرو بـن ميـمون يقول: يَوْمَ تُبَدّلُ الأرْضُ غيرَ الأرْضِ قال: أرض كالفضة بـيضاء نقـية, لـم يسل فـيها دم, ولـم يعمـل فــيها خطيئَـة, فــينفُذُهم البصـر, ويسـمعهم الداعي, حفـاة عُراة كمـا خُــلِقوا. قـال: أراه قـال: قــياما حتــى يُـلــجمهم العرق.

15837ـ حدثنا الـحسن, قال: حدثنا شبـابة, قال: حـدثنا إسرائيــل, عــن أبـي إسحاق, عن عمرو بـن ميــمون, عــن ابـن مسـعود, قـوله: يَـوْمَ تُبَـدّلُ الأرْضُ غيرَ الأرْضِ والسّمَوَاتُ قال: تبدّل أرضا بـيضاء نقـية كأنها فضـة, لــم يسفك فـيها دم حَرام, ولـم يُعمَل فـيها خطيئة.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا مسلـم بن إبراهيـم, قال: أخبرنا شعبة, عن أبـي إسحاق, عن عمرو بن ميــمون عـن عبـد اللـه, فــي قـوله: يَـوْمَ تُبَـدّلُ الأرْضُ غيرَ الأرْضِ قال: أرض الـجنة بـيضاء نقـية, لــم يُعمـل فــيها خطيئـة, يسمعهم الداعي, وينفذهم البصر, حفـاة عراة قـياما يـلـجمهم العرق.

15838ـ حدثنا مـحمد بن بشار, قـال: حـدثنا عبـد الرحمـن, قـال: حـدثنا سفـيان, عن أبـي إسحاق, عـن عمـرو بـن ميــمون: يَـوْمَ تُبَـدّلُ الأرْضُ غيـرَ الأرْضِ قال: أرض بـيضاء كالفضة لــم يسـفك فــيها دم حـرام, ولــم يُعمـل فـيها خَطيئة.

15839ـ حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا يحيى بن عبـاد, قال: حدثنا حماد بن زيد, قال: أخبرنا عاصم بن بَهْدلة, عن زِرّ بن حُبـيش, عن عبد اللــه بن مسعود, أنه تلا هذه الآية: يَوْمَ تُبَدّلُ الأرْضُ غيرَ الأرْضِ والسّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلّهِ الوَاحِدِ القَهّارِ قال: يجاء بأرض بـيضاء كأنها سبـيكة فضة لـم يُسْفك فـيها دم, ولـم يُعمل عَلـيها خطيئة, قال: فأوّل مـا يحكـم بــين النـاس فــيه فــي الدماء.

15840ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا معاوية بن هشام, عـن سـنان, عـن جابر الـجُعفـيّ, عن أبـي جبـيرة, عن زيد, قال: أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلـى الـيهود, فقال: «هَلْ تَـدْرُونَ لِــمَ أرْسَـلْتُ إلَــيْهِمْ؟» قـالوا: الله ورسوله أعمل. قال: «فإنّـي أرْسَلْتُ إلَـيْهِمْ أسألُهُمْ عَنْ قَـوْلِ اللّـهِ يَـوْمَ تُبَدّلُ الأرْضُ غيرَ الأرْضِ إنّها تَكُونُ يَوْمَئذٍ بَـيْضَاءَ مثْـلَ الفضّـةِ». فلَــما جـاءوا سألهم, فقالوا: تكون بـيضاء مثل النقـيّ.

15841ـ حدثنا أبو إسماعيـل الترمذي, قال: حدثنا أبو صالـح, قال: ثنــي ابن لهيعة, عن يزيد بن أبـي حبـيب, عن سنان بن سعد, عن أنس بن مالــك, أنه تلا هذه الآية: يَوْمَ تُبَدّلُ الأرْضُ غيرَ الأرْضِ قال: يبدّلها اللـه يـوم القــيامة بأرض من فضة لـم يُعمل علـيها الـخطايا, ينَزلها الـجبّـار تبـارك تعالـى.

15842ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الــحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء وحـدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا شبـابة, قال: حدثنا ورقـاء جميعـا, عـن ابـن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: يَوْمَ تُبَدّلُ الأرْضُ غيرَ الأرْضِ قال: أرض كـأنه

الفضة. زاد الحسن في حديثه عن شبابة: والسموات كذلك أيضا كأنها الفضة.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد: يَوْمَ تُبَدّلُ الأرْضُ غيرَ الأرْضِ قال: أرض كأنها الفضة, والسموات كذلك أيضا.

15843ـ حدثنا ابن البرقي, قال: حدثنا ابن أبي مريم, قال: أخبرنا محمد بن جعفر, قال: ثني أبو حازم, قال: سمعت سهل بن سعد يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يُحْشَرُ النّاسُ يَوْمَ القيامَةِ على أرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ كَقُرْصَةِ النّقِيّ». قال سهل أو غيره: «لَيْسَ فيها مَعْلَمٌ لغَيْرِهِ».

وقال آخرون: تبدّل نارا. ذكر من قال ذلك:

15844ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن فضيل, عن الأعمش, عن المنهال بن عمرو, عن قيس بن السّكْن, قال: قال عبد الله: الأرض كلها نار يوم القيامة, والجنة من ورائها ترى أكوابها وكواعبها والذي نفس عبد الله بيده, إن الرجل ليفيض عرقا حتى يرشح في الأرض قدمه, ثم يرتفع حتى يبلغ أنفه وما مسه الحساب فقالوا: مم ذاك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: مما يرى الناس ويلقون.

حدثنا ابن بشار, قال: ثنَا عبد الرحمن, قال: حدثنا أبو سفيان, عن الأعمش, عن خيثمة, قال: قال عبد الله: الأرض كلها يوم القيامة نار, والجنة من ورائها ترى كواعبها وأكوابها, ويلجم الناس العرق, أو يبلغ منهم العرق, ولم يبلغوا الحساب.

وقال آخرون: بل تبدّل الأرض أرضا من فضة. ذكر من قال ذلك:

15845ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, قال: سمعت المغيرة بن مالك يحدّث عن المجاشع أو المجاشعي, شكّ أبو موسى عمن سمع عليّا يقول في هذه الآية: يَوْمَ تُبَدّلُ الأرْضُ غيرَ الأرْضِ قال: الأرض من فضة, والجنة من ذهب.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن شعبة, عن المغيرة بن مالك, قال: ثني رجل من بني مجاشع, يقال له عبد الكريم أو ابن عبد الكريم قال: ثني هذا الرجل أراه بسمرقند, أنه سمع عليّ بن أبي طالب قرأ هذه الآية: يَوْمَ تُبَدّلُ الأرْضُ غيرَ الأرْضِ قال: الأرض من فضة, والجنة من ذهب.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن شعبة, عن مغيرة بن مالك, عن رجل من بني مجاشع, يقال له عبد الكريم أو يكنى أبا عبد الكريم قال: أقامني على رجل بخراسان, فقال: حدثني هذا أنه سمع عليّ بن أبي طالب, فذكر نحوه.

15846ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: يَوْمَ تُبَدّلُ الأرْضُ غيرَ الأرْضِ... الآية, فزعم أنها تكون فضة.

15847ـ حدثنا محمد بن إسماعيل, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني ابن لهيعة, عن يزيد بن أبي حبيب, عن سنان بن سعد, عن أنس بن مالك قال: يبدّلها الله يوم القيامة بأرض من فضة.

وقال آخرون: يبدّلها خبزة.ذكر من قال ذلك:

15848ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو سعيد بن دلّ من صغانيان, قال: حدثنا الجارود بن معاذ الترمِذِيّ, قال: حدثنا وكيع بن الجرّاح, عن عمر بن بشر الهمداني, عن سعيد بن جبير, في قوله: يَوْمَ تُبَدّلُ الأرْضُ غيرَ الأرْضِ قال: تبدّل خبزة بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه.

15849ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا وكيع, عن أبي معشر, عن محمد بن كعب القرظي, أو عن محمد بن قيس: يَوْمَ تُبَدّلُ الأرْضُ غيرَ الأرْضِ قال: خبزة يأكل منها المؤمنون من تحت أقدامهم.

وقال آخرون: تبدّل الأرض غير الأرض. ذكر من قال ذلك:

15850ـ حدثنا عليّ بن سهل, قال: حدثنا حجاج بن محمد, قال: حدثنا أبو جعفر, عن الربيع بن أنس, عن كعب في قوله: يَوْمَ تُبَدّلُ الأرْضُ غيرَ الأرْضِ والسّمَوَاتُ قال: تصير السموات جنانا ويصير مكان البحر النار. قال: وتبدّل الأرض غيرها.

15851ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربيّ, عن إسماعيل بن رافع المدنيّ, عن يزيد, عن رجل من الأنصار, عن محمد بن كعب القرظي, عن رجل من الأنصار, عن أبي هريرة, أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يُبَدّلُ اللّهُ الأرْضَ غيرَ الأرْضِ والسّمَوَاتِ, فَيَبْسُطُها ويَسْطَحُها ويَمُدّها مَدّ الأدِيم العُكاظِيّ, لا تَرَى فيها عِوَجا وَلا أمْتا, ثُمّ يَزْجُرُ اللّهُ الخَلْقَ زَجْرَةً, فإذَا هُمْ فِي هذِهِ المُبَدّلَةِ فِي مِثْلِ مَوَاضِعِهِمْ مِنَ الأولى, ما كانَ فِي بَطْنها فَفي بَطْنِها وَما كانَ على ظَهْرِها كانَ على ظَهْرِها, وَذلكَ حينَ يَطْوِي السموَاتِ كَطَيّ السّجلّ للْكِتابِ, ثُمّ يَدْحُو بهما, ثُمّ تُبَدّلُ الأرْضُ غيرَ الأرْضِ والسّمَوَاتُ».

15852ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا الحكم بن بشير, قال: حدثنا عمرو بن قيس, عن أبي إسحاق, عن عمرو بن ميمون الأودي, قال: يجمع الناس يوم القيامة في أرض بيضاء, لم يُعمل فيها خطيئة مقدار أربعين سنة يلجمهم العرق.

وقالت عائشة في ذلك, ما:

15853ـ حدثنا ابن أبي الشوارب وحميد بن مسعدة وابن بزيع, قالوا: حدثنا يزيد بن زريع, عن داود, عن عامر, عن عائشة, قالت: قلت: يا رسول الله, إذا بدّلت الأرض غير الأرض, وبرزوا الله الواحد القهّار, أين الناس يومئذٍ؟ قال: «عَلى الصّرَاطِ».

حدثنا حميد بن مسعدة وابن بزيع, قال: حدثنا بشر بن المفضل, قال: حدثنا داود, عن عامر, عن عائشة عن النبيّ صلى الله عليه وسلم نحوه.

15854ـ حدثني إسحاق بن شاهين, قال: حدثنا خالد, عن داود, عن عامر, عن مسروق, قال: قلت لعائشة: يا أمّ المؤمنين أرأيتِ قول الله: يَوْمَ تُبَدّلُ الأرْضُ غيرَ الأرْضِ والسّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلّهِ الوَاحِد القَهّارِ أين الناس يومئذٍ؟ فقالت: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك, فقال: «عَلى الصّرَاطِ».

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا الحسن بن عنبسة الورّاق, قال: حدثنا عبد الرحيم, يعني ابن سليمان الرازي عن داود بن أبي هند, عن عامر, عن مسروق, عن عائشة, قالت: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم, عن قول الله: يَوْمَ تُبَدّلُ الأرْضُ غيرَ الأرْضِ قلت: يا رسول الله, إذا بُدّلت الأرض غير الأرض, أين يكون الناس؟ قال: «عَلى الصّرَاطِ».

حدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا عاصم بن عليّ, قال: حدثنا إسماعيل بن زكريا, عن داود, عن عامر, عن مسروق, عن عائشة بنحوه.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا عبد الأعلى, قال: حدثنا داود, عن عامر, عن عائشة أمّ المؤمنين قالت: أنا أوّل الناس سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية» ثم ذكر نحوه.

حدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا ربعيّ بن إبراهيم الأسدي أخو إسماعيل بن إبراهيم, عن داود بن أبي هند, عن عامر, قال: قالت عائشة: يا رسول الله, أرأيت إذا بُدّلت الأرض غير الأرض, أين الناس يومئذٍ؟ قال: «عَلى الصّراط».

15855ـ حدثنا الحسن, قال: حدثنا عليّ بن الجَعْد, قال: أخبرني القاسم, قال: سمعت الحسن, قال: قالت عائشة: يا رسول الله يَوْمَ تُبَدّلُ الأرْضُ غيرَ الأرْضِ فأين الناس يومئذٍ؟ قال: «إنّ هذَا الشّيْءَ ما سألَنِي عَنْهُ أحَدٌ», قال: «عَلَى الصّرَاطِ يا عائِشَةُ».

حدثنا الحسن, قال: حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم, قال: ثني الوليد, عن سعيد, عن قتادة, عن حسان بن بلال المزنيّ, عن عائشة: أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم, عن قول الله: يَوْمَ تُبَدّلُ الأرْضُ غيرَ الأرْضِ والسّمَوَاتُ قال: قالت: يا رسول الله, فأين الناس يومئذٍ؟ قال: «لَقَدْ سألْتِني عَنْ شَيْءٍ ما سألَنِي عَنْهُ أحَدٌ مِنْ أمّتِي, ذَاكَ إذَا النّاسُ على جَسْرِ جَهَنّمَ».

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: يَوْمَ تُبَدّلُ الأرْضُ غيرَ الأرْضِ والسّمَوَاتُ ذُكر لنا أن عائشة قالت: يا رسول الله: فأين الناس يومئذٍ؟ فقال: «لَقَدْ سألْتِ عَنْ شَيْءٍ ما سألَنِي عَنْه أحَدٌ مِنْ أُمّتِي قَبْلَكِ». قال: «هُمْ يَوْمَئِذٍ على جِسْرِ جَهَنّمَ».

حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة, أن عائشة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم, فذكر نحوه, إلاّ أنه قال: «عَلى الصّرَاطِ».

15856ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن يحيى بن أبي كثير, عن أسماء, عن ثوبان, قال: سأل حبر من اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقال: أين الناس يوم تبدّل الأرض غير الأرض؟ قال: «هُمْ فِي الظّلْمَةِ دُون الجَسْرِ».

حدثني محمد بن عون, قال: حدثنا أبو المغيرة, قال: حدثنا ابن أبي مريم, قال: حدثنا سعيد بن ثوبان الكلاعي, عن أبي أيوب الأنصاريّ, قال: أتى النبيّ صلى الله عليه وسلم حبرٌ من اليهود, وقال: أرأيت إذ يقول الله في كتابه: يَوْمَ تُبَدّلُ الأرْضُ غيرَ الأرْضِ والسّمَوَاتُ فأين الخلق عند ذلك؟ قال: «أضْيافُ اللّهِ فَلَنْ يُعْجِزَهُمْ ما لَدَيْهِ».

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب, قول من قال: معناه: يوم تبدّل الأرض التي نحن عليها اليوم يوم القيامة غيرَها, وكذلك السموات اليوم تبدّل غيرها, كما قال جلّ ثناؤه. وجائز أن تكون المبدلة أرضا أخرى من فضة, وجائز أن تكون نارا وجائز أن تكون خبزا, وجائز أن تكون غير ذلك, ولا خبر في ذلك عندنا من الوجه الذي يجب التسليم له أيّ ذلك يكون, فلا قول في ذلك يصحّ إلاّ ما دلّ عليه ظاهر التنزيل.

وبنحو ما قلنا في معنى قوله: والسّمَوَاتُ قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

15857ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد: يَوْمَ تُبَدّلُ الأرْضُ غيرَ الأرْضِ قال: أرضا كأنها الفضة والسّمَوَاتُ كذلك أيضا.

وقوله: وَبَرَزُوا لِلّهِ الوَاحِدِ القَهّارِ يقول: وظهروا لله المنفرد بالربوبية, الذي يقهر كلّ شيء فيغلبه ويصرفه لما يشاء كيف يشاء, فيحيي خلقه إذا شاء, ويميتهم إذا شاء, لا يغلبه شيء, ولا يقهره من قبورهم أحياء لموقف القيامة.

الآية : 49-51

القول في تأويل قوله تعالى:

{وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مّقَرّنِينَ فِي الأصْفَادِ * سَرَابِيلُهُم مّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النّارُ * لِيَجْزِيَ اللّهُ كُلّ نَفْسٍ مّا كَسَبَتْ إِنّ اللّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ }.

يقول تعالى ذكره: وتعاين الذين كفروا بالله, فاجترموا في الدنيا الشرك يومئذٍ, يعني: يوم تُبدّل الأرض غير الأرض والسموات. مُقَرّنِينَ فِي الأصْفادِ يقول: مقرنة أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم بالأصفاد, وهي الوثاق من غلّ وسلسلة, واحدها: صَفَد, يقال منه: صفدته في الصّفَد صَفْدا وصِفادا, والصفاد: القيد, ومنه قول عمرو بن كلثوم.

فَآبُوا بالنّهابِ وبالسّبايا وأُبْنا بالمُلُوكِ مُصَفّدِينا

ومن جعل الواحد من ذلك صِفادا جمعه: صُفُدا لا أصفادا. وأما من العطاء, فإنه يقال منه: أصفدتُهُ إصفادا, كما قال الأعشى:

تَضَيّفْتُهُ يَوْما فأكْرَمَ مَجْلِسِي وأصْفَدَنِي عِنْدَ الزّمانَةِ قائِدَا

وقد قيل في العطاء أيضا: صَفَدَني صَفْدا, كما قال النابغة الذبيانيّ:

هَذَا الثّناءُ فإنْ تَسْمَعْ لِقائِلِهِ فَمَا عَرَضْتُ أبَيْتَ اللّعْنَ بالصّفَدِ

وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: مُقَرّنِينَ فِي الأصْفادِ قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

15858ـ حدثني المثنى, قال: ثني عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: مُقَرّنِينَ فِي الأصْفادِ يقول: في وثاق.

15859ـ حدثني محمد بن عيسى الدامغاني, قال: حدثنا ابن المبارك, عن جويبر, عن الضحاك, قال: الأصفاد: السلاسل.

15860ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: مُقَرّنِينَ فِي الأصْفادِ قال: مقرّنين في القيود والأغلال.

15861ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا عليّ بن هاشم بن البريد, قال: سمعت الأعمش, يقول: الصفد: القيد.

15862ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: مُقَرّنِينَ فِي الأصْفادِ قال: صفدت فيها أيديهم وأرجلهم ورقابهم, والأصفاد: الأغلال.

وقوله: سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطرَانٍ يقول: قمصهم التي يلبسونها, واحدها: سربال, كما قال امرؤ القيس:

لَعُوبٌ تُنَسّينِـي إذَا قُمْتُ سرْبـالـي

15863ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فــي قوله: سَرَابِـيـلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ قال: السرابـيـل: القُمُص.

وقوله: مِنْ قَطِرَانٍ: يقول: من القطران الذي يهنأ به الإبـل, وفــيه لغـات ثلاث: يقال: قِطْران وقَطْران بفتح القاف وتسكين الطاء منـه. وقـيــل: إن عيسى بن عمر كان يقرأ: مِنْ قِطْـرَانٍ بكسـر القـاف وتسـكين الطـاء ومنـه قول أبـي النـجم:

جَوْنٌ كأنّ العَرَقَ الـمَنْثُوحالَبّسَهُ القِطْرَانَ والـمُسُوحا

بكسر القاف, وقال أيضا:

كأنّ قِطْرَانا إذَا تَلاهَاتَرْمي بِهِ الرّيحُ إلـى مَـجْرَاها

بـالكسر.

وبنـحو ما قلناه فـي ذلك يقول من قرأ ذلك كذلك. ذكر من قال ذلك:

15864ـ حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا عبد الوهـاب, عـن سـعيد, عن قتادة, عن الـحسن: مِنْ قَطِرانٍ يعنـي: الـخَضْخَاض هِناء الإبل.

حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن الـحسن: مِنْ قَطِرَانٍ قال: قطران الإبل.

وقال بعضهم: القطران: النـحاس. ذكر من قال ذلك:

15865ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عـن ابـن جريج, عن مـجاهد, قال: قَطران: نـحاس, قال ابن جريج: قال ابن عبــاس: مِنْ قَطِرَانٍ: نـحاس.

15866ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: حدثنا أبو سفـيان, عن معمر, عن قتادة: مِن قَطِران قال: هي نـحاس.

وبهذه القراءة: أعنـي بفتـح القاف وكسر الطاء وتصيـير ذلـك كلـه كلــمة واحدة, قرأ ذلك جميع قرّاء الأمصار, وبها نقـرأ لإجماع الــحجة مـن القـرّاء علـيه.

وقد رُوي عن بعض الـمتقدمين أنه كان يقرأ ذلك: «مِـنْ قَطْـرٍ آنٍ» بفتــح القاف وتسكين الطاء وتنوين الراء وتصيـير «آن» مـن نعِتـه, وتـوجيه معنـى «القَطر» إلـى أنه النـحاس ومعنى «الآن» إلـى أنه الذي قد انتهى حرّه فـي الشدّة.

ومـمن كان يقرأ ذلك كذلك فـيـما ذُكر لنا عكرمة مولـى ابن عبـاس.

15867ـ حدثنـي بذلك أحمد بن يوسف, قال: حدثنا القاسم, قال: حـدثنا هشيـم, قال: أخبرنا حُصَين عنـه. ذكـر مـن تـأوّل ذلـك علــى هـذه القـراءة التأويـل الذي ذكرت فـيه:

15868ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب, عن جعفر, عن سعيد, فـي قوله: «سَرَابِـيـلُهُمْ مِنْ قَطْرٍ آنٍ» قال: قطر, والآن: الذي قد انتهى حرّه.

حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا داود بن مِهران, عن يعقـوب, عـن جعفر, عن سعيد بن جبـير نـحوه.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا إسـحاق, قـال: حـدثنا هشـام, قـال: حـدثنا يعقوب القمي, عن جعفر, عن سعيد, بنـحوه.

15869ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الرحمن بن أبـي حماد, قال: حدثنا يعقوب القمي, عن جعفر, عـن سـعيد بـن جبــير أنـه كان يقرأ: «سَرَابِـيـلُهُمْ مِنْ قَطْرٍ آنٍ».

15870ـ حدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا عفان, قال: حدثنا المبارك بن فضالة, قال: سمعت الحسن يقول: كانت العرب تقول للشيء إذا انتهى حرّه: قد أنى حرّ هذا, قد أوقدت عليه جهنم منذ خلقت فأنى حرّها.

15871ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الرحمن بن سعيد, قال: حدثنا أبو جعفر, عن الربيع بن أنس في قوله: «سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطْرٍ آنٍ» قال: القطر: النحاس, والآن: يقول: قد أنى حرّه, وذلك أنه يقول: حميمٌ آن.

15872ـ حدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا عفان بن مسلم, قال: حدثنا ثابت بن يزيد, قال: حدثنا هلال بن خباب, عن عكرمة, عن ابن عباس, في هذه الآية: «سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطْرٍ آنٍ» قال: من نحاس, قال: آن أنى لهم أن يعذّبوا به.

15873ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: أخبرنا هشيم, عن حصين, عن عكرمة, في قوله: «مِنْ قَطْرٍ آنٍ» قال: الآني: الذي قد انتهى حرّه.

15874ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: «مِنْ قَطْرٍ آنٍ» قال: هو النحاس المذاب.

15875ـ حدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا عبد الوهاب بن عطاء, عن سعيد, عن قتادة: «مِنْ قَطْرٍ آنٍ» يعني: الصّفر المذاب.

15876ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن قتادة: «سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطْرٍ آنٍ» قال: من نحاس.

حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا هشام, قال: حدثنا أبو حفص, عن هارون, عن قتادة أنه كان يقرأ: «مِنْ قَطْرٍ آنٍ» قال: من صفر قد انتهى حرّه.

وكان الحسن يقرؤها: «مِنْ قَطْرٍ آنٍ».

وقوله: وتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النّارُ يقول: وتلفَحُ وجوههم النار فتحرقها لِيَجْزِيَ اللّهُ كُلّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ يقول: فعل الله ذلك بهم جزاء لهم بما كسبوا من الآثام في الدنيا, كيما يثيب كلّ نفس بما كسبت من خير وشرّ, فيَجْزِي المحسن بإحسانه, والمسيء بإساءته. إنّ اللّهَ سَرِيعُ الحِسابِ يقول: إن الله عالم بعمل كلّ عامل, فلا يحتاج في إحصاء أعمالهم إلى عقد كفّ ولا معاناة, وهو سريع حسابه لأعمالهم, قد أحاط بها علما, لا يعزب عنه منها شيء, وهو مجازيهم على جميع ذلك صغيره وكبيره.

الآية : 52

القول في تأويل قوله تعالى: {هَـَذَا بَلاَغٌ لّلنّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِ وَلِيَعْلَمُوَاْ أَنّمَا هُوَ إِلَـَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذّكّرَ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ }.

يقول تعالى ذكره: هذا القرآن بلاغ للناس, أبلغ الله به إليهم في الحجة عليهم, وأعذر إليهم بما أنزل فيه من مواعظه وعبره. وَلِيُنْذَرُوا بِهِ يقول: ولينذروا عقاب الله, ويحذروا به نقماته, أنزله إلى نبيه صلى الله عليه وسلم. وَلِيَعْلَمُوا أنّمَا هُوَ إلهٌ وَاحِدٌ يقول: وليعلموا بما احتجّ به عليهم من الحجج فيه أنما هو إله واحد, لا آلهة شتى, كما يقوله المشركون بالله, وأن لا إله إلاّ هو الذي له ما في السموات وما في الأرض, الذي

سخر لهم الشمس والقمر والليـل والنهار وأنزل من السماء ماء فـأخرج بـه من الثمرات رزقا لهم, وسخر لهم الفُلك لتـجري فــي البحـر بـأمره وسـخر لهم الأنهار. وَلِـيَذّكّرَ أُولُوا الألْبـابِ يقول: ولـيتذكر فـيتعظ بـما احتـجّ اللـه بـه علـيه من حججه التـي فــي هـذا القـرآن, فــينزجر عـن أن يجعـل معـه إلهـا غيره, ويُشْرِك فـي عبـادته شيئا سواه أهـلُ الــحجى والعقـول, فـإنهم أهـل الاعتبـار والاَدّكار, دون الذين لا عقول لهم ولا أفهام, فإنهم كالأنعـام بـل هـم أضلّ سبـيلاً.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

15877ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فــي قوله: هَذَا بَلاغٌ للنّاسِ قال: القرآن. وَلِـيُنْذَرُوا بِهِ: قال: بــالقرآن. وَلِـيَعْلَــمُوا أنّـمَا هُوَ إلهٌ واحدٌ وَلِـيَذَكّرَ أُولُوا الألْبـابِ.